



مرکز تحقیقات اسلامی

اصفهان

گامی



عمران
علیه السلام

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

مَنْهَاجُ الْبِرِّ

فَتْحٌ مُبْتَدِئٌ فِي الْبَلَاغَةِ

لِلْأَمِيرِ

الْعَلَّامِ الْمُتَمَيِّزِ الْوَالِدِ الْبَرِّ الرَّحِيمِ الْهَادِي

السُّيُوفِيِّ الْعَزِيزِ

الْحِزْبِ الثَّامِنِ

مِنْ مَشُورَاتِكِ

الْكُتُبِ الْأَسْلَمِيَّةِ

عَلَيْهِمْ سَلَامٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه

نويسنده:

حبيب الله خوئى

ناشر چاپى:

المكتبه الاسلاميه

ناشر ديڤيتالى:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

٥	فهرست
١٩	منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه (عربى - فارسى) جلد ٨
١٩	مشخصات كتاب
٢٠	تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره
٢٠	تتمه المختار المأه و التاسع
٢٠	تتمه المعنى من المختار المأه و التاسع
٢٠	اشاره
٢٧	تكملة
٣٠	بيان
٣١	الترجمه
٣٢	و من خطبه له عليه السلام و هى المأه و العاشره
٣٢	اشاره
٣٥	اللغه
٣٥	الاعراب
٣٧	المعنى
٤٧	تكملة
٤٩	الترجمه
٥٢	و من خطبه له عليه السلام و هى المأه و الحاديه عشر
٥٢	اشاره
٥٣	اللغه
٥٣	الاعراب
٥٣	المعنى
٥٣	اشاره
٥٥	تنبيه

٥٩ الترجمة

٥٩ و من خطبه له عليه السلام و هي المأه و الثانيه عشر من

٥٩ اشاره

٦١ اللغه

٦١ الاعراب

٦٢ المعنى

٦٨ الترجمة

٧٠ و من خطبه له عليه السلام و هي المأه و الثالثه عشر من المختار -

٧٠ اشاره

٧٢ اللغه

٧٣ الاعراب

٧٣ المعنى

٨٨ الترجمة

٩١ و من خطبه له عليه السلام فى الاستسقاء و هي المأه و الرابعه

٩١ اشاره

٩٣ اللغه

٩٤ الاعراب

٩٤ المعنى

٩٤ اشاره

١٠١ تكمله

١٠٤ بيان

١٠٧ الترجمة

١٠٩ و من خطبه له عليه السلام و هي المأه و الخامسه عشر من المختار

١٠٩ اشاره

١١٠ اللغه

١١١ الاعراب

- ١١١ المعنى
- ١١٧ الترجمة
- ١١٨ و من كلام له عليه السلام و هو المأه و السادس عشر من
- ١١٨ اشاره
- ١١٨ اللغه
- ١١٩ الاعراب
- ١١٩ المعنى
- ١٢٠ الترجمة
- ١٢٠ و من كلام له عليه السلام و هو المأه و السابع عشر من المختار
- ١٢٠ اشاره
- ١٢١ اللغه
- ١٢١ الاعراب
- ١٢١ المعنى
- ١٢٢ الترجمة
- ١٢٢ و من كلام له عليه السلام و هو المأه و الثامن عشر من المختار
- ١٢٢ اشاره
- ١٢٣ اللغه
- ١٢٣ الاعراب
- ١٢٤ المعنى
- ١٢٤ الترجمة
- ١٢٩ و من كلام له عليه السلام و هو المأه و التاسع عشر من المختار
- ١٢٩ اشاره
- ١٢٩ اللغه
- ١٢٩ الاعراب
- ١٣٠ المعنى
- ١٤٧ الترجمة

١٤٨ و من كلام له عليه السلام و هو المأه و العشرون من المختار

١٤٨ اشارة

١٤٩ اللغه

١٥٠ الاعراب

١٥١ المعنى

١٥١ اشارة

١٥٨ تكمله

١٥٨ الترجمة

١٥٩ و من كلام له عليه السلام و هو المأه و الاحد و العشرون

١٥٩ اشارة

١٦١ اللغه

١٦١ الاعراب

١٦٣ المعنى

١٦٣ اشارة

١٦٦ تنبيه

١٦٧ الترجمة

١٦٩ و من كلام له عليه السلام و هو المأه و الثانى و العشرون من المختار

١٦٩ اشارة

١٦٩ اللغه

١٦٩ الاعراب

١٧٠ المعنى

١٧٢ الترجمة

١٧٣ و من كلام له عليه السلام و هو المأه و الثالث و العشرون من

١٧٣ اشارة

١٧٣ اللغه

١٧٣ الاعراب

المعنى - ١٧٣

اشاره - ١٧٣

تنبيه - ١٧٤

الترجمه - ١٧٥

و من كلام له عليه السلام فى حثّ اصحابه على القتال و هو الماء - ١٧٥

اشاره - ١٧٥

اللغه - ١٧٧

الأعراب - ١٧٨

المعنى - ١٧٩

اشاره - ١٧٩

تكمله - ١٨٣

و فى كلام له آخر - ١٨٤

تذكره - ١٨٦

الترجمه - ١٨٧

و من كلام له عليه السلام فى التحكيم و هو الماء و الخامس - ١٨٨

اشاره - ١٨٨

اللغه - ١٨٩

الاعراب - ١٩٠

المعنى - ١٩١

الترجمه - ٢٠٠

و من كلام له عليه السلام لما عوتب على التسويه فى العطاء - ٢٠١

اشاره - ٢٠١

اللغه - ٢٠٢

الاعراب - ٢٠٢

المعنى - ٢٠٢

تنبيه - ٢٠٤

- ٢٠٤ اشاره
- ٢٠٧ اقول لا يخفى ما فى ذلك من وجوه الكلام و ضروب الملام
- ٢٠٧ اشاره
- ٢٠٩ قال العلامة المحدث المجلسي:
- ٢١١ تكمله
- ٢١٢ الترجمة
- ٢١٣ و من كلام له عليه السلام قاله للخوارج و هو المأه و السابع
- ٢١٣ اشاره
- ٢١٤ اللغة
- ٢١٥ الاعراب
- ٢١٥ المعنى
- ٢٢١ الترجمة
- ٢٢٢ و من خطبه له عليه السلام فيما يخبر به عن الملاحم بالبصره
- ٢٢٢ اشاره
- ٢٢٢ الفصل الاول
- ٢٢٢ اشاره
- ٢٢٣ اللغة
- ٢٢٣ الاعراب
- ٢٢٣ المعنى
- ٢٢٧ الترجمة
- ٢٢٧ الفصل الثانى منها
- ٢٢٧ اشاره
- ٢٢٨ اللغة
- ٢٢٩ الاعراب
- ٢٢٩ المعنى
- ٢٢٩ اشاره

- الأول ٢٣٤
- الوجه الثانى ٢٣٩
- الوجه الثالث ٢٤٢
- تذكره ٢٤٥
- الترجمه ٢٤٦
- و من خطبه له عليه السلام فى ذكر المكائيل و الموازين ٢٤٧
- اشاره ٢٤٧
- اللغه ٢٤٨
- الاعراب ٢٤٩
- المعنى ٢٤٩
- الترجمه ٢٥٣
- و من كلام له عليه السلام لابي ذر (ره) لما اخرج الى الربذه ٢٥٥
- اشاره ٢٥٥
- اللغه ٢٥٥
- الاعراب ٢٥٦
- المعنى ٢٥٦
- اشاره ٢٥٦
- تنبيه ٢٥٧
- فى ذكر نبذ من أحوال أبى ذر و فضائله و كيفية اسلامه و اخراجه ٢٥٧
- و أما مناقبه الجميله و خصاله الحميده و كراماته البديعه ٢٥٩
- و أما كيفية اخراجه الى الربذه و ما جرى بينه و بين عثمان ٢٦١
- الترجمه ٢٧٤
- و من كلام له عليه السلام و هو المأه و الاحد و الثلاثون من ٢٧٤
- اشاره ٢٧٤
- اللغه ٢٧٥
- الاعراب ٢٧٦

- المعنى ٢٧٦
- اشاره ٢٧٦
- تبصره ٢٨٥
- تنبيه ٢٨٧
- اشاره ٢٨٧
- فأما العلامه المجلسى ٢٨٨
- و أما الشيخ المفيد قدس الله روحه ٢٨٩
- فأما الاشعار التى تؤثر عن الصحابه فى الشهاده له عليه السلام بتقديم الايمان ٢٩٩
- فمن ذلك قول خزيمه بن ثابت ذى الشهادتين رحمه الله عليه: ٢٩٩
- و منه قول كعب بن زهير: ٢٩٩
- و منه قول حسان بن ثابت: ٢٩٩
- و منه قول ربعه بن الحارث بن عبد المطلب حيث يقول عند بيعه أبى بكر: ٣٠١
- و منه قول فضل بن عتبه بن أبى لهب فيما ردّ به على الوليد بن عقبه فى ٣٠١
- و منه قول مالك بن عباد الغافقى حليف حمزه بن عبد المطلب رحمه الله عليه: ٣٠٢
- و منه قول عبد الله بن ابى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب: ٣٠٢
- و منه قول النجاشى بن الحارث بن كعب: ٣٠٢
- و منه قول جرير بن عبد الله البجلي: ٣٠٢
- و منه قول عبد الله بن حكيم التميمى: ٣٠٣
- و منه قول عبد الله بن جبل حليف بنى جمح: ٣٠٤
- و منه قول ابى الاسود الدئلى: ٣٠٤
- و منه قول زفر بن زيد بن حذيفه الاسدى: ٣٠٤
- و منه قول قيس بن سعد بن عباده بصفين: ٣٠٤
- و منه قول هاشم بن عتبه بن أبى وقاص بصفين: ٣٠٤
- و أما الشارح المعتزلى ٣١٥
- الترجمه ٣١٦
- و من خطبه له عليه السلام و هى المأه و الثانى و الثلاثون من ٣١٧

٣١٧	اشاره
٣١٨	اللغه
٣١٩	الاعراب
٣٢٢	المعنى
٣٢٢	اشاره
٣٢٢	اما الفصل الاول
٣٢٣	و أما الفصل الثانى (منها)
٣٢٤	الترجمه
٣٢٧	و من خطبه له عليه السلام و هى المأه و الثالثه و الثلاثون
٣٢٧	اشاره
٣٢٧	الفصل الاول
٣٢٧	اشاره
٣٢٨	اللغه
٣٢٩	الاعراب
٣٢٩	المعنى
٣٢٩	اشاره
٣٢٩	الفصل الاول
٣٣٢	الفصل الثانى منها
٣٣٣	و الفصل الثالث منها
٣٣٣	الترجمه
٣٣٤	الفصل الثانى منها:
٣٣٤	اشاره
٣٣٥	اللغه
٣٣٥	الاعراب
٣٣٤	المعنى
٣٤٢	الترجمه

و من كلام له عليه السلام و قد شاوره عمر بن الخطاب في ٣٤٤

اشاره ٣٤٤

اللغه ٣٤٥

الاعراب ٣٤٥

المعنى ٣٤٥

الترجمه ٣٤٧

و من كلام له عليه السلام و هو المأه و الخامس و الثلاثون ٣٤٧

اشاره ٣٤٧

اللغه ٣٤٨

الاعراب ٣٤٩

المعنى ٣٤٩

اشاره ٣٤٩

تنبيه ٣٥١

الترجمه ٣٥٣

و من كلام له عليه السلام و هو المأه و السادس و الثلاثون من ٣٥٤

اشاره ٣٥٤

اللغه ٣٥٤

الاعراب ٣٥٤

المعنى ٣٥٥

اشاره ٣٥٥

تكمله ٣٥٦

الترجمه ٣٥٧

و من كلام له عليه السلام فيمعنى طلحه و الزبير و هو المأه ٣٥٧

اشاره ٣٥٧

اللغه ٣٥٨

الاعراب ٣٦٠

٣٦٠	المعنى
٣٦٠	اشاره
٣٦٥	تنبيه
٣٦٨	الترجمه
٣٧٠	و من خطبه له عليه السلام فى ذكر الملاحم و هى المأه و الثامنه
٣٧٠	اشاره
٣٧٠	و شرحها فى فصلين: الفصل الاول
٣٧٠	اشاره
٣٧٠	اللغه
٣٧١	الاعراب
٣٧٢	المعنى
٣٧٢	اشاره
٣٧٨	تنبيه
٣٨١	الترجمه
٣٨٢	الفصل الثانى منها
٣٨٢	اشاره
٣٨٢	اللغه
٣٨٢	الاعراب
٣٨٣	المعنى
٣٨٥	الترجمه
٣٨٦	و من كلام له عليه السلام فى وقت الشورى و هو المأه
٣٨٦	اشاره
٣٨٦	اللغه
٣٨٦	الاعراب
٣٨٧	المعنى
٣٨٩	الترجمه

- و من كلام له عليه السلام فى النهى عن غيبه الناس و هو المأه ٣٨٩
- اشاره ٣٨٩
- اللغه ٣٩٠
- الاعراب ٣٩٠
- المعنى ٣٩٢
- تنبيه ٣٩٥
- اشاره ٣٩٥
- الكلام ٣٩٥
- الامر الاول ٣٩٥
- الثانى فى الأدله الدآله على حرمه الغيبه ٣٩٩
- و أما الكتاب ٣٩٩
- و أما السنه ٤٠١
- الثالث فى دواعى الغيبه ٤٠٥
- فالاول تشفى الغيظ ٤٠٥
- الثانى موافقه الأقران و مجامله الرفقاء و مساعدتهم على الكلام ٤٠٥
- الثالث أن يستشعر من انسان أنه سيقصده و يطول لسانه عليه ٤٠٥
- الرابع أن ينسب إلى شىء فيريد أن يتبرء منه فيذكر الذى فعله ٤٠٦
- الخامس إرادته التصنع و المباهاة ٤٠٦
- السادس الحسد و هو أنه ربما يحسد من يثنى الناس عليه ٤٠٦
- السابع اللعب و الهزل و المطايبه ٤٠٦
- الثامن السخرية و الاستهزاء استحقارا له ٤٠٦
- التاسع الرّحمه ٤٠٦
- العاشر الغضب لله تعالى ٤٠٧
- الرابع فى عدم جواز استماع الغيبه ٤٠٨
- الخامس فى مستثنيات الغيبه ٤٠٩
- الاول التظلم ٤١٠

- ٤١٠ الثاني نصح المستشار
- ٤١٠ الثالث الاستفتاء
- ٤١١ الرابع تحذير المسلم
- ٤١١ الخامس قصد ردع المغتاب عن المنكر الذي يفعله
- ٤١١ السادس باب الترجيح و التعديل في الزوايه
- ٤١٢ السابع دفع الضرر عن المغتاب
- ٤١٢ الثامن ذكر الشخص بعينه الذي صار بمنزله الصفه المميزه
- ٤١٢ التاسع إظهار العيوب الخفيه
- ٤١٢ العاشر رد من ادعى نسبا ليس له
- ٤١٢ الحادى عشر إذا علم اثنان عن رجل معصيه
- ٤١٢ الثانى عشر غيبه المتجاهر بالفسق
- ٤١٤ السادس فى معالجه الغيبه
- ٤١٥ السابع فى كفاره الغيبه
- ٤١٨ الترجمه
- ٤١٩ و من كلام له عليه السلام و هو المأه و الحادى و الاربعون من
- ٤١٩ اشاره
- ٤١٩ اللغه
- ٤٢٠ الاعراب
- ٤٢٠ المعنى
- ٤٢٤ الترجمه
- ٤٢٤ و من كلام له عليه السلام و هو المأه و الثانى و الاربعون من
- ٤٢٤ اشاره
- ٤٢٥ اللغه
- ٤٢٥ الاعراب
- ٤٢٦ المعنى
- ٤٢٦ اشاره

٤٣١ ----- تذنيب في الاخبار الوارده في ذم وضع المعروف في غير موضعه و مع

٤٣٢ ----- الترجمه

٤٣٣ ----- درباره مركز

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی - فارسی) جلد ۸

مشخصات کتاب

سرشناسه: خوئی، حبيب الله بن محمد هاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ق.

عنوان و نام پدیدآور: منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه / لمولفه حبيب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحيحه و تهذيبه ابراهيم الميانجی.

مشخصات نشر: تهران: مکتبه الاسلاميه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهري: ۲۰ ج.

شابک: ۱۵۰ ريال (ج. ۸)

یادداشت: عربي.

یادداشت: فهرست نویسی بر اساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق. = ۱۳۴۴.

یادداشت: چاپ دوم.

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- کلمات قصار

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- خطبه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- نامه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده: میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰. مصحح

شناسه افزوده: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. . نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره: BP۳۸/۰۲ /خ ۹ ۱۳۰۰ ی

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی: ۱۹۹۲۰۶

تمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره

تمه المختار المأه و التاسع

تمه المعنى من المختار المأه و التاسع

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثمَّ اِنَّهٗ عليه السَّلَام لما فرغ من تعداد أفضل الوسائل إلى الله سبحانه و أشرف ما يتقرَّب به إليه تعالى أردفه بالأمر بما هو موجب لكماله و تمامه فقال عليه السَّلَام:

(أفيضوا) أى اندفعوا (فى ذكر الله فانه أحسن الذِّكر) لما يترتب عليه من الثمرات الدنيويَّة و الأخرويَّة حسبما عرفته فى التنبيه الثانى من تنبيهات الفصل السادس من فصول الخطبه الثانيه و الثمانين (و ارغبوا فيما وعد المتقين) بقوله: «للّٰهدين اتّقوا عند ربّهم جنّات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها و أزواج مطّهّره و رضوان من الله و الله بصير بالعباد».

و الرّغبه فيه إنّما هو بتحصيل التقوى و الاتّصاف بأوصاف المتّقين الذين:

«يقولون ربّنا إنّنا آمنّا فاعفر لنا ذنوبنا و قنا عذاب النّار الصّابرين و الصّادقين و القانتين و المنفقين و المستغفرين بالأسحار».

(فإنّ وعده) سبحانه (أصدق الوعد) أى لا- يخلف الميعاد لأنّ الخلف منشاه إمّا البخل أو العجز، و كلاهما محالان على الله سبحانه (و اقتدوا بهدى نبيّكم) أى بسيرته صلى الله عليه و آله (فانه أفضل الهدى) لأنّه إذا كان أفضل الأنبياء كانت سيرته أفضل السّير (و استنّوا بسنّته) أى بطريقته سلام الله عليه و آله (فانّها أهدى السّنن)

ص: ٢

و أقرب الطرق الموصله إلى الحق سبحانه (و تعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث) أى أحسن الكلام، و سَمَى الكلام به لتجدده و حدوثة شيئاً فشيئاً، و قد مضى فى شرح الفصل السابع عشر من فصول الخطبه الاولى بعض امور المهمه المتعلقه بالقرآن، و لعلّ مقامه و سموّ مكانه و حسن نظمه و جلاله قدره و بعد غوره و عذوبه معناه و دقّه مغزاه و اشتماله على ما لم يشتمل عليه غيره من كلام المخلوقين كان أحسن الكلام و أمر عليه السّلام بتعلّمه بذلك الاعتبار مضافاً إلى ما يترتب على تعلّمه من عظيم الفوائد و مزيد القسم و العوايد.

كما يشهد به ما رواه ثقه الاسلام الكلينى عطر الله مضجعه عن على بن محمّد عن على بن العباس عن الحسين بن عبد الرحمن عن سفيان الحريرى عن أبيه عن سعد الخفاف عن أبى جعفر عليه السّلام قال: يا سعد تعلّموا القرآن فإنّ القرآن يأتى يوم القيامة فى أحسن صورته نظر إليه الخلق، و الثّاس صفوف عشرون و مائة ألف صفّ ثمانون ألف صفّ أمّه محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم و أربعون ألف صفّ من ساير الامم فيأتى على صفّ المسلمين فى صورته رجل فيسلّم فينظرون إليه، ثمّ يقولون: لا إله إلاّ الله الحليم الكريم إنّ هذا الرّجل من المسلمين نعرفه بنعته و صفته غير أنه كان أشدّ اجتهاداً منّا فى القرآن، فمن هناك اعطى من البهاء و الجمال و النور ما لم نعطه، ثمّ يتجاوز حتّى يأتى على صفّ الشهداء فينظر إليه الشهداء ثمّ يقولون لا إله إلاّ الله الرّبّ الرّحيم إنّ هذا الرّجل من الشهداء نعرفه بسمته و صفته غير أنّه من شهداء البحر فمن هناك اعطى من البهاء و الفضل ما لم نعطه، قال فيجاوز حتّى يأتى صفّ شهداء البحر فى صورته شهيد فينظر إليه شهداء البحر فيكثر تعجّبهم و يقولون إنّ هذا من شهداء البحر نعرفه بسمته و صفته غير أنّ الجزيره التى اصيب فيها كانت أعظم هولاً من الجزيره «الجزائر» التى اصبنا فيها فمن هناك اعطى من البهاء و الجمال و الثّور ما لم نعطه، ثمّ يجاوز حتّى يأتى صفّ النبيين و المرسلين فى صورته نبىّ مرسل، فينظر التّيبون و المرسلون إليه فيشتدّ لذلك تعجّبهم و يقولون: لا إله إلاّ الله الحليم الكريم إنّ هذا النبىّ مرسل نعرفه

بصفته و سمته غير انه اعطى فضلا كثيرا، قال: فيجتمعون فيأتون رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلم فيسألونه و يقولون: يا محمد من هذا؟ فيقول لهم: أ و ما تعرفونه؟ فيقولون: ما نعرفه هذا ممن لم يغضب الله عليه فيقول رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلم: هذا حجّه الله على خلقه فيسلم، ثم يجاوز حتى يأتي على صفّ الملائكة في صورته ملك مقرب فينظر إليه الملائكة فيشتدّ تعجبهم و يكبر ذلك عليهم لما رأوا من فضله و يقولون: تعالى ربنا و تقدّس إن هذا العبد من الملائكة نعرفه بسمته و وصفه غير أنه كان أقرب الملائكة إلى الله عزّ و جلّ مقاما فمن هناك البس من النور و الجمال ما لم نلبس، ثم يجاوز حتى ينتهي إلى ربّ العزّه تبارك و تعالى فيخزّ تحت العرش فيناديه تبارك و تعالى: يا حجّتي في الأرض و كلامي الصادق الناطق ارفع رأسك و سل تعط و اشفع تشفع، فيرفع رأسه فيقول الله تبارك: كيف رأيت عبادي؟ فيقول: يا ربّ منهم من صانني و حافظ عليّ و لم يضيع شيئا، و منهم من ضيّعني و استخفّ بحقيّ و كذب بي و أنا حجّتك على جميع خلقك فيقول الله تبارك و تعالى: و عزّتي و جلالتي و ارتفاع مكاني لا يثيبنّ عليك اليوم أحسن الثواب، و لأعاقبنّ عليك اليوم أليم العقاب، قال فيرفع القرآن رأسه في صورته اخرى قال: فقلت له: يا ابا جعفر في أيّ صورته يرجع؟ قال: في صورته رجل شاحب متغيّر ينكره أهل الجمع، فيأتي الرّجل من شيعتنا الذي كان يعرفه و يجادل به أهل الخلاف فيقوم بين يديه فيقول: ما تعرفني فينظر إليه الرّجل فيقول: ما أعرفك يا عبد الله، قال:

فيرجع في صورته التي كانت في الخلق الأوّل، فيقول: ما تعرفني؟ فيقول: نعم، فيقول القرآن: أنا الذي أسهرت ليلك و أنصبت عيشك، و سمعت فيّ الأذى و رجمت بالقول، ألا و أنّ كلّ تاجر قد استوفى تجارته و انا وراءك اليوم، قال: فينطلق به إلى ربّ العزّه تبارك و تعالى فيقول: يا ربّ عبدك و أنت أعلم به قد كان نصبا بي مواظبا عليّ يعادي بسببي و يحبّ فيّ و يبغض، فيقول الله عزّ و جلّ ادخلوا عبادي جنّتي و اكسوه حلّه من حلل الجنّه و توجوه بتاج، فاذا فعل به ذلك عرض على القرآن فيقول له: هل رضيت بما صنع بوليك؟ فيقول: يا ربّ إنّي أستقلّ هذا له فزده مزيد الخير كلّ، فيقول عزّ و جلّ: و عزّتي و جلالتي و علويّ و ارتفاع مكاني لأنحلنّ له اليوم

خمسة أشياء مع المزيد له و لمن كان بمنزلته ألا أنهم شباب لا يهرمون، و أصحاء لا يسقمون، و أغنياء لا يفتقرون، و فرحون لا يحزنون، و أحياء لا يموتون، ثم تلا هذه الآية «لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى».

قال قلت: يا أبا جعفر و هل يتكلم القرآن؟ فتبسّم عليه السّلام ثم قال: رحم الله الصّحفاء من شيعتنا إنهم أهل تسليم، ثم قال عليه السّلام: نعم يا سعد و الصّلاه تتكلم، و له صورته و خلق تأمر و تنهى، قال سعد: فتغيّر لذلك لوني و قلت: هذا شيء لا أستطيع التكلّم به فى الناس، فقال أبو جعفر عليه السّلام: و هل الناس إلا شيعتنا، فمن لم يعرف الصّلاه فقد أنكر حقنا، ثم قال: يا سعد اسمعك كلام القرآن؟ قال سعد: فقلت: بلى صلى الله عليك، فقال: إن الصّلاه تنهى عن الفحشاء و المنكر و لذكر الله أكبر، فالنهي كلام و الفحشاء و المنكر رجال و نحن ذكر الله و نحن أكبر (و تفقّها فيه) أى تفهّموا فى القرآن (فانه ربيع القلوب) و استعار له لفظ الرّبيع باعتبار كونه جامعاً لأنواع الأسرار العجيبه و النكات البديعه و المعانى اللطيفه و العلوم الشريفة التى هى متنزه القلوب كما أنّ الرّبيع جامع لأنواع الأزهار و الرياحين التى هى مطرح الأنظار و مستمتع الأبصار و محصّل المعنى أنّه يجب عليكم أخذ الفهم فى القرآن كيلا تحرموا من فوائده و لا تغفلوا عن منافعه فانه بمنزله الرّبيع المتضمّن للفوائد الكثيره و المنافع العظيمة هذا.

و يحتمل أن يكون المراد بالتفقه التّبصير على حدّو ما ذهب اليه بعض الشارحين فى شرح قوله صلى الله عليه و آله و سلّم: من حفظ على أمّتى أربعين حديثاً بعثه الله فقيهاً عالماً، حيث قال: ليس المراد به الفقه بمعنى الفهم فانه لا يناسب المقام، و لا العلم بالأحكام الشرعيه عن أدلّتها التفصيليّة فانه مستحدث، بل المراد البصيره فى أمر الدّين، و الفقه أكثر ما يأتى فى الحديث بهذا المعنى، و إليها أشار صلى الله عليه و آله و سلّم بقوله: لا يفقه العبد كلّ الفقه حتّى يمقت الناس فى ذات الله و حتّى يرى للقرآن وجوهاً كثيره ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشدّ مقتاً.

ثم قال: هذا البصيره إِمَّا موهبيته و هي التي دعا بها النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أَرْسَلَهُ إِلَى الْيَمَنِ حَيْثُ قَالَ: اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، أَوْ كَسِّبْهُ وَ هِيَ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ قَالَ لَوْلَدَهُ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ تَفَقَّهَ يَا بَنِيَّ فِي الدِّينِ أَنْتَهَى.

و على هذا الاحتمال فتعليل الأمر بالتفقه بكونه ربيعاً إشارة إلى أنّ الرُّبْعَ كما أنّه مورد الاعتبار بما أودع الله فيه من عجائب العبر و الأسرار و أخرج فيه من بدائع النبات و الأزهار و غيرها من شواهد الحكمة و آثار القدره، فكذلك القرآن محل الاستبصار بما تضمّنه من حكاية حال الامم الماضيه و القرون الخاليه و تفصيل ما أعطاه الله سبحانه للمطيعين من عظيم الثواب و جزاه للمسيئين من أليم العقاب و العذاب، و غير ذلك مما فيه تذكرة لاولى الأبصار و تبصره لاولى الألباب (و استشفوا بنوره فانه شفاء الصدور) من الاسقام الظاهره و الباطنه و الأمراض الحسيه و العقليه.

كما يدلّ عليه ما رواه في الكافي باسناده عن طلحه بن زيد عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: إنّ هذا القرآن فيه منار الهدى و مصابيح الدّجى، فليجل جال بصره و يفتح للضياء نظره، فإنّ التّفكر حياه قلب البصير كما يمشى المستنير في الظلمات بالنور.

و فيه عن أبي جميله قال قال: أبو عبد الله عليه السّلام: كان في وصيّيه أمير المؤمنين عليه السّلام لأصحابه: اعلّموا أنّ القرآن هدى النهار و نور الليل المظلم على ما كان من جهل و فاقه.

و فيه عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن النّوفلى عن الشّكونى عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السّلام قال: شكى رجل النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ وَ جَعَا فِي صَدْرِهِ فَقَالَ: اسْتَشْفِ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ وَ شَفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا نَطِيلُ بِرَوَايَتِهَا وَ يَأْتِي طَائِفُهُ كَثِيرُهُ مِنْهَا فِي شَرْحِ الْفَصْلِ الرَّابِعِ مِنْ فُصُولِ الْخُطْبَةِ الْمَأْمُومَةِ وَ السَّابِعَةِ وَ التَّاسِعِينَ إِنْشَاءً لِلَّهِ تَعَالَى (وَ أَحْسَنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقِصَصِ) يَعْنِي أَنَّهُ لِمَا كَانَ أَحْسَنَ الْقِصَصِ وَ أَنْفَعَهَا

كما يرشد إليه قوله تعالى: نحن نقص عليك أحسن القصص، لا جرم ينبغي أن يحسن تلاوته و أن يتلى حق التلاوه بحسن التدبّر و النظر لتدرك منافع قصصه و تنال بها فيها من الفوائد العظيمة.

روى فى الكافى باسناده عن عبد الله بن سليمان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ و جلّ: و رتل القرآن ترتيلا، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: بيّنه تبياناً و لا تهذّه (1) هذّ الشعر و لا تنثره نثر الرّمْل و لكن افرغوا قلوبكم القاسيه و لا يكن همّ أحدكم آخر السّوره.

ثمّ إنه عليه السلام لما أمر بتعلّم القرآن و عقّبه بامور ملازمه للعمل به من التفقّه فيه و الاستشفاء بنوره و حسن تلاوته، علّل ذلك بقوله: (فإنّ العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر) أى المتحيّر (الذى لا يستفيق من جهله) فى اشتراكهما فى التورّط فى الضلال و العدول عن قصد السبيل (بل الحجّه عليه أعظم) لانقطاع معذرتة بمعرفته و عدم تمكّنه من أن يعتذر و يقول: إنّنا كنّا عن هذا غافلين و قد مرّ فى شرح الفصل الثانى من فصول الخطبه الثانيه و الثمانين تحقيق الكلام فى ذلك بما لا مزيد عليه، و روينا هنالك عن حفص بن غياث عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال: يا حفص يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد (و الحسر له ألزم) كما يوضحه روايه سليم بن قيس الهلالي المتقدّمه ثمّه و قال الشارح البحرانى «قد»: إنّ النفوس الجاهله غير عالمه بمقدار ما يفوتها من الكمال بالتفصيل فإذا فارقت أبدانها فهى و إن كانت محجوبه عن ثمار الجنّه و ما أعدّها الله فيها لأوليائه العلماء، إلّا- أنها لما لم تجد لذّتها و لم تطعم حلاوه المعارف الالهيه لم تكن لها كثير حسر عليها و لا أسف على التقصير فى تحصيلها، بخلاف العارف بها العالم بنسبتها إلى اللذات الدنيويّه، فإنّه بعد المفارقة إذا علم

ص: ٧

١- (١) الهدّ سرعه القرائه أى لا تسرع فيه كما تسرع فى قراءه الشعر و لا تفرّق كلماته بحيث لا يكاد تجتمع كذرات الرمل، و المراد به الاقتصاد بين السرعه المفرطه و البطؤ المفرط «صافى»

و انكشف له أنّ الصارف له و المانع عن الوصول إلى حضره جلال الله هو تقصيره في العمل بما علم مع علمه بمقدار ما فاته من الكمالات و الدرجات، كان أسفه و حسرته على ذلك أشدّ الحسرات، و جرى ذلك مجرى من علم قيمه جوهره ثمينه تساوى جملة من المال ثم اشتغل عن تحصيلها ببعض لعبه فأنه يعظم حسرته عليها و ندمه على التفریط فيها بخلاف الجاهل بقيمتها (و هو عند الله ألوّم) و شدّه اللائم مساوق لشدّه العقوبه، و هو باعتبار أنّ عدم قيامه بوظائف علمه و أتباعه هواه كاشف عن منتهى جرأته على مولاه، فبذلك يستحقّ من اللؤم و العتاب و الخزي و العذاب ما لا يستحقّه غيره ممّن ليس له هذه الجرأه، فهو عند الله أشدّ لؤما و عتابا، و أعظم نكالا و عقابا

تكملة

اعلم أنّ هذه الخطبه الشريفه حسبما أشرنا إليه ملتقطه من خطبه طويله روى تمامها الشيخ المحدث الثقة أبي محمد الحسن بن عليّ بن شعبه قدّس الله سرّه في كتاب تحف العقول.

قال: خطبته عليه السلام المعروفه بالديباج: الحمد لله فاطر الخلق و خالق الاصباح و منشر الموتى و باعث من في القبور، و أشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، و أنّ محمّدا عبده و رسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم عباد الله إنّ أفضل ما توّسل به المتوسّلون إلى الله جلّ ذكره الايمان بالله و برسله و ما جاءت به من عند الله، و الجهاد في سبيله فانه ذروه الاسلام، و كلمه الاخلاص فانها الفطره، و إقامة الصلاه فانها المله، و إيتاء الزكاه فانها فريضه و صوم شهر رمضان فانه جنّه حصينه، و حجّ البيت و عمره فانهما ينفيان الفقر و يكفّران الذنب و يوجبان الجنّه، و صلّه الرّحم فانها ثروه في المال و منساه في الأجل و تكثير للعدد، و الصدقه في السرّ فانها تكفّر الخطاء و تطفي غضب الرّب تبارك و تعالی، و الصدقه في العلانيه فانها تدفع ميتة السوء، و صنایع المعروف أنها تقى مصارع السوء، و أفيضوا في ذكر الله جلّ ذكره فانه أحسن الذكر، و هو

أمان من النفاق و برائه من النار و تذكير لصاحبه عند كل خير يقسمه الله جلّ و عزّ له دوى تحت العرش، و ارغبوا فيما وعد المتقون فإنّ وعد الله أصدق الوعد، و كلّما وعد فهو آت كما وعد، فاقتدوا بهدى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فإنّه أفضل الهدى، و استنوا بسنّته فانها أشرف السنن، و تعلّموا كتاب الله تبارك و تعالى فإنه أحسن الحديث و أبلغ الموعظه، و تفقّهوا فيه فإنه ربيع القلوب، و استشفوا بنوره فإنه شفاء لما فى الصدور، و أحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص، و إذا قرء عليكم القرآن فاستمعوا له و أنصتوا لعلكم ترحمون، و إذا هديتم لعلمه فاعلموا بما علمتم من علمه لعلكم تفلحون.

فاعلموا عباد الله أنّ العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذى لا يستفيق من جهله، بل الحجّه عليه أعظم و هو عند الله ألووم و الحسره أدموم على هذا العالم المنسلخ من علمه مثل ما على هذا الجاهل المتحير فى جهله و كلاهما حاير باير مضلّ مفتون مبتور ما هم فيه و باطل ما كانوا يعملون.

عباد الله لا ترتابوا فتشكّوا، و لا تشكّوا فتكفروا فتندموا، و لا ترخصوا لأنفسكم فتدهنوا و تذهب بكم الرخص مذاهب الظلمه فتهلكوا، و لا تداهنوا فى الحقّ إذا ورد عليكم و عرفتموه فتحسروا خسرا مبينا.

عباد الله إنّ من الحزم أن تتقوا الله، و إنّ من العصمه أن لا تغتروا بالله.

عباد الله إنّ أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربّه، و أغشّهم لنفسه أعصاهم له عباد الله إنه من يطع الله يأمن و يستبشر، و من يعصيه يخب و يندم و لا يسلم عباد الله سلوا الله اليقين فإنّ اليقين رأس الدين، و ارغبوا اليه فى العافيه فإنّ أعظم النعمه العافيه فاغتنموها للدنيا و الآخره و ارغبوا اليه فى التوفيق فإنه اسّ و ثيق، و اعلموا أنّ خير ما لزم القلب اليقين، و أحسن اليقين التّقى، و أفضل امور الحقّ عزائمها، و شرّها محدثاتها، و كلّ محدثه بدعه و كلّ بدعه ضلاله، و بالبدع هدم السنن، المغبون من غبن دينه، و المغبوط من سلم له دينه و حسن يقينه، و السعيد

من وعظ بغيره، و الشقى من انخدع لهواه.

عباد الله اعلّموا أنّ يسير الرّياء شرك، و أنّ اخلاص العمل اليقين، و الهوى يقود إلى النار، و مجالسه أهل الهوى ينسى القرآن و يحضر الشيطان، و النسيء زياده فى الكفر و اعمال العصاه تدعو الى سخط الرحمن و سخط الرحمن يدعو إلى النار، و محادثه النساء تدعو إلى البلاء و تزيغ القلوب، و الرّمق لهنّ يخطف نور أبصار القلوب، و لمح العيون مصائد الشيطان، و مجالسه السلطان يهيج التيران.

عباد الله أصدقوا فإنّ الله مع الصادقين، و جانبوا الكذب فإنّه بجانب للايمان و إنّ الصادق على شرف منجاة و كرامه، و الكاذب على شفا مهواه و هلكه، و قولوا الحقّ تعرفوا به، و اعملوا به تكونوا من أهله، و أدوا الأمانه إلى من ائتمنكم عليها، و صلوا أرحام من قطعكم، و عودوا بالفضل على من حرمكم، و إذا عاقدتم فأوفوا، و إذا حكمتم فاعدلوا، و إذا ظلمتم فاصبروا، و إذا اسىء إليكم فاعفوا و اصفحوا كما تحبون أن يعفى عنكم، و لا تفاخروا بالآباء، و لا تنازروا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان، و لا تمازحوا، و لا تغاضبوا، و لا تباذخوا، و لا يغتب بعضكم بعضا أوجبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا، و لا تحاسدوا فإنّ الحسد يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب، و لا تغاضبوا فإنها الحالقه، و افشوا السيّلام فى العالم، و ردّوا التحية على اهلها بأحسن منها، و ارحموا الأرملة و اليتيم، و اعينوا الضعيف و المظلوم و الغارمين و فى سبيل الله و ابن السبيل و السائلين و فى الرقاب و المكاتب و المسكين، و انصروا المظلوم، و اعطوا الفروض، و جاهدوا انفسكم فى الله حقّ جهاده فإنّه شديد العقاب، و جاهدوا فى سبيل الله، و أقرّوا الضيف و أحسنوا الوضوء، و حافظوا على الصّيلوات الخمس فى أوقاتها، فإنها من الله عزّ و جلّ بمكان.

«فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ...» «فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ» «تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوَى وَ لَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعِدْوَانِ» «وَ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ».

واعلموا عباد الله أنّ الأمل يذهب العقل و يكذب الوعد و يحثّ على الغفلة و يورث الحسره، فاكذبوا الأمل فأنه غرور و أنّ صاحبه مأزور، فاعملوا في الرغبة و الرهبه فان نزلت بكم رغبه فاشكروا و اجمعوا معها رغبه، فإنّ الله قد تأذن للمسلمين بالحسنى و لمن شكر بالزياده، فأنّى لم أر مثل الجنّه نام طالبها، و لا كالتار نام هاربها، و لا أكثر مكتسبا ممن كسبه ليوم تذخر فيه الذخائر و تبلى فيه السراير، و أنّ من لا ينفعه الحقّ يضّرّه الباطل، و من لا يستقيم به الهدى تضّرّه الضلاله، و من لا ينفعه اليقين يضّرّه الشكّ و انكم قد امرتم بالظعن و دلّتم على الزاد، ألا- انّ أخوف ما أتخوّف عليكم اثنان: طول الأمل و اتّباع الهوى ألا و إنّ الدنيا أدبرت و آذنت بانقلاع، ألا و انّ الآخره قد أقبلت و آذنت باطلاع، ألا و إنّ المضمّار اليوم و السباق غدا، ألا و إنّ السبقه الجنّه و الغايه النار، ألا و إنكم في أيام مهل من ورائه أجل يحثّه عجل فمن أخلص لله عمله في أيامه قبل حضور أجله نفعه عمله و لم يضّرّه أجله، و من لم يعمل في أيام مهله ضرّه أجله و لم ينفعه عمله عباد الله أفرعوا إلى قوام دينكم باقام الصلاه لوقتها، و ايتاء الزكاه في حينها و التصرّع و الخشوع و صله الرّحم، و خوف المعاد و إعطاء السائل و إكرام الضعيفه و الضعيف و تعلّم القرآن و العمل به و صدق الحديث و الوفاء بالعهد و أداء الأمانه إذا ائتمتم، و ارغبوا في ثواب الله و ارهبوا عذابه و جاهدوا في سبيل الله بأموالكم و أنفسكم، و تزودوا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم و اعملوا بالخير تجزوا بالخير يوم يفوز بالخير من قدّم الخير، أقول قولى و أستغفر الله لى و لكم.

بيان

لا يخفى على الضابط المحيط بما تقدّمت من الخطب أن الأشبه أن تكون الخطبه الثامنه و العشرون، و أو آخر الخطبه الخامسه و الثمانين، و هذه الخطبه التى نحن فى شرحها جميعا ملتقطه من تلك الخطبه المعروفه بالديباج، فأنك إذا لاحظتها ترى توافق هذه الخطبه لأوائل تلك الخطبه، و أواخر الخامسه و الثمانين لأواسطها، و الثامنه و العشرين لأواخرها، و إن كان بينها اختلاف يسير فى بعض

العبارات، و تقدیم و تأخیر فی بعض الفقرات، و لا ضیر فیہ فأنه من تفاوت مراتب حفظ الزّواہ فی القوّہ و الضعف، و هو عمدہ جهات الاختلاف فی الأخبار كما هو غیر خفیّ علی اولی الأبصار.

الترجمہ

از جملہ خطبہ ای شریفہ آن حجت زمان و قدوہ عالمیانست در وصف شعائر اسلام و حثّ و ترغیب بر آن می فرماید:

بتحقیق بهترین چیزی که تقرّب میکنند بآن تقرّب جویندگان بسوی پروردگار عالمیان که منزّه و مقدّس است از هر گونه عیب و نقصان، ایمان و تصدیق است بذات او و به پیغمبر برگزیده او، و جهاد است در راه او پس بتحقیق که جهاد بلندی اسلام است، دیگر از اسباب تقرّب کلمه اخلاص یعنی کلمه طیبه لا إله الاّ الله است پس بدرستی که آن کلمه مبارکه توحید است و معرفت، دیگر بر پا داشتن نماز پنج گانه پس بتحقیق که او است ملّت، و دادن زکاه است که او است فرض و واجب و روزه ماه مبارک رمضان است که سپر است از عقوبت، و حجّ خانه خدا و عمره بجا آوردن است در آن که آن حجّ و عمره بر می دارند فقر و پریشانی را و می شویند گناه را، و صلّه أرحام است که مایه افزونی مال است و درازی عمر، و صدقه دادن است پنهان که کفاره گناهانست، و صدقه دادنست آشکارا که دفع کننده مردن زشت است چون سوختن و غرق شدن و مثل آن، و کارهای نیکو کردنست که نگه می دارد کردن آنها از کشته شدن در مواضع ذلّت.

کوچ نمائید و سیر کنید در ذکر خدا پس بدرستی که ذکر خدا بهترین ذکرها است، و رغبت نمائید بچیزی که وعده فرموده پرهیزکاران را پس بتحقیق که وعده او راست ترین وعدها است، و متابعت کنید بسیرت پیغمبر خودتان که بهترین سیرتها است، و راه بروید بطریقه او که هدایت کننده ترین طریقها است، و یاد بگیرید و بیاموزید قرآن کریم را که بهترین کلامها است، و بفهمید نکات آنرا که

آن بهار قلبها است، و طلب شفا کنید با نور قرآن که آن شفای سینها است، و خوب تلاوت نمائید آنرا پس بدرستی که آن نافع ترین قصه ها است، بتحقیق که عالمی که بعلم خود عمل نکند مثل جاهل و نادان سرگردانی است که از مستی و جهالت خود بهوش نیاید، بلکه حجت خدا بر آن عالم بزرگتر است، و حسرت و افسوس مر آن عالم را لازم تر است، و او در نزد خدا بیشتر مستحق مذمت و ندامت است.

و من خطبه له علیه السلام و هی المأه و العاشره

اشاره

من المختار فی باب الخطب

و رواها المحدث العلامة المجلسی (قد) فی البحار من کتاب مطالب السؤل باختلاف کثیر تطلع علیه انشاء الله بعد شرح ما رواه الرضی (قد) و هو قوله أما بعد فإنی أحذرکم الدنیا فإنها حلو خضره حفت بالشهوات، و تحببت بالعاجله، و راقت بالقلیل، و تحلت بالآمال، و تزینت بالغرور، لا تدوم حبرتها، و لا تؤمن فجعتها، غزاره، ضراره، حائله زائله، نافده، باند، أکاله، غواله، لا تعدو إذا تناهت إلى أمته أهل الرغبه فيها و الرضا بها أن تكون كما قال الله تعالى سبحانه: «كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا» لم يكن امرء منها في حبره إلا أعقبته بعدها عبره، و لم يلق من سرائها بطنا إلا منحتة من ضرائها ظهرا، و لم تطله فيها ديمه رخاء إلا هتنت عليه مزنه بلاء، و حرى إذا أصبحت له منتصره

ص: ۱۳

أن تمسى له متنكره، وإن جانب منها اعذوذب و احلولى أمرّ منها جانب فأوبى، لا ينال امرء من غضارتها رغبا إلا أرهفته من نوائبها تعباً، ولا يمسى منها فى جناح أمن إلا أصبح على قوادم خوف، غرّاره غرور ما فيها، فانيه فان من عليها، لا خير فى شىء من أذوادها إلا التقوى، من أقلّ منها استكثر ممّا يؤمنه، و من استكثر منها استكثر ممّا يوبقه، و زال عمّا قليل عنه، كم من واثق بها قد فجعته، و ذى طمأنينه قد صرعته، و ذى أبهه قد جعلته حقيراً، و ذى نخوه قد ردّته ذليلاً، سلطانها دول، و عيشها رنق، و عذبها أجاج، و حلوها صبر، و غذائها سامام، و أسبابها رمام، حيّها بعرض موت، و صحيحها بعرض سقم، ملكها مسلوب، و عزيزها مغلوب، و موفورها منكوب، و جارها محروب، أ لستم فى مساكن من كان قبلكم أطول أعماراً، و أبقى آثاراً، و أبعد آمالاً، و أعدّ عديداً، و أكثف جنوداً، تعبّدوا للدنيا أى تعبّد، و آثروها أى إيثار، ثمّ ظعنوا عنها بغير زاد مبلغ، و لا ظهر قاطع، فهل بلغكم أنّ الدنيا سخت لهم نفساً بفيديه، أو أعانتهم بمعونه، أو أحسنت لهم صحبه، بل أرهقتهم بالفوادح، و أوهنتهم بالقوارع، و ضععتهم بالنوائب،

و عفرتهم للمآخر، و وطئتهم بالمناسم، و أعانت عليهم ريب المنون، فقد رأيتم تنكرها لمن دان لها و آثرها و أخلد إليها حتى ظعنوا عنها لفراق الأبد، هل زودتهم إلا السغب، أو أحلتهم إلا الضنك، أو نورت لهم إلا الظلمه، أو أعقبتهم إلا الندامه، أ فهذه توثرون؟ أم إليها تطمثون؟ أم عليها تحرصون؟ فبئست الدار لمن لم يتهمها و لم يكن فيها على و جل منها، فاعلموا و أنتم تعلمون بأنكم تاركوها و ظاعنون عنها، و اتعضوا فيها بالذنين قالوا من أشد منا قوه، حملوا إلى قبورهم، فلا يدعون ركبانا، و أنزلوا الأجداث فلا- يدعون ضيفانا، و جعل لهم من الصفيح أجنان، و من التراب أكفان، و من الرفات جيران، فهم جيره لا يجييون داعيا، و لا يمنعون ضيما، و لا يبالون مندبه، إن جيدوا لم يفرحوا، و إن قحطوا لم يقنطوا، جميع و هم آحاد، و جيره و هم أبعاد، متدانون لا- يتزاورون، و قرييون لا- يتقاربون، حلماء قد ذهب أضغانهم، و جهلاء قد ماتت أحقادهم، لا يخشى فجعهم، و لا يرجى دفعهم، استبدلوا بظهر الأرض بطننا، و بالسبعه ضيقا، و بالأهل غربه، و بالنور ظلمه، فجاءوها كما فارقوها حفاه عراه، قد ظعنوا بأعمالهم إلى الحياه الدائمه، و الدار الباقيه، كما قال سبحانه: «كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ»

«نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ».

اللغة

(الجبهره) بفتح الحاء المهملة وضمها ايضا و سكون الباء الموحده النعمه و الحثن و الوشى و (حائله) من حال الشىء الحول إذا تغيرو (غاله) غولا- من باب قال قتله و (الهشيم) من النبات اليابس المتكسّر و لا يقال له الهشيم و هو رطب و (ذرت) الرّيح الشىء ذروا و أذرت و ذرتّه أطارته و نسفته و (الطلّ) المطر الخفيف و يقال أضعف المطر و (الدّيمه) بالكسر المطر يدوم أيّاما فى سكون بلا- رعد و برق و (هنتت) السماء تهتن هتنا و هتونا و تهاتنت انصبّت و (المزنه) القطعه من السّحاب ذى الماء أو الأبيض منه و (رغبا) بفتح الغين مصدر رغب مثل تعب تعبّا و (أرهقته) تعبّا الحقت ذلكّ به و اغشته أيّاه و (القوادم) مقاديم الريش و (منتصره) فى أكثر النسخ بالنون ثمّ التاء من الانتصار بمعنى الانتقام و فى بعضها بالعكس من تنصّر أى تكلف التّصره و (الابّهه) و زان سكره العظمه و البهجه و الكبر و النخوه و (الصبر) بكسر الباء نبات معروف ثمّ يطلق على كلّ مرّ و (السمام) بالكسر جمع السّم مثلثه و (المناسم) جمع منسم بكسر السّين كمسجد و هو باطن الخفّ و قيل هو للبعير كالسنبك للفرس و (السغب) محرّكه الجوع فى تعب و (الصفيح) وجه كلّ شىء عريض

الاعراب

قوله: أن تكون كما قال الله تعالى بحذف حرف الجرّ متعلّقه بتعدو أى لا تتجاوز عن أن تكون، و حذفها عن ان المصدريه و اختها ان مطّرد و منه قوله سبحانه:

«وَتَزْعَبُونَ أَنْ تَنْكُحُوهُنَّ».

و فاعل حرّى ضمير مستكن عايد الى الدّنيا، و التذكير باعتبار أنّ المراد و ان شأنها جدير بأن يفعل كذا، و اللّام فى قوله: له منتصره، للتعليل، و فى قوله: له متنكره

للتقويه، و على روايه متنصّره من التنصّير، فاللام ثمه أيضا للتقويه كما لا يخفى و جانب فى قوله: ان جانب اعذوذب اه، مرفوع بفعل محذوف يفسره ما بعده على حدّ قوله تعالى «وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ».

و زال، عطف على استكثر اى من استكثر منها زال المستكثر منها عما قليل عنه، و قوله: أ لستم فى مساكن، استفهام تقريرى، و قوله عليه السّلام: تعبّد و اللدنيا الجملة استينافيه بيانیه و أىّ تعبّد، بنصب أىّ صفه محذوف الموصوف أىّ تعبّدوا للّدنيا تعبّدأىّ تعبّد، و الظاهر أنّ أىّ هذه فى الأصل هى أىّ الاستفهاميه، لأنّ معنى مررت برجل أىّ رجل برجل عظيم أو كامل يسأل عن حاله لأنه لا يعرفه كلّ أحد حتّى يسأل عنه ثمّ نقلت عن الاستفهاميه الى الصفه فاعتور عليها اعراب الموصوفو الاستفهام فى قوله فهل بلغكم، على سبيل الانكار و الابطال، و فى قوله: هل ذوّدتهم إلاّ السّغب للتقرير و فى قوله: أفهذه تؤثرون، على سبيل التوبيخ و التقرّيع، و قوله: فاعلموا و أنتم تعلمون بأنكم تاركوها، تعديه اعلموا بالباء لتضمينه معنى اليقين، أو أنّ الباء زايده و جمله و أنتم تعلمون معترضه على حدّ قوله:

ألا هل أتاهما و الحوادث جمّه بأنّ امرء القيس بن تملك يبقرا

فانّ جمله و الحوادث جمّه معترضه بين الفعل أعنى أتاهما، و معموله الذى هو بأن اه. و الباء زايده فيه أيضا و يحتمل جعل الجملة حالا- من مفعول اعلموا فتكون فى محلّ النصب، و على هذا فهى فى المعنى قيد لعامل الحال و وصف له بخلاف ما لو كانت معترضه فانّ لها تعلّق بما قبلها لكن ليست بهذه المرتبه أشار إلى ذلك صاحب الكشاف فى تفسير قوله «ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ».

حيث قال: أنه حال أى عبدتم العجل و أنتم واضعون العباده فى غير موضعها، او اعتراض، أى و أنتم عادتكم الظلم هذا.

و فى بعض نسخ المتن: فاعلموا، بدل فاعلموا، و عليه فتكون قوله عليه السّلام بأنكم معمولاً لتعلمون، كما هو واضح.

المعنى

اعلم أنّ الغرض من هذه الخطبه الشريفه هو التحذير عن الدّنيا و التنفير عنها بالاشاره إلى عيوباتها و مساوئها و التنبيه على زوالها و فنائها و انقضائها على ما فضّله بقوله:

(أما بعد فانى أحذركم الدّنيا فإنّها حلوه خضره) أى متّصفه بالحلاوه و الخضره، و استعارتهما للدّنيا باعتبار التذاذ النفس بهما و تخصيصهما من بين ساير الأوصاف لكونهما من أقوى المستلذّات و أكملها (حفّت بالشّهوات) يعنى أنّها محاطه بالشّهوات لا ينال بها إلاّ- بالانهماك فيها و لا يمكن إدراكها إلاّ بالاقتحام فى مشتيتها (و تحبّبت) إلى النّاس (بالعاجله) أى صارت محبوبه عندهم أو أظهرت المحبه لهم بلذّاتها العاجله الحاضره الّتى مالت إليها القلوب بسببها، و ذلك لأنّ القلوب انما تميل إلى العاجل دون الآجل، و النفوس ترغب إلى النّقد دون النسيه قال الشاعر:

فأطعمنا من فومها و سنامها شواء و خير الخير ما كان عاجله

(و راقى بالقليل) أى أعجبت أهلها بشيء قليل حقير عند متاع الآخره كمّا و كيفا (و تحلّت بالآمال) أى تزوّنت لأهلها بما يؤمّلون فيها من الآمال الّتى أكثرها باطله (و تزوّنت) عند النّاس (بالغرور) أى بما هو فى نفس الامر غرور و باطل لا حقيقه له و لا أصل «كسّرابٍ ببيعِهِ يَحْسَبُهُ الظُّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً» (لا تدوم حبرتها) و نعمتها (و لا تؤمن فجعته) و رزيتها (غزّاره ضرّاره) أى كثيره الغرور و الضرر (حائله زائله) أى متغيّره لا بقاء لها (نافده بائده) أى فانيه هالكه

لا دوام لها (أكّاله غوّاله) أى كثيره الأكل و الاغتيال للنّاس مثل السّبع العقور الذى يأكل النّاس و يغتا لهم أى يأخذهم و يهلكهم من حيث لا- يدرون و لا- يشعرون (لا تعدو إذا تناهت إلى امّتيه أهل الرغبه فيها و الرّضا بها أن تكون كما قال الله تعالى) يعنى أنّها إذا بلغت و انتهت إلى غايه ما يريد الرّاعبون فيها و الرّاضون بها لا تعدو و لا تتجاوز عن كون حالها مثل المثل الذى ضرب الله سبحانه لها حيث قال فى سورة الكهف: «وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا».

فانّ المراد بالآيه تشبيه حالها فى نضرتها و بهجتها و زهرتها و كونها على وفق منيه أهلها و طبق بغيه طالبيها مع ما يتعقبها من الهلاك و الفناء بحال الثّبات الحاصل من الماء يكون أخضر ناضرا شديد الخضره و الطراوه يعجب الرّزاع ثم ييبس فيكون هشيمًا تذرّوه الرياح، و هو من باب ٥. التشبيه المركب على ما حقّقناه فى الدّيباجه.

(لم يكن امرء منها فى حبره الا اعقبته بعدها عبره) يعنى أنّ سرورها و لذّتها معاقب للحزن و الحسره، و نعمتها منابع للنقمه (و لم يلق من سرّائها بطنا الاّ منحتة من ضرّائها) أى لم يلق امرء من خيرها و فضلها بطنا لها الاّ بذلته من مشقّتها و شدّتها (ظهورا) لها و هو كناية عن كون اقبالها ملازما لادبارها و كون خيرها معقبا لشرّها.

و المقصود أنّه إن أقبلت إلى أحد بالخير و المنفعه و استقبلته بالوجه و البطن عقبّت ذلك لا- محاله بذلّ الضرر و المشقّه و أردفته بالضروره بالادبار، و بما ذكرنا علم وجه تخصيص البطن بالسّراء و الظّهر بالضرّاء، فانّ من يلقى صاحبه بالبشر و السرور يلقاه بوجهه و بطنه و من يلقاه بالمسائه و التنكير يلقاه بظهره موليا عنه دبره.

و قوله: منحتة، من باب الاستعاره التهكميه اذ المنح هو البذل و الاعطاء اعنى ايصال النّفع فاستعير لا يصال الضّرر على سبيل التهكم نظير قوله تعالى فبشّرهم:

بعذاب أليم، حيث استعير التبشير الذي هو الاخبار بما يظهر سرور المخبر له للانذار الذي هو ضدها بادخاله في جنسها على سبيل التهكم، أى انذرهم بعذاب أليم.

(و لم تطله فيها ديمه رخاء إلا- هنتت عليه مزنه بلاء) اسناد هنتت إلى مزنه من باب التوسّع و المعنى أنه لم تمطر على أحد فى الدّنيا ديمه أى مطر خفيف موجب على رخاء حاله و سعه عيشه إلا انصبّت عليه أمطار كثيره من مزنه البلاء و سحابه فتوجب شدّه حاله و ضيق عيشه، و الغرض أنها إذا اعطت أحدا قليلا من الخير أعقبت ذلك بكثير من الضّر (و حرى إذا أصبحت له منتصره أن تمسى له متنكره) يعنى أنها جديره حين أصبحت محبه لامرء منتقمه لأجله من عدوّه أو متكلّفه لنصره بأن تمسى مبغضه و متغيّره له (و ان جانب منها اعذوذ و احلولى) أى صار عذبا و حلوا (أمّر منها جانب فأوبى) أى صار مرّا فأوقع فى المرض و فى هذا المعنى قال الشاعر:

ألا إنّما الدّنيا غضاره أيكه إذا اخضّرّ منها جانب جفّ جانب

فلا تكتحل عيناك منها بغيره على ذاهب منها فانك ذاهب

(لا ينال امرء من غضارتها رغبا إلا أرهقته من نوائبها تعباً) أراد أنه لا يبلغ أحد من طيب عيشها وسعتها و نعمتها رغبتة و إرادته إلا حملته و أغشسته من نوائبها و مصائبها التعب و المشقه كما هو يدرك بالعيان و مشاهد بالوجدان، و لا يخفى ما فى اتيان ينال بصيغه المضارع و ارهقته بصيغه الماضى من النّكتة اللطيفه، و هى الاشاره إلى أنّ نيل الرّغبه من غضارتها أمر متوقّع مشكوك و ارهاق التعب من نوائبها أمر محقق ثابت.

(و لا يمسى منها فى جناح أمن إلا أصبح على قوادم خوف) أراد به عدم ثبات أمنها و سرعه انتقاله منه الى الخوف، و لا يخفى ما فى تخصيص الأمن بالجناح و الخوف بالقوادم لأنّ الجناح محلّ الأمن و السّياكن تحته مصون من الأذى و نيل المكروه متحصّن بحصن السّلامه ألا ترى أنّ الطائر يحصّن فرخه بجناحه حفظا له من المكاره و الآلام، و أما القوادم و هى مقاديم الرّيش فلا ريب أنّ الرّاكب عليها فى معرض خطر عظيم و سقوط قريب هذا.

وقال الشارح البحراني (ره) و إنما خصّ الامن بالجناح، لأنّ الجناح محلّ التغيّر بسرعه فتنبه به على سرعه تغييراتها و إنّما خصّ الخوف بالقوادم من الجناح لأنّ القوادم هي رأس الجناح و هي الأصل في سرعه حركته و تغيّره، و هو في مساق ذمّها و التخويف منها، فحسن ذلك التخصيص و مراده أنّه و إن حصل فيها أمن و هو في محلّ التغيّر السّريع و الخوف اليه أسرع لتخصيصه بالقوادم انتهى، و الأظهر ما ذكرناه.

(غزّاره غرور ما فيها فانيه فان من عليها) لا يخفى ما في هاتين القرينتين من حسن الاشتقاق و جزاله المعنى، فانّ القرينه الأولى تنبيه على حسّه الدّنيا و حقارتها و على أنّ ما فيها تدليس و تلبيس و غرور و باطل بمنزله امرأه شوهاء هتماء زخرفت من ظاهرها و البست انواع الحلّي و الحلل تدليسا و تفتينا فاغترّ بها و افتتن من رأى حسن ظاهرها غافلا عن قبح باطنها، و القرينه الثانيه تذكره لكونها مع هذه الحسّه و الحقاره في معرض الفناء و الزوال و الازوف و الانتقال، و كذلك الرّاعبون فيها و الخاطبون لها كما قال عزّ من قائل «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَ يَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ» (لا خير في شىء من أزوادها إلاّ التّقوى) لأنّه هو الذى يتقوى به لسلوك سفر الآخره و طيّ منازلها، و الوصول الى حظيره القدس التّى هي غنيه كلّ طالب و منيه كلّي راغب، و لذلك امر بذلك ربّ العزّه بقوله:

«وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى».

و قد تقدّم توضيح ذلك بما لا مزيد عليه في شرح الخطبه الخامسه و السّبعين، و إنّما جعله من أزواد الدّنيا لأنّ تحصيله إنّما يكون فيها و الآخره دار جزاء لا- تكليف كما سبق بيانه في شرح الخطبه الثانيه و السّتين، و تقدّم ثمّه أيضا ما يوضح أنّ غير التقوى من أزواد الدّنيا لا خير فيها، و يشهد بذلك قوله سبحانه:

«الْمَالُ وَالْبُنُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا».

(من أقلّ منها استكثر ممّا يؤمنه و من استكثر منها استكثر ممّا يوبقه) يعنى أنّ من ذهب فى الدّنيا و اكتفى بالقليل من متاعها طلب الكثير ممّا يوجب أمنه و نجاته فى الآخرة، و من رغب فيها طلب الكثير من متاعها استكثر مما يوجهه هلاكه فيها، لأنّه ان كان من الحلال ففيه طول الحساب، و ان كان من الحرام ففيه أليم العذاب.

(و زال عمّا قليل عنه) إشارة إلى مفسده اخرى فيما استكثره مضافه إلى ايجابه هلاكه و هى أنّه لم يبق له بل زال بعد حين قليل عنه.

ثمّ أشار عليه السيّد لآلام إلى مفاصد الرّكون إليها و الاعتماد عليها بقوله: (كم من واثق بها قد فجّعته) بأنواع الأحزان (و ذى طمأنينه إليها قد صرّعته) فى مصارع الهوان (و ذى أبهه) و عظمه (قد جعلته حقيرا) مهينا (و ذى نخوه) و كبر (قد ردّته ذليلا) مستكينا (سلطانها دول) يتداوله السيّد لآطين بينهم يكون تاره لهؤلاء و لهؤلاء اخرى (و عيشها رنق) متكدر (و عذبها اجاج) مالح (و حلوها صبر) مرّ استعار لفظى العذب و الحلو للذّاتها و لفظى الاجاج و المرّ لما يشوبها من الكدر و الأسقام و الجامع الاشتراك فى الالتذاذ و الايلام (و غذائها سمّام) قاتله (و أسبابها) أى حبالها (رمام) باليه (حيّها بعرض موت و صحيحها بعرض سقم) أراد به إشراف الأحياء بالممات و الأصحاء بالأسقام و قربهم منها (ملكها مسلوب و عزيزها مغلوب و موفورها منكوب و جارها محروب) أى وافر المال و صاحب الثروه فيها مثاب و جارها حريب أى مأخوذ منه جميع ماله هذا.

و لما حدّر من الدّنيا بذكر معاييبها أكّد ذلك بالتنبيه على السّابقين فيها و قال (أ لستم فى مساكن من كان قبلكم) لكونهم (أطول أعمارا) فقد لبث نوح عليه السّلام فى قومه ألف سنة الأ خمسین عاما، و مثله كثير (و أبقى آثارا) كما يشهد به الهرمان

و الايوان و سدّ ياجوج و مناره الاسكندرِيّه و نحوها (و أبعـد آمالا) لأنّ الأعمار إذا كانت أطول كانت الآمال أبعـد لترتّب طول الأمل على طول العمر غالبا (و أعدّ عديدا) أى عدّد كثيرا من الجيوش (و أكثف جنودا) كفرعون و بخت نصر و غيرهما.

(تعبّدوا للدنيا أى تعبّد) أى قصّروا همهم فى الدنيا و أظهروا العبوديّة و التذلل لها و أخذوها معبودا لهم و تعبّدوا لها كمال تعبّد (و آثروها أى إشار) أى اختاروها على الآخرة تمام اختيار (ثمّ ظعنوا) و ارتحلوا (عنها بغير زاد مبلّغ) له إلى منزله (و لا ظهر) أى مركوب (قاطع) لطريقه و هما استعارتان للطاعات و القربات المؤديه له إلى حظيره القدس الموصله إلى مجلس الانس (فهل بلغكم أنّ الدنيا سخت لهم نفسا بفيده) استفهام على سبيل الانكار كما أشرنا إليه سابقا، و المراد أنها جادت (1) لهم حين ارتحالهم منها بطيب نفسها فداء ليكون عوضا عنهم حتّى لا يموتوا و لا يرتحلوا، أو أنها ما بذلت لهم نفسا بأن تكون فى هذا النفس فداء لهم (أو أعانتهم بمعونه أو أحسنت لهم صحبه) مع فرط محبّتهم لها و غايه رغبتهم اليها و شدّه انسهم بها (بل أرهقتهم بالفوادح) أى أغشتهم بالمشكلات (و أوهنتهم بالقوارع) أى أضعفتهم بالمحن و الدواهي القارعات (و وضععتهم بالنوائب) و المصائب (و عفرتهم للمناخر) أى ألصقتهم على العفر و التراب لانوفهم (و وطّنتهم بالمناسم) و الاخفاف و داستهم بالسّينابك و الاظلاف (و أعانت عليهم ريب المنون) أى كانت معينا لحوادث الدهر عليهم (فقد رأيتم تنكّرها) و تغيرها (لمن دان لها) و تقربّ بها (و آثرها) و اختارها على غيرها (و أخلد إليها) و اعتمد عليها (حتّى ظعنوا عنها لفراق الأبد) أى مفارقه دائمه لا- عود بعدها (هل زوّدتهم إلّا السّيب) و الجوع (أو أحلّتهم إلّا الضنك) و الضيق (أو نورّت لهم إلّا الظلمه) أى جعلت الظلمه نورا لهم كما جعلت الجوع لهم زادا

ص: ٢٣

١- (١) الاول مبنى على جعل نفسا تميزا من قبيل طاب زيد نفسا، و الثانى على من جعله مفعول سخت لتضمّنه معنى بذلت و الأول أظهر منه

(أو أعقبتهم إلا الندامه) و الحسره (أ فهذه) الغدّاره الغزّاره (تؤثرون أم اليها تطمئنون أم عليها تحرصون) مع ما رأيتم من مكائدها و جرّبتهم من خياناتها (فبئست الدار لمن لم يتّهمها) في نفسه (و لم يكن فيها على وجل منها) على عرضه فكانت موجبه لهلاكه و عطبه و أمّا المتّهم لها بالخديعه و الغرور و الخائف منها و الحذر فنعمت الدّار في حقّه لكونه منها على و جل دائم و خوف لازم، فيأخذ حذره بعد عدّته و يقدم الزاد ليوم المعاد و يتزوّد لحال رحيله و وجه سبيله (فاعلموا و أنتم تعلمون) و استيقنوا (بأنكم تاركوها و ظاعنون) أي مرتحلون (عنها و اتّعظوا فيها بالمدّين) كانوا قبلكم و (قالوا من أشدّ منّا قوّه) و عدّه و انتقلوا عن دورهم و (حملوا إلى قبورهم فلا- يدعون ركبانا و انزلوا الأجداث) بعد الادعاث(1) (فلا- يدعون ضيفانا) يعني انهم انقطعت عنهم بعد ارتحالهم أسماء، الأحياء فلا- يسمّون بالركبان و لا- بالضيفان و كانت عاده العرب انهم إذا ركبوا يسمّون ركبانا، و إذا نزلوا يسمّون ضيفانا، و هؤلاء الأموات مع كون الجنائز حموله لهم و كونهم محمولين عليها كالراكبين لا يطلق عليهم اسم الركب(2) و كذلك هم مع نزولهم بالأجداث و القبور لا يطلق عليهم اسم الضيف و ان كان تسميه الضيف إنما هي بذلك الاسم باعتبار نزوله، و هذا الاعتبار موجود فيهم مأخوذ من ضافه ضيفا إذا نزل عنده فافهم (و جعل لهم من الصّيفيح أجنان) أي من وجه الأرض العريض قبور(و من التراب أكفان) و في بعض النسخ بدله أكنان، و هي السّتاير جمع الكن و هي الستره أي ما يستتر به، و على ذلك فالكلام على حقيقته، و على الروايه الاولى فلا- بدّ من ارتكاب المجاز بأن يقال إنّ جعل التراب أكفانا لهم باعتبار إحاطته عليهم كالأكفان أو باعتبار المجاوره بينه و بينها، أو من أجل اندراس الكفن و انقلابه ترابا كما قيل، و الأظهر الأوّلان (و من الرفات) و العظام الباليه (جيران فهم جيره) أي جيران كما في بعض

ص: ٢٤

١- (١) الدعث المرض و الجمع ادعاث م

٢- (٢) الركب جمع راكب كالركبان منه.

النسخ (لا يجيبون داعيا و لا يمنعون ضيما) أى ظلما عن أنفسهم أو عمّن استجار بهم لانقطاع الاقتدار عنهم (و لا يبالون مندبه) أى لا- يكثرثون بالنذب و البكاء على ميّت (إن جيدوا لم يفرحوا و إن قحطوا لم يقنطوا) يعنى أنّهم إن جادت السماء عليهم بالمطر لا يفرحون و ان احتبست عنهم المطر لا يأسون كما هو شأن. الأحياء فإنّهم يفرحون عند الخصب و يحزنون عند الجذب (جميع) أى مجتمعون (و هم آحاد) متفرّدون (و جيره و هم أبعاد) متباعدون (متدانون لا- يتزاورون و قرييون لا يتقاربون) إلى هذا المعنى نظر السّجاد عليه السّلام فى ندبته حيث قال:

و اضحوا رميما فى التراب و اقفرت مجالس منهم عطّلت و مقاصر

و حلّوا بدار لا تراور بينهم و أنّى لسّكان القبور التراور

فما أن ترى إلّا جثى قد ثووا بها مسنمه تسفى عليه الأعاصر

و قال آخر:

لكلّ اناس معمر فى ديارهم فهم ينقصون و القبور يزيد

فكايّن ترى من دار حىّ قد اخربت و قبر بأكنان التراب جديد

هم جيره الأحياء أما مزارهم فدان و أمّا الملتقى فبعيد

(حلماء قد ذهبّت أضغانهم و جهلاء قد ماتت أحقادهم) يعنى أنّهم بموتهم و انقطاع مادّه الحياه عنهم صار و احلماء جهلاء لا يشعرون شيئا فارتفع عنهم الضغن و الحقد و الحسد و ساير الصّيفات النفسانيّه المتفرّعه عن الحياه، و توصيفهم بالحلم و الجهل فى تلك الحال من باب التوسّع و المجاز باعتبار أنّهم لا يستفزّهم الغضب و لا يشعرون و إلّا فالحلم هو الصّفح و الاناه و العقل و الجهل عدم العلم عمّن من شأنه أن يكون عالما و هما من صفات الأحياء كما لا يخفى.

(لا يخشى فجعهم و لا يرجى دفعهم) يعنى أنّهم بارتفاع الاقتدار عنهم لا يخشون و لا يرجون فلا يخشى أحد من أن ينزل عليه بهم فجيعه و رزيّه و لا يرجو أحد أن يدفع بهم من نفسه نازله و بليه (استبدلوا بظهر الأرض بطنا و بالسّبعه ضيقا و بالأهل غربه و بالتور ظلمه).

ضربوا بمدرجه الفناء قبائهم من غير أطاب و لا أوتاد

ركب أناخوا لا يربجي منهم قصد لاتهمام و لا انجاد

كرهوا النزول فانزلتهم وقعه للذهر نازله لكل مفاد(١)

فتهافتوا عن رحل كل مدلل و تطاوحوا عن سرج كل جواد

بادون في صور الجميع و أنهم متفردون تفرد الأحياء

(فجاءوها كما فارقوها حفاتا عراتا) قيل:(٢) ان المراد بمجيئهم اليها فيها و بمفارقتهم لها خروجهم عنها، و وجه الشبه كونهم حفاتا عراتا و قيل(٣) ان المراد بمجيئهم اليها دفنهم فيها و بمفارقتهم لها خلقتهم منها كما قال تعالى:

«هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ» و هو أقرب من الأوّل بل أقوى، لأنّ جملة فجاءوها معطوفه على جملة استبدلوا، و الفاء العاطفه موضوعه للتعقيب و الترتيب و لا- ترتيب كما لا- تعقيب بين مضمون الجملتين على الأوّل، و أمّا على الثاني فهو من قبيل عطف تفصيل المجمل على المجمل على حدّ قوله:

«و نادى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي» الآية و هاهنا لما ذكر عليه السلام استبدا لهم بظهر الأرض بطنها عقب ذلك بيان تفصيل حالهم بأنهم جاءوا اليها حالكونهم حافين عارين ليس لهم نعال و لا لباس. و لكن ينبغي أن يعلم أنّ اللازم على هذا القول حمل المفارقة على الولاده حتّى يستقيم كونهم حفاتا عراتا.

أقول: و الأظهر عندي يرجع الضمير في قوله فجاءوها كما فارقوها إلى ظهر الأرض، و التأنيث باعتبار المضاف إليه، فانه قد يكتسب المضاف المؤنث من المضاف إليه المذكر التأنيث إذا صحّت اقامته مقامه كما في قوله: «كما شرقت صدر القناه من الدّم» و يراد بمجيئهم إليها بعثهم فيها و إعادتهم إليها بعد مفارقتهم لها

ص: ٢٤

١- (١) مفد الرجل في ناعم عيش عاش و تنعم

٢- (٢) القائل الشارح البحراني (ره)

٣- (٣) القائل الوبري منه

كما قال تعالى:

«مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ» و على هذا فالأنسب جعل حفاتا عراتا حالين من ضمير الجمع فى جاءوها لا فارقوها إلا أنه يبعده قوله: (قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياه الدائمه و الدار الباقيه) إذ الظاهر كونه حالا من فاعلفارقوها مؤكده لعاملها كما أنّ حفاتا عراتا مؤسسسه و إن أمكن توجيهه بأنه على جعله حالا من ضمير جاءوها يكون فيه نحو من التوكيد أيضا، و يؤيد ذلك أنّ الحياه الدائمها إنما هو بعد البرزخ و البعث.

فان قلت: هذا التوجيه ينافيه الضمير فى عنها، لأنّ ظعنهم على ما ذكرت إنما هو عن بطن الأرض، و الضمير فيجاءوها كان راجعاظهر الأرض.

قلت: غايه الأمر يكون أنه من باب الاستخدام، و لا- يقدر ذلك فى كونه حالا منه فافهم جيدا، و يقرب ما ذكرناه من الوجه استشهاده عليه السلام بالآيه الشريفه أعنى قوله (كما قال سبحانه) أى فى سورة الأنبياء: يوم نظوى السماء كطى السجل للكتب (كما بدئنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين) فإنها مسوقه لبيان حال البعث و النشور، و معناها نبعث الخلق كما ابتدأناه، أى قدرتنا على الاعاده كقدرتنا على الابتداء.

روى فى الصّافى عن النبىّ صلّى الله عليه و آله أنه قال: تحشرون يوم القيامة عراتا حفاتا كما بدئنا أول خلق نعيده، و قيل معناها كما بدئناهم فى بطون امهاتهم حفاتا عراتا عز لا كذلك نعيدهم.

قال الطبرسىّ روى ذلك مرفوعا و هو يؤيد القول الثانى أعنى قول من قال أنّ المراد بفارقوها خلقهم منها و ان كان لا يخلو عن دلالة على ما استظهرناه أيضا فليأمل و قوله تعالى: وعدا، منصوب على المصدر أى وعدناكم ذلك وعدا علينا انجازه إنا كنا فاعلين ذلك لا محاله.

اعلم أنّ هذه الخطبة رواها المحدث العلامة المجلسي «قد» في البحار من كتاب مطالب السؤول لمحمد بن طلحة باختلاف كثير أحببت ايرادها بتلك الطريق على عادتنا المستمرة.

قال: قال عليه السلام: احذر كم الدنيا فانها خضرة حلوه حفت بالشهوات و تخيبت بالعاجله و عمّرت بالآمال و تزيّنت بالغرور و لا يؤمن فجعتها و لا يدوم خيرها، ضراره غداره غزاره زايله بايده أكله عوّاله، لا تعدو إذا تناهت إلى امته أهل الرضا بها و الرغبه فيها أن يكون كما قال الله عزّ و جلّ: «كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ» على أن امرأ لم يكن فيها في حيره «حبره ظ» إلا أعقبته بعدها عبره، و لم يلق من سرّائها بطنا إلا منحتة من ضرّائها ظهرا، و لم تنله فيها ديمه رخاء إلا هنتت عليه مزنه بلاء، و حرى إذا أصبحت له متنصره أن تمسى له متنكره، فان جانب منها اعذوذب لامرء و احلولى، أمرّ عليه جانب و أوباه، و ان لقى امرء من غضارتها زودته من نوابئها تعباً، و لا يمسى امرء منها فى جناح أمن إلا أصبح فى خوافى خوف و غرور.

فانيه فان من عليها من أقلّ منها استكثر مما تؤمنه و من استكثر منها لم تدم له و زال عما قليل عنه، كم من واثق بها قد فجعتته و ذى طمأنينه اليها قد صرعتته، و ذى خدع قد خدعتته، و ذى ابّه قد صيرته حقيرا و ذى نخوه قد صيرته خائفا فقيرا، و ذى تاج قد أكتبته لليدين و الفم، سلطانها دول، و عيشها رنق، و عذبتها اجاج، و حلوها صبر، و غذائها سممام، و أسبابها رمام، حيها بعرض موت، و صحيحها بعرض سقم، و منيعها بعرض اهتضام، عزيزها مغلوب، و ملكها مسلوب، و ضيفها مثلوب، و جارها محروب.

ثم من وراء ذلك هول المطلع و سكرات الموت و الوقوف بين يدي الحكم العدل ليجزى المذنب أساءوا بما عملوا و يجزى الذين أحسنوا بالحسنى، أستم فى منازل من كان أطول منكم أعمارا و آثارا، و أعدّ منكم عديدا، و أكثف جنودا و أشدّ

منكم عنودا تعيدوا الدنيا أى تعبد، و آثروها أى ايثار، ثم ظعنوا عنها بالصغار فهل يمنعكم أن الدنيا سخت لهم بفديه أو أغنت عنهم فيما قد أهلكهم من خطب، بل قد أوهنتهم بالقوارع، و وضععتهم بالنوائب، و عفرتهم للمناخر، و أعانت عليهم ريب المنون.

فقد رأيتم تنكرها لمن دان بها و أجدد اليها حتى ظعنوا عنها بفراق ابدالى آخر المستند، هل أحلتهم الآ الضنك، أو زودتهم إلا التعب، أو نورت لهم إلا الظلمه، أو أعقتهم إلا النار، أفهذه تؤثرون، أم على هذه تحرصون، أم إلى هذه تطمثون، يقول الله جل من قائل:

«مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَ هُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَ حَبِطَ مَا صَبَّحُوا فِيهَا وَ بَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» فبئست الدار لمن لا يتهمها و ان لم يكن فيها على و جل منها، اعلموا و أنتم تعلمون أنكم تاركوها لا بد فانما هي كما نعتها الله لهو و لعب، و اتعظوا بالذين كانوا يبنون بكل ريع آيه تعبثون و يتخذون مصانع لعلهم يخلدون، و اتعظوا بالذين قالوا من أشد منا قوه، و اتعظوا باخوانكم الذين نقلوا إلى قبورهم لا يدعون ركبانا قد جعل لهم من الصّريح أكفانا و من التراب أكفانا و من الرّفات جيرانا، فهم جيره لا يجيبون داعيا، و لا يمنعون ضيما، قد بادت أضغانهم، فهم كمن لم يكن و كما قال الله عزّ و جل:

«فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَ كُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ» استبدلوا بظهر الأرض بطننا، و بالسعه ضيقا، و بالأهل غربه، جاءوها كما فارقوها بأعمالهم إلى خلود الأبد كما قال عزّ من قائل:

«كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَ عَدَا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ»

از جمله خطب شریفه آن بزرگوار امام انام است در مذمت دنیا و تحذیر خلائق از آن غدار و بی وفا که فرموده:

أما بعد از حمد و ثناء خداوند ربّ الأرباب و صلوات بر سید ختمی مآب، پس بدرستی که من می ترسانم شما را از دنیا پس بتحقیق که آن شیرین است و سبز یعنی نفس لذت می برد از آن بجهت حلاوت و خضرویت و طراوت آن در حالتی که احاطه کرده شده است بخواهشات نفسانیه، و اظهار محبت نموده است بطالبان خود بلدتهای عاجله خود، و بشکفت آورده مردمان را بزیورهای قلیل و اندک، و آراسته گشته بامیدهای بی بنیاد، و آرایش یافته بیاطل و فساد، دوام نمی یابد سرور آن، و ایمن نمی توان شد از درد و مصیبت آن، فریبنده ایست مضرت رساننده تغییر یابنده ایست زایل شونده، موصوف است بفنا و هلاک، و متصف است بکثرت خوردن مردمان و أخذ نمودن و هلاک کردن ایشان، تجاوز نمی کند وقتی که متناهی شد بنهایت آرزوی کسانی که راغب هستند در آن، و خوشنودند بآن از این که باشد حال آن بقراری که خداوند متعال بیان فرموده و وصف نموده در سوره کهف که فرموده:

مثل زندگانی دنیا همچو آبی است که نازل کردم آنرا از آسمان پس آمیخته شد بآن آب گیاه زمین پس برگشت آن گیاه خشک و درهم شکسته پس پراکنده می گرداند آنرا بادها و از بیخ بر میکند و هست خدا بهر چیز صاحب اقتدار محصل مرام اینست که خدا تشبیه نموده صفت زندگانی دنیا را در بهجت و لذت و سرور و شکفتگی آن که آخرش منتهی می شود بمرگ و هلاک بصفه گیاهی که می روید از زمین بسبب آبی که از آسمان نازل می شود که پنج روز سبز و خرم و تر و تازه می باشد، و بعد از آن در زمان قلیلی خشک و شکسته می گردد، و بادها آن را از بیخ کنده و می پرانند.

بهار عمر بسی دلفریب و رنگین است ولی چه سود که دارد خزان مرگ از پی

پس فرمود: نیست هیچ مردی از دنیا در سرور و شادی مگر این که در پی در آورد او را بعد از آن شادی بگریه و زاری، و ملاقات نکرد هیچ احدی از خیر و منفعت دنیا بشکمی مگر این که بخشش نمود بآن از دشواری و مشقت خود آتشی را، و نبارید بأحدی در دنیا باران نرم آسانی و رفاهیت مگر این که ریخته شد بر او باران بزرگ قطره از ابر بلا و مصیبت، و سزاوار است زمانی که بامداد کند مر او را داد ستاننده آنکه شبانگاه کند او را تغییر نماینده و ناخوش شمرنده، و اگر بسیار خوش و شیرین باشد جانبی از آن دنیا تلخ می گردد جانبی دیگر از آن، و ناخوشی می آورد، نرسد هیچ مردی از طیب عیش و نعمت دنیا برغبت و ارادتی مگر این که پوشانید و بار کرد او را از حوادث و مصائب خود تعب و مشقتی، و شبانگاه نکرد احدی از دنیا در بال امنیت و آسایش مگر این که صباح نمود بر پرهای دراز خوف و ترسی.

دنیا بسیار فریبنده است فریب است آنچه در او است، فنا یابنده است فانیت آن کسیکه بر او است، هیچ خیر و منفعتی نیست در چیزی از توشهای دنیا مگر پرهیزکاری و تقوی، هر کس که اندک نمود از لذایذ دنیا و شهوات آن بسیار خواست از چیزی که ایمن گرداند او را از عذاب قیامت و هر کس که بسیار خواست از شهوات دنیا بسیار خواست از چیزی که هلاک نماید او را در آخرت و زایل شد بعد از اندک زمانی از آن.

بسا اعتماد کننده دنیا که دردمند ساخت او را، و بسا صاحب اطمینانی بسوی آن که در خاک هلاک انداخت او را، و بسا صاحب عظمتی که گردانید او را حقیر و بی مقدار، و بسا صاحب نخوتی که گردانید او را ذلیل و خوار، سلطنت و پادشاهی آن دوران کننده است از دستی بدستی، و عیش آن کدر آمیز است و آب شیرین آن شور است و بیمزه، و حلاوتهای آن تلخ، و طعامهای آن زهرهای قاتل است، و ریسمانهای آن پوسیده است، زنده آن در معرض مرگست و صحیح آن در معرض ناخوشی است، ملک و مال آن ربوده شده است، و عزیز آن مغلوب

است، و صاحب ثروت آن صاحب نکبت شده است، و همسایه آن ربوده شده از آن تمام مال او.

آیا نیستید شما در مسکنهای کسانی که بودند پیش از شما در حالتی که درازتر بودند از حیثیت عمرها، و باقی تر بودند از حیثیت اثرها، و دورتر بودند از حیثیت آرزوها، و آماده تر بودند از حیثیت شمار، و انبوه تر بودند از حیثیت لشکر پرستیدند از برای دنیا پرستیدنی و برگزیدند آنها چه برگزیدنی، پس از آن کوچ کردند از آن بدون توشه که بمنزل برساند، و بدون مرکبی که قطع مراحل نماید.

پس آیا رسید بشما که دنیا سخاوت ورزید از برای آنها از روی طیب نفس بفدیه دادن، و رها نمودن ایشان، یا آنکه یاری کرد ایشان را بمعاونتی، یا این که خوب نمود از برای ایشان صحبتی و معلوم است که هیچکدام از اینها ننمود بلکه پوشانید بایشان و بار نمود ایشان را کارهای سنگین، و ضعیف نمود بمحنتهای کوبنده و مضطرب کرد ایشان را بحوادث، و بخاک مالید ایشان را بسوراخهای دماغها، و لگد کوب کرد ایشان را بدستها و پایها، و اعانت نمود بضرر ایشان حادثات دوران را.

پس بتحقیق دیدید شما تغیر دنیا را مر آن کسی را که تقرّب جست بآن و برگزید او را و چسبید بآن تا این که کوچ کردند از آن بفراق دائمی آیا توشه داد ایشان را بغیر از گرسنگی، یا فرود آورد ایشان را غیر از تنگی، یا روشن کرد از برای ایشان غیر از تاریکی، یا آنکه از پی در آورد ایشان را غیر از پریشانی، آیا پس این دنیای بی اعتبار اختیار می کنید؟ یا بسوی آن مطمئن می باشید؟ یا بر او حریص می شوید؟ پس بد سرائی است آن از برای کسی که متهم ندارد او را و نباشد در او بر ترس و هراس از آن.

پس بدانید و اعتقاد نمائید و شما عالم هستید بآن که شما ترک کننده آن هستید، و کوچ کننده اید از آن، و پند گیرید در آن به آن کسانی که گفتند که کیست

سخت تر از ما از حیثیت قوت، برداشته شدند بسوی قبرهای خود، پس خوانده نشدند سواران، و فرود آورده شدند در قبور پس خوانده نشدند مهمانان، و گردانیده شد از برای ایشان از روی زمین قبرها و از خاک کفن‌ها یا پوشاک‌ها و از استخوانهای پوسیده همسایها، هستند که اجابت نمی‌کنند خواننده را، و ممانعت نمی‌کنند ظلم را، و باک نمی‌دارند از نوحه و زاری، اگر داده شدند باران شاد نگشتند، و اگر رسیدند بقحط و تنگی نوید نشدند.

اجتماع دارند و حال آنکه ایشان تنه‌ایند، و همسایگانند و حال آنکه ایشان دورند، نزدیکند بیکدیگر و حال آنکه ایشان زیارت یکدیگر نمی‌توانند کنند، و خویشانند بهم‌دیگر و حال آنکه اظهار خویشی نمی‌نمایند، حلیم هستند در حالتی که رفته است کینه‌های ایشان، نادانند در حالتی که مرده است جسدهای ایشان، ترسیده نمی‌شود از اندوه و مصیبت ایشان، و امید گرفته نمی‌شود دفع نمودن ایشان، عوض کردند بظاهر زمین باطن را، و بفراخی تنگیرا، و بانسیت غریبی را، و بنور و روشنی تاریکی را.

پس آمدند بروی زمین چنانچه مفارقت کردند از آن در حالتی که پا برهنگان و تن برهنگانند در حالتی که کوچ نمودند از آن با عملهای خودشان بسوی زندگانی دائمی و سرای باقی چنانکه فرموده است حق سبحانه و تعالی: همچنان که در ابتداء آفریدیم خلق را اعاده می‌کنیم ایشان را وعده کردیم آن را وعده کردنی در حالتی که بر ما است وفا کردن بآن بدرستی که ما کنندگانیم آنرا لا محاله وعده بعث و اعاده را داده و قادر هستیم بر انجام آن وعده.

و من خطبه له علیه السلام و هی المأه و الحادیه عشر

اشاره

من المختار فی باب الخطب

یذکر فیها ملک الموت و توفیه الأنفس

هل یحس إذا دخل منزلا، أم هل ترأه إذا توفی أحدا، بل کیف

يتوفى الجنين فى بطن أمه، أ يلبح عليه من بعض جوارحها، أم أجابته بإذن ربها، أم هو ساكن معه فى أحشائها، كيف يصف إلهه من يعجز عن صفه مخلوق مثله؟

اللغة

(توفيه الأنفس) فى بعض النسخ على وزن التفعيل مصدر توفاه الله أى قبض روحه و أماته، و فى بعض الاخرى توفيه الأنفس وزان التفعلة مصدر باب التفعيل و (يحس) بالبناء على المفعول و فى بعض النسخ بدله تحس به بصيغته الخطاب و (الجنين) الولد فى البطن و الجمع أجنه (الأحشاء) جمع الحشاء و هو ما فى البطن من المعاء و غيره.

الاعراب

توفيه الأنفس من اضافته المصدر إلى فاعله، و على ما فى بعض النسخ من توفيه الأنفس من اضافته إلى مفعوله، و قوله هل يحس استفهام على سبيل الانكار.

المعنى

إشارة

اعلم أنّ هذا الفصل على ما فى شرح البحرانى من خطبه طويله ذكره عليه السلام فى معرض التوحيد و التنزيه لله تعالى عن اطلاع العقول البشريه على كنه وصفه و ما ظفرت بعد على ها هنا «عليها ظ» و قد ذكر فيها ملك الموت و توفيه الانفس أى قبضه للأرواح على سبيل الاستطراد، و هو نوع من فنون البيان و هو أن تخرج بعد أن تمهّد ما تريد أن تمهده إلى الأمر الذى تروم ذكره فتذكره و كأنك غير قاصد لذكره بالذات بل قد حصل و وقع ذكره عن غير قصد فتمرّ به مروراً كالبرق الخاطف ثم تتركه و تنساه و تعود إلى ما مهّده أولاً كالمقبل عليه و كالمغنى عما استطرقت بذكره إذا عرفت ذلك فأقول :

قوله: (هل يحس إذا دخل منزلا أم هل تراه إذا توفى أحدا) تنبيه على عدم امکان الاحساس به فى دخول منازل المتوفين و على عدم امکان رؤيته عند اماته الناس، و ذلك لكونه جسما لطيفا هوائيا غير قابل للادراك بالحواس، و قال الشارح البحرانى: و نبه باستنكار الاحساس به على أنه ليس بجسم، اذ كان كل جسم من شأنه أن يحس باحدى الحواس الخمس «انتهى»، و هو مبنى على كون الملائكة جواهر مجردة غير متحيزه كما هو مذهب الفلاسفه، و تحقيق ذلك موكول الى محله.

ثم قال (بل كيف يتوفى الجنين فى بطن امه) و هو استعظام لأمره فى قبض روح الجنين، و الأقسام المتصوره فى كيفيه ذلك القبض ثلاثه أشار إليها بقوله:

(أ) يلج عليه من بعض جوارحها أم الروح أجابته باذن ربها أم هو ساكن معه فى احشائها) و هذا التقسيم حاصر لا يمكن الزيادة عليه. لأنه اذا فرضناه جسما يقبض الأرواح التى فى الأجسام إما أن يكون مع الجنين فى جوف امه فيقبض روحه عند حضور أجله، أو خارجا عنها، و الثانى ينقسم قسمين: أحدهما أن يلج جوف امه لقبض روحه، و ثانيهما أن يقبضها من غير حاجه إلى الولوج إلى جوفها، و ذلك بأن يطيعه الروح و تكون مسخره له و منقاد له لأمره إذا أراد قبضها امتدت إليه.

و الاظهر الاقوى أن يكون توفيه الجنين من قبيل القسم الأخير، و يدلّ عليه الروايه الآتية للصيدوق فى الفقيه عن الصادق عليه السلام و غيرها أيضا، و على مذاق المعتزله فهو من قبيل الوسط، لأنهم قالوا: إن كيفيه القبض و لوج الملك من الفم إلى القلب، لأنه جسم لطيف هوائى لا يتعدّر عليه النفوذ فى المخارق الضيقه فيخالط الروح التى هى كالشبيهه بها، لأنها بخارى، ثم يخرج من حيث دخل و هى معه، و يلزم عليهم أن يغوص الملك فى الماء لقبض روح الغريق تحت الماء و التزموا ذلك، و أجابوا بأنه لا يستحيل أن يتخلل الملك مسام الماء فانّ فى الماء مسام و منافذ كما فى غيره من الأجسام، و لو فرضنا أنه لامسام فيه لم يبعد أن يلججه الملك فيوسع لنفسه مكانا كالحجر و السمك و نحوهما، و كالريح الشديده التى تفرع ظاهر

البحر فتقعره و تحفره، و قوّه الملك أشدّ من قوّه الرّيح.

و كيف كان فلما بيّن أنّ ملك الموت لا يمكن للانسان وصف حاله و عرفان صفته أردفه بالتنبيه على عظمه الله سبحانه بالنسبه إليه فقال (كيف يصف الهه من يعجز عن صفه مخلوق مثله) يعنى أنه إذا عجز الانسان عن وصف مخلوق هو مثله فبالأولى أن يعجز عن وصف خالقه و إدراك ذات مبدعه الذى هو أبعد الأشياء عنه مناسبه.

تنبيه

فى بيان معنى الموت و ايراد بعض الأخبار الواردة فى وصف حال ملك الموت فأقول: قال الشّارح البحرانى أخذنا من أبى حامد الغزالى فى كتاب احياء العلوم: إنّ الموت ليس إلّا عبارته عن تغيير حال، و هو مفارقه الرّوح لهذا البدن الجارى مجرى الآله لذى الصّنع، و إنّ الرّوح باقيه بعده كما شهدت به البراهين العقليه بين مظانها، و الآثار النبويه المتواتره، و معنى مفارقتها له هو انقطاع تصرّفها فيه لخروجه عن حدّ الانتفاع به. فما كان من الامور المدركه لها تحتاج فى إدراكه إلى الله فهى منقطعه عنه بعد مفارقه البدن إلى أن تعاد إليه فى القبر أو يوم القيامة و ما كان مدركا لها لنفسها من غير الله فهو باق معها يتنعم به و يفرح أو يحزن من غير حاجه الى هذه الآله فى بقاء تلك العلوم و الادراكات الكليه لها هناك.

قال الغزالى تعطل الجسد بالموت يضاهى تعطل أعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه و بشدّه تقع فى الاعصاب تمنع نفوذ الرّوح فيها، فتكون الرّوح العالمه العاقله المدركه باقيه مستعمله لبعض الأعضاء و قد استعصى عليها بعضها، و الموت عبارته عن استعصاء الاعضاء كلّها و كلّ الأعضاء آلات، و الرّوح هى المستعمله لها، فالموت زمانه مطلقه فى الأعضاء كلّها، و حقيقه الانسان نفسه و روحه و هى باقيه، نعم تغيير حاله من جهتين إحداهما أنه سلب منه عينه و اذنه و لسانه و يده و رجله و جميع أعضائه، و سلب منه أهله و ولده و أقاربه و ساير معارفه، و سلب منه خيله و دوابه و غلمانه و دوره و عقاره و ساير أملاكه، و لا فرق بين أن يسلب هذه الأشياء من الانسان أو يسلب

الانسان من هذه الأشياء، فإنَّ المؤلم هو الفراق، و الفراق يحصل تاره بأن ينهب مال الرّجل و تاره بأن يسلب الرّجل عن الملك و المال، و الألم واحد فى الحاليتين و إنما معنى الموت سلب الانسان عن أمواله بازعاجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم، فان كان له فى الدّنيا شىء يأنس به و يستريح إليه و يعتدّ بوجوده فيعظم تحسّره عليه بعد الموت، و يصعب شقاؤه فى مفارقتة و يلتفت إلى واحد واحد من ماله و جاهه و عقاره حتى إلى قميص كان يلبسه مثلاً، و يفرح به، و إن لم يكن يفرح إلا بذكر الله و لم يأنس إلا به عظم نعيمه و تمّت سعادته، إذ خلى بينه و بين محبوبه و قطعت عنه العوائق و الشواغل المانعه له عن ذكر الله.

و الوجه الثانى أنه ينكشف له بالموت ما لم يكن له مكشوفاً فى الحياه كما ينكشف للمتقيّظ ما لم يكن مكشوفاً فى النوم، و التّاس نيام فاذا ماتوا انتبهوا، هذا و قد مضى الكلام فى شرح حاله الاحتضار و كيفيّة زهوق الروح و شرح حال الميت حينئذ فى التذييل الثالث من تذييلات الفصل السّابع من فصول الخطبه الثانى و الثمانين، و فى شرح الفصل الثانى من الخطبه المأه و الثمانيه و مضى ثمه أيضاً وصف حال ملك الموت و نورد هنا ما لم يسبق ذكره هناك فأقول:

روى فى الكافى باسناده عن اسباط بن سالم مولى أبان قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: جعلت فداك يعلم ملك الموت بقبض من يقبض؟ قال عليه السّلام: لا إنما هى صكاك(1) تنزل من السّماء اقبض نفس فلان بن فلان.

و عن زيد الشّحام قال: سئل أبو عبد الله عليه السّلام عن ملك الموت فقال: يقال:

الأرض بين يديه كالفصه يمدّ يده منها حيث يشاء فقال عليه السّلام نعم.

و عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: ما من أهل بيت شعر و لا وبر إلا و ملك الموت يتصفّحهم فى كلّ يوم خمس مرّات.

و عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال سألته عن لحظه ملك الموت قال عليه السّلام

ص: ٣٧

١- (١) الصكّ الكتاب الذى يكتب فى المعاملات و الاقارير، لغه

أما رأيت الناس يكونون جلوسا فتعترتهم السكينة فما يتكلم أحد منهم فتلك لحظه ملك الموت حيث يلحظهم.

و في الفقيه قال الصادق عليه السلام: قيل لملك الموت عليه السلام: كيف تقبض الأرواح و بعضها في المغرب و بعضها في المشرق في ساعه واحده؟ فقال: ادعوها فتجيبني، قال: و قال ملك الموت عليه السلام: إن الدنيا بين يدي كالقصعة بين يدي أحدكم فيتناول منها ما شاء، و الدنيا عندي كالدرهم في كف أحدكم يقلبه كيف يشاء.

بقي الكلام في أن قابض الأرواح هل هو الله سبحانه، أم ملك الموت فقط، أم هو مع ساير الملائكة.

فأقول: الآيات في ذلك كالروايات مختلفه، و وجه الجمع بينها امور اشير إليها في أخبار أهل البيت عليهم السلام.

ففي الفقيه و سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز و جل:

«اللَّهُ يَتَوَفَّى الْمَافُوسَ حِينَ مَوْتِهَا» و عن قوله تعالى: «قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ» و عن قوله تعالى «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ» و «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ» و عن قوله عز و جل «تَوَفَّيْتُهُمْ رُسُلَنَا» و عن قوله عز و جل: «وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ».

و قد يموت في الساعه الواحده في جميع الآفاق ما لا يحصيه إلا الله عز و جل فكيف هذا؟ فقال عليه السلام: إن الله تبارك و تعالى جعل لملك الموت أعوانا من الملائكة يقبضون الأرواح بمنزله صاحب الشرطه له أعوان من الانس، فيبعثهم في حوائجه فتتوفاهم الملائكة و يتوفاهم (1) ملك الموت من الملائكة مع ما يقبض هو و يتوفاهم

ص: ٣٨

اللّٰه من ملك الموت.

و فى الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سئل عن قول اللّٰه تعالى:

«اللّٰهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا» وقوله: «قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ» وقوله عزّ وجلّ: «تَوَفَّيْتُهُ رُسُلَنَا» وقوله تعالى «تَتَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ» فمَرّه يجعل الفعل لنفسه، و مَرّه لملك الموت، و مَرّه للرّسل، و مَرّه للملائكة فقال عليه السلام: إنّ اللّٰه تبارك و تعالى أجلّ و أعظم من أن يتولّى ذلك بنفسه، و فعل رسله و ملائكته فعله، لأنهم بأمره يعملون، فاصطفى من الملائكة رسلا و سفره بينه و بين خلقه، و هم الذين قال اللّٰه فيهم:

«اللّٰهُ يَصِيِّطُنِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ» فمن كان من أهل الطاعة تولّت قبض روحه ملائكة الرّحمة، و من كان من أهل المعصية تولّت قبض روحه ملائكة النّقمه، و لملك الموت أعوان من الملائكة الرّحمة و النّقمه يصدرون عن أمره و فعلهم فعله، و كلّ ما يأتونه منسوب إليه، و إذا كان فعلهم فعل ملك الموت ففعل ملك الموت فعل اللّٰه لأنّه يتوفّى الأنفس على يد من يشاء، و يعطى و يمنع و يثيب و يعاقب على يد من يشاء، و إنّ فعل امثاله فعله كما قال:

«وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» و فى التوحيد بسند ذكره عن أبى معمر السّيدانى، أنّ رجلا أتى أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام فقال: يا أمير المؤمنين إنّى قد شككت فى كتاب اللّٰه المنزل قال له علىّ عليه السلام: ثكلتك امّك و كيف شككت فى كتاب اللّٰه المنزل؟ قال:

لأنى وجدت الكتاب يكذب بعضه بعضا فكيف لا أشكّ فيه، فقال علىّ بن أبى طالب عليه السّلام إنّ كتاب اللّٰه ليصدق بعضه بعضا و لا يكذب بعضه بعضا، و أظنّك لم ترزق عقلا تتنفع به

فهايات ما شككت فيه من كتاب الله - فذكر الرجل آيات مختلفه الظواهر و من جملتها الآيات التي قدّمناها - فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الله تبارك و تعالی يدبّر الامور كيف يشاء، و يوکل من خلقه من يشاء بما يشاء، أمّا ملك الموت فإنّ الله يوكله بخاصّه من يشاء، و يوکل رسله من الملائكه خاصّه بمن يشاء من خلقه و الملائكه الذين سماهم الله عزّ ذكره، و كلهم بخاصّه من يشاء من خلقه تعالی يدبّر الامور كيف يشاء و ليس كلّ العلم يستطيع صاحب العلم أن يفسّره لكلّ النّاس، لأنّ منهم القويّ و الضعيف، و لأنّ منه ما يطاق حمله و منه ما لا يطيق حمله إلاّ من يسهل الله حمله و أعانه عليه من خاصّه أوليائه، و إنّما يكفيك أن تعلم أنّ الله المحيي و المميت، و أنّه يتوفّى الأنفس على يدي من يشاء من خلقه من ملائكته و غيرهم، قال: فرّجت عنّي يا أمير المؤمنين امتع الله المسلمين بك.

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن بزرگوار و سید ابرار است که ذکر فرمود در آن ملک الموت و قبض نمودن او روحها را.

آیا ادراک کرده می شود بحواس زمانی که داخل بشود منزلی، یا آیا می بینی او را زمانی که بمیراند احدیرا بلکه چه نحو قبض میکند روح بچه را در شکم مادر خودش، آیا داخل می شود بر او از بعض اعضاء مادر او، یا آنکه روح بچه اجابت میکند او را باذن پروردگار خود، یا آنکه ملک الموت ساکن است با آن بچه در آلات اندرون مادر، چگونه وصف میکند معبود خود را کسی که عاجز است از وصف مخلوقی که مثل او است در امکان افتقار.

و من خطبه له عليه السلام و هي المأه و الثانيه عشر من

اشاره

المختار في باب الخطب.

و أحذركم الدّنيا فإنّها منزل قلعه و ليست بدار نجعه، قد تزینت بغرورها، و غرت بزینتها، دار هانت على ربّها، فخلط حلالها بحرامها،

ص: ٤٠

و خيرها بشرّها، و حياتها بموتها، و حلوها بمزّها، لم يصفّها الله تعالى لأوليائه، و لم يضمن بها على (عن خ) أعدائه، خيرها زهيد، و شرّها عتيد، و جمعها ينفد، و ملكها يسلب، و عامرها يخرب، فما خير دار تنقض نقض البناء، و عمر يفنى فناء الزّاد، و مدّه تنقطع انقطاع السّير، اجعلوا (فاجعلوا خ) ما افترض الله عليكم من طلبتكم، و اسألوه من أداء حقّه ما سألكم، و أسمعوا دعوه الموت آذانكم قبل أن يدعى بكم، إنّ الزّاهدين فى الدّنيا تبكى قلوبهم و إن ضحكوا، و يشتدّ حزنهم و إن فرحوا، و يكثر مقتهم أنفسهم و إن اغتبطوا بما رزقوا، قد غاب عن قلوبكم ذكر الآجال، و حضرتكم كواذب الآمال، فصارت الدّنيا أملك بكم من الآخرة، و العاجله أذهب بكم من الآجله، و إنّما أنتم إخوان على دين الله ما فرق بينكم إلا خبث السّرائر، و سوء الضّمائر، فلا توازرون، و لا تناصحون، و لا تباذلون، و لا توادّون، ما بالكم تفرحون باليسير من الدّنيا تدركونه، و لا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه، و يقلقلكم اليسير من الدّنيا (حين خ) يفوتكم حتى يتبين ذلك فى وجوهكم و قلّه صبركم عمّا زوى منها عنكم، كأنّها دار مقامكم و كأنّ متاعها باق عليكم، و ما يمنع أحدكم أن يستقبل أخاه بما يخاف

من عيبه إلا- مخافه أن يستقبله بمثله، قد تصافيتم على رفض الاجل، و حبّ العاجل، و صار دين أحدكم لعقه على لسانه، صنع «صنيع» من قد فرغ من «عن خ» عمله، و أحرز رضى سيده.

اللغة

(القلعه) بالضّمّ العزل و المال العاريه أو مالا- يروم و منزلنا منزل قلعه و قلعه و قلعه و زان همزه أى ليس بمستوطن أو لا تدرى متى تتحول عنه او لا- تملكه و (النجعه) بالضّمّ طلب الكلاء فى موضعه و (يخرب) بالبناء على الفاعل مضارع باب فعل كفرح و فى بعض النسخ بالبناء على المجهول مضارع اخرب و فى بعضها يتخرب مضارع باب التفعّل مبني على الفاعل أيضا و (الطلبه) بفتح الطاء و كسر اللام ما طلبته و (مقته) مقّتا أبغضه فهو مقيت و ممقوت.

و قوله (فلا- توازون) بفتح التاء من باب التفاعل بحذف احدى التائين، و فى بعض النسخ بضّمّها و كسر الزّاء مضارع باب المفاعله، و مثله الافعال الثلاثه بعده و قوله (ما بالكم) فى بعض النسخ بدله مالكم و (اللّعقه) بالضّمّ اسم لما يعلق أى تؤكل بالاصبع أو بالملعقه و هى آله معروفه.

الاعراب

جمله قد تزّينت فى محلّ النّصب على الحال من الدّنيا، و فى بعض النسخ و قد تزّينت بالواو، و الفاء فى قوله فخلط حلالها بحرامها فصيحى أى إذا كانت مهانه على الله فخلط و فى بعض النسخ عن أعدائه بدل على أعدائه فلا بدّ من تضمين معنى القبض أى لم يضر بها قابضا لها عن أعدائه، و قوله فما خير دار تنقض اه ما استفهاميّة و اضافه خير إلى دار بمعنى فى، أى منفعه فى دار وصفها كذا، و من فى قوله: من طلبتكم للتبعيض، و يحتمل الزيادة على مذهب الأخفش و الكوفيين من تجويز زيادتها فى الايجاب استدلالا بقوله تعالى: و «يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ»، و ذهب سيبويه

إلى أنها فيه للتبعيض أيضا.

وقوله: و أسألوه من أداء حقه ما سألكم، أي أسألوا منه على الحذف و الايصال، و ما موصوله منصوبه المحلّ مفعول أسألوه و سألكم صلتها و العايد محذوف أي الذي سأله منكم، و من أداء حقه، بيان لما، كما في قولك: عندي من المال ما يكفي، و أنما جاز تقديم من المبينه على المبهم في هذا و أمثاله، لأنّ المبهم الذي فسّر بمن مقدّم تقديرا كأنّك قلت عندي شيء من المال ما يكفي، فالمبين بفتح الباء في الحقيقه محذوف، و الذي بعد من عطف بيان له، و المقصود بذلك تحصيل البيان بعد الابهام، لأنّ معنى أعجبنى زيد، أي شيء من أشيائه بلا ريب، فاذا قلت: كرمه أو وجهه، فقد تبينت ذلك الشيء المبهم.

و الفاء في قوله: فصارت الدنيا فصيحه، و في قوله: فلا توازرون، عاطفه مفيده للسببيه نحو يقوم زيد فيغضب عمرو أي صار قيامه سببا لغضب عمرو، و جمله تفرحون و تدركونه و تحرمونه و يفوتكم في محال النصب على الحال، و في بعض النسخ حين يفوتكم، باضافه حين، و قلّه صبركم، بالجرّ عطف على وجوهكم.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه مسوقه للتنفير عن الدنيا و الترغيب في الآخرة، و تبه على جهات النفرة بقوله (و احذركم) من (الدنيا) و الزكون إليها و الاعتماد عليها و الاغترار بها و بزخارفها (فانها منزل قلعه) أي لا تصح للسكنى و الاستيطان أو لا تدرى متى يكون لك منها التحول و الارتحال و المضىّ و الانتقال (و ليست بدار نجعه) يطلب فيها الكلاء و يروى من الظماء، و هو كناية عن أنها لا ينال فيها المراد و لا يوفق فيها للسداد (قد تزينت) للناس (بغرورها) و أباطيلها (و غرت) المفتونين بها أي خدعتهم (بزيتها) و زخارفها.

و هي (دار هانت على ربّها) و اتصفت بالدّلّ و الهوان لعدم تعلق العناية الالهيه عليها بالذات و إنما خلقت لكونها وسيله إلى غيرها.

قال أبو عبد الله عليه السلام: مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله و سلّم بجدى أسكك ملقى على منزله،

فقال لأصحابه: كم يساوى هذا؟ فقالوا: لعله لو كان حيًا يساوى درهمًا، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا الْجَدَى عَلَى أَهْلِهِ.

وقوله (فخلط حلالها بحرامها وخيرها بشرّها وحياتها بموتها و حلوها بمرّها) يعنى أنها من أجل حقارتها لم تكن خيرا محضا، بل كان كلّ ما يعدّ فيها خيرا مشوبا بشرّ يقابله، بخلاف الدّار الآخرة، فانها خير كلّها وصفو كلّها ولذلك (لم يصفّها الله لأوليائه) بل جعلهم فيها مبتلى بأنواع الغمص و المحن، و أصناف المصائب و الحزن فمشرّبهم فيها رنق و مترعهم فيها روغ (و لم يضمن بها على أعدائه) بل أعطاهم فيها غايه المأمول، و منتهى المسئول، فحازوا نفايس الأموال و فازوا نهايه الآمال، و ليس عدم التّصفيه للأولياء و عدم الضنّه بها فى حقّ الأعداء إلّا اكراما للأولين و إضلالا للآخرين.

قال أبو عبد الله عليه السّلام: إنّ المؤمن ليكرم على الله حتى لو سأله الجنّه بما فيها أعطاه ذلك من غير أن ينتقص من ملكه شيئا، و إنّ الكافر ليهون على الله حتى لو سأله الدّنيا بما فيها أعطاه ذلك من غير أن ينتقص من ملكه شيئا، و إنّ الله ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الغايب أهله بالطرف، و إنّّه ليحميه الدّنيا كما يحمى الطّبيب المريض.

و فى روايه اخرى عنه عليه السّلام قال: ما كان من ولد آدم مؤمن إلّا فقيرا و لا كافر إلّا غتيا، حتّى جاء إبراهيم فقال:

«رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا».

فصير الله فى هؤلاء أموالا و حاجه، و فى هؤلاء أموالا و حاجه.

و بالجمله فعدم تصفيتها للأولياء و جعلهم فيها مبتلى بأوصاف البلاء ليس إلّا ليصبروا أياما قليله و يصيروا إلى راحه طويله، و عدم قبضها من الأعداء لهوانها عليه سبحانه

كهوأنهم عنده و لو تساوى(١) عنده تعالى جناح بعوضه لما اعطى أعدائه منها حبه و لا سقاهاهم منها شربه.

(خيرها زهيد) قليل (و شرّها عتيد) حاضر (و جمعها ينفد) و يفنى (و ملكها يسلب) و يؤخذ (و عامرها يخرب) و يهدم (فما خير دار) اى أى خير و منفعه فى دار(تنقض نقض البناء و عمر يفنى فناء الزاد و مدّه تنقطع انقطاع السير)لا يخفى حسن التشبيه فى القرانين الثلاث و تمام المناسبه و الايتلاف بين طرفى التشبيه فى كل منها هذا.

و لَمَّا نَبِهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَعَايِبِ الدُّنْيَا وَ مَسَاوِيهَا عَقَّبَهُ بِالْأَمْرِ بِأَخْذِ مَا هُوَ لَازِمٌ فِيهَا فَقَالَ (اجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) مِنْ الْعَقَائِدِ الْحَقَّةِ وَ الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ وَ الْعِبَادَاتِ الْفَرَعِيَّةِ (مَنْ طَلَبْتُمْ) أَى مِنْ جَمَلِهِ مَا تَطْلُبُونَهُ أَوْ نَفْسٍ مَا تَطْلُبُونَهُ عَلَى زِيَادَةٍ مِنْ وَ عَلَى الشَّانِى فَبِهِ مِنَ الْمَبَالِغَةِ مَا لَا يَخْفَى، يَعْنَى أَنَّ اللَّازِمَ عَلَيْكُمْ أَنْ يَكُونَ مَطْلُوبِكُمْ فِي الدُّنْيَا الْفَرَائِضَ وَ أَدَائِهَا وَ تَكُونَ هَمَّتِكُمْ مَقْصُورَةً فِيهَا (وَ اسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلْتُمْ) أَى اسْأَلُوا مِنْهُ سَبْحَانَهُ التَّوْفِيقَ وَ التَّسْديدَ وَ الْإِعَانَةَ لِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَ فَرَضَهُ عَلَيْكُمْ مِنْ أَدَاءِ حَقُوقِهِ الْوَاجِبَةِ وَ تَكَالِيفِهِ اللَّازِمَةِ، فَإِنَّ الْإِتْيَانَ بِالْوَاجِبَاتِ وَ الْإِنْتِهَاءَ عَنِ السَّيِّئَاتِ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِحَوْلِ اللَّهِ وَ قُوَّتِهِ وَ تَوْفِيقِهِ وَ تَأْيِيدِهِ وَ عَصْمَتِهِ، فَيَلْزَمُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَقْرَعَ بِأَبِ الرَّبِّ ذَى الْجَلَالِ بِيَدِ الذَّلِّ وَ الْمَسْكِنَةِ وَ السُّؤَالِ لِأَنَّ يَسْهَلُ لَهُ مَشَاقِّ الْأَعْمَالِ، وَ يَصْرِفُهُ عَمَّا يُوْرطُهُ فِي وَرطِهِ الضَّلَالِ، وَ يُوْقِعُهُ فِي شَدَايِدِ الْأَهْوَالِ، كَمَا قَالَ سَيِّدُ الْعَابِدِينَ وَ زَيْنُ السَّاجِدِينَ سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ عَلَى آبَائِهِ وَ أَوْلَادِهِ الطَّاهِرِينَ فِي دَعَاءِ يَوْمِ عَرَفَةَ:

وَ خَذْ بقلْبِي إِلَى مَا اسْتَعْمَلْتَ بِهِ الْقَاتِنِينَ، وَ اسْتَعْبَدْتَ بِهِ الْمُتَعَبِّدِينَ، وَ اسْتَنْقَذْتَ بِهِ الْمُتَهَاوِنِينَ، وَ أَعْدَنْتَنِي مِمَّا يَبَاعِدُنِي عَنْكَ وَ يَحُولُ بَيْنِي وَ بَيْنَ حَظِّي مِنْكَ وَ يَصُدُّنِي

ص: ٤٥

١- (١) هذه العبارة مقتبس من الحديث النبوى قال (صلى الله عليه و آله) لو كانت الدنيا عند الله تزن جناح بعوضه لما سقى كافرا منها شربه ماء منه

عَمَّا احاول لديك، و سهّل لى مسلك الخيرات اليك، و المسابقه إليها من حيث أمرت و المشاحه فيها على ما أوردت.

و فى دعاء الاشتياق إلى طلب المغفره:

اللّهم و إنّك من الضعف خلقتنا، و على الوهن بنيتنا، و من ماء مهين ابتدئتنا و لا حول لنا إلّا بقوّتك، و لا قوّه لنا إلّا بعونك، فأئيدنا بتوفيقك، و سدّدنا بتسديدك و أعم أبصار قلوبنا عمّا خالف محبتك، و لا- تجعل لشيء من جوارحنا نفوذًا إلى معصيتك.

و فى دعائه عليه السّلام فى ذكر التّوبه:

اللّهم أنّه لا- وفاء لى بالتوبه إلّا- بعصمتك، و لا- استمساك بى عن الخطايا إلّا عن قوّتك، فقوّنى بقوّه كافيّه، و تولّنى بعصمه مانعه، هذا.

و اطلاق السّؤال على الفرائض و الأوامر فى قولهما سألكمّن باب المجاز بجامع الطّلب، أو أنّ الاتيان بلفظ السّؤال لمجرّد المشاكله بينه و بين قولهو اسألوهو هى من محبّيات البديع كما مرّ فى ديباجه الشرح و قوله (و اسمعوا دعوه الموت آذانكم قبل أن يدعى بكم) أراد به التهيؤ للموت قبل حلول القوت و الاستعداد له قبل نزوله، بأن يجعله نصب عينيه، يذكر شدّه ما يكون فى تلك الحال عليه من سكره ملهته و غمره كارثه و أنّه موجهه و جذبّه مكربّه و سوقه متعبه.

ثمّ تبه عليه السّلام على أوصاف خيره العباد من العباد و الزّهاد لترمق أعمالهم و يقتدى لهم فى أفعالهم فقال: (إنّ الزاهدين فى الدّنيا) الزّاغبين فى الآخره (تبكى قلوبهم) من خشيه الحقّ (و إن ضحكوا) مداراه مع الخلق (و يشتدّ حزنهم) من خوف النار و غضب الجيّار (و إن فرحوا) حينما ما من الأعصار (و يكثر مقتهم) و بغضهم (أنفسهم) لكونها أمّاره بالسّوء و الفساد صارفه عن سمت السّداد و الرشاد فلا- يطيعونها و لا يلتفتون إليها و لا يخلعون لجامها لتقتحم لهم فى العذاب الاليم و توردهم فى الخزي العظيم (و ان اغتبطوا) اى اغتبطهم الناس (بما رزقوا) من فوائد النّعم و عوائد المزيد و القسم.

ثمّ ويخهم على ما هم عليه من حاله الغرّه و الغفله فقال (قد غاب عن قلوبكم

ذكر الآجال) فلم تمهدوا في سلامه الأبدان (و حضرتكم كواذب الآمال) فلم تعتبروا في أنف الأوان (فصارت الدنيا أملك بكم من الآخرة) لاستيلائها عليكم و نفوذ تصرفها فيكم و أتباعكم عليها أتباع العبد على سيده و المملوك على مولاه (و العاجله أذهب بكم من الآجله) لفرط محبتكم لها و دخول حبها شغاف قلوبكم فذهبت بقلوبكم كما يذهب المحبوب بقلب محبه (و أنما أنتم اخوان مجتمعون على دين الله) و فطرته التي فطر الناس عليها بقوله تعالى إنما المؤمنون اخوه (ما فرق بينكم إلا خبث السرائر و سوء الضمائر) اى لم يفرق بينكم إلا خبث البواطن و سوء العقائد و النيات و من ذلك ارتفعت عليكم آثار التواخي و الموده و لوازم المحبه و الاخوه (فلا توازرون و لا تناصحون و لا تباذلون و لا توادون) اى لا يعين أحدكم صاحبه و لا يقويه و لا ينصحه و لا يبذل ماله له و لا يقوم بلوازم الموده روى في الكافي عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى عن إبراهيم ابن عمر اليماني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: حق المسلم على المسلم أن لا يشبع و يجوع أخوه و لا يروى و يعطش أخوه و لا يكتسى و يعرى أخوه، فما أعظم حق المسلم على أخيه المسلم.

و قال أحب لأخيك المسلم ما تحب لنفسك و إذا احتجت فأسأله و إن سألك فاعطه، لا تملّه خيرا و لا يملّه لك، كن له ظهرا فانه لك ظهر، إذا غاب فاحفظه في غيبته، و إذا شهد فزره و أجلّه و أكرمه فانه منك و أنت منه، فان كان عليك عاتبا فلا تفارقه حتى تسئل سميحته (1) و إن أصابه خير فاحمد الله، و إن ابتلى فاعضده، و إن يحل له فأعنه، و إذا قال الرجل لأخيه: أف انقطع ما بينهما من الولايه، و إذا قال: أنت عدوى كفر أحدهما، فاذا اتهمه انماث الايمان في قلبه كما يماث الملح في الماء.

و باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: من حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يشبع جوعته و يوارى عورته، و يفرج عنه كربته، و يقضى دينه، فاذا مات خلفه

ص: ٤٧

فى أهله و ولده.

أقول: قد استفيد من هذين الخبرين و غيرهما لم نوره شرايط الاخوه بين المسلمين، و علم بذلك أنّ من لم يقم بوظايفها فليس هو فى الحقيقه بأخ لصاحبه، و لذلك قال الباقر و الصادق عليهما السلام فيما رواه عنهما فى الكافى: لم تتواخوا على هذا الأمر و إنما تعارفتم عليه.

ثم استفهم على المخاطبين على سبيل التقرير فقال (ما بالكم تفرحون باليسير من الدنيا تدركونه و لا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه) مع أنّ هذا اليسير فان زائل و ذلك الكثير باق دائم (و يقلقلكم) أى يزعجكم (اليسير من الدنيا يفوتكم حتى يتبين ذلك) القلق و الاضطراب و يظهر أثره (فى وجوهكم و) فى (قله صبركم عمّا زوى) أى قبض (منها) أى من الدنيا و خيرها و فضلها (عنكم) فتحزنون و تتأسفون بذلك (كأنها دار مقامكم و كأنّ متاعها باق عليكم) ثم ذمهم على عدم كون محافظتهم على اخوانهم بظهر الغيب عن وجه الخلوص و الصفاء و على عدم كون كتمانهم لعيوب اخوتهم لمجرد ملاحظه الصّدقه و الاخاء فقال (و ما يمنع أحدكم أن يستقبل أخاه بما يخاف) الأخ منه (من عيبه إلاّ مخافه ان يستقبله) أخوه (بمثله) يعنى أنه لا مانع لأحد منكم من مواجهه أخيه باظهار عيوبه التى يخاف الأخ من إظهارها إلاّ مخافه أن يواجهه أخوه بمثل ما واجهه به، فيذكر مثالبه و يظهر معايبه، و هو اشاره إلى عدم مبالاتهم فى الدين و عدم خوفهم من الله سبحانه فى إذاعه سرّ المؤمنين مع أنّ حقّ المؤمن من المؤمن إذا رأى منه عيباً أو عرف منه ذنباً هو الاخفاء و الكتمان، لا الاذاعه و الاعلان، قضاء لحق الاخوه و رعايه لوظيفه التقوى و المرؤه قال الله سبحانه:

«إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» و قال أبو عبد الله عليه السلام من روى على مؤمن روايه يريد بها شينه و هدم مروته ليسقط من أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلى ولايه الشيطان فلا يقبله الشيطان

ص: ٤٨

رواه فی الکافی.

و فيه أيضا عن زيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: فيما جاء في الحديث عوره المؤمن على المؤمن حرام، قال: ما هو أن ينكشف فترى منه شيئا إنما هو أن تروى عليه أو تعيبه.

ثم قال (قد تصافيتم على رفض الآجل و حبّ العاجل) أي تواخيتم على ترك الأخرى و محبّته الدّنيا (و صار دين أحدكم لعقه على لسانه) قال الشارح البحراني استعار لفظ اللعقه لما ينطق به من شعار الاسلام و الدّين كالشّهادتين و نحوهما من دون ثبات ذلك في القلب و رسوخه و العمل على وفقه.

و قال الشارح المعتزلي: و أصل اللعقه شيء قليل يؤخذ بالملعقه من الاناء يصف دينهم بالنزاره، و لم يقنع بأن جعله لعقه حتى جعله على ألسنتهم فقط أي ليس في قلوبهم (صنع من) أي صنعهم مثل صنيع من (قد فرغ من عمله و أحرز رضی سيّده) باتيان أوامره و أحكامه، و وجه التشبيه الاشتراك في الاعراض من العمل.

الترجمه

از جمله خطبهای آن حضرت است در مذمت دنیا و تنفیر مردمان از آن غدار بی وفا چنانچه فرموده:

و می ترسانم شما را از دنیا، پس بدرستی که آن منزلی است که قابل أخذ وطن نیست و نیست سرائی که طلب آب و گیاه کرده شود در آن، بتحقیق که آراسته شده باطل خود، و فریب داده به آرایش خود، خانه ایست که ذلیل و خوار شده بر پروردگار خود، پس آمیخته حلال آنرا بحرام آن، و خیر آنرا بشر آن، و زندگانی آن را بمرگ آن، و شیرینی آن را بتلخ آن، صافی نفرموده است آنرا از برای دوستان خود، و بخیلی ننموده آن را بر دشمنان خود، خیر آن کم است، و شرّ آن حاضر است، و جمع شده آن تمام می شود، و پادشاهی آن ربوده می شود، و آباد آن خراب می شود.

پس چه منفعت است در خانه ای که شکسته می شود چون شکسته شدن بنای

بی اعتبار، و در عمری که فانی می شود چون فانی شدن توشه، و در مدتی که منقطع می شود چون انقطاع رفتار، بگردانید آنچه که واجب نمود خداوند تعالی بر شما از جمله مطالب خود، و سؤال کنید از حق تعالی توفیق و اعانه آنچه را که خواهش فرموده از شما از أداء حق او، و بشنوانید دعوت مرگ را بگوشهای خودتان پیش از این که دعوت نمایند و بخوانند شما را بدار القرار.

بدرستی صاحبان زهد در دنیا گریه میکنند قلبهای ایشان و اگر چه خنده کنند بحسب ظاهر، و شدت می یابد پریشانی ایشان و اگر چه شاد باشند بر روی ناظر، و بسیار می شود دشمنی ایشان با نفسهای خودشان و اگر چه غبطه کرده شوند و مردمان آرزوی نیکوئی حال ایشان را نمایند به آن چه که روزی داده شدند در این جهان.

بتحقیق که غائب شده از قلبهای شما یاد کردن أجلها، و حاضر شده شما را دروغهای آرزوها، پس گردید دنیا مالکتر و متصرفتر شد بشما از آخرت، و دنیا برنده تر شد شما را بسوی خود از عقبا، و جز این نیست که شما برادرانید بر دین خدای تعالی تفرقه نینداخته در میان شما مگر ناپاکی شرها، و بدی اندیشهها، پس اعانت یکدیگر نمی کنید، و بار گردن یکدیگر را بر نمی دارید، و نصیحت نمی کنید یکدیگر را، و بخشش نمی کنید بیکدیگر، و دوستی نمی ورزید با یکدیگر.

چیست شأن شما در حالتی که شاد می باشید باندکی از دنیا در حالتی که در می یابید آنرا، و محزون نمی کند شما را بسیاری از آخرت در حالتی که محروم می شوید از آن، و مضطرب می نماید شما را اندکی از متاع دنیا هنگامی که فوت می شود از شما تا آنکه ظاهر می شود اثر آن اضطراب در بشره رویهای شما در کمی صبر و شکیبائی شما از آنچه پیچیده شده است از متاع دنیا از شما، گوئیا دنیا سرای اقامت شما است، و گوئیا متاع آن باقی است بر شما، و مانع نمی شود یکی از شما را از این که مواجهه کند برادر دینی خود را بچیزی که می ترسد برادر از عیب آن مگر ترس آنکه مواجهه نماید برادر او با او با مثل گفتار او، بتحقیق که دوستی ورزیده اید با یکدیگر بر ترک آخرت و بر محبت دنیا، و گردیده است دین یکی از شما آنچه که بیکار

لیسیده می شود بر زبان، و عمل نمودید ترک در امورات اخروی مثل کار کسی که فارغ شود از عمل خود، و فراهم آورده باشد خوشنودی و رضای مولای خود را.

و من خطبه له علیه السلام و هی المآه و الثالثه عشر من المختار

اشاره

فی باب الخطب

الحمد لله الواصل الحمد بالتعم، و التعم بالشكر، نحمده على آلائه كما نحمده على بلائه، و نستعينه على هذه النفوس البطاء عمّا أمرت به، التبراع إلى ما نهيت عنه، و نستغفره ممّا أحاط به علمه، و أحصاه كتابه علم غير قاصر، و كتاب غير مغادر، و نؤمن به إيمان من عاين الغيوب، و وقف على الموعود، إيماناً نفى إخلاصه الشرك، و يقينه الشك، و نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أن محمّدا عبده و رسوله صلى الله عليه و آله و سلم، شهادتين تصعدان القول، و ترفعان العمل، لا يخفّ ميزان توضعان فيه، و لا يثقل ميزان ترفعان عنه، أوصيكم عباد الله بتقوى الله التي هي الزاد، و بها المعاد، زاد مبلّغ، و معاد منجج، دعا إليها أسمع داع، و وعيها خير واع فأسمع داعيها، و فاز واعيها، عباد الله، إنّ تقوى الله حمت أولياء الله محارمه، و ألزمت قلوبهم مخافته، حتّى أسهرت ليا ليهم، و أظمأت هواجرهم، فأخذوا الراحة بالنصب، و الرّى بالظّماء، و استقربوا الأجل

ص: ٥١

فبادروا العمل، و كذبوا الأمل، فلاحظوا الأجل. ثم إن الدنيا دار فناء و عناء، و غير و عبر، فمن الفناء إن الدهر موتر قوسه، و لا تخطى سهامه، و لا توسى جراحه، يرمى الحيّ بالموت، و الصحيح بالسقم، و الناجى بالعطب، آكل لا يشبع، و شارب لا ينقع، و من العناء أن المرء يجمع ما لا يأكل، و يبني ما لا يسكن، ثم يخرج إلى الله لا مالا حمل، و لا بناء نقل، و من غيرها أنك ترى المرحوم مغبوطا، و المغبوط مرحوما، ليس ذلك إلا- نعيما زلّ، و بؤسا نزل، و من غيرها أن المرء يشرف على أمله، فيقتطعه حضور أجله، فلا- أمل يدرك، و لا- مؤمل يترك، فسبحان الله ما أغرّ سرورها، و أظمأ ريبها، و أضحى فيئها، لا جاء يردّ، و لا ماض يرتدّ، فسبحان الله ما أقرب الحيّ من الميت للحاقه به، و أبعد الميت من الحيّ لانقطاعه عنه، إنه ليس شيء بشرّ من الشرّ إلا عقابه، و ليس شيء بخير من الخير إلا ثوابه، و كلّ شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه، و كلّ شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه، فليكنكم من العيان السماع، و من الغيب الخير. و اعلموا أن ما نقص من الدنيا و زاد في الآخرة خير ممّا نقص من الآخرة و زاد في الدنيا، فكم من منقوص رابح، و مزيد خاسر، إن

الَّذِي أَمَرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نَهَيْتُمْ عَنْهُ، وَ مَا أَحَلَّ لَكُمْ أَكْثَرَ مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ، فَذَرُّوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ، وَ مَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ، قَدْ تَكْفَّلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ، وَ أَمَرْتُمْ بِالْعَمَلِ، فَلَا يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلِبَهُ أَوْلَى بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ، مَعَ أَنَّهُ وَ اللَّهُ لَقَدْ اعْتَرَضَ الشَّكَّ وَ دَخَلَ الْيَقِينَ حَتَّى كَأَنَّ الَّذِي ضَمَّنَ لَكُمْ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمْ، وَ كَأَنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وَضَعَ عَنْكُمْ، فَبَادَرُوا الْعَمَلَ، وَ خَافُوا بَغْتَةَ الْأَجْلِ، فَإِنَّهُ لَا يَرْجَا مِنْ رَجْعِهِ الْعَمْرَ مَا يَرْجَى مِنْ رَجْعِهِ الرِّزْقَ، مَا فَاتَ الْيَوْمَ مِنَ الرِّزْقِ رَجَى غَدًا زِيَادَتَهُ، وَ مَا فَاتَ أَمْسَ مِنَ الْعَمْرِ لَمْ يَرْجِ رَجْعَتَهُ، الرَّجَاءُ مَعَ الْجَائِي، وَ الْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِي، «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ».

اللغة

(البطاء) على وزن الفعال من بطوء بطئنا كقرب ضدّ السّيراع و (غادره) مغادره و غدارا تركه و بقاه و (المعاد) بالبدال المهمله مصدر بمعنى العود أى الرّجوع إلى الله سبحانه، و فى بعض النسخ بالبدال المعجمه بمعنى الملاذ و (النجح) بالضم الظفر بالمطلوب و انجح زيد صار ذا نجح فهو منجح و (أسمع واع) بناء أفعل ههنا من الرباعى أى أشدّ اسماعا، مثل قولهم ما أعطاه للمال و ما أولاه للمعروف و هذا المكان أقفر من غيره، أى أشدّ اقفارا، و فى بعض الرّوايات: و احسن واع، بدله و (الظماء) محرّكه العطش أو شدّته و (الهواجر) جمع الهاجر و هو كالهجر و الهجير ه نصف النهار أو من عند زوال الشمس إلى العصر، لأنّ الناس يستكنون فى بيوتهم كأنهم قد تهاجروا، و شدّه الحرّ.

و (الزّى) بالكسر اسم من روى من الماء و اللبن ريّا و (الغير) اسم من

غيره جعله غير ما كان و حوّله و بدله و غير الدهر وزان عنب احداثه المغيره و (موتر) من باب الافعال أو التفعيل و كلاهما مرويان يقال: أو تر القوس أى جعل لها و ترا و وترها توتى را شدّ وترها، و الوتر محرّكه شرعه القوس و معلقها و الجمع أوتار و (أسى) الجرح اسوا واسى داواه، اسوت بين القوم أصلحت و (أضحى) فيثها من ضحى الرجل إذا برز للشمس و (العيان) بالكسر المعايينه يقال لقيه عيانا أى معايينه لم يشكّ فى رؤيته إياه و (دخل اليقين) أى تزلزل كما فى قوله: كنت أرى اسلامه مدخولا، أى متزلزلا و (الرجعه) الرجوع و (التقاء) الخوف و أصله تقيه و زان تهمه.

الاعراب

ايماننا بالنصب بدل من ايمان الأوّل، و جمله تصعدان صفه للشهادتين، و جمله لا- يخف آه تحتمل الوصفيه أيضا و الحالیه لوقوعها بعد نكره مخصّصه بالوصف، و داعيها فاعل اسمع، و واعيها فاعل فاز، و الباء فى قوله بالنصب و بالظماء للمقابله، و أكل بالرفع خبر لمبتدأ محذوف، و قوله لا مالا حمل، لا للتّفى و ما لا منصوب بفعل محذوف يفسّره ما بعده، و جمله المنفى حال من فاعل يخرج، و طلبه بالرفع بدل اشتمال من المضمون و ليس فاعلا- له على حدّ قولهم: جاءنى المضروب أخوه، و ذلك لأنّ الرزق حصوله مضمون لا- طلبه كما هو ظاهر، و يحتمل أن يكون رفعه بالابتداء و أولى بكم خبره، و جمله المبتدأ و الخبر فى محلّ النصب خبرا ليكون، و الأول أحسن و أنسب.

المعنى

اعلم أنّ الغرض بهذه الخطبه الشريفه الأمر بملازمه التقوى و التنفير عن الدّنيا و الترغيب فى العقبا افتتحها بالحمد و الثناء فقال:
(الحمد لله الواصل الحمد بالنعم و النعم بالشكر) المراد بوصل أحدهما بالآخر شدّه الارتباط بينهما، فيكون التكرير للتأكيد أو أنه أراد بوصل الحمد بالنعم ايجابه الحمد عليها و أمره به عند حصولها، و بوصل النعم بالشكر جعل

الشكر سببا لمزيدها كما قال: لئن شكرتم لأزيدنكم، وهذا هو الأظهر، ولذا اختار الشكر على الحمد لمحا للآية الشريفة.

(نحمده على آلائه كما نحمده على بلائه) وهذا من باب التشبيه المقلوب والغرض منه عايد إلى المشبه به وهو ايهاً أنه أتم من المشبه و ان كان الحمد على الآلاء أكثر و أشهر، و مثله قوله:

و بدا الصّباح كأنّ غرّته وجه الخليفة حين يمتدح

فانه قصد ايهاً أن وجه الخليفة أتم في الوضوح والضياء من الصّباح و ان كان الأمر بحسب الواقع بالعكس هذا، وفيه ارشاد للعباد على القيام بوظائف الحمد عند السّراء والضراء، و الملازمه بمراسم التّحيّه و الثناء في حالتي الشّدّه و الرّخاء لأنّ الرضاء بالقضاء و الصّبر على البلا يوجبان الثواب الجميل و الأجر الجزيل في العقبي فبذلك الاعتبار البلاء منه سبحانه أيضا نعمه توجب الحمد لله تعالى قال:

«وَلَتَبْلُؤَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ» الآيات.

و في روايه الكافي عن داود بن فرقد عن أبي عبد الله عليه السّلام قال إنّ فيما أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران يا موسى بن عمران ما خلقت خلقا أحبّ إليّ من عبدى المؤمن، و انى انما أبتليه لما هو خير له، و أزوى عنه لما هو خير له، و أنا أعلم بما يصلح عليه عبدى، فليصبر على بلائى و ليشكر نعمائى و ليرض بقضائى اكتبه فى الصّيديقين عندى إذا عمل برضائى و أطاع أمرى (و نستعينه على هذه النفوس) المايله بمقتضى جبلتها إلى المفاسد و المقابح و الراغبه عن المنافع و المصالح (البطاء عمّا امرت به) من العبادات و الطّاعات (السّيراع إلى ما نهيت عنه) من المعاصى و السّيئات (و نستغفره ممّا أحاط به علمه و أحصاه كتابه) من صغائر الذّنوب و كبايرها و بواطن السّيئات و ظواهرها و سوائف الزّلات و حوادثها (علم غير قاصر) عن شىء و لا يعزب عنه ممّا فى الأرض و السّماء من شىء (و كتاب

غير مغادر) شيء أى لا يغادر ولا يبقى صغيره ولا كبيره إلا أحصياها.

(و تؤمن به) أى نصّدقه بقول مقول و عمل معمول و عرفان بالعقول و أتباع الرسول (ايمان من عاين الغيوب) و شاهد بعين اليقين الغيب المحجوب عن غمره الموت و سكرته و ضيق القبر و ظلمته و طول البرزخ و وحشته و عقبات الساعه و دواهيها و أهوال القيامه و شدائدها (و وقف) أى اطلع (على الموعود) من الرّفد المرفود و الطلح المنضود و السّدر المخضود و الظل الممدود و غيرها ممّا وعد به المتّقون، أو النّار ذات الوقود و القيح و السّديد و العذاب الشّديد و نزل الحميم و تصليه الجحيم و نحوها ممّا وعد به المجرمون.

و أنّما خصّ ايمان المعاين الواقف بالبيان لكونه أقوى درجات الايمان، فإنّ من الايمان ما يكون بحسب التقليد، و منه ما يكون بحسب البرهان و هو علم اليقين، و أقوى منه الايمان بحسب الكشف و المشاهده، و هو عين اليقين و ذلك هو الايمان الخالص.

و فى الكافى باسناده عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول:

إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم صلّى بالنّاس الصّبح فنظر إلى شابّ فى المسجد و هو يخفق و يهوى برأسه مصفرا لونه و قد نحف جسمه و غارت عيناه فى رأسه فقال له رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت يا رسول الله موقنا، فعجب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم من قوله و قال: إنّ لكلّ يقين حقيقه فما حقيقه يقينك؟ فقال:

إنّ يقينى يا رسول الله هو الّذى أخرنى و أسهر ليلى و أظمأ هو اجرى فعزفت نفسى عن الدّنيا و ما فيها حتّى كأنى أنظر إلى عرش ربّى و قد نصب للحساب و حشر الخلايق لذلك و أنا فيهم، و كأنى انظر إلى أهل الجنّه يتنعمون فى الجنّه و يتعارفون على الأرائك متكوّون، و كأنى أنظر إلى أهل النّار و هم فيها معدّبون مصطرخون، و كأنى الآن أسمع زفير النّار يدور فى مسامعى، فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لأصحابه: هذا عبد نور الله قلبه بالايمان، ثمّ قال له: ألزم ما أنت عليه، فقال الشاب: ادع الله لى يا رسول الله أن ارزق الشّهاده معك، فدعى له رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم

فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فاستشهد بعد تسعة نفر و كان هو العاشر.

و حيث كان إيمانه عليه السّلام من أقوى درجات الايمان و أعلى مراتبه، موصوفا بالخلوص و اليقين كما قال: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا اتبعه بقوله:(ايمانا نفى اخلاصه الشّرك و يقينه الشّك) أما نفى اخلاصه للشّرك فواضح، و أما نفى يقينه للشّك فلا أنّ اليقين عباره عن الاعتقاد بأنّ الأمر كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن أن لا يكون إلاّ كذا، فهو مناف للشّك لا محاله.

(و نشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، و أنّ محمّدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عبده و رسوله) و قد مضى تفصيل ما يتعلّق بالشّهادتين في شرح الفصل الثّاني من الخطبه الثانيه و لا حاجه إلى الاعاده.

(شهادتين تصعدان القول) أى الكلم الطيب (و ترفعان العمل) أى العمل الصّالح و إنّما تكونان كذلك إذا كانتا صادرتين عن صميم القلب و وجه اليقين و خلوص الجنان فتكونان حينئذ فاتحه الاحسان و عزيمة الايمان تصعدان الكلمات الطيبات، و ترفعان الأعمال الصّالحات، و تزيدان فى الدّرجات، و تكفّران الخطيات و أمّا الصّادره عن مجرّد اللسان فلا فايده فيها إلاّ تطهير ظاهر الانسان، و خيرها زهيد و نفعها فقيد هذا.

و فى قوله (لا يخفّ ميزان توضعان فيه و لا يتقل ميزان ترفعان عنه) دلالة على أنّ لهما مدخليه فى ثقل الميزان و خفته بوضعهما فيه و رفعهما عنه.

و يشهد به صريحا فى الجملة ما قدّمنا روايتها فى شرح الفصل الثّاني من الخطبه الثانيه، من ثواب الأعمال عن أبى سعيد الخدرى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال:

قال الله جلّ جلاله لموسى بن عمران: يا موسى لو أنّ السّماوات، و عامريهنّ عندى و الأرضين السبع فى كفّه و لا إله إلاّ الله فى كفّه مالت بهنّ لا إله إلاّ الله.

ثمّ وصّى عليه السّلام العباد بما لا يزال يوصى به فقال:(اوصيكم عباد الله بتقوى الله

التي هي) الدّخيره و (الزاد و بها) المرجع و (المعاد زاد) يتقوى به إلى طي منازل الآخره و سلوك سبيل الجنان (مبلغ) إلى غايه الرّضوان (و معاد منجح) يصادف عنده الفوز و النجاح و ينال به منتهى الارباح (دعا إليها) أى إلى التقوى (أسمع داع و وعاهها) أى حفظها (خير واع) يحتمل أن يكون المراد بأسمع داع هو الله سبحانه، لأنه أشدّ المسمعين اسماعاً، و قد دعى إليها كثيراً و ندب إليها فى غير واحد من الكتب السماويه و غير آيه من الآيات القرآنيه و من جملتها قوله سبحانه:

«و تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى».

و بخير واع هو الأنبياء و المرسلون أو الاعمّ منهم و من ساير المسارعين إلى داعى الله المدين هم أفضل القوابل الانسانيه، و أن يكون المراد بأسمع داع رسول الله و بخير واع نفسه عليه السلام.

و يؤيده قوله تعالى: اذن واعيه، بما روى فى الكافى عن الصادق عليه السلام قال:

لما نزلت هذه الآيه قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: هي اذنك يا على.

(فاسمع داعيها) أى لم يبق أحد من المكلفين إلا أسمعته تلك الدعوه (و فاز واعيها) المتدبر فيها الآخذ بها.

ثم تبه على آثار التقوى و خواصها فى الأولياء فقال (عباد الله إنّ تقوى الله حمت) أى منعت (أولياء الله) من حماه سبحانه و هو (محارمه) كما قال صلى الله عليه و آله و سلم ألا و إنّ لكلّ ملك حمى و أنّ حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى أوشك أن يقع فيه، أى قرب أن يدخله (و الزمت قلوبهم مخافته) و خشيته (حتى اسهرت لياليهم و اظمأت هواجرهم) نسبه السهر إلى اللبالي و الظماء إلى الهواجر من باب التوسّع و المجاز على حدّ قولهم: نهاره صائم و ليله قائم، و المراد أنّ التقوى و شدّه الخوف أوجبت سهرهم فى اللبالي للقيام إلى الصلاه و الدوام على المناجاه و عطشهم فى الهواجر لملازمتهم بالصيام و الكف عن الشراب و الطعام، فهم عمش العيون من

البكاء ذبل الشفاه من الدعاء حذب الظهور من القيام خمص البطون من الصيام، صفر الوجوه من السهر، عليهم غبره الخاشعين.

(فأخذوا الراحة) فى الأخرى (بالنصب) و التعب فى الدنيا (و الرى) من عين سلسيل (بالظماء) و العطش فى زمان قليل (و استقربوا الأجل فبادروا العمل و كذبوا الأمل فلاحظوا الأجل) يعنى أنهم عدوا الآجال أى مدّه الأعمار قريبا، فسارعوا إلى الأعمال الصالحة و تهيأوا زاد الآخرة، و أنهم كذبوا الآمال الباطله و لم يغتروا بالامتيازات العاطله فلاحظوا الموت.

و بما ذكرنا ظهر أنّ الأجل فى الفقره الاولى بمعنى مدّه العمر، و فى الثانيه بمعنى الموت، فلا تكرر كما ظهر أنّ الفاء فى قوله: فبادروا، للسببيه مفيده لسببيه ما قبلها لما بعدها، و أمّا فى قوله فلاحظوا فيحتمل أن تكون كذلك أى لا فاده سببيه ما قبلها لما بعدها، و يحتمل العكس فيكون مفادها مفاد لام التعليل كما فى قولك أكرم زيدا فإنه فاضل، يعنى أكرمه لكونه فاضلا، فبدل على أنّ فضله علّه لآكرامه.

و الاحتمالان مبنيان على أنّ الدنيا و الآخرة ضرّتان متضادّتان فبقدر التوجّه إلى إحداهما يغفل عن الأخرى و طول الأمل أنّما ينشأ من حبّ الدنيا و الميل إليها، فلحاظ الآخرة أعنى الاجل و ما بعده و الالتفات إليها و التوجّه لها يستلزم الاعراض عن الدنيا و عن الآمال الباطله المتعلّقه بها لا محاله، و هو معنى تكذيبها كما أنّ انتزاع محبّه الدنيا عن القلب و عدم الاغترار بآمالها يستلزم ملاحظه الآخرة، فبين الأمرين ملازمه فى الحقيقه يكون تكذيب الآمال سببا لملاحظه الآخرة و باعتبار آخر يكون ملاحظه الآخرة علّه لتكذيب الآمال و أعنى بالعليه و السببيه الارتباط و الملازمه و ان لم تكن تامه فافهم جيدا.

و يمكن أن يراد بالأجل فى الفقره الاولى الموت، و فى الثانيه مدّه العمر عكس ما قدّمنا و يحتاج حينئذ إلى نوع تكلف، بأن يراد بملاحظه الأجل ملاحظه

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

(و من غيرها) أى تغيّر الدّنيا و انقلابها (أنّك ترى المرحوم مغبوطا و المغبوط مرحوما) يعنى ترى من يرحمه الخلايق بسبب الضّر و الفقر و المسكنه يصير فى زمان قليل موصوفا باليسار و الرّخاء و السعه فيغبطونه بذلك، و ترى من يغطه الخلائق بالعزّ و المنعه و الغنى يصير عمّا قليل مبتلا بالذلّ و الفقر و العناء، فيرحمونه لأجل ذلك.

و (ليس ذلك إلاّ نعيما زلّ و بؤسا نزل) أى ليس كون المغبوط مرحوما إلاّ بنعيم انتقل من المغبوط إلى غيره، أو شدّه نزلت عليه و فقر و سوء حال حلّ به (و من عبرها أنّ المرء يشرف على أمله فيقتطعه حضور أجله) أى يطلع على أمله و يعلو عليه بحيث يكاد يدركه فيحضر إذا أجله و يقتطعه عنه و يحول بينه و بينه (فلا أمل يدرك و لا مؤمل يترك) ثمّ تعجب من بعض حالات الدّنيا و أطوارها و قال(فسبحان الله ما أغرّ سرورها و أظماء ريّها و أضحى فيئها)أراد بالرّى استتمام لذّتها و بفيئها الرّكون إلى قنيتها و الاعتماد عليها، أى أى شىء أوجب لكون سرورها سببا للغرور، و كون ريّها سببا للعطش و ظلّها سببا للحراره، فإنّ الضحى هى وقت ارتفاع الشّمس و عنده تكون الحراره.

و نسبه الغرور إلى السرور و الظماء إلى الرّى و الضحى إلى الفىء باعتبار أنّ سرورها و لذّاتها و زخارفها هى الصّوارف عن العمل للآخره، و الشواغل عن الاقبال إلى الله سبحانه، فكان سرورها أقوى سبب للاغترار بها، و ريّها من آكد الأسباب للعطش فى الآخره و الحرمان من شراب الأبرار، و فيئها من أقوى الدواعى إلى إيراده فى حرّ الجحيم و تصليه الحميم.

و يحتمل أن يكون المراد باظماء ريّها أنّ الارتواء منها لا- ينقع و لا ينفع من الغله، بل يزيد فى العطش كمن شرب من الماء المالح و الاجاج، فيكون كنايه عن كون الاكثار منها سببا لمزيد الحرص عليها، و كذا يكون المراد باضحاء فيئها أنّ من طلب الراحة فيها اعتمادا على ما جمعها منها لا يجد فيها الراحة و لا ينجو به من حراره الكبد و فرط المحبه إلى جمعها و تحصيلها و إكثارها، بل هو دائما فى

التعب و العطب للتحصيل و الطلب إلى أن يموت فيكفن و يخرج فيدفن (لا جاء يردّ) به أراد به الموت (و لا ماض يرتد) آزاد به الميّت.

ثم تعجب ثانيه و قال (فسبحان الله ما أقرب الحي من الميّت للحاقه به و أبعد الميّت من الحي لانقطاعه عنه) و هو من أفصح الكلام و أحسنه في تأديه المرام يعرف ذلك من له درايه في صناعه البيان و إحاطه بلطائف فنّ المعان.

ثم تبه على شدّه عقاب الآخره و عظم ثوابها بقوله (إنه ليس شيء بشر من الشرّ إلاّ عقابه و ليس شيء بخير من الخير إلاّ ثوابه) قال الشارح البحراني: يحتمل أن يريد الشرّ و الخير المطلقين و يكون ذلك للمبالغه إذ يقال للأمر الشريف:

هذا أشدّ من الشديد و أجود من الجيد، و يحتمل أن يريد شرّ الدنيا و خيرها، فإنّ أعظم شرّ في الدنيا مستحقر في عقاب الله، و أعظم خير فيها مستحقر بالنسبه إلى ثواب الله، انتهى.

و الاحتمال الأوّل أظهر، و عليه فالمراد انه ليس شيء يكون أشرّ الأشياء، إلاّ عقاب ذلك الشيء، و لا شيء يكون أعظم الأشياء خيرا إلاّ ثواب ذلك الشيء.

إلاّ أنّ الاحتمال الثاني يؤيّده قوله (و كلّ شيء من الدنيا) خيرا كان أو شرّا (سماعه أعظم من عيانه) أما خيرها فلاّ أنّ الانسان لا يزال يحرص على تحصيل الدرهم و الدينار و ساير القنيات الدنيويّه، و يكون قلبه مشغولا بتحصيلها مسرورا بانتظار وصولها، فاذا وصل إليها هانت عليه و ارتفع وقعها لديه كما يشهد به التجربه و الوجدان، و أمّا شرّها فلاّ أنّ أعظم شرّ يتصوّرها الانسان بالسماع و يستهوله و يستنكره ممّن يفعله هو صورته القتل و الجرح، فاذا وقع في مثل تلك الأحوال و اضطرّ إلى المخاصمه و القتال سهل عليه ما كان يستصعبه منها، و هو معنى قوله في بعض كلماته الآتيه: إذا هبت أمرا فقع فيه.

(و كلّ شيء من الآخره) ثوابا كان أو عقابا (عيانه أعظم من سماعه) فإنّ جلّ الخلق بل كلّهم إلاّ الصيّدّيقين إذا سمعوا أحوال الآخره خيرها و شرّها إنما يتصوّرونها كأحوال الدنيا و يزعمونها مثلها و يقيسونها إليها، بل بعضهم يتوهّمونها

أهون منها مع أنه لا نسبه لها إليها و لذلك قال عز من قائل في طرف الثواب:

أعددت لعبادى الصّالحين ما لا عين رأت و لا اذن سمعت و لا خطر على قلب بشر، و في طرف العقاب.

«كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ».

حيث جعل الرّؤية بالعين أعلى المراتب لأنه يحصل بها ما لا يحصل بغيرها، و أمّا الصّديقون فلا تفاوت لهم بين السّماع و العيان، فقد قال سيّدهم و رئيسهم: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا.

و حيث كانت أهوال الآخرة و شدايدها أعظم من أن تعبّر باللسان و تدرك بالأذان و يطّلع عليها على ما هي عليها قبل خروج الأرواح من الأبدان (فليكنفكم من العيان السّماع و من الغيب الخبر) أى ليكنفكم من معانيه تلك الأهوال سماعها و ممّا غاب عنكم منها انبائها، و مما حجب منها أخبار المخبرين الصّادقين بأخبارها لتأخذوا لها عدتها و تهيتوا لها جنّتها.

(و اعلموا أنّ ما نقص من الدّنيا و زاد في الآخرة خير ممّا نقص من الآخرة و زاد في الدّنيا) لأنّ ما يزداد للآخرة فهو باق دائم و ما يزداد للدّنيا فهو فان زائل و أيضا في زياده الدّنيا طول الحساب و العقاب، و في زياده العقبي مزيد الفوز و الثواب (فكم من منقوص رابح) كما قال سبحانه:

«إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعُودًا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِالَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» و قال: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ»

«أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَا مَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» (و) كم من (مزید خاسر) لقوله سبحانه: «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ» وقوله تعالى: «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» الآية.

ثم قال (إنَّ العَذَى امرتم به أوسع مما نهيتم عنه و ما احلَّ لكم أكثر مما حرَّم عليكم) الأظهر أنَّ الجملة الثانية تؤكد للأولى فيكون المراد بالمأمور به في الأولى مطلق ما رخص في ارتكابه فيعم الواجب و المندوب و المكروه و المباح بالمتساوى الطرفين و بالنتهى عنه فيها ما نهى عنه نهى تحريم، و أوسعیه الثانى بالنسبه إلى الأول على ذلك واضح لأن المنهى عنه قسم واحد و المأمور به أقسام أربعة لا- يقال: الأمر حقيقه فى الوجوب على ما حقق فى الأصول فكيف يعم الأقسام؟ لأننا نقول: سلمنا إلا أنه إذا قامت قرينه على المجاز لا- يكون بأس بحمل اللفظ عليه و القرينه فى المقام موجوده و هى الأوسعیه و العلاقه هى اشتراك ساير الأقسام مع الواجب فى أن كلا- منها مأذون فيها مرخص فى فعلها و تناولها، و يدل على كثره الحلال بالنسبه إلى الحرام صريحا قوله سبحانه:

«خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا».

فإنَّ كلمه ما مفیده للعموم و لفظ الجمع تأكيد لها، و اللّام للانتفاع فيدلّ على جواز الانتفاع بجميع ما في الأرض.

فان قلت: إنّ الآيه لا تفيد العموم لأنّ شرط حمل المطلقات على العموم أن لا يكون المقام مقام الاجمال بل يكون مقام البيان، و ههنا ليس كذلك إذا المقصود بيان أنّ في خلق الأشياء منفعه لكم للايمان «للايماء ظ» أنّ جميع الأشياء مما ينتفع بها.

قلت: فيه بعد ما عرفت أنّ الموصول مفيد للعموم لا سيّما مع التوكيد بلفظ الجميع إنّ الآيه وارده في مقام الامتنان المقتضى للتعميم كما لا يخفى، فيدلّ على إباحه الانتفاع و حلّه بجميع ما في الأرض فيكون الأصل الأولى في الجميع هو الحلّ و الاباحه إلى أن يقوم دليل على الحظر و الحرمة، فيحتاج إلى تخصيص ما ثبتت حرمة من عموم الآيه، و يدلّ عليه أيضا قوله سبحانه:

«قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

فإنّ تخصيص المحرّمات بما بعد إلّا دليل على أنّ غير المستثنى ليس حراما، و عدم وجدان النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم دليل على عدم وجود الحرمة واقعا، و يدلّ عليه أيضا قوله سبحانه: «أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ»، فإنّ الطيب هو ضدّ الخبيث الذي يتنفر عنه الطبع فيكون، المراد بالطيبات ما تستلذّها الطباع فيدلّ على حلّه جميع المستلذّات و يخصّص بما دلّ على حرمة بعضها بالخصوص، و هذه الآيات تدلّ على إباحه جميع ما لم يقم دليل على حرمة، و لذا استدلّ بها الاصوليون في مسأله الحظر و الاباحه على أنّ الأصل الأولى في الأشياء هو الاباحه.

و مثلها في الدلالة عليها قوله صلّى الله عليه و آله و سلّم: كلّ شيء مطلق حتّى يرد فيه نهى، إلّا أنّ ذلك يدلّ على الاباحه الظاهريّه فيما شكّ في إباحته و حرمة، و هذه على

الاباحه الواقعيه، فمعناه أنّ كلّ شيء مرخص فيه من قبل الشارع حتّى يرد فيه نهى، فالناس فى سعه مما لم يعلم بورود نهى فيه.

ثمّ إنّ اصاله الاباحه كما تجرى فى الأعيان مثل التفاح و نحوه بقوله: خلق لكم ما فى الأرض جميعاً، فيباح الأفعال المتعلقة بها كذلك تجرى فى الأفعال كالغنا مثلاً ان فرض عدم قيام دليل على حرمة لقوله: احلّ لكم الطيبات، فالأصل المذكور يجرى فى القسمين المذكورين من دون تأمل.

و ربّما يقال: باختصاص اصاله الاباحه بالأعيان و أنّ الأصل الدال على حليّ الأفعال يسمّى باصاله الحلّ فهما أصلان ناظران إلى موردين و نحن نقول إنّ ذلك لا- بأس به إذ لا مشاحه فى الاصطلاح لكن لا يختصّ أحدهما بالحجّيه دون الآخر ضروره أنّ الأدله وافية بحجّيتهما معا و ان كانا مختلفى المورد.

و على ذلك فيمكن أن لا- يجعل العطف فى كلامه عليه السّلام تفسيرياً بأن يكون المراد بما امرتم به و ما نهيتم عنه الأعيان المباحه و المنهيه، و بما حلّ و ما حرّم الأفعال المحلّله و المحرّمه.

و كيف كان فليّما أفصح عن كون المباح أوسع من المنهى و الحلال أكثر من الحرام أمر بترك المحرّمات و المنهيات فقال (فذرّوا) أى اتركوا (ما قلّ لما كثر و ما ضاق لما اتّسع) يعنى أنّه بعد ما كان الحرام قليلاً و الحلال كثيراً فلا حرج عليكم فى ترك الأوّل و أخذ الثانى، و لا عسر فى ذلك و كذلك المباح و المحظور نعم لو كان الأمر بالعكس لكان التكليف أصعب، و لكنّه سبحانه منّ على عباده بما بين السّماء و الأرض، و جعل الملهّ سمحه سهله، و ما جعل فى الدّين من حرج علما منه بضعف النفوس عن القيام بمراسم عبوديته بمقتضى الجبله البشريّه، فسبحان الله ما أعظم مننه و أسبغ نعمه و أوسع كرمه.

ثمّ نهى عن تقديم طلب الرّزق على الاشتغال بالعباده و ترجيحه عليه فقال (قد تكفّل لكم بالرّزق و أمرتم بالعمل) أما الأمر بالعمل فواضح، و أمّا التكفّل بالرّزق فقد تقدّم الكلام فيه و فى معنى الرّزق بما لا مزيد عليه فى شرح الفصل الأوّل من فصول

الخطبه التسعين (فلا يكون المضمون لكم طلبه أولى بكم من المفروض عليكم عمله) و هذا يدل صريحا على المنع من ترجيح الطلب على العمل حسب ما اشرنا إليه، و لا- دلالة فيه على ترك الطلب بالكليه، بل المستفاد من الروايات الكثيره كراهه ذلك مثل الأول.

منها ما رواه فى الكافى باسناده عن عمر بن يزيد قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام رجل قال لأقعدن فى بيتى و لاصلين و لأصومن و لأعبدن ربى فأما رزقى فسيأتينى فقال أبو عبد الله عليه السلام: هذا أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم.

و فيه عن معلّى بن خنيس قال سألت أبو عبد الله عليه السلام عن رجل و أنا عنده فقيل أصابته الحاجه، فقال: ما يصنع اليوم؟ قيل فى البيت يعبد ربّه، قال: فمن أين قوته؟ قال: من عند بعض اخوانه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: و الله للذى يقوته أشدّ عباده منه.

ثمّ وبّخهم بقوله (مع أنّه و الله لقد اعترض الشكّ و دخل اليقين) أى اعترض الشكّ فى المضمون و المفروض و تزلزل اليقين بضمان المضمون و بفرض المفروض (حتى كأنّ الذى ضمن لكم قد فرض عليكم) فبالغتم فى تحصيله و طلبه و الجدّ له (و كأنّ الذى فرض عليكم قد وضع عنكم) فتوانتم فيه و لم تبالوا به (فبادروا العمل) المأمور به قبل حلول الموت (و خافوا بغته الأجل) و فجأه الفوت (فانه لا- يرجى من رجعه العمر) و عوده (ما يرجى من رجعه الرزق) هذا فى مقام التعليل للمبادره إلى العمل و ترجيحه على طلب الرزق بيانه:

أنّ العمر ظرف للعمل و ما فات و مضى منه فلا يعود و لا يرجى عوده و يفوت العمل كسائر الزمانيات المتعلّقه به بفواته لا محاله و لا يمكن استدراكه بعينه فاذا وجب المبادره إليه و الاتيان به و إليه اشير فى قوله عليه السلام:

ما فات مضى و ما سيأتيك فأين قم فاغتتم الفرصه بين العدمين

و قال آخر:

إنّما هذه الحياه متاع و السفيه الغوى من يصطفياها

ص: ٦٧

ما مضى فات و المؤمل غيب ذلك الساعه التي أنت فيها

و أمّا الرزق فهو مقسوم و ما نقص منه فى الماضى أمكن جبرانه فى الغابر، و إليه أشار بقوله (ما فات اليوم من الرزق رضى غدا زيادته و ما فات أمس من العمر لم يرج اليوم رجعته) لأنّ العمر عباره عن زمان الحياه و مدّته و الزّمان كمّ متّصل غير قارّ الذات، و الجزء الثّانى منه عادم للجزء الأوّل، و الجزء الثّالث عادم للجزء الثّانى و هكذا فلا يمكن رجوع الجزء الأوّل بعد مضيّه أبداً، و هذا بخلاف الرزق كالمآكل و المشارب و الأموال، فإنّ الانسان إذا فاته شىء منها قدر على ارتجاعه بعينه إن كان عينه باقيه، و ما لا يبقى عينه يقدر على اكتساب مثله، نعم يشكل ذلك لو عممنا الرزق بالنّسبه إلى التّنفّس فى الهواء، فانه كالعمل أيضا من الزّمانيات لا- يمكن استدراكه، اللهمّ إلّا- أن يقال إنّه فرد نادر، و نظر الامام عليه السّلام فى كلامه إلى الأفراد الشائعه و الأعمّ الأغلب، فإنّ ساير أفراد الرزق عموما قابل للاستدراك.

و قوله عليه السّلام (الرجاء مع الجائى و اليأس مع الماضى) مؤكّد لما سبق و أراد بالجائى الرزق و بالماضى العمر.

و لما أمرهم بالمبادره إلى العمل مخافه بغته الأجل أكّد ذلك بالأمر بملازمه التقوى فقال (فاتّقوا الله حقّ تقاته) أى حقّ تقواه و ما يجب منها و هو استفراغ الوسع فى القيام بالواجبات و الاجتناب عن المحرّمات (و لا تموتنّ إلّا و أنتم مسلمون) و هو اقتباس من الآيه فى سوره آل عمران قال تعالى:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ» الآيه.

قال فى مجمع البيان معناه و اتّقوا عذاب الله أى احترسوا و امتنعوا بالطاعه من عذاب الله كما يحقّ، فكما يجب أن يتقى ينبغى أن يحترس منه، و ذكر فى قوله حقّ تقاته وجوه أحدها أن يطاع فلا يعصى و يشكر فلا يكفر و يذكر فلا ينسى، و هو المروى عن أبى عبد الله عليه السّلام و ثانيها أنه اتّقاء جميع معاصيه و ثالثها أنه المجاهده فى الله و أن لا تأخذه فيه لومه لائم و أن يقام له بالقسط فى الخوف و الأمن و قوله:

«وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ».

معناه لا تترکوا الاسلام و کونوا عليه حتى إذا ورد عليكم الموت صادفكم عليه، و انما قال بلفظه انتهى عن الموت من حيث إن الموت لا بد منه و إنما انتهى في الحقيقة عن ترك الاسلام لأن لا يهلكوا بالانقطاع عن التمكن منه بالموت إلا أنه وضع كلام موضع كلام على وجه التصرف و الابدال بحسن الاستعاره و زوال اللبس و روى عن أبي عبد الله عليه السلام: و أنتم مسلمون، بالتشديد و معناه مستسلمون لما أتى به النبي صلى الله عليه و آله و سلم منقادون له، و الله الموفق.

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن حضرت است در تنبیه بر تقوی و پرهیزکاری و ترهید از این جهان فانی باین قرار که می فرماید:

حمد بقیاس معبود بحقیرا سزاست که وصل کننده است حمد را بنعمتها، و پیوند کننده است نعمتها را بشکر، حمد می کنیم بر نعماء او همچنان که سپاس می کنیم بر بلاء او، و طلب اعانت می کنیم از او بر این نفسهائی که دیر حرکت کننده اند از آنچه مأمور شده اند باو شتابنده اند بسوی آنچه نهی گشته اند از آن، و استغفار می کنیم از او از آنچه که احاطه کرده باو علم آن، و شمرده است او را کتاب آن علمی که کوتاه نیست از چیزی، و کتابی که ترک کننده نیست چیزی را و ایمان می آوریم او را مثال ایمان کسی که دیده باشد غیبا را بعین یقین، و واقف بشود بچیزی که وعده داده شده است از احوال یوم الدین، ایمانی که نفی کند اخلاص آن شرک را از دلها، و زایل نماید یقین او شک را از قلبها، و شهادت می دهیم باین که نیست هیچ معبود بحقّی بجز خدا در حالتی که یکتا است شریک نیست او را، و باین که محمد بن عبد الله صلى الله عليه و آله بنده پسندیده و پیغمبر برگزیده او است، شهادتینی که بلند می گردانند گفتار پاکیزه را و رفع میکنند عمل صالح را در حالتی که سبک نمی شود میزانی که نهاده شوند آن دو شهادت در او و سنگین نمی شود میزانی که برداشته شوند آن دو شهادت از آن.

وصیت میکنم شما را ای بندگان خدا بتقوی و پرهیزکاری از خدا چنان پرهیزکاری که آن است توشه راه آخرت و با او است رجوع بحضرت ربّ العزّه، چنان توشه که رساننده است بمقصود، و رجوعی که ادراک کننده است مطلوب را دعوت نمود بسوی آن تقوی شنواننده ترین دعوت کنندگان، و حفظ نمود و نگاه داشت آنرا بهترین نگاه دارندگان، پس شنواید دعوت کننده آن، و فایز شد نگاه دارنده آن.

ای بندگان خدا بدرستی که تقوی و پرهیزکاری از خدای تعالی حفظ نمود دوستان خدا را از محرّمات آن، و لازم گردانید قلبهای ایشان را ترس او را تا این که بیدار گردانید آن ترس شبهای ایشان را بجهه عبادت، و تشنه ساخت روزهای گرم ایشان را بجهه روزها و کثرت طاعت، پس فرا گرفتند استراحت آخرت را بعوض چند روزها زحمت، و سیرابی را بعوض تشنگی، و نزدیک شمردند مدّت عمر را، پس مبادرت نمودند بسوی أعمال صالحه، و تکذیب نمودند آرزوهای باطله را، پس ملاحظه کردند مرگ را.

پس بدرستی که دنیا دار فنا و مشقّت و تغیر و عبرت است، پس از جمله فناء دنیا این است که روزگار بزه کرده کمان خود را، خطا نمی کند تیرهای او، و دوا کرده نمی شود زخمهای او، می اندازد زنده را بمرگ، و تندرست را به بیماری، و رستگار را بهلاکت و گرفتاری، خورنده ایست که سیر نمی شود، و آشامنده ایست که سیراب نمی باشد، و از جمله مشقّتهای دنیا این است که بدرستی که مرد جمع میکند چیزی را که نمی خورد، و بنا میکند چیزی را که ساکن نمی شود، پس بیرون می رود بسوی خدا در حالتی که نه مالی باشد که برداشته باشد، و نه بنائی باشد که نقل نماید.

و از جمله تغیرات دنیا این است که تو می بینی فقیر عاجزیکه خلائق بحال او رحم می نمایند غبطه برده شده بجهه ثروت و مال، و کسی که بحال او غبطه می نمایند رحم شده بجهه فقر و فاقه یعنی در اندک زمانی پریشانی فقیر برفاه حال مبدّل می شود و رفاه حال غنی بفقر

تبدیل می یابد، نیست این حال یعنی تبدل حال غنی به پریشانی مگر نعمتی که منتقل شده باشد، و شدتی که فرود آمده باشد.

و از جمله عبرتهای دنیا اینست که مرد مشرف و نزدیک می شود بادراک آرزوی خود پس جدا میکند او را حاضر شدن مرگ او، پس سبحان الله چه چیز سبب غرور گردانیده شادی دنیا را، و تشنه ساخته سیرابی دنیا را، و گرم گردانیده سایه دنیا را، نه آینده باز گردانیده می شود نه بر گذشته رجوع می نماید.

پس سبحان الله چه چیز غریب و عجیب باعث شده بر نزدیکی زنده از مرده بجهه سرعت لحوق او بآن، و چه چیز باعث شده بدوری مرده از زنده بجهه بریده شدن او از آن، بدرستی که نیست بدتر از بد مگر عقاب آن، و نیست بهتر از خوب مگر ثواب آن، و هر چیز از دنیا شنیدن آن بزرگتر است از دیدن آن، و هر چیزی از آخرت دیدن او بزرگتر است از شنیدن آن، پس باید که کفایت نماید شما را از دیدن امور اخروی شنیدن آن، و از غیبهها خبر او، و بدانید آن چیزی که ناقص شود از دنیا و زیاده شود بر آخرت بهتر است از چیزی که ناقص شود از آخرت و زاید شود بر دنیا، پس بسا کم شده ایست که باعث ربح و منفعت است، و بسا زیاده ایست که باعث ضرر و خسارت.

بدرستی که آن چیزی که خداوند شما را امر فرموده بآن فراخ تر است از چیزی که نهی فرموده خدا شما را از آن، و چیزی که حلال شده از برای شما اکثر است از چیزی که حرام شده بر شما، پس ترک نمائید چیزی که اندک است از برای چیزی که بسیار است، و چیزی که تنگ است از برای چیزی که وسعت دارد، بتحقیق که کفالت شده است از برای شما بروزی، و مأمور شده اید بعمل، پس باید نباشد چیزی که ضمانت شده است از برای شما طلب کردن آن اولی بشما از چیزی که فرض و واجب شده است بر شما عمل آن.

با وجود این بحق خدا پیش آمده است شما را شك در ضمان روزی و مدخول

و مترلزل شده است یقین در فرض ربّ العالمین حتی این که گویا آنچه که ضمانت شده برای شما واجب کرده شده است بر شما و چیزی که فرض کرده بر شما انداخته شده است از گردن شما، پس بشتابید بسوی عمل، و بترسید از ناگهان رسیدن أجل، پس بدرستی که امید گرفته نمی شود از باز گشتن عمر آنچه که امید گرفته می شود از باز گشتن روزی، آنچه که فوت شده است امروز از روزی امید گرفته می شود فردا افزونی آن، و آنچه که فوت شده است دیروز از عمر امید گرفته نمی شود امروز باز گشتن آن، امید با آینده است که روزی فردا است، و نومییدی با گذشته است که عمر دیروزی است بس، و بترسید از خدا حق تقوی و ترسکاری، و ممیرید مگر در حالتی که شما هستید مسلمان و تسلیم دارید حکم ملک مَنان.

و من خطبه له علیه السلام فی الاستسقاء و هی المأه و الرابعه

اشاره

عشر من المختار فی باب الخطب

و هی ملتقطه من خطبه طویلله اوردها الصدوق فی الفقیه باختلاف کثیر ناتی بها بعد الفراغ من شرح ما رواه السید (ره) فی الکتاب لکثره فوائدها و مزید عوایدھا أَللّهُمَّ قد انصاحت جبالنا، و أغبرت أرضنا، و هامت دوابنا، «و تحیرت فی مرابضها خ»، و عبّجت عجیج الثکالی علی أولادها، و ملّت التردّد فی مراتعها، و الحنین إلی مواردها، أَللّهُمَّ فأرحم أنین الأئنه، و حنین الحانّه، أَللّهُمَّ فأرحم حیرتها فی مذاهبها، و أنینها فی موالجها، أَللّهُمَّ خرجنا إلیک حین اعتکرت علینا حدابیر السّینین، و أخلفتنا مخائل الجود، فکنت الرّجاء للمبتسّس و البلاغ للملمّس،

ندعوك حين قنط الأنام، و منع الغمام، و هلك السّوام، ألاّ تؤاخذنا بأعمالنا، و لا تأخذنا بذنوبنا، و انشر علينا رحمتك بالسّحاب المنبثق، و الرّيع المغدق، و النّبات المونق، سحا وابلًا تحيي به ما قد مات، و تردّ به ما قد فات، أللّهمّ سقيا منك محييه مرويه تامّه عامّه طيّبه مباركه هنيئه مريئه مريعه زاكيا نبتها، ثامرا فرعها، ناضرا ورقها، تنعش بها الضّعيف من عبادك، و تحيي بها الميّت من بلادك. أللّهمّ سقيا منك تعشب بها نجادنا، و تجرى بها وهادنا، و تخصب بها جنابنا، و تقبل بها ثمارنا، و تعيش بها مواشينا، و تندى بها أقاصينا و تستعين بها ضواحيننا، من بركاتك الواسعه، و عطاياك الجزيله على برّيتك المرمله، و وحشك المهمله، و أنزل علينا سماء مخضّله مدارا هاطله، يدافع الودق منها الودق، و يحفز القطر منها القطر، غير خلّب برقها، و لا جهام عارضها، و لا قزع ربابها، و لا شفّان ذهابها حتّى يخصب لإمراعها المجدبون، و يحيا ببركتها المستنون، فإنّك تنزل الغيث من بعد ما قنطوا، و تنشر رحمتك، و أنت الوليّ الحميد.

قال السيد رضى (ره) قوله (انصاحت) جبالنا أى تشققت من المحول يقال انصاح الثوب إذا انشقّ و يقال أيضا انصاح النبت و صاح و صوح إذا جفّ و يبس كلّه بمعنى، و قوله (هامت دوابنا) أى عطشت و الهيام العطش و قوله (حدابير السنين)

جمع حدبار و هى الناقه التى انضاها السّير فشبّه بها السنّه التى فشا فيها الجذب قال ذو الرّمه:

حدابير ما تنفكّ إلاّ مناخه على الخسف أو ترمى بها بلدا قفرا

وقوله (و لا- قزع ربابها) القزع الصغار المتفرّقه من السّحاب، وقوله (و لا- شفان ذهابها) فإنّ تقديره و لا ذات شفان ذهابها و الشفان الريح الباردة، و الذهاب الأمطار اللّينه فحذف ذات لعلم السامع به

اللغه

(الاستسقاء) استفعال بمعنى طلب السّقى مثل الاستمطار لطلب المطر و استسقيت فلانا إذا طلبت منه أن يسقيك و قد صار حقيقه شرعيه أو متسرّعه فى طلب الغيث بالدّعاء (و هامت دوابنا) يجوز أن يكون من الهائم بمعنى المتحيّر و (ثكلت) المرأه ولدها ثكلا- من باب تعب فقدته و الاسم الثكل و زان قفل فهى ثاكل و قد يقال ثاكله و ثكلى و الجمع ثواكل و ثكالى و فى بعض النسخ الثكلى بدل الثكالى و (أنّ) الرجل أنا و أنينا تأوّه و (الحنين) الشّوق و شدّه البكاء و (الآنّه الحانّه) الشّاه و النّاقه يقال ماله آنّه و لا حانّه.

و (عكر) على الشىء يعكر عكرا و عكورا و اعتكر كزوا نصرف، و العكار الكرار العطاف، و اعتكر الظلام اختلط و (الجود) بفتح الجيم المطر الغزير، و فى بعض النسخ الجود بضم الجيم و (قنط) يقنط من بابى ضرب و تعب و فى لغه من باب قعد فهو قانط و قنوط (و انبعق) السّحاب انبعج و انفرج بالمطر و (المغدق) من اغدق الشجر إذا ظهرت ثمرته و (السّح) بالصّم الصّب و السّيلان من فوق و (السّقيا) و زان فعلى بالصّم مؤنثه اسم من سقاه الله الغيث أنزله له و (مرويه) من باب الافعال أو التفعيل و منه يوم الترويه لثامن ذى الحجّه لأنّ الماء كان قليلا بمعنى فكانوا يرتوون من الماء لما بعد.

و (تعشب) بفتح المضارعه مضارع عشب و زان تعب أو بضمّها من باب الافعال يقال عشب الارض و اعشبت أى نبتت فهى عشبيه و عاشبه و معشبه أى كثيره العشب

و يقال اعشبت الأرض أيضا أى انبتت العشب فتكون الهمزه للتعديده و العشب بالضم الكلاء الرطب فى أوّل الربيع، و فى بعض النسخ تعشب بالبناء على المفعول.

و (النجاد) بكسر الأوّل جمع نجد و هو ما ارتفع من الأرض و يجمع أيضا على نجد كفلس و فلوس و (الوهاد) بكسر الأوّل أيضا جمع الوهد و هى المنخفضه من الارض و (خصب) الأرض من باب ضرب و علم و اخصبت أى اتّصفت بالخصيب و هو بكسر الخا كثره العشب و رفاغه العيش و (الجناب) بفتح الجيم الفناء بالكسر و هو سعه امام البيت أو ما امتدّ من جوانبه، و يطلق الجناب على الجانب من كلّ شىء أيضا و (أرمل) فلان أى افتقر و فقد زاده.

و (اخضله) المطر أى بلّه و السّماء المخضله أى تخضّل النبت و تبّله، و فى أكثر النسخ مخضّله و زان مبيّضه من اخضّل النبت اخضلالا أى ابتلّ و (حفره) كضربه دفعه بشدّه (البرق الخلب) المطمع المخلف و السحاب (الجهام) الذى لا ماء فيه و (العارض) السحاب الذى يعترض فى افق السّماء و (القرع) محركه قطع من السّحاب متفرّقه جمع قرعه، و (الزّباب) بفتح الأوّل السّحاب الأبيض و (الدّهاب) بكسر الدال جمع الدّهبه بالكسر أيضا المطره الضّعيفه و (مرع) الوادى بالضم مراعه أخصب بكثره الكلاء فهو مريع و الجمع امرع و أمرع مثل يمين و ايمن و أيمن.

و أرض محل - و محول - و محله و محل و ممحل و ممحله أى اتّصفت بالجذب و انقطاع المطر - و انضاهها السير أى هزلها و - الحدابير - فى بيت ذى الرّمه مما لم يذكره إلاّ السيد (ره)، و الموجود فى كتب الأدبيّه حراجيج و هكذا روى الشارح المعتزلى عن ابن الخشاب، و هى جمع حرجوج الناقه الضّامره و - الخسف - الذلّ و البلد القفر لا ماء فيه و لا نبات.

الاعراب

منع الغمام فعل لم يسمّ فاعله رعايه للأدب و استكراها لاضافه المنع إلى الله سبحانه و هو منبع النعم و مبدء الجود و الكرم، و فى بعض النسخ منع الغمام بصيغه

المعلوم فلا بدّ من حذف المتعلّق أى منع الغمام من المطر، و سحّا منصوب على المصدر أى تسحّ سحّا، و جملة تحيى به منصوبه المحلّ على الحال من فاعل نشر و سقيا منك، منصوب على المصدر أيضا و نجادنا بالرفع فاعل تعشب و يروى بالنصب فيكون مفعولا له بناء على كونه من باب الافعال متعدّيا حسبما مرّ فى بيان اللغه.

و قوله على برّيتك ظرف لغو متعلّق بالجزيله أو الواسعه على التنازع، و سماء مخضله تأنيث الوصف رعايه للفظ الموصوف و إن كان المعنى مذكّرا، و جملة يدافع الودق منصوبه المحلّ صفه لسماء أو حال منها لكونها نكره موصوفه أو من ضمير هاطله، و الوجهان جاربان فى نصب غير حلب.

و أمّا بيت ذى الرّمه فقد اعترض عليه غير واحد من علماء الأدبيه بكونه مخالفا للقواعد النحويه حيث أنّ شرط الاستثناء المفرغ أن يكون فى الكلام الغير الموجب و هذا الشرط مفقود هنا، لأنّ تنفكّ الناقصه مثل زال نفيها اثبات و اثباتها نفي فكما لا يجوز أن يقال ما زال زيد إلّا قائما، فكذلك لا يجوز ما تنفكّ إلّا مناخه، و لذلك قال الاصمعي: إنّ ذا الرّمه غلط فى ذلك إذ لا يقال جاء زيد إلّا راكبا.

و اجيب بوجوه: الاول أنّ الرواه غلطوا فيه و أنّ الروايه الصحيحه إلّا- مناخه بالتثوين أى شخصا الثانى أنّ تنفكّ تامه بمعنى تنفصل فنيها نفي أى ما تنفصل عن التعب أو ما تخلص منه و مناخه حال من الضمير فى تنفكّ أى لا تنفصل منه فى حاله من حالات إلّا فى حاله الاناخه الثالث أنها ناقصه و الخبر على الخسف و مناخه حال.

قال ابن هشام: و هذا فاسد لبقاء الاشكال إذ لا يقال جاء زيد إلّا راكبا يعنى أنّ الاشكال الذى هو وقوع الاستثناء المفرغ فى الايجاب لا يرتفع بهذا الجواب بل هو باق بحاله.

و قد يعترض عليه بأنّ الاستثناء المفرغ يقع فى الايجاب بشرطين كما صرّح به ابن الحاجب أحدهما أن يكون المستثنى فضله لا عمد، الثانى أن تحصل به فائده فلا يجوز ضربت إلّا زيدا إذ من المحال أن يضرب جميع الناس إلّا زيدا، و يجوز قرئت إلّا يوم كذا، لجواز أن يقرأ فى جميع الأيام إلّا فى ذلك اليوم و على

هذا فيرفع الاشكال ولا يبقى بحاله لأنّ مناخه إذا كان خيرا كان عمدته و أمّا إذا كان حالا كان فضله و كان الكلام مفيدا الرابع
أنّ لإزائده ذهب إليه ابن جنّي و حكى عن الاصمعي كما ذهب إليه ابن مالك قوله:

أرى الدهر الآ منجنونا بأهله و ما صاحب الحاجات إلاّ معذبا

هذا، و قوله: من بركاتك، بدل من قوله: منك، أى سقيا من بركاتك، و مخضله صفة لسماء و التانيث باعتبار لفظ الموصوف و
إن كان باعتبار معناه أعنى المطر مذكرا، و جملة يحفر القطراه عطف تفسير.

المعنى

إشارة

اعلم أنّ هذه الخطبة كما ذكره السيده (ره) خطب عليه السلام بها فى الاستسقاء أى فى مقام طلب السّقيا و توفير المياه، قال
شيخنا الشهيد طاب ثراه، و الاستسقاء أنواع أدناه الدّعاء بلا صلاه، و لا خلاف صلاه، و أوسطه الدّعاء خلف الصّلاه، و أفضله
الاستسقاء بركعتين.

و كفيّته على ما وردت فى الأخبار و تبه عليها علمائنا الأخيار أن يخرج الناس بعد التوبه و ردّ المظالم و تهذيب الأخلاق و صوم
ثلاثه أيام يكون ثالثها يوم الاثنين، و يبرزوا فى الثالث إلى الصّحراء و إن كانوا بمكّه فالى المسجد الحرام حفاه مشاه و نعالهم
فى أيديهم بسكينه و وقار متخشّعين مخبتين مستغفرين، و يخرجون الشيوخ و الصّبيان و البهائم و أهل الزّهد و الصّلاح، فاذا
حضروا فى المصلّى ينادى المؤذّنون بدل الأذان، الصّلاه ثلاثا، فيصلّى الامام بالناس ركعتين: يقرأ فى الاولى بعد الحمد سوره
بالجهر ثمّ يكبر خمسا و يقنت عقيب كلّ تكبيره و يدعو فى القنوت بالاستغفار و طلب الغيث و إنزال الرحمه، و من المأثور فيه:
اللّهم اسق عبادك و امائك و بهائمك و انشر رحمتك و أحي بلادك الميّته، ثمّ يكبر السادسة و يركع و يسجد السجدين ثمّ
يقوم إلى الركعه الثانيه فيفعل مثل ما فعل فى الاولى إلاّ أنّ التكبيرات فيها أربع و يقنت أربعاً أيضا عقيب التكبيرات، ثمّ يكبر
الخامسه و يركع و يسجد و يشهد و يسلم.

فلما فرغ من الصلاة يصعد المنبر و يحول رداءه فيجعل الذى على يمينه على يساره و الذى على يساره على يمينه تأسيًا برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و سئل الصادق عليه السلام عن تحويل النبي صلى الله عليه و آله و سلم رداه إذ استسقى قال عليه السلام: علامه بينه صلى الله عليه و آله و سلم و بين أصحابه يحول الجذب خصبا، و يخطب بخطبتين ثم يستقبل قبله فيكبر الله مائة تكبيره رافعا بها صوته، ثم يلتفت إلى يمينه فيسبح الله مائة مره رافعا بها صوته، ثم يلتفت إلى يساره فيهلل الله مائة تهليله رافعا بها صوته، ثم يستقبل الناس بوجهه فيحمد الله مائة رافعا بها صوته و الناس يتابعونه فى الأذكار دون الالتفات إلى الجهات، فان سقوا، و إلا عادوا ثانيا و ثالثا من غير قنوط بانين على الصوم الأول ان لم يفتروا و إلا فبصوم مستأنف إذا عرفت ذلك فنقول: إن من أفضل الخطب المأثوره فى هذا المقام و أفصحها ما خطب إمام الانام عليه السلام و هو قوله (اللهم قد انصاحت جبالنا) أى تشققت من المحل و الجذب (و اغبرت ارضنا) أى صارت كثير الغبار بانقطاع الأمطار (و هامت دوابنا) أى عطشت و تحيرت فى مراضها و مباركها من الظماء و فقدان النبات و الكلاء.

(و عجت) أى صرخت مثل (عجيج الثكالى على أولادها) يحتمل رجوع الضمير إلى الثكالى و رجوعه إلى الدواب و الأول أظهر (و ملت التردد فى مراتعها و الحنين إلى مواردها) و ذلك لأنها أكثرت من التردد فى مراتعها المعتاده فلم تجد فيها نباتا ترعاه فملت من التردد و كذلك لم تجد ماء فى الغدران و الموارد المعده لشربها، فحنت إليها و ملت من الحنين، و يئست من الانين.

(اللهم فارحم أنين الآئه) من الشياه (و حنين الحائنه) من النوق (اللهم فارحم حيرتها فى مذاهبها) و مسالكها (و أنينها فى موالجها) و مداخلها و إنما ابتداء عليه السلام بذكر الدواب و الأنعام لأنها أقرب إلى الرحمة و مظنه الافضال بها على المذنبين من الآئه.

و يرشد إلى ذلك ما فى منتخب التوراه، يابن آدم كيف لا تجتنبون الحرام، و لا اكتساب الآثام، و لا تخافون النيران، و لا تتقون غضب الرحمن، فلو لا مشايخ رقع، و أطفال رضع، و بهائم رقع، و شباب خشع، لجعلت السماء فوقكم حديدا

و الأرض صفصفا، و التراب رمادا، و لا انزلت عليكم من السماء قطره، و لا أنبت لكم من الأرض حبه، و يصب عليكم العذاب صبّا.

و فى النبوى لو لا أطفال رضع، و شيوخ ركع، و بهائم رتع لصب عليكم العذاب صبّا.

و فى الفقيه عن حفص بن غياث عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال: إنّ سليمان ابن داود عليه السلام خرج ذات يوم مع أصحابه ليستسقى فوجد نملة قد رفعت قائمه من قوائمها إلى السماء و هى تقول: اللهم إنا خلق من خلقك لاغناء بنا عن رزقك، فلا تهلكننا بذنوب بنى آدم، فقال سليمان لأصحابه: ارجعوا فقد سقيتم بغيركم.

و روى الرازى عن رجل أنه قال: أصاب الناس فى بعض الأزمنه قحط شديد فأصروا يستسقون، فلم يستجب لهم، قال الراوى: فأتيت وقتئذ إلى بعض الجبال فاذا بظبية قلقه من كثره العطش و شدّه الهيام مبادره نحو غدیر هناك، فلما وصلت إلى الغدير و لم تجد فيها ماء تحيرت و اضطربت و رفعت رأسها إلى السماء تحرّكه و تنظر إليها، فبينما هى كذلك رأيت سحابه ارتفعت و أمطرت حتى امتلاء الغدير فشربت منه و ارتوت ثم رجعت.

ثم قال عليه السلام (اللهم خرجنا إليك حين اعتكرت) أى تكررّت (علينا حدابير السنين) تشبيه السنين بالحدابير من باب تشبيه المعقول بالمحسوس و وجه الشبه عقلى، و هو أنّ الحدابير كما تتعب راكبها فكذلك السنون تتعب أهلها كما لا يخفى.

(و اخلفتنا مخائل الجود) أى الامارات التى توقع الجود فى الخيال و أراد بها البرق و السحاب التى يظنّ أنّها تمطر و ليست بماطره، فكأنها وعدت بالمطر فأخلفت و لم تف بوعده (فكنت الرجاء للمبتس) أى ذى البؤس الحزين (و البلاغ للمتمس) أى كفايه للطالب المسكين (ندعوك حين قنط الانام) و يأس (و منع الغمام) و حبس (و هلك السوام) أى الابل السائمه الرّاعيه.

(الّا- تؤاخذنا بأعمالنا و لا تؤاخذنا بذنوبنا) قال الشارح المعتزلى: الفرق بين المؤاخذة و الأخذ أنّ الأول عقوبه دون الثانى لأنّ الأخذ هو الاستيصال و المؤاخذة عقوبه

أقول: إن كان نصّ بذلك من أهل اللغة فلا بأس، وإلا فقولهم زياده المباني تدلّ على زياده المعاني يفيد عكس ما قاله، و كيف كان ففي كلامه عليه السّلام دلالة على أنّ للذنوب والمعاصي مدخلية في منع اللطف والرّحمة واستحقاق المؤاخذه والسخطه، و سرّ ذلك أنّ الجود الالهي لا يخل فيه ولا مانع له من قبله سبحانه وإنما يصل إلى الموادّ بحسب القابليه والاستعداد، و المنهمكون في المعاصي راغبون عن الله تعالى و عن تلقّي آثار رحمته، فهم لانهماكهم في الفساد اسقطوا أنفسهم عن الاستعداد، و حرّى بمن كان كذلك أن يمنع من الفيوضات و يحرم من البركات.

و قد روى في الأخبار أنّ كلاً من أصناف الذنوب تورث نوعاً خاصاً من المؤاخذات الدنيوية، مثل ما رواه في الفقيه عن عبد الرحمن بن كثير عن الصادق عليه السّلام أنه قال:

إذا فشت أربعة ظهرت أربعة إذا فشا الزنا ظهرت الزلازل، و إذا امسكت الزكاه هلكت الماشيه، و إذا جار الحاكم في القضاء أمسك المطر من السماء، و إذا خفرت (١) الذمه نصر المشركون على المسلمين.

و في الكافي عن أبان عن رجل عن أبي جعفر عليه السّلام قال قال رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم خمس إن أدركتموهنّ فتعوذوا بالله منهنّ: لم تظهر الفاحشه في قوم قطّ حتى يعلنوها إلاّ ظهر فيهم الطاعون و الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، و لم ينقصوا المكيال و الميزان إلاّ اخذوا بالسنين و شدّه المؤنه و جور السلطان، و لم يمنعوا الزكاه إلاّ منعوا القطر من السماء و لو لا البهائم لم يمطروا، و لم ينقضوا عهد الله و عهد رسوله إلاّ سلط الله عليهم عدوهم و أخذوا بعض ما في أيديهم، و لم يحكموا بغير ما أنزل الله إلاّ جعل الله بأسهم بينهم.

و عن أبي حمزه عن أبي جعفر عليه السّلام قال وجدنا في كتاب رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم إذا ظهر الزنا من بعدى كثر موت الفجأه، و إذا طقّف المكيال و الميزان أخذهم الله بالسنين و النقص، و إذا منعوا الزكاه منعت الأرض بركتها من الزرع و للثمار و المعادن كلّها، و إذا جاروا في الأحكام تعاونوا على الظلم و العدوان، و إذا نقضوا العهد سلط الله عليهم عدوهم، و إذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار، و إذا

ص: ٨٠

١- (١) خفر خفوراً و خفراً نقض عهده و غدره كأخفره، قاموس.

لم يأمرُوا بالمعروف و لم ينهوا عن المنكر و لم يتبعوا الأخيار من أهل بيتى سلط الله عليهم شرارهم فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم.

ثم قال عليه السلام (و انشر علينا رحمتك بالسحاب المنبثق) أى المنفرج بالمطر و السائل الكثير السيلان (و الربيع المغدق) المظهر للثمر (و النيات المونق) المعجب (سحا) أى صبأ (وابلا) أى مطرا شديدا (تحىى به ما قد مات و تردّ به ما قد فات) من الزرع و النباتات (اللهم سقيا منكم محييه) للموات (مرويه) للنبات (تامه) ثمراتها (عامه) بركاتها (طيبه مباركه هنيئه مريئه مريعه) أى سائغه لذيذه خصيه واسعه (زاكيا) ناميا (نبتها ثامرا فرعها) أى يكون فرعها ذا ثمر (ناضرا ورقها) أى يكون ورقها ذا نضره و حسن و بهجه (تنعش) و ترفع (بها الضعيف من عبادك و تحىى بها الميت من بلادك اللهم سقيا منكم تعشب بها نجادنا) أى تنبت بها أراضينا المرتفعه (و تجرى بها و هادنا) أى تسيل بها أراضينا المنخفضه المطمئنه (و تخصب بها جنابنا) أى تكثر بها عشب فائنا و جوانبنا (و تقبل بها ثمارنا و تعيش بها مواشينا و تندى) أى تنتفع بها (أقاصينا) و أبعادنا (و تستعين بها ضواحيننا) و نواحيننا (من بركاتك الواسعه و عطايك الجزيله) العظيمة الكثيره (على بريتك المرملة) المفتقره (و وحشك المهمله) المرسله التى لا راعى لها و لا صاحب يشفق بها (و أنزل علينا سماء مخضله) مبتله (مدرارا هاطله) أى كثيره الدرور متتابعه (يدافع الودق منها الودق و يحفز القطر منها القطر) أراد بذلك كثرتها و شدتها و كونها أعظم و أغزر.

و أكد ذلك بقوله (غير خلب برقها و لا جهام عارضها و لا قزع ربابها و لا شقان ذهابها) أى لا يكون برقها مطمعا مخلفا، و لا سحبها المعترض فى افق السماء خاليا من الماء، و لا سحبها الأبيض قطعا متفرقه، و لا أمطارها اللينه الضعيفه ذات ریح بارده بالزرع و النبت مضره و أراد بذلك كله عموم نفعها و كثره منفعتها (حتى يخصب لامراعها المجذبون) أى يتصف أهل الجذب بالخصب و رفاغه العيش لكثرة كلائها (و يحيى ببركتها المستنون) الذين أصابتهم السنه و جهد القحط

(فأنك تنزل الغيث من بعد ما قنطوا و تنشر رحمتك) و هذا اشاره إلى حسن الظنّ بالله و عدم القنوط و اليأس من روح الله (و أنت الولي) للنعم و الاحسان و (الحميد) بالكرم و الامتنان و أنت على كلّ شيء قدير و بالاجابه حقيق جدير.

تكملة

ينبغي أن نورد تمام تلك الخطبه على ما فى الفقيه و تتبعها بتفسير بعض ألفاظها الغريبه، فأقول: قال الصدوق (ره): و خطب أمير المؤمنين عليه السلام فى الاستسقاء فقال:

الحمد لله صابغ النعم، و مفرّج الهمّ، و بارىء النّسم، الذى جعل السماوات لكرسيه عمادا، و الجبال للأرض أوتادا، و الأرض للعباد مهادا، و ملائكته على أرجائها، و عرشه على أمطائها، و أقام بعزّته أركان العرش، و أشرق بضوئه شعاع الشمس، و أحيا بشعاعه ظلمه الغطش الدياتير، و فجر الأرض عيوننا، و القمر نورا و النجوم بهورا ثمّ علا فتمكّن، و خلق فأتقن، و أقام فتهيمن، فخضعت له نخوه المستكبر، و طلبت إليه خله المتمسكين «المتمكن خ»، اللهم فبدرجتك الرفيعه و محلّتك المنيعه و فضلك السابغ، و سبيلك الواسع، أسئلك أن تصلّى على محمّد و آل محمّد كما دان لك، و دعا إلى عبادتك، و وفا بعهدك، و أنفذ أحكامك، و أتبع أعلامك، عبدك و نبيك و أمينك على عهدك إلى عبادك القائم بأحكامك، و مؤيد من أطاعك و قاطع عذر من عصاك، اللهم فاجعل محمّدا أجزل من جعلت له نصيبا من رحمتك، و أنضر من أشرق وجهه بسجال عطاياك، و أقرب الأنبياء زلفه يوم القيامه عندك، و أوفرهم حظّا من رضوانك، و أكثرهم صفوف امه فى جنانك، كما لم يسجد للأحجار، و لم يعتكف للأشجار، و لم يستحلّ السباء، و لم يشرب الدماء.

اللهمّ خرجنا إليك حين فاجأتنا المضايق الوعره، و ألجأتنا المحابس العسره و عضّتنا علائق الشين، و تأثلت علينا لواحق المين، و اعتكرت علينا حدابير السنين و أخلفتنا مخائل الجود، و استظمنا لصوارخ القود، و كنت رجاء المبتس، و الثقه للملتمس، ندعوك حين قنط الأنام، و منع الغمام، و هلك السّوام، يا حيّ يا قيوم،

عدد الشجر و النجوم، و الملائكة الصّيفوف، و العنان المكفوف، ألا تردّنا خائبين و لا تؤاخذنا بأعمالنا، و لا تخاصمنا بذنوبنا، و انشر علينا رحمتك بالسيّحاب المنساق و النبات المونق، و امن على عبادك بتنوع الثمره، و أحي بلادك ببلوغ الزّهره، و اشهد ملائكتك الكرام السفره، سقيا منك نفعه دائمه غزرها و اسعا درّها، سحابا و ابلا، سريعا عاجلا تحيي به ما قد مات و تردّ به ما قد فات، و تخرج به ما هو آت.

اللهمّ اسقنا غيثا مغيثا ممرعا طبقا مجلجلا متتابعا خفوقه، منبجسه بروقه، مرتجسه هموعه، و سيبه مستدر، و صوبه مستطر، لا تجعل ظلله علينا سموما، و برده علينا حسوما، وضوئه علينا رجوما، و مائه أجاجا، و نباته رمادا رمادا.

اللهمّ انا نعوذ بك من الشّرك و هواديه، و الظلم و دواهيه، و الفقر و دواعيه يا معطي الخيرات من أماكنها، و مرسل البركات من معادنّها، منك الغيث المغيث و أنت الغياث المستغاث، و نحن الخاطئون و أهل الذنوب، و أنت المستغفر الغفار، نستغفرك للجّهالات من ذنوبنا، و نتوب إليك من عوامّ خطايانا اللهمّ فأرسل علينا ديمه مدرارا، و اسقنا الغيث و اكفا مغزارا، غيثا و اسعا و برکه من الوابل نفعه، تدافع الودق بالودق، و يتلو القطر منه القطر، غير خلّب برقه و لا مكذب رعدّه، و لا عاصفه جنائبه، بل ريا يقصّ بالريّ ربابه، و فاض فانضاع به سحابه، جرى آثار هيدبه جنابه، سقا منك مجلبه «محييه خ» مرويه مفضله محفله زاكيا نبتها، ناميا زرعتها، ناضرا عودها، ممرعه آثارها، جاريه بالخصب و الخير على أهلها، تنعش بها الضّعيف من عبادك، و تحيي بها الميّت عن بلادك، و تنعم بها المبسوط من رزقك، و تخرج بها المخزون من رحمتك، و تعمّ بها من نأى من خلقك حتى يخصب لا مراعتها المجدبون، و يحيي ببركتها المستنون، و تترع بالقيعان غدرانها، و تورق ذرى الآكام زمراتها، و يدهام بذرى الآجام شجرها، و يستحقّ علينا بعد اليأس شكرا منه من منتك مجلله، و نعمه من نعمك مفضله على برّيتك المرمله، و بلادك المعرّنه، و بهائمك المعمله، و وحشك المهمله

اللهم منك ارتجاؤنا، وإليك مآبنا، فلا تحبسه علينا لتبطنك سرائرنا، ولا تؤاخذ بما فعل السفهاء منا، فأنك تنزل الغيث من بعد ما قنطوا و تنشر رحمتك و أنت الولي الحميد.

ثم بكى عليه السلام فقال: سيدي صاحت جبالنا، و اغبرت أرضنا، و هامت دوابنا و قنط الناس منا أو من قنط منهم، و تاهت البهائم، و تحيرت في مراتعها، و عجت عجيج الثكالي على أولادها، و ملت الدوران في مراتعها حين حبست عنها قطر السماء، فذق لذلك عظمها، و ذهب لحمها و ذاب شحمها، و انقطع درها.

اللهم ارحم أنين الآنه، و حنين الخائنه، ارحم تحيرها في مراتعها، و أنينها في مراتعها، هذا.

و يعجبني أن اردف هذه الخطبه الشريفه بخطبتي السيدين الجليلين الامامين الهمامين الثورين الثيرين أبي محمّد الحسن و أبي عبد الله الحسين عليهما و على جدّهما و أبيهما و الطيبين من آلهما صلوات الله و سلامه ملاء الخافقين، ليعلم أنّ كلامهما تالي كلام أبيهما في الفصاحه، و أنّ الكلّ قد بلغ الغايه في البراعه و البلاغه.

وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ «كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَ فَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا».

قال في الفقيه: و جاء قوم من أهل الكوفه إلى علي عليه السلام فقالوا يا أمير المؤمنين ادع لنا بدعوات في الاستسقاء، فدعا علي عليه السلام الحسن و الحسين عليهما السلام فقال:

يا حسن ادع، فقال الحسن عليه السلام:

اللهم هيج لنا السحاب بفتح الأبواب، بماء عباب، و رباب بانصباب و انسكاب يا وهاب، و اسقنا مطبقه مغدقه مونه، فتح اغلاقها، و سهل اطلاقها، و عجل سيقها بالأنديه في الأوديه يا وهاب، بصوب الماء يا فعال، اسقنا مطرا قطرا ظلا مظلا طبقا طبقا عاما معما رهما بهما رحيمًا رشا مرشا واسعا كافيا عاجلا طيبا مباركا سلاطح بلاطح يناطح الأباطح مغدودقا مطبوقا مغرورقا، و اسق سهلنا و جبلنا،

و بدونا و حضرنا، حتى ترخص به أسعارنا، و تبارك به في ضياعنا و مدننا أرنا الرزق موجودا و الغلا- مفقودا، آمين ربّ العالمين.

ثم قال للحسين عليه السّلام: ادع، فقال الحسين عليه السّلام اللهمّ معطى الخيرات من مظانها، و منزل الرحمات من معادننا، و مجرى البركات على أهلها، منك الغيث المغيث، و أنت الغياث و المستغاث، و نحن الخاطئون و أهل الذنوب، و أنت المستغفر الغفار، لا- إله إلا أنت، اللهمّ أرسل السماء علينا دبهمة مدرارا، و اسقنا الغيث و اكفنا مغزارا، غيثا مغيثا و اسعنا مسبغا مهطلا مريئا مريعا غدقا مغدقا عابا مجلجلا صحا صحصا حابسا بساسا مسبلا عاما و دقا مطفاحا، تدفع الودق بالودق دفاعا و يطلع القطر منه القطر غير خلب البرق، و لا مكذب الرعد، تنعش بها الضعيف من عبادك، و تحيي به الميت من بلادك، و تستحق علينا مننك آمين ربّ العالمين.

فما تمّ كلامه عليه السّلام حتّى صبّ الله الماء صبا، فسئل سلمان الفارسي فليل يا أبا عبد الله هذا شيء علماه؟ فقال (رض) و يحكم ألم تسمعوا قول رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم حيث يقول: اجريت الحكمة على لسان أهل بيتي.

بيان

«النّسم» جمع النّسمه محرکه و هي الانسان و «الأرجاء» جمع الرّجاء و هي الناحيه و «الأمطاء» جمع المطاء و هو الظهر و الضمير في ضوئه راجع إلى العرش كما روى أن نور الشّمس من نور العرش و «غطش» اللّيل أظلم، قال الطريحي و في الحديث اطفأ بشعاعه ظلّمه الغطش أى ظلّمه الظلام و «الدياجير» جمع الدّيجور و هو الظلام و ليله ديجور أى مظلّمه و «البهور» المضىء و «المهيمن» من أسمائه تعالى القائم على خلقه بأعمالهم و آجالهم و أرزاقهم و قيل: الرّقيب على كلّ شيء.

و «النخوه» بالفتح فالسّكون الافتخار و التعظم و «الخلّه» الفقر و الخصاصه و «المستمسكين» الطّالبون للمسكّه و هو بالضم ما يمسك الأبدان، من الغذاء و الشراب، و في بعض النسخ المتمسّكين أى المعتصمين به و «السّجال» دلو عظيم مملؤه، و الكاف في قوله «كما لم يسجد» للتعليل على حدّ قوله تعالى: و اذكروه

كما هديكم، أى لأجل هدايتكم.

و «السَّيْبَاء» بالكسر و المدّ الخمر و «الوعر» ضدّ السهّل و «العسره» الصَّيْبَة الشَّديده و «السَّيْن» خلاف الزَّين، و قيل ما يحدث فى ظاهر الجلد من الخشونه يحصل به تشويه الخلقه و «تأثَّلت» علينا أى اجتمعت و «المين» الكذب و «القود» بالفتح الجمل المسن و هو الذى جاوز فى السن البازل، قال الطريحي: و فى حديث الاستسقاء و استظمانا لصوارخ القود، أى ظمأنا من ظمأ ظماء مثل عطش عطشا و زنا و معنى و القود الخيل.

و قوله «عدد الشجر» من متعلقات ندعوك قال الجوهري «عان» السَّيْماء هو ما عنّ لك منها أى بدا إذا رفعت رأسك و «زهر» الثَّبات نوره الواحده زهره كتمر و تمره و قد تفتح الهاء و «الغزر» شده النفع و عمومه و «غيثا مغيثا» أى مطرا نافعا و «ممرعا» أى خصيبا واسعاً و «طبعا» أى مغطيا للأرض ما لئالها كلّها، من قولهم غيم طبق أى عام واسع أى من طبق الغيم تطبيقا إذا أصاب بمطره جميع الأرض و مطر طبق أى عام.

و «مجلجلا» أى مشتتلا على الجلجله و هو صوت الرعد و «خفق» المطر خفوقا إذا سمع دوىّ جريه و «منبجسه بروقه» أى منفجره بروقه بالماء من الانبجاس و هو الانفجار قال سبحانه:

«فَأَنْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا».

و «مرتجسه هموعه» الهموع بالضمّ السَّيْلان أى يكون هموعه مشتمله على الرّجس و هو بالفتح الصّوت الشديده من الرّعد يقال رجست السَّيْماء رعدت شديدا و تمخضت و «السَّيْب» بالفتح مصدر ساب أى جرى و مشى مسرعا، و بالكسر مجرى الماء و «الصَّوب» الانصباب و «المستطر» المنتشر و «الظلل» جمع الظله و هى ما وارى الشّمس منه من السَّحاب و «الحسوم» بالضمّ الشّوم و «رماد رمده» كز برج و درهم كثير دقيق جدّا أو هالك و «الهادى» الأوائل جمع الهادى

و«الدّواهي» جمع الدّاهيه و هي النائبه و المصيبه و «عوامّ خطايانا» و زان دواب و الظّاهر أنّه جمع عام قال في القاموس: و التعويم وضع الحصيد قبضه فاذا اجتمع فهي عامه و الجمع عام و «درّ» السماء بالمطر درّا درورا فهي مدرار و «و كف» البيت يكف قطر، و كف البيت بالمطر سال و «عاصفه جنائبه» قال الطريحي كأنّه يريد الرّيح الجنوبيه فانها تكثر السّحاب و تلحق روادفه بخلاف الشماليه فانها تمزقه و «الرّي» بالكسر اسم من روى من الماء رّيّا و رّيّا بالفتح و الكسر و «يقص بالرّي» أى يرجع و «الفيضان» السّيّلان و «الانضياح» التحرك أو من انضاع الفرخ بسط جناحيه إلى امّه لتزقّه و «الهيذب» السحاب المتدلى و «الجناح» الفناء و الناحيه و «محفله» من حفل الماء و اللبن اجتمع و الوادى بالسيل جاء بملىء جنيبه و السماء اشتدّ مطرها و «من نأى من خلقك» أى من تباعد منهم عن ذكر الله من النّأى و هو البعد.

«و تترع بالقيعان غدرانها» أى تملأ، و القيعان جمع القيعه و هي كالقاع ما استوى من الأرض، و الغدران جمع الغدير و هو النهر و «الآكام» كأعناق جمع اكمه و هو التّل الصّغير و «الزمره» الجماعه و الباء فى قوله «بذرى الآجام» للظرف و «بلادك المعرنه» من عرنت الدّار عرانا بعدت و ديار عران و عارنه بعيده «و بهائمك المعمله» أى المعدّه للعمل يقال ناقه عمله كفرحه بيّنه العماله فارهه و العوامل لبقر الحرث و «لتبطنك سرائرنا» مصدر باب التّفعل أى لوقوفك على بواطن سرائرنا و «عباب» الماء معظمه و «اسقنا مطبقه مغدقه مونقه» المطبقه السّحابه بعضها على بعض و المغدقه بالغين المعجمه و الدّال المهمله الكثيره الغزيره، و المونقه المفرحه من الاتق و هو الفرخ و السّرور أو المعجبه.

و «الأنديه» جمع الندى و هو المطر و «الظلّ» من السّحاب ما وراى الشّمس منه أو سواده و «المظلّ» صاحب الظلّ و «طبقا مطبقا» أى مطرا عاما مغطيا للأرض و «عاما معّمًا» أى مطرا شاملا يعمّ بخيره قال فى القاموس يقال عمّمهم

بالعطيه و هو معَمَّ خَيْرٍ بكسر أوّله يعَمَّ بخيره و عقله و «رهما» وزان عنب جمع رهمه بالكسر و هي المطره الدائمة و يقال الرهمه أشدّ دفعا من الديمه.

و «البهيم» الخالص الذى لم يشبه غيره و «الرّحيم» مبالغه فى الرّاحم من رحمت زيدا رحمه رفقت له و حننت و «رشت» السيماء امطرت و أرشت بالهمزه لغه و منه مرشًا و رشّ الماء صبّه قليلا قليلا و «سلاطح بلاطح يناطح الأباطح» السلاطح بالضّم و زان علابط العريض، قال الفيروز آبادى و سلاطح بلاطح اتباع، و قال الطريحي السّلاطح الصلطح الضخّم و البلطح كبلاح الذى يضرب بنفسه الأرض، و السلاطح و الصّلاطح كعلابط العريض و قوله عليه السّلام فى الاستسقاء: سلاطح بلاطح يناطح الأباطح يريد كثره الماء و قوّته و فيضانه و حينئذ فلا حاجه إلى جعل بلاطح من الاتباع كشيطان ليطان انتهى.

و «نطحه» نطحا ضربه و أصابه بقرنه و «الأباطح» جمع الأبطح و هو مسيل واسع فيه دقاق الحصى و «الديمه» بالكسر المطر يدوم فى سكون بلا رعد و برق أو تدوم خمسه أو ستّه أو سبعة أو يوما و ليله و «مهطلا» أى متتابعا من الهطل و هو تتابع المطر المتفرّق العظيم القطر و «صحّا صحصاحا» الصّحّ بالضم البراءه من كلّ عيب و صحصاحا قال الطريحي كأنّه أراد مستويا متساويا و «بسّا بساسا» البس بالفتح ارسال الماء و تفريقها فى البلاد و البساس مبالغه فيه و «مطفاحا» من طفح الأثناء امتلاء و ارتفع و طفاح الأرض ملاءها هذا.

و الله العالم بحقايق كلام أوليائه عليهم السّلام.

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن مقتدای کونین و پیشوای ثقلین است در مقام خواستن باران.

بار خدایا شکافته شد کوههای ما از خشکی، و گرد آلود شد زمین ما و بسیار تشنه شد چهارپایان ما، و متحیر شدند در محلّهای خوابیدن خود، و ناله کردند مثل ناله زنان بچه مرده بر فرزندان خود، و ملال آوردند از تردّد نمودن در

بار خدایا رحم کن بر ناله ناله کنندگان، و اشتیاق و فغان مشتاقان.

بار خدایا پس رحم کن بر حیرت و سرگردانی ایشان در مواضع رفتن ایشان و رحمت فرما بر ناله ایشان در مکانهای در آمدن ایشان.

بار خدایا بیرون آمدیم بسوی تو در حینی که مختلط شد بر ما شتران لاغر قحط سالها، و وعده خلافی کرد ما را علامتهای باران، پس هستی تو امید مراندوه‌گین را و رساننده بمطلوب التماس کننده حزین را، می خوانیم ترا در زمانی که نا امید شدند مردمان، و ممنوع شد از باریدن ابرهای آسمان، و هلاک شد چرندگان این که مؤاخذه نکنی بر عملهای ما، و اخذ نکنی ما را بگناهان ما، و نشر کن بر ما رحمت بی نهایت خود را بأبرهای منفجر بیاران سخت و با شدت، و با بهار ظاهر کننده میوه ها، و با نبات و گیاه تعجب آورنده خلقها در حالتی که بریزد بر ما ریختنی بیاران فراوان که زنده سازی بآن آنچه که مرده، و باز گردانی بآن آنچه که فوت گشته.

بار خدایا آب ده ما را آب دادنی از جانب خود که زنده سازد زمین مرده را و سیراب گرداننده باشد و متصف شود بتمامی و عموم منفعت و پاکیزگی و ببرکت و گوارائی و وسعت، در حالتی که نمو کننده باشد گیاه آن، میوه دهنده باشد شاخ آن، تر و تازه باشد برگ آن که بلند نمائی بآن، و قوت دهی عاجز و ذلیل را از بندگان خود، و زنده سازی بآن مرده را از شهرهای خود.

بار خدایا آب ده ما را آب دادنی از نزد خود که پر گیاه شود بآن زمینهای بلند ما، و جاری شود بآن زمینهای نشیب ما، و بفراخ سالی در آید بسبب آن اطراف و جوانب ما و روی آورد و اقبال کند بجهه آن میوه‌های ما، و زندگانی نماید بآن چهار پایان ما، و نمناک بشود بآن جماعتی که از ما دورند، و استعانت جویند بآن مردمانی که در نواحی ما هستند از برکتهای با وسعت خودت و عطا‌های بزرگ خودت بر مردمان صاحب احتیاج خود، و حیوانات وحشی بی صاحب خود، و نازل کن بر ما باران تر کننده بارنده بسیار ریزان که دفع کند باران بزرگ قطره

دیگر را از غایت شدت، و برانگیزاند قطرها از آن قطره‌های دیگر را در حالتی که نباشد برق آن طمع آورنده و خلف کننده، و نه ابر پهن شده در کنار آسمان آن خالی از آب، و نه ابرهای سفید آن پاره‌های کوچک کوچک، و نه بارانهای نرم آن صاحب بادهای خنک، تا آنکه فراخ سالی یابند بجهت بسیاری گیاههای آن قحط یا بندگان، و زنده شوند ببرکت آن سختی کشیدگان، پس بدرستی که تو فرو فرستی باران را از پس آنکه نومید میشوند مردمان، و پراکنده می سازی رحمت خود را بر عالمیان، و توئی ولی نعمتها، و ستوده در صفتها

و من خطبه له علیه السلام و هی المأه و الخامسه عشر من المختار

اشاره

فی باب الخطب

أرسله داعيا إلى الحق، و شاهدا على الخلق، فبلغ رسالات ربه غير وان و لا مقصير، و جاهد في الله أعدائه غير واهن و لا معذر، إمام من اتقى، و بصر من اهتدى. منها: و لو تعلمون ما أعلم ممّا طوى عنكم غيبه إذا لخرجتم إلى الصّعدات تبكون على أعمالكم، و تلتدمون على أنفسكم، و لتركتم أموالكم لا- حارس لها و لا خالف عليها، و لهمت كلّ امرء منكم نفسه، لا يلتفت إلى غيرها، و لكنكم نسيتم ما ذكرتم، و أمتتم ما حدّرتم، فتاه عنكم رأيكم، و تشتت عليكم أمركم، و لوددت أنّ الله فرّق بيني و بينكم، و ألحقني بمن هو أحقّ بي منكم، قوم و الله ميامين الرّأى، مراجيح الحلم، مقاويل بالحقّ، متاريك للبغي، مضوا قدما على

ص: ۹۰

الطريقة، و أوجفوا على المحجّه، فظفروا بالعقبى الدائمه، و الكرامه البارده، أما و الله ليسلطنَ عليكم غلام ثقيف الذّيال الميال، يأكل خضرتكم، و يذيب شحمتكم، ايه أبا وذحه. قال السيد (ره) اقول: الودحه الخنفساء و هذا القول يؤمى به الى الحجاج و له مع الودحه حديث ليس هذا موضع ذكره

اللغه

(الوانى) الفاتر الكال و (المعدّر) بالثقل الذى يعتذر من تقصيره بغير عذر كما قال تعالى: و جاء المعدّرون من الأعراب و (الصيّعدات) جمع الصيّعد و هو جمع صعيد قال الشارح المعتزلى: الصيّع يد التراب و يقال وجه الأرض و الجمع صعد و صعديات كطريق و طرق و طرقات، و عن النهايه فيه اياكم و القعود بالصيّعدات هى الطرق و هى جمع صعد و صعد جمع صعيد كطريق و طرق و طرقات و قيل هى جمع صعده كظلمه و هى فناء باب الدار و ممّر الناس بين يديه، و منه الحديث لخرجتم إلى الصّعدات تجأرون.

و (الالتدام) ضرب النساء و جوههنّ فى النباحه (و لهمت كلّ امرء) قال الشارح المعتزلى أى أذابته و انحلتته، هممت الشّحم أى أذبته، و يروى: و لا- همّت كلّ امرء و هو أصحّ من الرّوايه الاولى، أهمنى الأمر اذا حزنى، انتهى. و فيه نظر لأنّ همّ أيضا يكون بمعنى أهمّ قال الفيروز آبادى: همّه الأمر همّا حزنه كأهمّه فاهتمّ و السقم جسمه أذا به و أذهب لحمه و الشّحم أذابه فانهمّ ذاب.

(و مراجيح) الحلم قال الجوهري: راجحته فرجحته أى كنت ارزن منه و منه قوم مراجيح الحلم و (المقاويل) جمع مقوال و (المتاريك) جمع متراك و (قدما) بالضمّ و بضمّتين و (الذّيال) هو الذى يجرّ ذيله على الأرض تبختر يقال: ذأل فلان من باب منع ذألا- و ذألانا تبختر و (الخضره) بفتح الخاء و كسر الضاد الزرع، و البقله الخضراء و الغضّ، و قال فى القاموس (الودح) محرّكه ما

تعلق بأصواف الغنم من البعر و البول الواحد بها و الجمع و ذح كبدن، و قال الشارح المعتزلى فى قول السيد (ره): الودحه الخنفساء و لم اسمع هذا من شيخ من أهل الأدب و لا وجدته فى كتاب من كتب اللغه و لا أدرى من أين نقل الرضى ذلك

الاعراب

داعيا و شاهدا و غير وان و غير واهن، منصوبات على الحال، و امام خبر محذوف المبتدأ، و كلّ منصوب على المفعول و الفاعل نفسه، و ايه اسم فعل يراد به الاستزاده أى زدوهات، قال فى القاموس: ايه بكسر الهمزه و الهاء و فتحها و تنون المكسوره كلمه استزاده و استنطاق، و قال الطريحي ايه اسم سمي به الفعل لأنّ معناه الأمر يقال للرجل زد اذا استردته من حديث أو عمل ايه بكسر الهاء، قال ابن السكيت فان وصلت نونت فقلت ايه حديثا، و إذا أردت التبعيد بايه قلت أيها بفتح الهمزه بمعنى هيهات، و من العرب من يقول ايهات و هو فى معنى هيهات.

و فى كتاب شرح الاثبات: إذا قلت ايه بغير تنوين فكان مخاطبك كان فى حديث ثم أمسك فأمرته بالشروع فى الحديث الذى كان فيه أى هيهات الحديث، فإذا قلت أيه بالتنوين فكأنك أمرته ابتداء بأن يحدث حديثا أى هات حديثا.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه على ما يستفاد من شرح البحرانى ملتقطه من خطبه طويله خطب عليه السّلام بها فى الكوفه لاستنهاض أصحابه إلى حرب الشام و ما ظفرت بعد على تمامها، و ما أورده السيد (ره) منها فى الكتاب يدور على فصلين:

الاول فى ذكر ممدوح النبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم و ذكر بعض أوصافه الجميله و نعوته الجليله، و هو قوله (أرسله داعيا إلى الحقّ) بالحكمه و الموعظه الحسنه (و شاهدا على الخلق) يوم القيامة كما قال تعالى:

«وَ شَاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ» فقد فسر الشّاهد بمحمّد صلى الله عليه و آله و سلّم، و المشهود بيوم القيامة

أَمَّا الْأَوَّلُ فَلَقَوْلُهُ تَعَالَى:

«فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا» و أَمَّا الثَّانِي فَلَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ».

و قد تقدّم تحقيق هذه الشّهاده بما لا مزيد عليه فى شرح الخطبه الحاديه و السبعين فتذكّر.

(فبلغ رسالات ربّه) سبحانه (غير وان) فى الابلاغ (و لا مقصير) فى الانذار (و جاهد فى الله) تعالى (أعدائه غير واهن) فى الجهاد (و لا- معذّر) من قتال الانجاد و هو (امام من اتقى) لأنّه قدوه المتّقين فى كيفيه سلوك سبيل التّقوى و الصّلاح (و بصر من اهتدى) لأنّه نور المتهددين فى المسير إلى طريق الخير و الفلاح كما يهتدى بالبصيره إلى سبيل الرشاد و يسلك بها نحو القصد و السداد يهتدى بالبصر إلى الجادّه الوسطى و الطريق المستقيم.

و الفصل الثانى اخبار عن الغيب و اظهار لما يتلى به أهل الكوفه بسوء أعمالهم و قبح فعالهم و هو قوله عليه السّلام (و لو تعلمون ما أعلم ممّا طوى) و اخفى (عنكم غيبه) و باطنه (إذا لخرجتم إلى الصّعدات) أى خرجتم عن البيوت و تركتم الاستراحه و الجلوس على الفرش للقلق و الانزعاج و جلستم فى الطريق أو على التراب (تبكون على أعمالكم) التى كان الواجب تركها (و تلتدمون على أنفسكم) للتقصير فيما يجب عليكم فعله (و لتركتم أموالكم لا حارس لها) يحرسها (و لا خالف عليها) يستخلفها (و لهمت كلّ امرئ منكم نفسه) أى أذابته أو حزنه لا- يلتفت إلى غيرها (و لكنكم نسيتم ما ذكّرتم و أمتتم ما حدّرتم) أراد بذلك ما ذكّره عليه السّلام به ممّا فيه نظام امورهم و تحذيرهم مما أوجب إداله الأعداء منهم و تسلط الولاه السّوء عليهم، و هو النّفاق و تشّتت الأهواء، و اختلاف الآراء.

ص: ٩٣

(فتاه) (١) أى ضلّ و تخيّر أو هلك و اضطرب (عنكم رأيكم) أى عقلكم و تدبيركم (و تشتت عليكم أمركم) بغلبه العدو على بلادكم.

ثمّ تمّنى مفارقتهم بقوله (و لوددت أنّ الله فُزّق بينى و بينكم و ألحقنى بمن هو أحقّ) و أخرى (بى منكم) أراد به رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم و حمزه و جعفر و من لم يفارق الحقّ من الصّحابه (قوم و الله ميامين الرأى) و مبارك الآراء (مراجيح الحلم) و ثقال الحلوم لا يستخفّتهم جاهليه الجهلاء (مقاويل بالحقّ متاريك للبعى) أى أكثرون قولاً بالحقّ و الصّدق و تركا للبعى و الظلم (مضوا قدما) أى متقدّمين (على الطريقه) الوسطى (و أوجفوا) أى أسرعوا (على المحجّه) البيضاء غير ملتفتين عنها (فظفروا) و فازوا (بالعقبى الدائمه و الكرامه الباردة) التى ليس فيها تعب و لا مشقه حرب.

و لئىّا حدّروهم عمّا طوى عنهم غيبه أراد التنبيه ببعض ذلك المطوى و التّصريح ببعض ما يلحقهم من الفتن العظيمه فقال عليه السّلام: (أما و الله ليسلّطنّ عليكم) و فى الايماء بحرف التنبيه و القسم و النون ما لا- يخفى من التأكيد لوقوع المخبر به أى لا محاله يسلّط عليكم (غلام ثقيف) أراد به الحجّاج بن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل ابن مسعود من بنى ثقيف (الدّيال) الذى يجزّ ذيله على الأرض تبخترا و هو كناية عن كثره نخوته (الميّال) كثير الظلم و الميل عن الحقّ (يأكل خضرتكم و يذيب شحمتكم) أراد بذلك أخذ الأموال و تعذيب الأبدان و استيصال النفوس و وقوع ذلك الخبر على ما أخبر عليه السّلام به مشهور و فى الكتب مسطور و قد تقدّم شطر من فعله بأهل العراق فى شرح الخطبه الخامسه و العشرين.

و روى فى البحار من الخرائج أنّ الأشعث بن قيس استأذن على على عليه السّلام فردّه قنبر فأدمى أنفه، فخرج على عليه السّلام و قال: ما ذاك يا أشعث أما و الله لو بعبد ثقيف مررت لاقشعرت شعيرات استكك، قال: و من غلام ثقيف؟ قال، غلام يليهم لا يبقى بيت من العرب إلّا أدخلهم الدّلّ، قال: كم يلى؟ قال عشرين إن بلغها، قال الراوى: ولى الحجّاج سنه خمس و سبعين و مات خمس و تسعين.

ص: ٩٤

١- (١) تاه فلان يتيه إذا تحيّر و اضطرب و تاه يتوه إذا هلك و اضطرب عقله منه.

ثم قال عليه السلام (ايه أبا وذحه) أي زد و هات ما عندك أبا الخنفساء على ما ذكره الرّضيمن تفسيرالوذحه بالخنفساء، قال الشارح المعتزلي: إنّ المفسرين بعد الرّضى (ره) قالوا فى قصّه هذه الخنفساء وجوها:

منها أنّ الحجاج رأى خنفساء تدبّ إلى مصلاه فطردها فعادت، ثم طردها فعادت، فأخذ بها بيده و حذف بها فقرصته قرصا و رمت يده منه و رما كان فيه حتفه قالوا: و ذلك لأنّ الله تعالى قد قتله بأهون مخلوقاته كما قتل نمرود بن كنعان بالبقة التى دخلت فى أنفه فكان فيها هلاكه.

و منها أنّ الحجاج كان اذا رأى خنفساء تدبّ قريبه منه يأمر غلمانها بابعادها و يقول: هذه وذحه من وذح الشيطان، تشبيها بالبعره المعلقه بأذنان الشاه.

و منها أنّ الحجاج قد رأى خنفسات مجتمعات فقال: و اعجبا لمن يقول إنّ الله خلق هذه، قيل: فمن خلقها أيها الأمير؟ قال: الشيطان، إنّ ربكم لأعظم شأننا أن يخلق هذه الوذح، فنقل قوله هذا إلى الفقهاء فى عصره فأكفروه و منها أنّ الحجاج كان مثفارا أى ذا ابنه، و كان يمسك الخنفساء حيّه ليشفى بحركتها فى الموضع حكاكه، قالوا: و لا يكون صاحب هذا الداء إلا شانيا مبغضا لأهل البيت، قالوا: و لسنا نقول كلّ مبغض فيه هذا الداء، و إنّما قلنا كلّ من به هذا الداء فهو مبغض، قالوا: و قد روى أبو عمرو الزاهد و لم يكن من رجال الشيعة فى أماليه و أحاديثه عن السياري عن أبى خزيمه الكاتب قال: ما فتشنا أحدا فيه هذا الداء إلا وجدناه ناصبيا.

قال أبو عمر و أخبرنى العطانى عن رجاله قالوا سئل جعفر بن محمّد عن هذا الصّنف من الناس فقال: رحم منكوسه يؤتى و لا يأتى و ما كانت هذه الخصلة فى ولى الله قطّ، و لا تكون أبدا، و إنما يكون فى الكفّار و الفسّاق و النّاصب للطّاهرين.

أقول: و يدلّ على ذلك و يؤيّده:

ما رواه فى الكافى عن أحمد عن عليّ بن أسباط عن بعض أصحابنا عن أبى عبد الله عليه السلام قال: ما كان فى شيعتنا فلم يكن فيهم ثلاثة أشياء: من يسأل فى كفه

و لم يكن فيهم أزرق أخضر، و لم يكن فيهم من يؤتى في دبره.

و عن أحمد عن جعفر بن محمّد الأشعري عن ابن القداح عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: جاء رجل إلى أبي، فقال: يا ابن رسول الله إنّي ابتليت ببلاء فادع الله لي، فقبل له: أنّه يؤتى في دبره، فقال: ما أبلى الله عزّ و جلّ بهذا البلاء أحدا له فيه حاحه، ثمّ قال أبي: قال الله عزّ و جلّ، و عزّتى و جلالى لا يقعد على استبرقها و حريرها من يؤتى في دبره.

و فى البحار من الخصال للصدوق عن أبيه عن سعد عن البرقيّ عن عدّه من أصحابنا عن عليّ بن أسباط عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: ما ابتلى الله به شيعتنا فلن يتليلهم بأربع: بأن يكون لغير رشده، أو أن يسألوا بأكفهم، أو أن يؤتوا أدبارهم، أو أن يكون فيهم أزرق.

و فيه منه عن ابن الوليد عن محمّد العطار عن أحمد بن محمّد عن أبي عبد الله الرازى عن ابن أبي عثمان عن أبيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السّلام، قال: أربع خصال لا يكون فى مؤمن: لا يكون مجنوناً، و لا يسأل عن أبواب النّاس، و لا يولد من الزّنا، و لا ينكح فى دبره و فيه من قرب الاسناد عن محمّد بن عيسى عن القداح عن جعفر عن أبيه عليه السّلام قال: جاء رجل إلى عليّ عليه السّلام فقال: إنى لاحبكم أهل البيت، قال: و كان فيه لين، قال:

فأثنى عليه عدّه فقال عليه السّلام له: كذبت ما يحبنا مخنث و لا ديوث و لا ولد زنا و لا من حملت به أمّه فى حيضها، قال: فذهب الرّجل، فلمّا كان يوم صفّين فهى مع معاوية و حكى المحدث الدّربندى قال: كنت «كان ظ» ابن ستّة عشر من أولاد بعض علماء بلدنا معروفا بهذا الفعل الشّنيع، فبينما أنا مع جمع نكثر السّرور و الفرح فى يوم العيد الغدير دنا منى هذا الشخص، و قال: ما لك كأنى أراك تظنّ أنّ الله قد أعطاك فى هذا اليوم سلطنه الدّنيا؟ قلت: إنّ كرامه الله على محبّى أمير المؤمنين و سيّد الوصيّين عليه السّلام فى هذا اليوم الشريف أعظم من سلطنه الدّنيا،

فقال: ناشدتك بالله هل تحب علي بن أبي طالب؟ فقلت: ويلك هل يوجد أحد أتصف بالاسلام ولا يحب أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال: والله أنا لا أحبه، فقلت الحمد لله الذي لم يدخل مثلك النجس الخبيث المخنث في حزب محبي الأطيب الأطهر أمير المؤمنين و لعنه الله عليك و على أمثالك من المخنثين، قال: فلم يمرض على ذلك إلا مدّه قريبه من مدّه سنه أن اختار الشرك و أظهر الكفر و دخل في مذهب النصرانية.

و في الأنوار التعمانية للمحدث الجزائري (ره) عن جلال الدين السيوطي في حواشي القاموس عند تصحيح لغه الابنه قال: و كانت في جماعه في الجاهليه أحدهم سيدنا عمر، و قال ابن الأثير و هو من أجلاء علماء العامه: زعمت الزوافض أنّ سيدنا عمر كان مخنثا، كذبوا و لكن به داء دواؤه ماء الرجال.

ثم قال الجزائري: و لم أر في كتب الرافضه مثل هذا نعم روى العياشي منهم حديثا حاصل معناه أنّ لفظ أمير المؤمنين قد خصّ الله به علي بن أبي طالب و لهذا لم تسم الرافضه أئمتهم بهذا الاسم و من سمها نفسه به غير علي بن أبي طالب عليه السلام فهو مما يؤتى في دبره، و هو شامل لجميع المتخلفين من الامويّه و العباسيّه لعنهم الله انتهى.

و قد أوردنا روايه العياشي مع غيرها في ديباجه الشرح في نور ألقاب أمير المؤمنين عليه السلام فتذكر، و في أخبار كثيره من طريق أهل البيت عليهم السلام أنّ هؤلاء لا خير فيهم و في بعضها أنّه لا يتلى به أحد لله فيه حاجه.

ثم قال الشارح المعتزلي بعد ذكر ما أوردنا من كلامه في تفسير أبا وذحه:

فهذا مجموع ما ذكره المفسّرون و ما سمعته من أفواه الناس في هذا الموضوع، و يغلب على ظني أنّه أراد معنى آخر، و ذلك أنّ عاده العرب أن تكني الانسان إذا أرادت تعظيمه بما هو مظنه التعظيم كقولهم: أبو الهول و أبو المقدام و أبو المغوار فاذا أرادت تحقيره و الغصّ منه كنته بما يستحق و يستهان به كقولهم في كنيه يزيد ابن معاويه لعنه الله يعنون القرد و كقولهم في كنيه سعيد بن حفص البخاري المحدث أبو القارذ و كقولهم للطفيلي: أبو لقمه «إلى أن قال» فلما كان أمير المؤمنين عليه السلام

يعلم من حال الحجاج نجاسته بالمعاصي و الذنوب التي لو شوهدت بالبصر لكانت بمنزله البعر الملتصق بشعر الشاه كناه أبا وذحه.

و يمكن أن يكتيه بذلك لدمايته في نفسه و حقاره منظره و تشويه خلقته فإنه كان قصيرا دميما نحيفا أخفش العينين معوج الساقين قصير الساعدين مجدور الوجه أصلع الرأس فكناه عليه السلام بأحقر الأشياء و هو البعرة.

و قد روى قوم هذه اللفظه بصيغه اخرى فقالوا ايه أبا ودجه، قالوا: واحده الأوداج كناه بذلك لأنه كان قتالا يقطع الأوداج بالسيف، و رواه قوم أبا وحره و هي دويبه تشبه الحرباء قصير الظهر شبهته بها قال: و هذا و ما قبله ضعيف و ما ذكرناه أقرب إلى الصواب.

الترجمه

از جمله خطب بلیغه آن بزرگوار و امام ابرار است در نعت حضرت خاتم الانبیاء و مذمت أهل کوفه بجهه سنگینی از جهاد اعداء و اعلام ایشان بفتنه حجاج بی ایمان چنانچه فرمود که:

فرو فرستاد خداوند آفریدگار رسول مختار را در حالتی که خواننده بود مردمان را بسوی حق، و گواه بود بر خلق، پس رسانید پیغامهای پروردگار خود را در حالتی که سستی نمود در أداء پیغام، و تقصیر کننده نبود در تبلیغ احکام، و جهاد کرد در راه خدای متعال با اعداء ربّ ذو الجلال در حالتی که سست نبود در قتال، و عذر خواهی نکرد بعذر ناموجه از مقاتله ابطال پیشوای صاحبان تقوی است، و بینائی طالبان هدایت.

و اگر بدانید آنچه من می دانم از چیزی که کتمان شده از شما غیب آن در آن هنگام هر آینه خارج می شدید بسوی راهها یعنی ترک استراحت می کردید در خانه ها در حالتی که گریه می کردید بر عملهای خودتان، و می زدید بر نفسهای خود، و هر آینه ترک می نمودید مالهای خود را در حالتی که هیچ مستحفظی نباشد آنها را، و هیچ جانشینی نباشد بر آنها، و هر آینه محزون و غمگین می ساخت یا این که

می گداخت هر مردی را از شما نفس او که أصلاً التفتات نمی کند بغير خود، و لیکن شما فراموش گردید چیزی را که پند داده شدید بآن، و ایمن گشتید از چیزی که ترسانیده شدید از آن، پس حیران گشت از شما اندیشه و تدبیر شما، و پراکنده شد بر شما کار شما، هر آینه دوست می دارم این که خدای تعالی جدائی افکند میان من و میان شما، و لا حق نماید مرا بکسانی که ایشان سزاوارترند بمن از شما، ایشان قومی بودند قسم بخدا که صاحبان رأی مبارک بودند و موصوفان بافرونی بردباری بسیار سخن گوینده بودند برآستی، و زیاد ترک کنندۀ بودند ظلم و گمراهی را گذشتند در حالتی که پیش قدم بودند بر راه راست، و شتافتند بر طریقهٔ درست و فایز شدند بآخرت بی نهایت، و بکرامت خالی از زحمت.

آگاه باشید قسم بخدا هر آینه البته مسلط می شود بر شما پسری از قبیله ثقیف یعنی حجاج بن یوسف ثقفی که کشنده باشد دامن خود را بر زمین از روی غرور و نخوت، و عدول کننده باشد از راه عدالت که می خورد زراعت شما را، و می گذارد پیه شما را، زیاده کن و بیاور آنچه که در پیش تو است ای پدر جعل.

و من کلام له علیه السّلام و هو المأه و السادس عشر من

اشاره

المختار فی باب الخطب.

فلا- أموال بذلتموها للعدی رزقها، و لا- أنفس خاطرتم بها للعدی خلقها، تکرمون بالله علی عباده، و لا تکرمون الله فی عباده، فاعتبروا بنزولکم منازل من کان قبلكم، و انقطاعکم عن أوصل إخوانکم.

اللغه

(خاطرتم بها) من المخاطره و هی ارتکاب ما فیه خطر و هلاک و تکرمون ()

الأول من باب فعل و الثانى من باب افعل يقال كرم الرجل كرما من باب حسن عز و نفس فهو كريم.

الاعراب

أموال و أنفس منصوبان على الاشتغال، و اللام فى الذى رزقها تحتمل الصيغه و التعليل، و فى للذى خلقها للتعليل لا غير كما هو غير خفى، و انقطاعكم عطف على نزولكم.

المعنى

اعلم أنّ مدار هذا الفصل على التوبيخ بالبخل بالأموال و الأنفس، و الأمر بالاعتبار بتقلبات الدهر و تغيرات الزمان فلا مهم أولا بترك بذل الأموال (فلا- أموال بذلتموها للذى رزقها) لا- يخفى ما فى التعبير بهذه العبارة من اللطف و النكتة و هو أنّ التعبير بقوله: للذى رزقها فيه من زياده تقرير الغرض المسوق له الكلام ما ليس فى التعبير بقوله لله كما فى قوله:

أعباد المسيح يخاف صحبى و نحن عبيد من خلق المسيح

فانه أدل على عدم خوفهم النصارى من أن يقول نحن عبيد الله، و ذلك لأنّ غرضه عليه السلام لومهم و توبيخهم على البخل و الامساک عن بذل الأموال و التعبير بالموصول أكد فى افاده ذلك المطلوب لدلالته على اتصافهم بغايه البخل حتى أنهم يمسكون أموالهم عن معطيها و رازقها فضلا عن غيره، فيستحقون بذلك غايه اللوم و المذمه و مثله قوله (و لا أنفس خاطرتم بها للذى خلقها) فانه أدل على البخل بالأنفس و أثبت لذلك الغرض، فانهم إذا لم يخاطروا بأنفسهم و لم يلقوا بها إلى المهالك لرضاء الخالق مع كونه أحقّ و أولى بها منهم، فكيف لغيره ثم أكد التوبيخ بقوله (تكرمون بالله على عباده و لا تكرمون الله فى عباده) و لذلك وصل هذا الكلام بما سبق و لم يفصل بالعاطف، لكون ذلك أو فى بتأديه المراد ممّا سبق، يعنى أنّكم تتنافسون و تظهرون العزّو الشرف على عباد الله

ص: ١٠٠

تعالی بالله سبحانه ای بما حَوْلکم و أعطاکم و منحکم من النعم الدنیویة و الاخریة و لا تکرمون الله و لا تطیعونه فی الاحسان
إلی عباده و الافضال علیهم، بل بنعمته تبخلون، و عن عباده تمسکون (فاعتبروا بنزولکم منازل من کان قبلكم) من طحتهم
الآجال و ضاق بهم المجال و ارتهنوا بالأعمال كما قال عزّ من قائل:

«وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَ تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَ ضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ.»

(و انقطاعکم عن أوصل اخوانکم) حتی انتقلوا إلی ضیق المضجع و وحشه المرجع، فستصیرون مثلهم و تنزلون منزلتهم، فاسلکوا
مسلك العاجله حمیدا، و قدّموا زاد الآجله سعیدا.

الترجمه

از جمله کلام بلاغت نظام آن امام است در توییح و عتاب مذمت أصحاب بر عدم بذل اموال در راه ذو الجلال فرموده.

پس هیچ مالهای دنیا را بذل نکرید برای کسی که روزی شما گردانید آنها را و هیچ جانها در مهالک نیفکنید برای کسی
که خلق کرد آنها را، کریم و عزیز شوید بسبب خدا بر بندگان خدا، و گرامی نمی دارید خدا را در بندگان خدا، پس عبرت
بگیرید بنازل شدن خودتان بمنزلهای کسانی که بودند پیش از شما، و ببریدن خود از اقرب برادران خود.

و من کلام له علیه السلام و هو الماء و السابع عشر من المختار

اشاره

فی باب الخطب

أنتم الأنصار علی الحقّ، و الإخوان فی الدین، و الجنن یوم

ص: ۱۰۱

البأس، و البطانه دون الناس، بكم أضرب المدبر، و أرجو طاعه المقبل، فأعينوني بمناصحه جليته من الغش، سليمه من الزيب، فوالله إني لأولى الناس بالناس.

اللغه

(الجنن) جمع الجنه و هي ما استترت به من سلاح و (بطانه) الرجل خاصته و أصحاب سرّه و (خليته) في بعض النسخ بالجيم و في بعضها بالخاء.

الاعراب

دون ظرف إما بمعنى عند أو بمعنى سوى، و الفاء في قوله: فأعينوني فصيحه

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام على ما رواه الشارح المعتزلي من المدائني و الواقدي قاله أمير المؤمنين عليه السلام للأنصار بعد فراغه من حرب الجمل، و الغرض بذلك مدح أصحابه و استماله قلوبهم إلى مناصحته فقوله عليه السلام: (أنتم الأنصار على الحقّ) أي التّاصرون لي و المعينون على الحقّ الذّابون عن الباطل (و الاخوان في الدّين) لقوله سبحانه: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» (و الجنن) و التّرس (يوم البأس) أي يوم الشّده و الحرب (و البطانه) أي خاصّتي و خالصّتي الذين لا اطوى عنكم سرّي (دون الناس) أي عندهم يعني أنّكم عندهم معروفون باختصاصي، أو أنتم البطانه لي سوى الناس أي ليس لي بطانه غيركم (بكم أضرب المدبر) عن الحقّ (و أرجو طاعه المقبل) يعني من أقبل إليّ إذا رأى أخلاقكم الحميده أطاعني بصميم قلبه، و يمكن أن يراد بالمقبل من كان من شأنه الاقبال و الطاعه، و إذا كنتم بهذه المثابه (فأعينوني بمناصحه جليته) أي صافيه أو خاليه (من الغش) و التدليس (سليمه من الزيب) أي سالمه من الشّك في استحقاقى للخلافه و الولايه (فوالله اني لأولى الناس بالناس) و أحقّ بالامامه.

از جمله کلام آن حضرتست در مدح أصحاب خود که فرموده:

که شما یاری کنید بر راه راست، و برادرانید در دین، و سپرهایید در روز سختی و شدت، و خواص منید در نزد مردمان، باعانت شما می زخم پشت گرداننده از حق را، و بوجود شما امید می دارم رو آورنده را پس اعانت نمائید بنصیحت کردنی که خالی است از نقص و عیب، و سالم است از شک و ریب، پس قسم بخدا که بدرستی من بهترین مردمانم بمردمان، و اولایم بایشان از دیگران.

و من کلام له علیه السلام و هو المأه و الثامن عشر من المختار

اشاره

فی باب الخطب

و قد جمع الناس و حَضَّهم علی الجهاد فسکتوا ملئیا

فقال علیه السَّلام: ما بالکم أ مخرسون أنتم؟ فقال قوم منهم: یا أمیر المؤمنین إن سرت سرنا معک. فقال علیه السَّلام: ما بالکم لا سدَّدتم لرشد، و لا هدیتم لقصد، أ فی مثل هذا ینبغی لی أن أخرج، إنَّما یرج فی مثل هذا رجل ممَّن أرضاه من شجعائکم و ذوی بأسکم، و لا ینبغی لی أن أدع الجند و المصر و بیت المال و جباهیه الأرض و القضاء بین المسلمین و النَّظر فی حقوق المطالبین، ثمَّ أخرج فی کتیبه أتبع أخرى، أتقلقل تقلقل القدح فی الجفیر الفارغ، و إنَّما أنا قطب الرِّحی تدور علیّ و أنا بمکانی، فإذا فارقتہ استحار مدارها، و اضطرب ثفالها، هذا لعمر الله الرّأی السَّوء،

ص: ۱۰۳

والله لو لا رجائي الشهاده عند لقائي العدو لو قد حمّ لي لقائه لقربت ركابي، ثم شخصت عنكم، و لا أطلبكم ما اختلف جنوب و شمال، طعّانين، عيّابين، حيّادين، رواعين، و إنّه لا- غناء في كثره عددكم مع قلّه اجتماع قلوبكم، لقد حملتكم على الطريق الواضح التي لا يهلك عليها إلا هالكك، من استقام فإلى الجنّه، و من زلّ فإلى النار.

اللغه

(الملّي) الهواء من الدهر و الساعه الطويله من النهار قال تعالى: و اهجرني مليّاً، و (مخرسون) اسم مفعول من أخرسه الله و (سدّتم) بالتخفيف و التشديد و (الشجعاء) جمع شجيع و في بعض النسخ شجعانكم بالتون و هو بالضمّ و الكسر جمع شجاع و (الكتيبه) القطعه العظيمة من الجيش و (القدح) بالكسر السهم قبل أن يراش و ينزل و (الجفير) الكنانه و قيل و عاء للسهم أوسع من الكنانه و (استحار مدارها) قال الشّارح المعتزلي: اضطرب و لم نجده بهذا المعنى في اللغه و الظاهر من استحار إذا لم يهتد بسيله يقال استحار السّحاب أي لم يتجه جهه، و عن الجوهرى المستحير سحاب ثقيل متردّد ليس له ريح تسوقه و (الثفال) كالكتاب و الغراب الحجر الأسفل من الرّحى و (الرّكاب) كالكتاب أيضا الابل التي يسار عليها.

الاعراب

مليّاً منصوب على الظرف، و قوله: و الله لو لا رجائي الشهاده جواب القسم، قوله: لقربت ركابي، و هو سادسّدّ جواب لو لا، و جملة لو قد حمّ لي لقائه، شرطيه معترضه بين القسم و جوابه كما في قوله:

و جواب لو محذوف بدلاله سياق الكلام عليه أى لو قدحّم لى لقائه لقيته و دخول قد فى شرط لو نادر، و مثله ما رواه فى حواشى المغنى من صحيح البخارى قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: لو قد جاء مال البحرين قد أعطيتك هكذا هكذا، و اختلف فى المرفوع بعد لو لا- و أنّ رفعه لما ذا، قال ابن هشام لو لا تدخل على جملة اسميه ففعليه لربط امتناع الثانيه بوجود الاولى، نحو لو لا زيد لأكرمك، أى لو لا زيد موجود إلى أن قال، و ليس المرفوع بعد لو لا فاعلا بفعل محذوف، و لا بلولا لنيابتها عنه، و لا بها أصاله، خلافا لزاعمى ذلك، بل رفعه بالابتداء، و طعنين مع المنصوبات الثلاثه بعدها حالات من ضمير الخطاب فى قوله أطلبكم، و جملة لقد حملتكم جواب لقسم محذوف، و الطريق يذكر و يؤنث و لذا اتى بصفه أولا بالتذكير و ثانيا بالتأنيث جريا على اللغتين.

المعنى

إنّ هذا الكلام قاله أمير المؤمنين عليه السّلام بعد انقضاء أمر صفّين و النهروان فى بعض غارات أهل الشام على أطراف العراق، (و قد جمع الناس و حصّهم) أى حثّهم (على الجهاد فسكتوا مليا) أى ساعه طويله (فقال عليه السّلام) توبيخا لهم على ثقافتهم (ما بالكم أ مخرسون أنتم) فلا- تنطقون (فقال قوم منهم يا أمير المؤمنين عليه السّلام ان سرت) إلى العدو (سرنا معك فقال عليه السّلام: ما بالكم لا سددتم لرشد و لا هديتم لقصد) دعاء عليهم بعدم الاستقامه و السّداد لما فيه الصّلاح و الرّشاد و عدم الاهتداء للقصد أى الأمر المعتدل الذى لا يميل إلى أحد طرفى الافراط و التفريط.

(أ فى مثل هذا ينبغى لى أن أخرج) استفهام على سبيل التوبيخ و الانكار، و الايتان باسم الاشاره للتحقير كما فى قوله تعالى: «أ هذا الذى يذكّر آلّهتكم»

ص: ١٠٥

(انما يخرج في مثل هذا رجل ممن ارضاه من شجعانكم و ذوى بأسكم) و شجاعتكم.

ثم أشار عليه السيد إلى وجوه الفساد في خروجه بنفسه بقوله (ولا ينبغي لى أن أدع الجند و المصر و بيت المال و جبايه الأرض) أى جمع ما فيها و خراجها (و القضاء بين المسلمين) و فصل خصوماتهم (و النظر فى حقوق المطالبين) و دفع ظلاماتهم و غير ذلك مما فيه نظام الدوله و انتظام المملكه و مهام العباد و قوام البلاد (ثم اخرج فى كتيبه أتبع) فى كتيبه (أخرى أتقلقل) أى اضطرب (تقلقل القدح فى الجفير الفارغ) من السهام، و الغرض التشبيه فى اضطراب الحال و الانفصال عن الجنود و الاعوان بالقدح الذى لا يكون حوله قداح تمنعه من التقلقل و لا يستقر مكانه.

و قال الشارح البحرانى: شبه خروجه معهم بالقدح فى الجفير، و وجه الشبه أنه كان قد نفذ الجيش و أراد أن يجهز من بقى من الناس فى كتيبه اخرى فشبه نفسه فى خروجه فى تلك الكتيبه وحده مع تقدم أكابر جماعه و شجعانها بالقدح فى الجفير الفارغ فى كونه يتقلقل، و فى العرف يقال للشريف إذا مشى فى حاجه ينوب فيها من هو دونه و ترك المهام التى لا تقوم إلا به ترك المهم الفلانى و مشى يتقلقل على كذا، و الأشبه ما ذكرنا (و إنما أنا قطب الرّحى تدور علىّ و أنا بمكانى) شبه عليه السلام نفسه بالقطب و امور الاماره و الخلافه المنوطه عليه بالرحى و وجه الشبه دوران تلك الامور عليه دوران الرّحى على القطب كما أشار إليه بقوله: تدور علىّ، و هو من قبيل التشبيه المجمل المقرون بذكر وصف المشبه به كما فى قولها: هم كالحلقه المفرغه لا يدري أين طرفاها.

و قوله (فاذا فارقتة استحار مدارها و اضطرب ثفالها) إشاره إلى الغرض من التشبيه و هو فساد الامور المذكوره و اضطرابها بمفارقتة عليه السلام لها و انتقاله عليه السلام عن مكانه، و كذلك يبطل الغرض المقصود من الرّحى ارتفاع قطبها و انتفائه، و معنى استحار مدارها على تفسير الشّارح المعتزلى اضطراب دورانها و خروجه عن الحركة

المستديرة إلى المستقيمة، و على ما قدّمنا من عدم مجيء الاستحاره بمعنى الاضطراب فالأنسب أن يكون كناية عن الوقوف عن الحركة و يكون اضطراب ثغالها كناية عن عدم تأتي الغرض المطلوب منه.

و لما تبه على فساد ر أيهم أكد ذلك بالقسم البارّ و قال (هذا لعمر الله الرأى السوء) ثم أقسم باستكراهه لهم و استنكافه منهم و نفره طبعه عن البقاء معهم إلا أنّ له مانعا عن ذلك و هو قوله (و الله لو لا رجائي) لقاء الله ب (الشهادة عند لقائى العدو لو قد حمّ) و قدر (لى لقائه لقرّبت ركابى ثم شخصت عنكم) و فارقتكم غير متأسف عليكم (فلا أطلبكم) سجيس اللبالي (ما اختلف جنوب و شمال) تبرّما من سوء صنيعتكم و قبح فعالكم و مخالفتكم لأوامرى حالكونكم (طعانين) على الناس (عيابين) عليهم (حيادين) ميالين عن الحقّ (رواغين) عن الحرب روع الثعلب (و أنه لا غناء) و لا نفع (فى كثره عددكم مع قلّه اجتماع قلوبكم) و نفاقكم (لقد حملتكم على الطريق الواضح التى لا يهلك عليها) أى كائنا عليها أو بسببها (إلا هالك من استقام) و اعتدل و لزم سلوكها (ف) مرجعه (إلى الجّته) بنفس مطئته (و من زلّ) و عدل عنها (ف) مصيره (إلى الثّار) و بئس القرار.

الترجمه

از جمله کلام بلاغت اسلوب آن امام است در حالتی که جمع کرده بود مردمان را و ترغیب می فرمود ایشان را بر جهاد، پس ساکت شدند زمان درازی، پس فرمود که چیست شما را آیا گنک ساخته اند شما را پس گفتند طایفه از ایشان ای مولای مؤمنان اگر سیر بفرمائید سیر می کنیم با تو، پس فرمود که:

چه می شود شما را موقّق نباشید بر راه قویم و هدایت نیابید بر طریق مستقیم آیا در مثل این کار مختصر سزاوار است مرا که بیرون بروم بکار زار، جز این نیست که خارج میشوند درمانند این امر مردی از کسانی که پسند من بوده باشد از دلیران شما، و صاحبان قوت و شجاعت شما، و سزاوار نیست مرا که ترک کنم لشکر را و شهر را

و بیت المال و خراج گرفتن زمین را، و حکم نمودن در میان مسلمانان و نظر کردن در حقهای طلب کنندگان حقوق را، بعد از آن خارج شوم در طایفه از لشکر که متابعت نمایم طایفه دیگر را، جنبش نمایم مثل جنبش نمودن تیر بی پر در تیردان خالی از تیر، و جز این نیست که من مثل قطب آسیا هستم که می گردد آن آسیا بر من و من در جای باشم، پس هنگامی که من جدا شوم از آن متحیر و سرگردان شود دوران آن، و مضطرب گردد سنگ زیرین آن.

این که شما می گوئید قسم بخدا بد رأیی است و اندیشه کج است، و بخدا سوگند اگر نبود امیدواری من بشهادت در حین ملاقات دشمن اگر مقدر بشود از برای من ملاقات آن هر آینه نزدیک می گردانیدم شتر سواری خود را بعد از آن رحلت می کردم از شما پس طلب نمی کردم شما را أبدا مادامی که اختلاف دارند باد جنوب و شمال در حالتی که هستید طعن نمایندگان مردمان، عیب جویندگان، برگردندگان از راه حق، ترسندگان، و بدرستی هیچ منفعتی نیست در کثرت عدد و شماره شما با وجود کمی اجتماع قلبهای شما، هر آینه بتحقیق که حمل نمودم شما را بر راه روشن و آشکار که هلاک نمی شود بر آن مگر هلاک شوند گمراه، کسی که مستقیم شد بر آن راه پس رجوع آن بسوی بهشت است، و کسی که لغزید از آن راه پس بازگشت آن بسوی آتش است.

قال الشارح المحتاج الى غفران الله تعالى و رحمته، المتوسل الى الله سبحانه برسول الله و عترته سلام الله عليه و عليهم ما اختلف الليل و النهار و الجنوب و الشمال: هذا هو المجلد الثالث (۱) من مجلدات شرح النهج، قد يسر الله اتمامه و احسن بالخير ختامه، و يتلوه انشاء الله سبحانه المجلد الرابع، و هذه هي النسخة الاصل التي كتبها بيميني، و المرجو من الله سبحانه أن يثبها في صحايف الحسنات، و يجعلها ممحاه للتشيينات بفضل الواسع، و كرمه الشايع، و بمحمد و آله الظاهرين، و كان الفراغ سلخ شهر ذى القعدة الحرام ۱۳۰۶

ص: ۱۰۸

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى هداانا إلى نهج الحقّ و منهج الصّواب، و الاعتصام بالعروه الوثقى و الحبل المتين فى المبدأ و المآب، و الصّلاه و السّلام على من آتاه الحكم و فصل الخطاب، و بعثه ليتمّ مكارم الأخلاق و محاسن الآداب، شجره الاصطفاء و ثمره الاجتباء شريف الحسب و كريم الأنساب، ختم الأنبياء و أنف البطحاء نخبه العرب و شامخ الالقباب، و على أوصيائه الذين هم أعلام التوحيد و منار التفريد و عندهم علم الكتاب، و أهل الذكر المسئولون المؤيّدون فى كلّ فصل و باب، و المعصومون المسدّدون فى الشيب و الشباب، و إليهم حشر الخلائق و نشرهم و إليهم الاياب و عليهم الحساب، و بولايتهم تقبل الأعمال و تنال الآمال و يفاز عظيم الزلفى و حسن الثواب.

يا بنى أحمد ناديمكم اليوم و أنتم غدا الرّد جوابى

ألف باب اعطيتم ثم افضى كلّ باب منها إلى ألف باب

لكم الأمر كلّه و إليكم ولد يكّم يؤل فصل الخطاب

لا سيّما أعظم النعيم و الثّناء العظيم و الصّيراط المستقيم ابو الأئمه الأطهار الأطياب، هادى الامم و كاشف الظلم و سيّد العرب و العجم و العبيد و الأرباب، علم الهدى و كهف الورى و طود النهى و بحر السدى و ماطر السحاب، من أحبه سعد مولده و طاب، و من أبغضه ضلّ سعيه و خسر و خاب.

و بعد فهذا هو المجلّد الرابع من مجلّدات منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه املاء راجى عفوره الغنى حبيب الله بن محمد بن هاشم الهاشمى العلوى الموسوى أعطاه الله كتابه بيمناه، و جعل عقباه خيرا من اولاه، و أسأله سبحانه من نواله، أن يمنّ علىّ باكماله، بجاه محمّد و آله.

فأقول: قال السيّد رضى الله عنه:

اشاره

فى باب الخطب

تالله لقد علمت تبليغ الرّسالات، و إتمام العدات، و تمام الكلمات، و عندنا أهل البيت أبواب الحكم، و ضياء الأمر، ألا و إنّ شرائع الدّين واحده، و سبله قاصده، من أخذ بها لحق و غنم، و من وقف عنها ضلّ و ندم، اعملوا ليوم تذخر له الذّخائر، و تبلى فيه السّرائر، و من لا ينفعه حاضر لثبه، فعازبه اعجز، و غائبه أعوز، و اتّقوا نارا حرّها شديد، و قعرها بعيد، و حليتها حديد، و شرابها صديد، ألا و إنّ اللّسان الصّالح يجعله الله للمرء فى التّاس خير من مال يورثه من لا يحمده.

اللغه

(علمت) فى أكثر النّسخ على صيغه المجهول من باب التّفعل و فى بعضها بالتخفيف على المعلوم، قال الشّارح المعتزلى: و الرّوايه الاولى أحسن و (الحكم) فى أكثر النسخ بالضمّ و سكون الكاف و فى بعضها بالكسر و فتح الكاف جمع الحكمه و (عزب) الشّىء من باب قعد بعد عنى و غاب و (عوز) الشّىء كفرح إذا لم يوجد و الرجل افتقر و أعوزه الدهر أفقره.

الاعراب

قوله عليه السّلام: و عندنا أهل البيت فى أكثر النسخ بالجرّ، و فى بعضها بالنصب أمّا الثانى فعلى الاختصاص، و أمّا الأوّل فعلى كونه بدلا من ضمير المتكلم كما يراه بعض علماء الأدبيه أو على أنه عطف بيان كما هو الأظهر.

فان قلت: صرّح الأدبونيون بأنّ عطف البيان إنّما يؤتى به لا يوضح متبوعه و ههنا المتبوع أعرف من التابع فكيف يجوز الاتباع؟ قلت: هذا مبني على الأ-غلب و إلّا فقد يؤتى بالبيان لقصد المدح كما قاله المحقّق التفتازاني، حيث قال: فائده عطف البيان لا تنحصر في الايضاح لما ذكر صاحب الكشاف أنّ البيت الحرام في قوله تعالى: جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس، عطف بيان جيء به للمدح لا للايضاح كما تجيء الصّيفه لذلك، انتهى و جمله تذخر له الذّخائر مجروره المحلّ على الوصف، و جمله يجعله الله في محلّ النصب على الحال أو الوصف، و جمله يورثه من لا يحمده وصفته.

المعنى

اعلم أنّ المقصود بهذا الكلام كما يفهم من سياقه الاشارة إلى وجوب اتباعه و ملازمته و التمسك بذيل ولايته و اتباع الطيبين من عترته و ذريته، و وجوب أخذ معالم الدين و أحكام الشّرع المبين عنهم عليهم السّلام، و عقبه بالأمر بأخذ الزاد ليوم المعاد، و لذلك ذكر جمله من فضائله المخصوصه به المفيده لتقدمه على غيره، و الدّاله على وجوب تقديمه نظرا إلى قبح ترجيح المرجوح على الرّاجح، و غير خفيّ على الذّكيّ البصير أنّ كلا من هذه الخصائص برهان واضح و شاهد صدق على اختصاص الخلافة و الولاية بهم عليهم السّلام و على أنّها حقّ لهم دون غيرهم.

و افتتح كلامه بالقسم البارّ تحقيقا للمقصد فقال:(تالله لقد علّمت تبليغ الرسالات) أي علّمني رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بتعليم من الله سبحانه و أعلمنيه بأمر منه تعالى، لا- أنّه علمه بوحى كما توهمه بعض الغلات، لأنّ الأئمّه عليهم السّلام محدّثون، و الرساله هو الاخبار عن مراد الله تعالى بكلامه بدون واسطه بشر، و المراد أنّه عليه السّلام علمه رسول الله صلّى الله عليه و آله إبلاغ ما جاء به إلى الخلق على اختلاف ألسنتهم و تعدّد لغاتهم سواء كان ذلك في حال حياه الرّسول كبعثه صلّى الله عليه و آله له عليه السّلام بسوره برائه إلى أهل مكه و عزله لأبي بكر معلّلا- بقوله صلّى الله عليه و آله و سلّم: امرت أن لا يبلغها إلّا- أنا أو رجل منّي و بعثه له إلى الجنّ و نحو ذلك، أو بعد وفاته صلّى الله عليه و آله و سلّم، فقد كان هو و أولاده الطاهرون

سلام الله عليهم أوعيه علم النبي صَلَّى الله عليه وآله وحمله سرّه و حفظه شرعه مؤدّين له إلى أمته و كان عمده نشر الأحكام و انتشار مسائل الحلال و الحرام و انفتاح باب العلم في زمنهم عليهم السلام و كانوا مأمورين بالتبليغ و الانذار، كما كان رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلّم مأمورا بذلك و يشهد بذلك ما رواه الكليني و الطبرسي و العياشي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: و أوحى إليّ هذا القرآن لانذركم به و من بلغ الآيه، قال: و من بلغ أن يكون اماما من آل محمّد صَلَّى الله عليه وآله و سلّم، فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلّم و في غايه المرام عن الصادق باسناده عن يزيد «بريد ظ» بن معاويه العجلي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أنما أنت منذر و لكلّ قوم هاد، فقال: المنذر رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلّم و عليّ الهادي، و في كلّ وقت و زمان امام مّن يهديهم إلى ما جاء به رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلّم.

و فيه أيضا عن الصادق مسندا عن أبي هريره قال: دخلت على رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلّم و قد نزلت هذه الآيه: إنّما أنت منذر و لكلّ قوم هاد، فقرأها علينا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلّم قال: أنا المنذر، أ تعرفون الهادي؟ قلنا: لا يا رسول الله، قال صَلَّى الله عليه وآله و سلّم هو خالص النعل، فطولت الأعناق اذ خرج علينا عليّ عليه السّلام من بعض الحجر و بيده نعل رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلّم ثمّ التفت إلينا و قال: ألا- إنّه المبلّغ عنّي و الامام بعدي و زوج ابنتي و أبو سبطي، ففخرا نحن أهل بيت أذهب الله عنّا الرجس و طهّرنا تطهيرا من الدّنس الحديث.

و في البحار عن بصائر الدرجات باسناده عن انس بن مالك خادم رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلّم قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلّم يا عليّ أنت تعلمّ الناس تأويل القرآن بما لا يعلمون، فقال عليّ عليه السّلام: ما ابغ رسالتك بعدك يا رسول الله، قال: تخبر الناس بما اشكل عليهم من تأويل القرآن.

و فيه أيضا من كشف الغمه من كتاب محمّد بن عبد الله بن سليمان مسندا عن أنس قال: كنت أخدم النبي صَلَّى الله عليه وآله و سلّم فقال لي يا أنس بن مالك: يدخل عليّ رجل امام المؤمنين، و سيّد المسلمين و خير الوصيّين، فضرب الباب فاذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فدخل بعرق فجعل النبي صَلَّى الله عليه وآله و سلّم يمسح العرق عن وجهه و يقول: أنت تؤدّي عنّي

أو تبلغ عني، فقال: يا رسول الله أو لم تبلغ رسالات ربك؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: بلى ولكن أنت تعلم الناس.

(وإتمام العداة) أى انجازها يحتمل أن يكون المراد بها ما وعده الله سبحانه فى حقّه، فقد علّمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن الله سيفى به بما انزل عليه فى القرآن حيث قال: أ فمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقية.

روى فى غاية المرام عن الحسن بن أبى الحسن الديلمى باسناده عن أبى عبد الله عليه السلام فى هذه الآية قال: الموعود على بن أبى طالب عليه السلام، وعده الله أن ينتقم له من أعدائه فى الدنيا، وعده الجنة له ولأوليائه فى الآخرة.

ولكن الأظهر أن يراد بها العداة والعهود التى عاهد عليها الله سبحانه، ويشهد به قوله تعالى: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا». فقد روت الخاصّة والعامّة أنّها نزلت فى على عليه السلام وجعفر وحمزه.

روى فى غاية المرام عن على بن يونس صاحب كتاب صراط المستقيم قال:

قال: روى المفسّرون أنّها نزلت فى على وحمزه، ولا ريب أنه لَمّا قتل حمزه اختصّت بعلى فامن منه التبديل بحكم التنزيل و روى اختصاصها بعلى عليه السلام ابن عباس والصادق عليه السلام وأبو نعيم.

وفيه أيضا عن محمّد بن العباس الثقفى فى تفسيره فيما نزل فى أهل البيت عليهم السلام باسناده عن جابر عن أبى جعفر وأبى عبد الله عليهما السلام عن محمّد بن الحنفية رضى الله عنه قال: قال على عليه السلام: كنت عاهدت الله ورسوله أنا وعمى حمزه وأخى جعفر وابن عمى عبيده بن الحارث على أمر وفينا به لله ورسوله، فتقدمنى أصحابى وخلفت بعدهم لما أراد الله عزّ وجلّ، فأنزل الله سبحانه فينا:

«مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ» حمزه وجعفر وعبيده «وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا».

أنا المنتظر و ما بدلت تديلا.

أو يراد بها مواعيد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم التي وعدنا للناس فقد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: أنت وصيبي و وارثي و قاضي ديني و منجز عدتي، و علمه صَلَّى الله عليه وآله كيفيه أدائها و من أين يؤديها.

و قد روى في غايه المرام، عن محمّد بن عليّ الحكيم الترمذى من أعيان علماء العامه فى كتابه المسمّى بفتح الميمين من كتاب الأوصال قال: و روى أنّ أمير المؤمنين كرم الله وجهه قد أدّى سبعين ألفا من دينه صَلَّى الله عليه وآله وسلم، و كان أكثره من الموعود.

و فيه أيضا من كتاب ثاقب المناقب قال: حدّثنى شيخى أبو جعفر محمّد بن حسين الشهرابى فى داره بمشهد الرضا عليه السلام باسناده إلى عطا عن ابن عباس رضى الله عنه قال: قدم أبو الصمصام العيسى إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم و أناخ ناقته على باب المسجد و دخل و سلّم و أحسن التسليم ثمّ قال: أيكم الفتى الغوى الذى يزعم أنه نبيّ؟ فوثب إليه سلمان الفارسى «رض» فقال: يا أخا العرب أما ترى صاحب الوجه الأقرم، و الجين الأزهر، و الحوض و الشفاعة، و التواضع و السكينه، و المسأله و الاجابه، و السّيف و القضيّب، و التكبير و التهليل، و الأقسام و القضيّه، و الأحكام الخفيّه، و النور و الشرف، و العلوّ و الرّفعة، و السخاء و الشجاعه و النجده، و الصّلاه المفروضه و الزكاه المكتوبه، و الحجّ و الاحرام، و زمزم و المقام، و المشعر الحرام، و اليوم المشهود، و المقام المحمود، و الحوض المورود، و الشفاعة الكبرى، و ذلك مولانا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم.

فقال الأعرابى: إن كنت نبيا فقل متى تقوم الساعه و متى يجىء المطر و أى شىء فى بطن ناقتى و أى شىء اكتسب هذا و متى أموت؟ فبقى صَلَّى الله عليه وآله ساكتا لا ينطق بشىء فهبط الأمين جبرئيل فقال: يا محمّد اقرء:

«إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَمَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ»

ص: ١١٤

«إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» قال الأعرابي: مَدَّ يَدَكَ فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاقْرَأْ أَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيُّ شَيْءٍ لِي عِنْدَكَ إِنْ آتَيْتَكَ بِأَهْلِي وَبَنِي عَمِّي مُسْلِمِينَ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لَكَ عِنْدِي ثَمَانُونَ نَاقَةَ حَمْرٍ الظُّهُورِ، بَيْضِ الْبَطُونِ، سَوْدِ الْحَدَقِ، عَلَيْهَا مِنْ طَرَايِفِ الْيَمَنِ وَنَقَطِ (١) الْحِجَازِ.

ثُمَّ التَفَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: اكْتُبْ يَا أَبَا الْحَسَنِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَقْرَبَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ الْمَنَافِ وَأَشْهَدُ عَلَى نَفْسِهِ فِي صِحَّةِ عَقْلِهِ وَبَدَنِهِ وَجَوَازِ أَمْرِهِ أَنَّ لِأَبِي الصَّيْحَمِصَامِ عَلَيْهِ وَعِنْدَهُ وَفِي ذِمَّتِهِ ثَمَانِينَ نَاقَةَ حَمْرٍ الظُّهُورِ، بَيْضِ الْبَطُونِ، سَوْدِ الْحَدَقِ عَلَيْهَا مِنْ طَرَايِفِ الْيَمَنِ وَنَقَطِ الْحِجَازِ، وَأَشْهَدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ أَصْحَابِهِ.

وَخَرَجَ أَبُو الصَّيْحَمِصَامِ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَدِمَ أَبُو الصَّيْحَمِصَامِ وَكَانَ أَسْلَمَ بَنُو عَيْسٍ كُلِّهَا، فَقَالَ أَبُو الصَّيْحَمِصَامِ: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ قَالُوا: قَبِضَ، قَالَ:

فَمَنْ الْوَصِيُّ بَعْدَهُ؟ قَالُوا مَا خَلْفَ فِينَا أَحَدًا، قَالَ: فَمَنْ الْخَلِيفَةُ بَعْدَهُ؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ فَدَخَلَ أَبُو الصَّيْحَمِصَامِ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِنَّ لِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دِينَارًا ثَمَانِينَ نَاقَةَ حَمْرٍ الظُّهُورِ، بَيْضِ الْبَطُونِ، سَوْدِ الْحَدَقِ عَلَيْهَا مِنْ طَرَايِفِ الْيَمَنِ وَنَقَطِ الْحِجَازِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا أَخَا الْعَرَبِ سَأَلْتِ مَا فَوْقَ الْعَقْلِ، وَاللَّهِ مَا خَلْفَ فِينَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِأَصْفَرَاءَ وَلَا لِبَيْضَاءَ، خَلْفَ فِينَا بَغْلَتُهُ الذَّلُولِ، وَدَرَعُهُ الْفَاضِلَةُ فَأَخَذَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَخَلْفَ فِينَا فَدَكَهَا فَأَخَذْنَاهَا بِحَقِّ، وَنَبِينَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَا يُورَثُ.

فَصَاحَ سَلْمَانُ: كَرْدِي وَنَكْرَدِي وَحَقُّ أَمِيرِ بَرْدِي، رَدَّ الْعَمَلَ إِلَى أَهْلِهِ ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى أَبِي الصَّيْحَمِصَامِ فَأَقَامَهُ إِلَى مَنْزَلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ وَضُوءَ الصَّلَاةِ، فَقَرَعَ سَلْمَانُ الْبَابَ، فَنَادَى عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ادْخُلِي أَنْتِ وَأَبُو الصَّيْحَمِصَامِ الْعَيْسِيُّ

ص: ١١٥

١- (١) لم أجد لفظ النقط في كتب اللغة و الظاهر انه تحريف من النساخ و الصحيح نمط الحجاز و هو ثوب من صوف ذو ألوان و يقال أيضا لما يفرش من مفارش الصوف الملوّنه، منه.

فقال أبو الصِّمَّامِ: اعجوبه و ربِّ الكعبة، من هذا الذى سَمَّانى و لم يعرفنى؟ فقال سلمان الفارسى «رض»: هذا وصى رسول الله، هذا الذى قال له رسول الله صلى الله عليه و آله أنا مدينة العلم و على بابها فمن أراد العلم فليأت الباب، هذا الذى قال له رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: على خير البشر فمن رضى فقد شكر و من أبى فقد كفر، هذا الذى قال الله تعالى فيه:

«وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا».

هذا الذى قال الله تعالى فيه: «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ» و هذا الذى قال الله تعالى فيه: «أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَ عِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَّا يَسْتَوُونَ» هذا الذى قال الله تعالى فيه: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ». هذا الذى قال الله تعالى فيه: «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ» الآية.

هذا الذى قال الله تعالى فيه: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُم تَطْهِيرًا» هذا الذى قال الله عزَّ و جلَّ فيه: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ» ادخل يا أبا الصممام و سلم عليه، فدخل و سلم عليه، ثم قال: إن لى على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ثمانين ناقه حمر الظهر، بيض البطون، سود الحديق، عليها من طرائف اليمن و نقط الحجاز، فقال عليه السلام أمعك حجَّه؟ قال: نعم، و دفع الوثيقه

فقال عليه السّلام: ناد يا سلمان في الناس: ألا من أراد أن ينظر إلى قضاء دين رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم فليخرج إلى خارج المدينة.

فلَمّا كان بالغد خرج النَّاسُ، وقال المنافقون: كيف يقضى الدين و ليس معه شيء غدا يفتضح من أين له ثمانون ناقة حمر الظهور، بيض البطون، سود الحدق عليها من طرائف اليمن، و نقط الحجاز فلما كان الغد اجتمع الناس و خرج عليّ عليه السّلام في أهل بيته و محبّيه و في الجماعه من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله، و أسرّ الحسن عليه السّلام سرّاً لم يدر أحد ما هو.

ثمّ قال: يا أبا الصّمصام امض مع ابني الحسن إلى كتيب الرّمْل، فمضى و معه أبو الصّمصام، و صلّى ركعتين عند الكتيب، و كلّم الأرض بكلمات لا يدرى ماهي، و ضرب على الكتيب بقضيب رسول الله صلّى الله عليه و آله، فانفجر الكتيب عن صخره ململمه مكتوب عليها سطران، على الأوّل لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله، و على الآخر لا إله إلاّ الله و عليّ وليّ الله، و ضرب الحسن عليه السّلام تلك الصّخره بالقضيب فانفجرت عن خطام ناقة، فقال الحسن عليه السّلام: قديا أبا الصّمصام، فقاد، فخرج منها ثمانون ناقة حمر الظهور، بيض البطون، سود الحدق، عليها من طرائف اليمن، و نقط الحجاز، و رجع إلى عليّ عليه السّلام فقال عليه السّلام: استوفيت حقك يا أبا الصّمصام؟ فقال: نعم، فقال عليه السّلام: سلّم الوثيقه، فسلمّها إليه فخرقها فقال: هكذا أخبرني ابن عمّي رسول الله صلّى الله عليه و آله إنّ الله عزّ و جلّ خلق هذه التّوق في هذه الصخره قبل أن يخلق ناقة صالح بألفى عام، ثمّ قال المنافقون: هذا من سحر عليّ قليل.

قال صاحب ثاقب المناقب: و يروى هذا الخبر على وجه آخر و هو ما روى أبو محمّد الادريسي عن حمزه بن داود الديلمي عن يعقوب بن يزيد الانباري عن أحمد ابن محمّد بن أبي نصر عن حبيب الأحول عن أبي حمزه الثّمالي عن شهر بن حوشب عن ابن عبّاس قال:

لَمّا قبض النّبي صلّى الله عليه و آله و جلس أبو بكر نادى في النَّاس: ألا من كان له على رسول الله صلّى الله عليه و آله عده أو دين فليأت أبا بكر و ليأت معه شاهدين، و نادى عليّ عليه السّلام بذلك

على الاطلاق من غير طلب شاهدين، فجاء أعرابي متلثم متقلدا سيفه متنكنا كنانته و فرسه لا يرى منه إلا حافره، و ساق الحديث و لم يذكر الاسم و القبيله، و كان ما وعده مائة ناقه حمراء بأزمتها و أثقالها موقره ذهباً و فضّه بعيدها.

فلما ذهب سلمان بالأعرابي إلى أمير المؤمنين عليه السّلام قال له حين بصره: مرحبا بطالب عدّه والده من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: فقال: ما وعد أبي يا أبا الحسن؟ قال: إنّ أباك قدم على رسول الله صلّى الله عليه و آله قال: أنا رجل مطاع فى قومي إن دعوتهم أجاوبك، و إنّى ضعيف الحال فما تجعل لى إن دعوتهم إلى الاسلام فأسلموا فقال صلّى الله عليه و آله: من أمر الدّنيا أم من أمر الآخرة؟ قال: و ما عليك أن تجمعهما بى يا رسول الله و قد جمعهما الله لا ناس كثيره، فتبسّم النبى صلّى الله عليه و آله و قال: اجمع لك خير الدّنيا و الآخرة، أما فى الآخرة فأنت رفيقى فى الجنه، و أمّا فى الدّنيا فما تريد؟ قال: مائة ناقه حمر بأزمتها و عبيدها موقره ذهباً و فضّه، ثمّ قال: و إن دعوتهم فأجاوبنى و قضى علىّ الموت و لم ألقك فتدفع ذلك إلى ولدى قال: نعم على أنى لا أراك و لا ترانى فى دار الدّنيا بعد يومى هذا، و سيجيبك قومك، فاذا حضرتك الوفاء فليصر ولدك إلى ولى من بعدى و وصّى، و قد مضى أبوك و دعا قومه فأجاوبه و أمرك بالمصير إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله أو إلى وصّىه، وها أنا وصّىه و منجز وعده.

فقال الأعرابي: صدقت يا أبا الحسن، ثمّ كتب عليه السّلام له على خرقة بيضاء و ناول الحسن عليه السّلام، و قال: يا أبا محمّد سر بهذا الرجل إلى وادى العقيق و سلّم على أهله و اذف الخرقه و انتظر ساعه حتّى ترى ما يفعل، فان دفع إليك شىء فادفعه إلى الرجل، و مضيا بالكتاب.

قال ابن عباس: فسرت من حيث لم يرنى أحد، فلما أشرف الحسن عليه السّلام على الوادى نادى بأعلى صوته السّلام عليكم أيّها السكان البرره الأتقياء أنا ابن وصّى رسول الله صلّى الله عليه و آله أنا الحسن بن علىّ سبط رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و ابن رسول الله صلّى الله عليه و آله و رسوله إليكم، و قد قذف الخرقه فى الوادى فسمعت من الوادى صوتا ليبيك ليبيك يا سبط رسول الله و ابن البتول و ابن سيد الاوصياء سمعنا و أطعنا انتظر ليدفع إليك،

فبينما أنا كذلك إذ ظهر غلام لم ادر من اين ظهر و بيده زمام ناقه حمراء تتبعها سته فلم يزل يخرج غلام بعد غلام فى يد كل غلام قطار حتى عدت مائه ناقه حمراء بأزمتها و أحمالها، فقال الحسن عليه السّلام خذ بزمام نوقك و عبيدك و مالك و امض يرحمك الله هذا و قد روى هذا الحديث بطرق آخر من العامه و الخاصه نحو ما روينا.

و أما قوله:(و تمام الكلمات) فقد فسره الشارح المعتزلى بتأويل القرآن و بيانه الذى يتم به، قال: لأنّ فى كلامه تعالى المجمل الذى لا يستغنى عن متّم و مبيّن يوضحه أقول: إذا كان متّم القرآن و مبيّنه هو أمير المؤمنين عليه السّلام و لم يمكن الاستغناء فيه عنه عليه السّلام، فكيف يمكن معذلك تقديم أحلاف العرب الذين لا يعرفون من القرآن إلا اسمه عليه و ترجيحهم عليه، فإنّ القرآن هو إعجاز النبوه و أساس المله و عماد الشريعه، فلا بد أن يكون القيم به و العارف له و الحافظ لأسراره، هو الحجّه لا غير كما هو غير خفى على الذكى ذى الفطنه.

ثم أقول الذى عندى أنه يجوز أن يراد بالكلمات القرآنيه خصوصا أعنى الآيات و ما تضمّنته من التأويل و التنزيل و المفهوم و المنطوق و الظهر و البطن و النكات و الأسرار، و ما فيها من الناسخ و المنسوخ و المحكم و المتشابه و العام و الخاص و المطلق و المقيّد و المجمل و المبيّن و الأمر و النهى و الوعد و الوعيد و الجدل و المثل و القصص و الترغيب و الترهيب إلى غير ذلك، فإنّ تمام ذلك و كله عند أمير المؤمنين عليه السّلام و العلم بجميع ذلك مخصوص به و بالطاهرين من أولاده سلام الله عليهم حسبما عرفته تفصيلا و تحقيقا فى التّذييل الثّالث من تذييلات الفصل السابع عشر من فصول الخطبه الاولى.

و أن يراد بها مطلق كلمات الله النازله على الأنبياء و الرّسل فى الكتب السماويه و الصّيحف الالهيه، و قد مضى ما يدلّ على معرفتهم بتمام هذه فى شرح الفصل الرابع من فصول الخطبه الثانيه عند قوله عليه السّلام: و كهف كتبه.

و أن يراد بها الأعمّ من هذه أيضا، و هو الأنسب باقتضاء عموم وظيفتهم عليهم السّلام، فيكون المراد بها ما ورد فى غير واحد من الأخبار من أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله علّم عليا كلمه تفتح ألف كلمه و ألف كلمه يفتح كلّ كلمه ألف كلمه، و عبّر عنها فى أخبار اخر بلفظ الباب و فى بعضها بلفظ الحديث و فى طائفه بلفظ الحرف.

مثل ما رواه فى غاية المرام عن المفيد مسندا عن أبى حمزه الثمالى عن علىّ ابن الحسين عليهما السّلام قال: علّم رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلمّ عليا كلمة تفتح ألف كلمة، و ألف كلمة يفتح كلّ كلمة ألف كلمة.

و فيه عن المفيد أيضا باسناده عن عبد الرّحمن بن أبى عبد الله عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: علّم رسول الله صلّى الله عليه وآله عليا حرفا يفتح ألف حرف كلّ حرف منها يفتح ألف حرف.

و فيه أيضا عن محمّد بن الحسن الصّيفى مسندا عن أبى حمزه الثّمالى عن أبى إسحاق السّبيعى قال: سمعت بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام ممّن يثق به يقول: سمعت عليا عليه السّلام يقول: إنّ فى صدرى هذا العلما جمّا علّمنيّه رسول الله صلّى الله عليه وآله لو أجد له حفظه يرعونه حقّ رعايته و يروونه عنى كما يسمعونّه منى إذا لأودعتهم بعضه، يعلم به كثيرا من العلم مفتاح كلّ باب و كلّ باب يفتح ألف باب.

و فيه أيضا عن محمّد بن علىّ الحكيم الترمذى عن صاحب الينابيع قال: سأل قوم من اليهود عمر فى زمن خلافته عن مسائل بشرط إن أجابهم أو غيره من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلمّ آمنوا به صلّى الله عليه وآله و قالوا:

ما قفل السماء و ما مفتاح ذلك القفل؟ و ما القبر الجارى؟ و من الرّسول الذى وعظ قومه و لم يكن من الجنّ و لا من الانس؟ و من الخمسة الذين يسيرون فى الأرض و لم يخلقوا فى أرحام الامهات؟ و ما يقول الدّيك فى صوته؟ و الدّراج فى هديده؟ و القمرى فى هديره؟ و الفرس فى صهيله؟ و الحمار فى نهيقه؟ و الضفدع فى نقيقه؟ فأطرف عمر زمانا ثمّ رفع رأسه قال لا أدرى، فقالوا: علمنا أنّ دينكم باطل، فغدا سلمان «ض» جدّا و أخبر عليا بالقصّه فأتى فلما رآه استقبله و عانقه و أخبره بالقصّه فقال كرم الله وجهه لا تبال فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلمّ علّمنى ألف باب من العلم كان يتشعب منه ألف باب آخر، قال عمر فاسألوه عنها، فقال فى جوابهم:

أمّا قفل السّماء فهو الشرك، و أمّا مفتاح ذلك القفل فقول لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله، قالوا: صدق الفتى، ثمّ قال: و أمّا القبر الجارى فهو الحوت الذى

كان يونس فى بطنه حيث دار به فى سبعة أبحر، و أمّا الرّسول الذى لم يكن من الجنّ و الانس فتمله سليمان كما قال الله تعالى:

«قَالَتْ نَمَلُهُ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ».

و أمّا الخمسة الذين لم يخلقوا فى أرحام الأمّهات فآدم، و حوّاء، و ناقة صالح، و كبش إبراهيم، و ثعبان موسى، و أمّا الديك فيقول: اذكروا الله أيّها الغافلون، و أمّا الدرّاج فيقول: الرّحمن على العرش استوى، و أمّا القمري فيقول: اللهمّ العن مبغضى محمّد و آل محمّد، و أمّا الفرس فيقول عند الغزو: اللهمّ انصر عبادك المؤمنين على عبادك الكافرين، و أمّا الحمار فيلعن العشار و لا ينهق إلاّ فى وجه الشيطان، و أمّا الضفدع فيقول: سبحان ربّي المعبود فى لجج البحار.

و روى أنّهم كانوا ثلاثة فآمن منهم اثنان، و قام ثالثهم فسأل عن أصحاب الكهف و عن أسمائهم و أسماء كهفهم و اسم كلبهم، فأخبر بكلّها علىّ رضى الله عنه كما رواه عنه صاحب الكشاف فى تفسير سورة الكهف، و قصّ قصّتهم، فآمن اليهودى.

ثمّ قال عليه السّلام: (و عندنا أهل البيت أبواب الحكم) يجوز أن يراد بالحكم على روايه ضمّ الحاء و سكون الكاف القضاء و الفصل بين الناس فى الخصومات و الدعاوى، و أن يراد به الحكم الشرعى الفرعى أعنى خطاب الله المتعلّق بأفعال المكلفين.

فعلى الاول فالظاهر أنّ المراد بأبوابه هو طرقة و وجوهه، فانهم عليهم السّلام كانوا عالمين بها عارفين بتمامها يحكمون فى القضايا الشخصية على ما يقتضيه المصلحه الكامنه الظاهرية أو الواقعيّة.

ففى بعضها كانوا يحكمون بظاهر الشريعة على ما يقتضيه اليمين و البيّنه، و هو المراد بما روى عن النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم أنه قال: إنّما أنا بشر مثلكم و إنّما تختصمون إليّ و لعلّ بعضكم يكون أعرف بحجّته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشىء من حقّ أخيه فلا يأخذه فانما اقطع له قطعه من النار.

و فى بعضها بمّر الحقّ على وجه التّيدبير و استخراج وجه الحيله و الاحتيال فى اعمال الحقّ و استخراج الافراد بالحقوق الباطنه بلطايف الفكر كما كان يفعله أمير المؤمنين عليه السّلام فى أيام خلافه عمرو غيرها كثيرا، مثل قضائه فى المرأه التى استودعها رجلان وديعه، و فى المرأه التى توفّى عنها. زوجها و ادّعى بنوها أنّها فجرت و فى الجاريه التى افتضتها سيّدتها اتهاما و رميا لها بالفاحشه حسبما تقدّم تفصيل ذلك كلّ فى شرح الفصل الثانى من فصول الخطبه الثالثه المعروفه بالشقشقيه.

و مثل ما رواه عنه فى الفقيه قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: توفّى رجل على عهد أمير المؤمنين و خلف ابنا و عبدا فادّعى كلّ واحد منهما انه الابن و أنّ الآخر عبد له فأتيا أمير المؤمنين عليه السّلام فتحا كما إليه، فأمر أمير المؤمنين أن يثقب فى حائط المسجد ثقبان، ثمّ أمر كلّ واحد منهما أن يدخل رأسه فى ثقب، ففعلا ثمّ قال: يا قنبر جرّد السيف و أشار إليه لا تفعل ما أمرك به، ثمّ قال عليه السّلام اضرب عنق العبد العبد قال فنحى العبد رأسه فأخذه أمير المؤمنين عليه السّلام و قال للآخر أنت الابن و قد اعتقته و جعلته مولى لك.

و فى بعضها بالحكم الواقعى المحض و به يحكم القايم من آل محمّد سلام الله عليه و عليهم بعد ظهوره، و هو المعبر عنه بحكم داود و آل داود فى الأخبار، فإنّ داود عليه السّلام كان يعمل زمانا على مقتضى علمه بالوحى من دون أن يسأل عن اليّنه، ثمّ إنّ بنى إسرائيل اتّهموه لبعده عن طور العقل، فرجع إلى العمل بالبينات، و قد روينا فى شرح الفصل المذكور من الخطبه الشقشقيه عن الساباطى قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام بما تحكمون إذا حكتم؟ فقال: بحكم الله و حكم داود الحديث، و قد مضى ثمّه أخبار اخر بهذا المعنى.

و كان أمير المؤمنين عليه السّلام يحكم بهذا الحكم احيانا، مثل ما روى عنه فى محاكمه رسول الله صلّى الله عليه و آله مع الاعرابى.

قال فى الفقيه: جاء أعرابى إلى النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم فادّعى عليه سبعين درهما ثمن ناقه باعها منه، فقال صلّى الله عليه و آله قد أوفيتك، فقال: اجعل بيننا و بينك رجلا يحكم بيننا

فأقبل رجل من قريش فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: احكم بيننا، فقال للأعرابي: ما تدعى على رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم؟ قال: سبعين درهما ثمن ناقه بعثها منه، فقال: ما تقول يا رسول الله؟ قال: قد أوفيته، فقال للأعرابي: ما تقول؟ قال: لم يوفني، فقال لرسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: ألك بينه على أنك قد أوفيته؟ قال: لا، قال للأعرابي: أتحلف أنك لم تستوف حقه و تأخذه؟ فقال: نعم، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: لأتحاكمن مع هذا إلى رجل يحكم بيننا بحكم الله عز وجل، فأتى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب عليه السلام و معه الأعرابي فقال علي عليه السلام: مالك يا رسول الله؟ فقال: يا أبا الحسن احكم بيني وبين هذا الأعرابي، فقال علي عليه السلام: يا أعرابي ما تدعى على رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم؟ قال: سبعين درهما ثمن ناقه بعثها منه، فقال: ما تقول يا رسول الله؟ فقال: قد أوفيته ثمنها، فقال: يا أعرابي اصدق رسول الله فيما قال؟ قال: لا، ما أوفاني شيئا، فأخرج علي عليه السلام سيفه فضرب عنقه، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: لم فعلت ذلك يا علي؟ فقال: يا رسول الله نحن نصدقك على أمر الله و نهييه و على أمر الجنة و النار و الثواب و العقاب و وحى الله عز وجل، و لا نصدقك في ثمن ناقه هذا الأعرابي، و إنني قتلته لأنه كذبتك لما قلت له اصدق رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم فيما قال فقال لا ما أوفاني شيئا، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: يا علي فلا تعد إلى مثلها، ثم التفت صَلَّى الله عليه وآله وسلم إلى القرشي و كان قد تبعه فقال صَلَّى الله عليه وآله وسلم: هذا حكم الله لا ما حكمت به.

و في روايه محمّد بن بحر الشيباني عن أحمد بن الحارث قال: حدّثنا أبو أيوب الكوفي قال: حدّثنا إسحاق بن وهب العلاف قال: حدّثنا أبو عاصم النبالي عن ابن جريح عن الضحاك عن ابن عباس قال:

خرج رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم من منزل عايشه فاستقبله أعرابي و معه ناقه فقال:

يا محمّد تشري هذه الناقة؟ فقال النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم: نعم بكم تبيعها يا أعرابي، فقال:

بمأني درهم، فقال النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم: بل ناقتك خير من هذا، قال: فما زال النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم يزيد حتى اشترى الناقة بأربعمائه درهم، قال: فلما دفع النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم إلى أعرابي الدرهم ضرب الأعرابي يده إلى زمام الناقة فقال: الناقة ناقتي و الدرهم دراهمي فان

كان لمحَمَّدٍ شىءٌ فليقم البيئه، قال: فأقبل رجل فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أترضى بالشيخ المقبل؟ قال: نعم يا محمَّد، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: تقضى فيما بينى وبين هذا الاعرابى فقال: تكلم يا رسول الله، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: الناقه ناقتى و الدرهم دراهم الاعرابى فقال الاعرابى: بل الناقه ناقتى و الدرهم دراهمى إن كان لمحَمَّدٍ شىءٌ فليقم البيئه، فقال الرجل: القضيّه فيها واضحه يا رسول الله، و ذلك أنّ الاعرابى طلب البيئه، فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: اجلس فجلس، ثم أقبل رجل آخر فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أترضى يا أعرابى بالشيخ المقبل؟ فقال: نعم يا محمَّد، فلمّا دنى قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: اقض فيما بينى وبين هذا الأعرابى، فقال تكلم يا رسول الله فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: الناقه ناقتى و الدرهم دراهم الأعرابى، فقال الاعرابى: بل الناقه ناقتى و الدرهم دراهمى إن كان لمحَمَّدٍ شىءٌ فليقم البيئه، فقال الرجل: القضيّه فيها واضحه يا رسول الله لأنّ الاعرابى طلب البيئه، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: اجلس حتّى يأتى الله عزّ و جلّ بمن يقضى بينى وبين الأعرابى بالحقّ، فأقبل علىّ بن أبى طالب عليه السّلام، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أترضى بالشّاب المقبل؟ فقال: نعم، فلمّا دنى قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يا أبا الحسن اقض فيما بينى وبين الأعرابى، فقال: تكلم يا رسول الله، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: الناقه ناقتى و الدرهم دراهم الأعرابى، فقال الاعرابى، بل الناقه ناقتى و الدرهم دراهمى إن كان لمحَمَّدٍ شىءٌ فليقم البيئه، فقال علىّ عليه السّلام: خلّ بين النّاقه و بين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فقال الاعرابى: ما كنت بالذى أفعل أو يقيم البيئه، قال فدخل علىّ عليه السّلام منزله فاشتمل علىّ قائم سيفه ثمّ أتا فقال خلّ بين النّاقه و بين رسول الله قال ما كنت بالذى أفعل أو يقيم البيئه، قال: فضربه علىّ ضربه فاجتمع أهل الحجاز علىّ أنه رمى برأسه و قال بعض أهل العراق: بل قطع عضوا منه قال فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ما حملك على هذا يا علىّ؟ فقال: يا رسول الله نصّدقك على الوحى من السماء و لا نصّدقك على أربعمائه درهم، قال الصدوق (ره) بعد روايه هذين الحديثين انهما غير مختلفين لأنهما فى قضيتين و كانت هذه القضيّه قبل القضيّه التى ذكرتها قبلها، هذا.

و قد تقدّم في شرح الكلام الثامن و الخمسين ما ينفعك في هذا المقام.

و على الثانى أى على كون المراد بالحكم الأحكام الشرعيه فالمراد بأبوابه هو طرق الافتاء و وجوه بيان المسائل على ما تقتضيه المصلحه فيفتون بعض الناس بالحكم الواقعى و بعضهم بالتقيّه حقنا لدمائهم أو لدماء السائلين حسبما تقدّم تفصيل ذلك أيضا فى شرح الكلام الثامن و الخمسين فى بيان وجوه التفويض فتذكر.

و كيف كان فقد وضح و ظهر ممّا قرّنا أنّ الأئمه عليهم السّلام عندهم أبواب الحكم بأى معنى اخذ الحكم و أنهم عارفون بها محيطون بأقطارها، و هذا الوصف مخصوص بهم لا يوجد فى غيرهم، لأنّ معرفه المصالح الكامنه لا يحصل إلا بتأييد الهى و قوّه ربّانيه مخصوصه بأهل العصمه و الطهاره.

و لذلك أى لقصد الاختصاص و التخصيص قدّم عليه السّلام المسند و قال: و عندنا أبواب الحكم (و ضياء الأمر) و المراد بالأمر إمّا الولايه كما كتّى به عنها كثيرا فى اخبار أهل البيت عليهم السّلام، و فى قوله تعالى و اولى الأمر منكم، و الضياء حينئذ بمعناه الحقيقى أى عندنا نور الامامه و الولايه، و إمّا الأوامر الشرعيه فالضياء استعاره للحقّ لأنّ الحقّ يشبه بالنور كما أنّ الباطل يشبه بالظلمه قال سبحانه:

«اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ»
فالمقصود أنّ الأئمه عليهم السّلام حقّ الأوامر الشرعيه و التكاليف الالهيه، و إليه اشير فى قوله سبحانه:

«أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ».

و إمّا مطلق الامور المقدره فى الكون كما قال تعالى:

«تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» أى تنزل إلى ولى الأمر بتفسير الامور على ما تقدّم تحقيقه بما لا مزيد عليه

فى شرح

ص: ١٢٥

ثم انه عليه السلام بعد ما ذكر جمله من فضايله و فضائل آله الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين أردف ذلك بالاشارة إلى وجوب اتباعهم و أخذ معالم الدين عنهم عليهم السلام فقال (ألا و إنّ شرايع الدين) و طرقه أى قواعده و قوانينه (واحد و سبله قاصده) أى معتدله مستقيمه و هى ما دلّ عليها أهل بيت العصمه و الطهاره، لأنهم أولياء الدين و أبواب الايمان و امناء الرحمن و الأدلاء على الشريعة و الهداه إلى السنه (من أخذ بها) و اتبع أئمه الهدى سلك الجاده الوسطى و (لحق) بالحق (و غنم) النعمه العظمى (و من وقف عنها) و انحرف عن الصراط الأعظم و السبيل الأقوم و أخذ فى أمر الدين بطرق الأقيسه و وجوه الاستحسانات العقلية، أو رجع فيه إلى الهمج الرعاع و أئمه الضلال العاملين فيه لعقولهم الفاسده و آرائهم الكاسده (ضلّ و ندم) و قد تقدّم فى شرح الكلام السادس عشر و السابع عشر و الثامن عشر ما ينفعك فى هذا المقام.

ثم أمر بتحصيل الزاد ليوم المعاد فقال عليه السلام (اعملوا ليوم تذخر له الذخائر) و هى الأعمال الصالحه (و تبلى فيه السرائر) الغرض بالوصف إمّا تخصيص الموصوف أو التهويل حثا بالعمل كما فى قوله سبحانه:

«فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ».

و الجملة الثانيه مأخوذه من الكتاب العزيز قال تعالى: يوم تبلى السرائر، أى تختبر و السرائر: ما أسرّ القلوب من العقائد و النيات و غيرها و ما خفى من الأعمال قال الطبرسى: و السرائر أعمال بنى آدم و الفرائض ما أوجبت عليه و هى سرائر فى العبد تختبر تلك السرائر يوم القيامه حتى يظهر خيرها و شرّها.

و عن معاذ بن جبل قال: سألت النبى ما هذه السرائر التى تبلى بها العباد يوم القيامه؟ قال صلى الله عليه و آله سرائر كم هى أعمالكم من الصلاه و الزكاه، و الصيام و الوضوء و الغسل من الجنابه و كلّ مفروض لأن الأعمال كلّها سرائر خفيّه فان شاء قال صليت و لم يصلّ، و إن شاء قال توضأت و لم يتوضّ، فذلك قوله: يوم تبلى السرائر هذا.

و لما كان كمال القوّه العمليه لا يحصل إلا بكمال القوّه النظرية أردفه بقوله (و من لا ينفعه حاضر لُبّه فعازبه) أى بعیده (أعجز و غايه أعوز) أى أعدم للمنفعه يعنى أنّ من لا ينفعه لُبّه الحاضر و عقله الموجود فهو بعدم الانتفاع بما هو غير حاضر و لا موجود عنده من العقل أولى و أخرى.

و قيل فى تفسيره وجوه اخر: الاول من لا يعتبر بلّبه فى حياته فأولى بأن لا ينتفع به بعد الموت الثانى أنّ من لم يعمل بما فهم و حكم به عقله وقت امكان العمل فأحرى أن لا ينتفع به بعد انقضاء وقته بل لا يورثه إلا ندامه و حسره الثالث أنّ من لم يكن له من نفسه رادع و زاجر فمن البعيدان نیز جر و يرتدع بعقل غيره و موعظه غيره كما قيل: و زاجر من النفس خير من عتاب العواذل.

و لما حثّ بالعمل أكّده بالتحذير من النار فقال (و اتّقوا نارا حرّها شديد و قعرها بعيد و حليتها حديد و شرابها صديد) لا يخفى ما فى هذه الفقر من حسن الخطابه حيث ناط بكلّ لفظه ما يناسبها و يلائمها لو نيّطت بغيرها لم تلائم، و الاضافه فى القرينه الاولى على أصلها، و فى الأخيره لأدنى المناسبه، و فى الوسطين تحتمل الأول و الثانى، و استعاره الحليه للقيود و الاغلاص من باب التحكم، و القرينه الاخرى مأخوذه عن قوله سبحانه: «يُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ»، و هو القيح و الدّم، و قيل: هو القيح كأنه الماء فى رفته و الدّم فى شكله، و قيل: هو ما يسيل من جلود أهل النار و كيف كان فتوصيف النار بهذه الأوصاف الأربعة للتحذير و الترهيب منها كما أنّ فى ذكر حليه أهل الجنّه و شرابهم فى قوله تعالى:

«و حُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَ سَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا».

ترغيبا و تشويقا إليها ثمّ قال (ألا و إنّ اللّسان الصالح) أى الذكر الجميل تسميه للشىء باسم مسببه (يجعله الله للمرء فى الناس خير له من مال يورثه من لا- يحمده) و قد مرّ نظير هذه العبارة فى الفصل الثانى من فصلى الخطبه الثالثه و العشرين، و المراد أنّ تحصيل مكارم الأخلاق

و محاسن الأفعال من البذل و الانفاق و نحوهما مما يوجب الثناء الجميل في الدنيا و الثواب الجزيل في العقباء خیر من تحصیل المال و جمعه و توريثه من لا- يشكره عليه أي وارثه الذي لا- يعد ذلك الايراث فضلا و نعمه لا يجابه العذاب الأليم و الندم الطويل و هو شاهد بالعيان معلوم بالوجدان

الترجمه

از جمله کلام بلاغت فرجام آن امام اُنام است که فرموده:

قسم بخداوند بتحقیق که تعلیم کرده شده ام من برسانیدن رسالتها را، و تمام کردن وعدها را، و تمامی کلمه ها را، و نزد ما اهل بیت است بابهای احکام، و روشنی امورات، آگاه باشید و بدانید که طرق دین یکی است، و راههای آن معتدل و مستقیم است، هر که فرا گرفت آنرا رسید بمقصد و غنیمت یافت، و هر که وا ایستاد از آن گمراه شد و بضلالت و ندامت شتافت، عمل نمائید از برای روزی که ذخیره کرده می شود از برای آن روز ذخیرهها، و امتحان کرده می شود در آن روز عقاید صحیحه و فاسده و نیات حقه و باطله، و کسی که فائده نبخشد او را عقل او که حاضر است پس عقلی که بعید است از او عاجزتر است از نفع بخشیدن، و عقلی که غائب است از آن عادم تر است منفعت را، و بترسید از آتشی که گرمی آن سخت است، و ته آن دور است، و زینت آن آهن است، و شراب آن زردابست، بدانید که بدرستی که زبان خوشی که بگرداند او را خداوند تعالی از برای مرد در میان خلق بهتر است مر او را از مالی که ارث بگذارد آنرا بکسی که ستایش نکند او را بکثیر و قلیل آن و لنعم ما قیل:

کسی کو شد بنام نیک مشهور پس از مرگش بزرگان زنده دانند

ولی آنرا که بد فعل است و بدنام اگر چه زنده باشد مرده خوانند

و قال آخر:

سعدیا مرد نکو نام نمیرد هرگز مرده آنست که نامش بنکوئی نبرند

فى باب الخطب

و قد قام اليه رجل من أصحابه فقال نهيتنا عن الحكومه ثم أمرتنا بها فما ندرى أى الامرين أرشد، فصفق (عليه السلام) احدى يديه على الاخرى ثم قال هذا جزاء من ترك العقده، أما و الله لو أتى حين أمرتكم بما أمرتكم به حملتكم على المكروه الذى يجعل الله فيه خيرا فإن استقمتم هديتكم، و إن اعوججتم قومتمكم، و إن أبيتم تداركتكم، لكانت الوثقى و لكن بمن و إلى من؟ أريد أن أداوى بكم و أنتم دائى كناقش الشوكه بالشوكه و هو يعلم أن ضلعها معها، اللهم قد ملت أطباء هذا الداء الدوى، و كلت التزعه بأشطان الركى، أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه، و قرءوا القرآن فأحكموه، و هيجوا إلى الجهاد فولهوا وله اللقاح إلى أولادها، و سلبوا السيوف أعمادها، و أخذوا بأطراف الأرض زحفا زحفا، و صفا صفا، بعض هلك، و بعض نجى، لا يبشرون بالأحياء، و لا يعزّون عن الموتى، مره العيون من البكاء، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاه من الدعاء، صفر الألوان من السهر، على وجوههم «عليهم خ» غبره الخاشعين، أولئك إخوانى الذاهبون، فحق لنا أن

نظاماً إليهم، و نعض الأيدي على فراقهم، إنّ الشيطان يسنى لكم طرقه، و يريد أن يحلّ دينكم عقده عقده، و يعطيكم بالجماعه الفرقة «و بالفرقه الفتنه خ»، فاصدقوا عن نزغاته و نفثاته، و اقبلوا النصيحة ممّن أهداها إليكم، و اعقلوها على أنفسكم.

اللغه

(العقده) بالضّمّ الرأى و الحزم و النظر فى المصالح و ما تمسكه و توثقه و (نقش الشوكه) إذا استخرجها من جسمه و به سمى المنقاش الذى ينقش به و (الضلع) محرّكه الميل و الهوى و ضلعك مع فلان أى ميلك و هواك قال الفيروز آبادى، قيل و القياس تحريكه، لأنهم يقولون ضلع مع فلان كفرح و لكنهم خففوا انتهى.

و يستفاد منه جواز القرائه بفتح اللّام و سكونها معاً، الأوّل على القياس لكونه مصدر ضلع من باب فرح، و الثانى على التخفيف.

و (الدّاء الدوى) الشديد كقولهم يسيل السّيل و شعر شاعر و (النزعه) جمع نازع كمرده و مارد و هو الذى يستقى الماء و (الأشطان) جمع الشّطن كالأسباب و السّيب و هو الجهل و (الرّكى) جمع الرّكبه و هى البئر و فى بعض النسخ: فولها اللّقاح، باسقاط لفظه الوله و (اللّقاح) بكسر اللّام الابل الواحده لقوح كصبور و هى الحلوب أو التى نتجت هى لقوح إلى شهرين أو ثلاثه، ثمّ هى لبون و (زحف) اليه كمنع زحفا و زحوفاً و زحفانا مشى، و الزحف أيضاً الجيش لأنهم يزحفون إلى العدو و يمشون و (الصف) مصدر كالتصنيف و يقال أيضاً للقوم المصطفين.

و (المره) بضّمّ الميم و سكون الرء مرض فى العين بترك الكحل من مرهت عينه كفرحت فسدت بترك الكحل و (خمص البطن) مثله خلاه (ذبل) الشىء ذبولاً من باب قعد قلّ نصارته و ذهب ماؤه و (الظماء) محرّكه شدّه العطش و (سنّاه) تسنيه فتحه و سهله و (الفرقه) و فى بعض النسخ بكسر الفاء و هو الطائفه

من الناس و الجمع فرق كسدره و سدر و فى بعضها بالضم و هو اسم من فارقته مفارقتة و فراقا.

الاعراب

أما حرف استفتاح يبتدء بها الكلام و تدخل كثيرا على القسم كما هنا، و قوله و الله لو أتى، لو حرف شرط، و أتى حملتكم، واقع موقع الشرط لكون أن بالفتح فاعلا لفعل محذوف يفسره قوله: حملتكم، و هذا أعنى تقدير الفعل بعد لو التى يليها أن هو مذهب المبرّد، و قال السيرافى: الذى عندى أنه لا يحتاج إلى تقدير الفعل و لكن أن يقع نائبه عن الفعل الذى يجب وقوعه بعدلو لأن خبر أن إذا فعل ينوب لفظه عن الفعل بعدلو، فاذا قلت لو أن زيدا جئنى، فكأنك قلت لو جئنى زيد.

و قوله: حين أمرتكم، متعلق بحملتكم و التقدّم للتوسيع، و جواب لو محذوف استغناء عنه بجواب القسم و هو قوله: لكانت الوثقى، و انما جعلناه جوابا للقسم دون لو بحكم علماء الأديبه، قال نجم الأئمة: إذا تقدّم القسم أول الكلام و بعده كلمه الشرط سواء كانت إن، أو لو، أو لولا، أو اسم الشرط، فالأكثر و الأولى اعتبار القسم دون الشرط فيجعل الجواب للقسم، و يستغنى عن جواب الشرط لقيام جواب القسم مقامه، نحو:

«و لو أنّهم آمنوا و اتّقوا لمثوبه من عند الله خير».

و تقول: و الله أن لو جئنى لجئتك، و اللام جواب القسم لا- جواب لو و لو كانت جواب لو لجاز حذفها و لا يجوز فى مثله، و كذا تقول: و الله لو جئنى ما جئتك، و لا تقول لما جئتك، و لو كان الجواب للو لجاز ذلك، انتهى.

و قوله عليه السلام: ممن و إلى من، حذف متعلقهما بقرينه المقام و ستعرفه فى بيان المعنى، و قولهاين القومأين كلمه استفهام استعملت هنا مجازا فى التحسر و التأسف على السلف الماضين، و هو من باب تجاهل العارف، و أغمادها منصوب بنزع الخافض أو بدل من السيوف، و أخذوا بأطراف الأرض، إمّا من باب القلب أى أخذوا الأرض بأطرافها كما تقول: أخذوا بزمام النّاقه، أو الباء زائده، أى أخذوا على الناس

أطراف الأرض أى حصروهم.

و زحفا زحفا و صفا صفا، منصوبان على الحال من فاعل أخذوا، أى زحفا بعد زحف و صفا بعد صف، أى ذوى صفوف كثيره و لا يمنع جمودهما إمّا لعدم اشتراط الاشتقاق فى الحال، أو لامكان التأويل المشتق بناء على الاشتراط، و يجوز انتصابهما على المصدر، أى يزحفون زحفا و يصطفون صفا.

و التثوين فى قوله: بعض هلك و بعض نجا، للتعويض، أى بعضهم هلك و بعضهم نجا، و كذلك اللّام فى قوله: لا يبشّرون بالأحياء و لا يعزّون بالموتى، و جملة اولئك اخوانى الدّاهيون، استينافيه بيانيه، و الباء فى قوله: و يعطيكم بالجماعه الفرقة للمقابله و العوض.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ صدر هذا الكلام الشّريف مسوق لدفع شبهه الخوارج، و عقبه بالتضجّر و الاشتكاء منهم و بالتأسّف على السّلف الصالحين من رؤساء الدّين، و ختمه بالموعظه و النصّح لهم، و ينبغى أن نذكر أولاً شبهه الخوارج، ثمّ نتبعها بما يدفعها.

فأقول: قد تقدّم فى شرح الخطبه الخامسه و الثلاثين عند ذكر كيفيه التحكيم بدء أمر الخوارج، و عرفت هناك أنّ أول خروجهم كان بصفين بعد عقد الصّلح، و ذلك أنّ أهل الشّام لما رأوا عقيب ليله الهرير أنّ أمارات الفتح و الظفر و علامات القهر و الغلبه قد ظهرت و لاحت لأهل العراق، فعدّلوا عند ذلك عن القراع إلى الخداع، و بدّلوا القتال بالاحتيال، و رفعوا المصاحف على الرّماح بخديعه ابن النابغه، و نادوا الله الله يا معشر العرب فى البنات و الأبناء، و الدّرارى و النساء، هذا كتاب الله بينكم و بيننا، فلما رأى ذلك أهل العراق و سمعوه، رفعوا أيديهم عن السيوف، و تركوا الجهاد، و أصروا على التحكيم، و كلّما منعهم أمير المؤمنين عليه السّلام و نهاهم عن ذلك و حثّهم على الجهاد، لم يزددهم منه إلاّ تقاعدا و تخاذلا و لما رأى تخاذلهم و قعودهم عن الحرب و اصرارهم على الصّلح و المحاكمه و قولهم له: يا على أجب القوم إلى

كتاب الله و إلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان، أجابهم إليه كرها لا رغبة، و جبرا لا اختيارا.

ثم لما كتب صحيفه الصلح على ما تقدم تفصيلها، و قرءها أشعث بن قيس على صفوف أهل العراق، فنادى القوم لا حكم إلا الله لا لك يا على و لا لمعاويه، و قد كنا زلنا و أخطأنا حين رضينا بالحكمين، قد بان لنا خطائنا فرجعنا إلى الله و تبنا فارجع أنت و تب إلى الله كما تبنا، فقال على عليه السلام و يحكم أبعده الرضا و الميثاق و العهد نرجع؟ أليس الله قد قال: أوفوا بالعقود، فأبى على عليه السلام أن يرجع، و أبت الخوارج إلا تضليل الحكم و الطعن فيه.

فمن ذلك نشأت شبهه لهم، و اعترضوا عليه عليه السلام و قال له عليه السلام بعضهم:

(نهيتنا عن الحكومه ثم أمرتنا بها فما ندرى أى الأمرين أرشد) محصيه له أنه إن كانت فى الحكومه مصلحه فما معنى النهى عنها أولا، و إن لم تكن فيها مصلحه فما معنى الأمر بها ثانيا، فلا بد من أن يكون أحد الأمرين خطأ.

و لما كان هذا الاعتراض غير وارد عليه عليه السلام، و كان الخطاء منهم لا منه، تغير عليه السلام (فصفق احدى يديه على الاخرى) فعل المتغير المغضب، (ثم قال هذا جزاء من ترك العقده) يجوز أن يكون المشار إليه بهذا الجهل و الحيره التى يدل عليها قولهم فما ندرى أى الأمرين أرشد، فيكون ترك العقده منهم لا منه عليه السلام، و المعنى أن هذا التحير جزائكم حيث تركتم العقده و الرأى الأصوب المقتضى للثبات على الحرب و البقاء على القتال، و أصررتم على اجابه أصحاب معاويه إلى المحاكمه، فوقعتم فى التيه و الضلال، و يجوز ابقائه على ظاهره و هو الألصق بقوله بعد ذلك: لو حملتكم على المكروه لكانت الوثقى، فالمراد أن هذا جزائى حين تركت العقده، أى هذا الاعتراض مما يترتب على ترك العقده.

فان قلت: فعلى هذا يتجه اعتراضهم عليه حيث ترك العقده.

قلت: لا، لأن تركه لها كان اضطرارا لا اختيارا، و لا عن فساد رأى كما يدل عليه صريح قوله فى الخطبه الخامسه و الثلاثين: و قد كنت أمرتكم فى هذه

الحكومه أمرى و نخلت لكم مخزون رأى لو كان يطاع لقصير أمر، فأبيتم على إباء المخالفين الجفاه و المنابذين العصاه، و قوله عليه السّلام هنا: و لكن بمن و إلى من، و من المعلوم أنّ ترك الأصلاح إذا لم يمكن العمل بالأصلاح مما لا فساد فيه، و لا ريب فى عدم امكان حربه عليه السّلام بعد رفعهم المصاحف و افتراق أصحابه و نفاق جيشه على ما سمعت و الحاصل أنّ الاعتراض إنما كان يرد عليه لو كان تركه العقده طوعا و اختيارا لا جبرا و اضطرارا، فظهر من ذلك كلّ أنّ المصلحه الكامنه كانت فى النهى عن الحكومه و لما نهاهم عنها فلم ينتهوا و أصروا على المخالفه أجا بهم إليها، خوفا من شقّ عصا الجماعه، و حقنا لدمه، فكانت المصلحه بعد المخالفه و الاصرار و ظهور النفاق و الافتراق فى الاجابه إليها.

و إلى هذا يشير بقوله (أما و الله لو أتى حين) ما (أمرتكم بما أمرتكم به) من المصالحه و التحكيم اجابه لكم و قبولاً لمسألتكم مع إصراركم فيها اغترارا منكم بمكيده ابن النابغه، و افتتاناً بخديعته، تركت الالتفات إليكم و لم اجب إلى مأمولكم (حملتكم) أى ألزمتكم (على المكروه الذى) هو الثبات على الحرب و الجدد فى الجهاد حيث كرهته طباعهم و تنفروا عنها بطول المدّه بهم و أكل الحرب أهلها و هو الذى (يجعل الله فيه خيرا كثيرا) و هو الظفر و سلامه العاقبه كما نطق به الكتاب العزيز حيث قال:

«كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَ هُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَ عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ».

ثمّ لما كان الوجوه المتصوّره من أحوالهم حين حملهم على المكروه و فرض أمرهم بالجهاد ثلاثه أشار إليها و أردف كلّ وجه بما يترتب عليه و هو قوله، (فان استقمتم) و أطعتم أمرى (هديتكم) إلى وجوه مصالح الحرب و طرق

الظفر و الغلبه (و إن اعوججتكم) أى رفع منكم بعض الاستواء، و يسير من العصيان بقله الجدد و فتور العزم و الهمة (قومتكم) بالتأديب و الارشاد و التحريص و التشجيع و النصح و الموغظه (و إن أبيتم) و عصيتم (تداركتكم) إمّا بالاستنجد بغيركم من أهل خراسان و الحجاز و غيرهم من القبائل ممن كان من شيعته، أو ببعضكم على بعض، و إمّا بما يراه فى ذلك الوقت من المصلحه التى تحكم بها الحال الحاضره (لكانت) العقده (الوثقى) و الخصله المحكمه (و لكن بمن) كنت استعين و أنتصر (و إلى من) كنت أركن و أعتمد.

و بذلك يعلم أنه لو حملهم على المكروه كان منهم الالباء و الامتناع، و التمرد و العصيان، و هو ثالث الوجوه المتصوره من حالهم و إنه حينئذ لا يمكن له تداركهم لأنّ الاستنجد من أهل البلاد النائية من الشيعه لم يكن فيه ثمره، لأنهم إلى أن يصلوا إليه كانت الحرب قد وضعت أوزارها، و كان العدو قد بلغ غرضه.

و الاستنجد ببعضهم على بعض كان من قبيل ناقش الشوكه بالشوكه كما يشير إليه قوله (اريد أن اداوى بكم و أنتم دائى) استعار لفظ الداء و الدواء لفساد الامور و صلاحها، أى اريد أن اصلح بكم الامور و اعالجها، و أنتم المفسدون لها (كناقش الشوكه بالشوكه و هو يعلم أنّ ضلعها) و هواها (معها) و هو مثل يضرب لمن يستعان به على خصم و كان ميله و هواه مع الخصم و أصله أنّ الشوكه: إذا نشبت فى عضو من أعضائك من يدك أو رجلك أو غيرهما، فانها لا يمكن استخراجها بشوكه اخرى مثلها، فإنّ الاولى كما انكسرت فى عضوك و بقيت فى لحمك فكذلك الثانيه تنكسر، لأنّ ميلها معها، و المقصود أنّ طباع بعضكم يشبه طباع بعض و يميل إليها كما يميل الشوكه إلى مثلها.

ثم اشتكى إلى الله سبحانه و قال (اللهم قد ملت أطباء هذا الداء الدوى) الشديد أراد به داء الجهاله التى كانت فى أصحابه و ما هم عليه من مخالفته و عصيانه، و مرض الحيره و الغفله عن ادراك وجوه المصلحه، و استعار لفظ الأطباء لنفسه و أعوانه، أو له و لسائر من دعا الى الله سبحانه من الأنبياء و الرسل و الأوصياء و الخلفاء، فإنهم الأطباء

الالهيون معالجون لأسقام القلوب و أمراض الجهالات و الذنوب، و قد مضى توضيح ذلك في شرح الفصل الأول من الخطبه
المأه و الثامنه.

(و كَلَّتْ النَزْعَه بِأَشْطَانِ الرَّكِيّ) أى أعيت المستقين من الآبار بالأشطان و الحبال، و هو من قبيل الاستعاره المرشحه حيث شبّه
نفسه بالنازع من البئر فاستعار له لفظه، ثم قرن الاستعاره بما يلايم المستعار منه أعنى الأشطان و الركيّ، و الجامع أنّ من يستقى
من البئر العميقه لحياء الموات الوسيعه كما يكلّ و يعجز عن الاستقاء و يقلّ تأثير استقائه فيها، فكذلك هو عليه السلام استخرج
من علومه الغزيره لحياء القلوب الميته و قلّ تأثير موعظته فيها و عجز عن احياؤها، و قد مرّ في شرح الفصل الأوّل من فصول
الخطبه الثالثه تشبيه علومهم عليهم السلام بالماء و تأويل البئر المعطله و القصر المشيد بهم، فالقصر مجدهم الذى لا يرتقى و البئر
علمهم الذى لا ينزف.

ثمّ تأسّف على السّيف الماضين من رؤساء الدّين كحمزه و جعفر و سلمان و أبى ذر و المقداد و عمّار و نظرائهم و تحسّر على
فقدهم فقال (أين القوم الذين دعوا إلى الاسلام فقبلوه) بأحسن القبول (و قرءوا القرآن فأحكموه) أى جعلوه محكما و أذعنوا
بكونه من الله و أنّ المورد له رسول الله، و تدبّروا فى معانيه و عملوا بمضامينه و أخذوا تأويله و تنزيله ممّن نزل فى بيته.

(و هيجوا إلى الجهاد فولهوا وله اللّقاح إلى أولادها) أى اشتاقوا إلى الجهاد اشتياق النّاقه المرضعه إلى أولادها، و على النسخه
الثانيه التضمّن لفظ الوله فالمعنى أنهم جعلوا اللّقاح و الهه إلى أولادها لركوبهم اياها عند خروجهم إلى الجهاد (و سلبوا
السّيوف) من (أغمادها) و جفونها أو سلبوا أغماد السّيوف منها (و أخذوا بأطراف الأرض) أى أخذوا الأرض بأطرافها و تسلّطوا
عليها، أو أخذوا على النّاس أطرافها و حصروهم و ضيقوا عليهم (زحفا زحفا و صفّا صفّا) يعنى حالكونهم جيشا بعد جيش و
صفّا بعد صفّ (بعض هلك و بعض نجا) كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بدّلوا
تديلا.

ثمّ أشار إلى انقطاع علائقهم من الدّنيا بقوله (لا يبشّرون بالأحياء و لا يعزّون

عن الموتى) يعنى إذا ولد لهم ولد فهم لا يبشرون به و إذا مات منهم أحد فهم لا يعزّون عنه، أو أنهم لشده ولهم إلى الجهاد لا يفرحون ببقاء حيّهم حتّى يبشروا به، و لا يحزنون لقتل قتلهم حتّى يعزّوا عنه، و هذا هو الأظهر سيما على ما فى بعض النسخ من لفظ القتلى بدل الموتى.

ثمّ أشار إلى مراتب زهدهم و خوفهم و خشيتهم من الله تعالى فقال (مره العيون من البكاء خمص البطون من الصيام ذبل الشفاه من الدّعاء صفر الألوان من السّهر) أراد أنهم من شدّه بكائهم من خوف الله سبحانه صارت عيونهم فاسده، و من كثره صيامهم ابتغاء لمرضاه الله صارت بطونهم ضامره، و من المواظبه على الدّعاء ظلّت شفاههم قليله النداوّه و النظاره، و من المراقبه على التهجد و القيام باتت ألوانهم متغيّره مصفرّه.

(عليهم غيره الخاشعين) و سيماء الخائفين (اولئك اخوانى الذاهبون فحقّ لنا) و خليف بنا (أن نظاماً) و نشاق (إليهم) أسفا عليهم (و نعصّ الأيدى على فراقهم) حسره على فقدانهم قال الشّارح المعتزلى بعد أن ذكر أنّ المشار إليه بأولئك من كان فى بدء الاسلام و حموله و ضعفه أرباب زهد و عباده و شجاعه كمصعب بن عمير و سعد بن معاذ و جعفر ابن أبى طالب و عبد الله بن رواحه و كعمّار و أبى ذر و المقداد و سلمان و خباب و جماعه من أصحاب الصفه ما هذا لفظه:

و قد جاء فى الأخبار الصحيحه أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قال إنّ الجنّه لتشتاق إلى أربعه: علىّ، و عمّار، و إبنى ذر، و المقداد، و جاء فى الأخبار الصّحيحه أيضا أنّ جماعه من أصحاب الصفّه مرّ بهم أبو سفيان بن حرب بعد الاسلام فعصّوا أيديهم عليه و قالوا وا أسفاه كيف لم تأخذ السيوف مأخذها من عنق عدوّ الله، و كان معه أبو بكر فقال لهم: أ تقولون هذا لسيد البطحاء؟ فرفع قوله إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فأنكره و قال صلّى الله عليه و آله و سلّم لأبى بكر انظر لا تكون أغضبتهم فتكون قد أغضبت ربك، فجاء أبو بكر

إليهم وترضاهم سألهم أن تستغفروا له، فقالوا: غفر الله لك.

أقول: إذا كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد أنكر ما صدر من أبي بكر في حق أهل الصَّفة مع أنه لم يكن بشيء يعبأ به فكيف لا ينكر ما صدر عنه في حق أمير المؤمنين من غضبه عليه الخلفه مع أن نسبه أهل الصَّفة إليه ليست إلا نسبه الرِّعيه إلى السَّيِّد والعبد إلى المولى، وإذا كان غضبهم موجبا لغضب الرِّب فكيف لا يوجب غضبه عليه السَّلام غضبه سبحانه؟ وقد قال تعالى: من أهان لى ولئيا فقد بارزنى بالمحاربه ثم أقول: انظر إلى تزوير هذا اللعين كيف ترضى أهل الصَّفة فيما قال مع أنه لو كان ذنبا فلم يكن إلا من صغائر الذنوب وهينات السيئات و لم يطلب الرضا من على المرتضى فيما فعل فى حقه من الظلم و الخطاء مع كونه من عظام الجرائر و موبات الكبائر، و لم يسأل الاستغفار من فاطمه الزهراء عليها السلام بنت خاتم الأنبياء مع ما فعل فى حقها من الظلم و الأذى، حيث غضب منها فدك و ألجأها إلى الخروج من قعر بيتها إلى الملاء، و ألبسها ثوب الصغار و الصماء مع أن هذا كان أولى بسؤال الاستغفار فأولى.

ثم العجب من الشارح مع روايته لهذه الأحاديث الفاضحه و حكمه بصحتها كيف يركن إلى أبي بكر و يتخذة ولئيا؟ بلى من لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

ثم تبهم عليه السَّلام على مكائد الشيطان و تدليساته و على أن غرض هذا اللعين أن يصدفهم عن منهج الرشاد و السداد إلى وادى التيه و الفساد فقال (إنَّ الشَّيطان يسنى لكم طرقه) أى يفتحها و يسهلها (و يريد أن يحلَّ دينكم) الذى عقدتم و أحكمتموه فى صدوركم (عقده) بعد (عقده و يعطيكم بالجماعه الفرقة) أى يبذل اجتماعكم بالافتراق و اتِّفاقكم بالنفاق.

و غرضه من ذلك كما علمت أن يبيدهم عن جادّه الهدايه إلى طريق الضلاله فيوقع بينهم الفتنة و العداوه كما قال فى بعض النسخ (و بالفرقه الفتنة - فاصدقوا) أى اعرضوا (عن نزعاته) و فساداته التى يفسد بها القلوب (و نفتاته) أى وساوسه التى

ينفث بها في الصدور (و اقبلوا النصيحة ممن اهداها إليكم) أراد به نفسه عليه السلام (و اعقلوها على أنفسكم) أي اربطوها عليها و شدوها بها كما يعقل البعير الشמוש بالعقال، و يشد الفرس الجموع بالوثاق

تكملة

هذا الكلام مروى في الاحتجاج إلى قوله بأشطان الركني، قال: احتجاجه عليه السلام على الخوارج لما حملوه على التحكيم ثم أنكروا عليه ذلك و نقموا عليه أشياء غير ذلك، فأجابهم عليه السلام عن ذلك بالحجة و بين لهم أن الخطاء من قبلهم بدأ و إليهم يعود، روى أن رجلا من أصحابه قام إليه فقال: نهيتنا عن الحكومه إلى آخر ما رواه كما في الكتاب إلا أن فيه بدل: يجعل الله خيرا، جعل الله خيرا.

الترجمه

از جمله کلام آن پیشوای عالمیانست در آن حال که برخاست بسوی او مردی از أصحاب او، پس گفت نهی کردی ما را از حکومت حکمین پس از آن امر کردی ما را بآن، پس نمی دانیم ما که کدام یک از این دو کار بهتر است، پس برهم زد آن حضرت یکی از دو دست خود را بر دست دیگر، پس از آن فرمود:

اینست جزای کسی که ترک کرده است رأی محکم و تدبیر متقن را، آگاه باشید بخدا سوگند اگر من در وقتی که امر کردم شما را به آن چه امر کردم شما را بآن حمل می نمودم بر چیزی که مکروه طبع شما بود که عبارت باشد از ثبات بر جهاد آن چنان مکروهی که می گردانید خداوند متعال در آن خیر و منفعتی را، پس اگر مستقیم می شدید هدایت می کردم شما را، و اگر کجی می نمودید راست می ساختم شما را و اگر امتناع می کردید تدارک امتناع شما را می نمودم هر آینه شده بود کار محکم و خصلت استوار، و لیکن با که معاونت می جستم و انتقام می کشیدم، و بکه اعتماد می کردم و خاطر جمع می شدم، می خواهم مداوا کنم و معالجه نمایم با شما و حال آنکه شما درد من هستید همچو کسی که بخواهد بیرون آورد خار را با خار دیگر و حال آنکه میدانند که میل خار بخار است

بار پروردگارا بتحقیق ملال آورد طبییهای این درد سخت، و عاجز شد کشندگان آب بریسمانههای چاه، کجایند گروهی که دعوت شدند باسلام پس قبول کردند او را، و خواندند قرآن را پس محکم نمودند آنرا، و برانگیخته شدند بسوی جهاد پس شوقمند شدند بآن مثل اشتیاق شتران شیرده بسوی اولاد خود، و کشیدند شمشیرها را از غلافهای آنها، و گرفتند اطراف زمین را بر مردمان دسته بدسته و صف بصف، بعضی از ایشان هلاک شدند، و بعضی نجات یافتند در حالتی که بشارت داده نمی شدند بر زندگان، و تعزیه کرده نمی شدند بر مردگان ایشان تباه چشمان بودند از شدت گریه، و لاغر شکمان بودند از کثرت روزه خشک لبان بودند از بسیاری دعا و زاری، زرد رنگان بودند از زیادتی تهجد و بیداری بر روی ایشانست غبارهای خشوع کنندگان، ایشان برادران روندگان منند، پس سزاوار است که مشتاق شویم بسوی وصال ایشان، و بگزیم انگشتان خود را بر حسرت و فراق ایشان، بدرستی که شیطان ملعون سهل و آسان می گرداند برای شما راههای خود را، و می خواهد که بگشاید دین شما را گره گره، و بدهد شما را بعوض جمعیت جدائی را، و بواسطه جدائی فتنه و فساد را، پس اعراض نمائید از فسادهای او و از وسوسهای او، و قبول نمائید نصیحت را از کسی که هدیه کرد آن نصیحت را بسوی شما و به بندید آن نصیحت را بنفسهای خود.

و من کلام له علیه السلام و هو المأه و الاحد و العشرون

اشاره

من المختار فی باب الخطب.

قاله للخوارج و قد خرج الی معسكرهم و هم مقيمون علی انکار الحکومه فقال (علیه السلام):

أ کَلِّمَ شَهِدَ مَعْنَا صَفِّينَ؟ فَقَالُوا: مَنَّ مِّنْ شَهِدٍ وَ مَنَّ مِّنْ لَّمْ يَشْهَدْ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَامْتَازُوا فَرَقْتَيْنِ فَلْيَكُنْ مِّنْ شَهِدٍ صَفِّينَ فَرَقَهُ وَ مِّنْ لَّمْ يَشْهَدِهَا

ص: ۱۴۰

فرقه حتى أكلّم كلاً منكم بكلامه و نادى الناس فقال عليه السّلام: أمسكوا عن الكلام و أنصتوا لقولى و اقبلوا بأفئدتكم إلى، فمن نشدناه شهاده فليقل بعلمه فيها. ثمّ كلمهم عليه السّلام بكلام طويل منه:

ألم تقولوا عند رفع المصاحف حيله و غيله و مكرا و خديعه إخواننا و أهل دعوتنا استقالونا و استراحوا إلى كتاب الله سبحانه فالرأى القبول منهم، و التّنفيس عنهم؟ فقلت لكم: هذا أمر ظاهره إيمان، و باطنه عدوان، و أوّله رحمه، و آخره ندامه، فأقيموا على شأنكم، و ألزموا طريقكم، و عضوا على الجهاد بنواجذكم، و لا تلتفتوا إلى ناعق نعق، إن أجيب أضلّ، و إن ترك ذلّ، و قد كانت هذه الفعله و قد رأيتكم أعطيموها، و الله لئن أبيتها ما وجبت على فريضتها، و لا حملنى الله ذنبها، و والله إن جئتها إني للمحقّ العدى يتبع، و إنّ الكتاب لمعى ما فارقتة منذ صحبتته، فلقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم و إنّ القتل ليدور بين الاباء و الأبناء و الإخوان و القرابات، فما نزداد على كلّ مصيبه و شدّه إلاّ إيمانا و مضيا على الحقّ، و تسليما للأمر و صبورا على مضض الجراح، و لكنّا إنّما أصبحنا نقاتل إخواننا فى

ص: ١٤١

الإسلام على ما دخل فيه من الزَّيغ و الاعوجاج، و الشَّبهه و التَّأويل فإذا طمعنا فى خصله يَلْمُ الله بها شعثنا، و ننادانا بها إلى البقيّه فيما بيننا، رغبتنا فيها، و أمسكنا عمّا سواها.

اللغه

(المعسكر) بفتح الكاف محلّ العسكر، و عن النهايه (نشدتك) الله و الرّحم أى سألتك بالله و بالرّحم، و قال الفيومى: نشدت الضاله نشدا من باب قتل طلبتها و نشدتك الله و بالله نشدتك ذكرتك به و استعطفتك أو سألتك به مقسما عليك و (الغيله) بالكسر الخديعه و (نفس) تنفيسا فرّج تفريجا و (نعق) الرّاعى بغنمه ينعق من باب ضرب نعيقا صاح بها و زجرها و (الفعله) بالفتح المرّه من الفعل و (المضض) كالألم لفظا و معنى و (جرحه) جرحا من باب نفع و الاسم الجرح بالضّم و الجراحه بالكسر و جمعها جراح و جراحات بالكسر أيضا و (الخصله) بفتح الخاء.

و (البقيه) قال الشارح المعتزلى: هى الابقاء و الكف، و قال البحرانى (ره) بقاء ما بقى فيما بيننا من الاسلام، و فى البحار و الأظهر عندى أنه من الابقاء بمعنى الرّحم و الاشفاق و الاصلاح كما فى الصّحيفه: لا تبقى على من تضرّع إليها، و قال فى القاموس: أبقيت ما بيننا أى لم ابالغ فى افساده و الاسم البقيه و اولو بقيّه ينهون عن الفساد أى ابقاء.

الاعراب

الهمزه فى قوله ألم تقولوا استفهاميه للتقرير بما بعد النّفى كما قاله الزمخشري فى قوله تعالى: ألم تعلم أنّ الله على كلّ شىء قدير، و الأظهر أنّها للانكار الابطالى المفيده لاثبات ما بعدها إذا دخلت على النّفى، قال تعالى: «أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ»، أى كاف عبده.

و حيله و غيله و مكرا و خديعه، منصوبات على نزع الخافض، و إخواننا بالرفع خبر محذوف المبتدأ، و الجملة فى محلّ النصب مقول تقولوا، و اللّام فى قوله: لئن أبيتها، لام ابتداء جىء بها تأكيدا للقسم، و جملة ما وجبت جواب القسم استغنى به عن جواب الشرط كما صرح به علماء الأديبه.

قال ابن الحاجب: و إذا تقدّم القسم أوّل الكلام على الشرط لزمه المضى لفظا أو معنى، و كان الجواب للقسم لفظا مثل و الله إن ايتنى و إن لم تأتنى لاكرمنك و قال نجم الأئمه إذا تقدّم القسم أوّل الكلام ظاهرا أو مقدّرا و بعده كلمه الشرط فالأكثر و الأولى اعتبار القسم دون الشرط، فيجعل الجواب للقسم و يستغنى عن جواب الشرط لقيام القسم مقامه كما فى قوله تعالى: «لئن أُخْرِجُوا لِا-يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لئن قُوتِلُوا لِا-يَنْصُرُوهُمْ» الآيه، و قد تقدّم حكاية ذلك الكلام عنه فى شرح الكلام السابق باختلاف يسير.

و منه يظهر الكلام فى قوله: و و الله إن جئتها إنى للمحقّ الذى آه، قال نجم الأئمه: جواب القسم إذا كان جملة اسميه مثبتة يصدر بان مشدّده أو مخفّفه أو باللّام و هذه اللّام لام الابتداء المفيدة للتأكيد لا فرق بينها و بين إنّ إلا من حيث العمل، و إنما اجيب القسم بهما لأنهما مفيدان لتأكيد الذى لأجله جاء القسم، و قال فى موضع آخر من شرح الكافيه فى تحقيق أنّ إنّ المكسوره مع جزئها فى تقدير الجملة و لذلك دخلت اللّام فى خبرها دون المفتوحه: اعلم أنّ هذه اللّام لام الابتداء المذكوره فى جواب القسم و كان حقّها أن تدخل أول الكلام، و لكن لما كان معناها و معنى إنّ سواء أعنى التوكيد و التحقيق، و كلاهما حرف ابتداء كرهوا اجتماعهما فأخروا اللّام و صدّروا إنّ لكونها عامله و العامل حرى بالتقديم على معموله و خاصّه إذا كان حرفا إذ هو ضعيف العمل آه.

و جملة يلّم الله بها شعثنا فى محلّ الجرّ صفه لخصله، و جملة رغبتنا جواب إذا طمعنا

اعلم أنه قد تقدّم فى التذييل الثانى من شرح الخطبه السادسه و الثلاثين كيفيه قتال الخوارج و جمله من احتجاجاته عليه السّلام معهم، و هذا الكلام أيضا قاله للخوارج احتجاجا عليهم (و قد خرج إلى معسكرهم) أى محلّ عسكرهم و محطه (و هم مقيمون على انكار الحكومه) عليه (فقال عليه السّلام) لهم (أكلّكم شهد معنا صفّين) و حضرها (فقالوا منّا من شهد و منّا من لم يشهد قال عليه السّلام فامتازوا) أى تفرّدوا (فرقتين فليكن من شهد صفّين فرقه و من لم يشهدا فرقه حتى اكلم كلّا منكم بكلامه) الذى يليق به و فيه اسكاته و رفع شبهته (و نادى الناس فقال امسكوا عن الكلام و انصتوا لقولى و اقبلوا بأفئدتكم إلى) و تدبّروا فيما أقول (فمن نشدناه) أى سألنا منه (شهاده فليقل بعلمه فيها) و لا يكتمها.

(ثمّ كلّمهم عليه السّلام بكلام طويل، منه أ لم تقولوا) أى قد قلتّم (عند رفع المصاحف) بتدليس ابن العاص اللّعين (حيله و غيله و مكر و خديعه) هؤلاء (اخواننا) فى الدّين و الاسلام (و أهل دعوتنا) أى دعاهم رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم إلى الاسلام فأجابوه (استقالونا و استراحوا إلى كتاب الله سبحانه) أى طلبوا منا الاقاله و رفع اليد عمّا كنّا عليه من المحاربه و القتال، و سألوها الراحه بالرجوع إلى كتاب الله و العمل بما يقتضيه (فالرأى القبول عنهم) لملتسمهم (و التنفيس عنهم) لكربتهم.

(فقلت لكم) تنبيهها على حيلتهم و ارشادا إلى خديعتهم و ايقاظا لكم من نوم الغفله و الجهاله (هذا) أى رفعهم المصاحف (أمر ظاهره ايمان) لتسليمهم ظاهرا الرجوع إلى الكتاب و ايهامهم العمل بما فيه من الأحكام (و باطنه عدوان) إذ كان مقصودهم به الحيله و الظلم و الغلبه و الخديعه (و أوّله رحمه) منكم لهم (و آخره ندامه) عليكم منهم.

(فأقيموا على شأنكم) و ما أنتم فيه من القتال و براز الأبطال (و الزموا طريقكم و عضّوا على الجهاد بنواجذكم) و هو كناية عن المبالغه فى الثبات عليه

(و لا تلتفتوا إلى ناعق نعق) أراد به معاوية أو عمرو بن العاص حيث كان رفع المصاحف بتدبيره (إن اجيب أضلّ) من أجاب (و إن ترك ذلّ) و خاب (و قد كانت هذه الفعله) و هى الرضا بالحكومه (و قد رأيتم اعطيتموها) و أقدمتم عليها.

ثم أراد رفع شبهتهم بقوله: (و الله لئن أبيتها ما وجبت على فريضةها و لا حملنى الله ذنبها و و الله ان جئها إني للمحقّ الذى يتبع و ان الكتاب لمعى ما فارقتة مذ صحبتة) يعنى أنّ الحكومه على تقدير امتناعى عنها لم تكن واجبه حتى تجب على فريضةها أى الأحكام الواجبه بسببها و المترتبه عليها و ما كنت مذنباً بترك الواجب، و على تقدير إقدامى عليها لم تكن محرّمه حتى تكونوا باتباعكم إياى فى الاقدام عليها مرتكبين للحرام، فأنى أنا المحقّ الذى أحقّ أن يتبع و يقتدى، و أنّ كتاب الله سبحانه لمعى لفظاً و معنى لا افارقه و لا يفارقتى، فلا اقدم على أمر مخالف للقرآن موجب للعصيان.

فان قلت: المعلوم من حاله عليه السّلام حسبما ظهر من الروايات المتقدّمه فى شرح الخطبه الخامسه و الثلاثين أنه امتنع من الحكومه أولاً و حتّ أصحابه على الجهاد و الثبات عليه، و يدلّ عليه أيضا الكلام الذى نحن بصدد شرحه، ثمّ لما رأى إصرارهم فى الاحابه إلى أهل الشام و البناء على التحكيم رضى عليه السّلام به و بنا عليه، فقد كان الاباء أولاً و البناء ثانياً من فعله عليه السّلام، و كان عالماً بذلك، فما معنى الاتيان بالشرط المنبئ عن الشكّ؟ قلت إنما أتى بالشرط مع جزمه و علمه به تجاهلاً لاقتضاء المقام التجاهل و الابهام، و ذلك لأنّ أصحابه عليه السّلام كانوا فرقتين فرقه ترى التحكيم واجبا، و هم جلّ أصحابه و هم الذين أشار إليهم فى هذا الكلام بقوله: أ لم تقولوا عند رفع المصاحف إخواننا و أهل دعوتنا استقالونا و استراحوا إلى كتاب الله فالرأى القبول منهم و التنفيس عنهم، و فرقه تراه حراماً و الاقدام عليه معصيه، و هم الخوارج الذين قالوا لا حكم إلاّ لله و لا حكم إلاّ الله، فأجمل الكلام و أبهم المرام لاقتضاء المقام، و ساق المعلوم مساق المجهول اسكاتاً للفريقين، فانه لو صرح بما يوافق رأى إحدى الفرقتين تبرّئت

عنه الفرقة الاخرى و انجزّ الأمر إلى الفساد كما مرّ نظيره في كلامه الذى قاله فى قتل عثمان: لو أمرت به لكنت قاتلا أو نهيت عنه لكنت عاصيا، و هو الثلاثون من المختار فى باب الخطب.

و محصّل جوابه عليه السّلام عن انكارهم للتحكيم يعود إلى أنّه امام مفترض الطاعة و أنّ الأمر إليه و هو وليّ الأمر لو رأى المصلحه فى الالباء منه كان الالباء واجبا، و لو رآها فى الاجابه إليه كانت الاجابه واجبه، و على التقديرين فاللّازم عليهم التسليم و الانقياد لا الانكار و الاعتراض، و الاقتداء و المتابعة لا الرّد و الامتناع فان قلت: فلم أكّد الكلام فى جانب الالباء بتأكيدين أعنى القسم و اللّام و فى الجانب الآخر أتى بأربع تأكيدات و هو القسم و إنّ و اللام و اسميه الجملة، حيث قال: و والله ان جتتها إتنى للمحقّق، بل و أكّد خامسا بالوصف و قال: الذى يتّبع.

قلت: النكته فى ذلك أنّ مخاطبته بهذا الكلام لما كانت مع الخوارج الزاعمين لكون الاقدام على الحكومه معصيه و حراما دون الالباء، و كانوا مصرّين على انكارها استدعى المقام زياده التأكيد ردّا لزعم المخاطبين، و ابطالا لانكارهم و لهذه النكته أيضا أتى بالموصول تفخيما لشأنه، و جعله وصفا تأكيدا لحقيقته، و أكّد سادسا بقوله: و أنّ الكتاب لمعى، اشاره إلى أنّه لا يرد و لا يصدر فى شىء من الأبواب إلّا بحكم الكتاب، و هذه التحقيقات فى هذا المقام من لطايف البلاغه قصرت عنها أيدي الشارحين و لله الحمد.

ثمّ رغب عليه السّلام فى التأسى بالسلف الماضين من خيار الصحابه بقوله:

(فلقد كنّا مع رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و أنّ القتل ليدور بين الآباء و الأبناء و الاخوان و القرابات فما نزداد على كلّ مصيبه و شدّه) أصابتنا و ابتلينا بها (إلّا ايماننا و مضينا إلى الحقّ و تسليمنا للأمر) و رضا بالقضاء (و صبرا على مضض الجراح) أى وجع الجراحات و ألمها و قد تقدّم نظير هذه الفقرات منه عليه السّلام فى الكلام الخامس و الخمسين.

و محصّيه أنا إذا قاتلنا بين يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ كُنَّا لَهُ مُسْلِمِينَ وَ لِأَمْرِهِ مُطِيعِينَ وَ مُنْقَادِينَ، وَ لَا يَزِدَاد مَا نَزَلَ بِنَا مِنَ الْمَصَائِبِ إِلَّا- نورا و ايماناً، وَ تَسْلِيمًا وَ اذْعَانًا، فَلَا بَدَّ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا كَذَلِكَ، وَ أَنْ تَرُدُّوا الْأَمْرَ إِلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ، وَ لَا تَكُونُوا لَهُ مُخَالَفِينَ، وَ عَنِ حُكْمِهِ مَتَمَرِّدِينَ. ثُمَّ أَكَّدَ اِبْطَالَ انْكَارِهِمْ لِلْحُكُومَةِ بِقَوْلِهِ: (وَ لَكُنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نَقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي الْإِسْلَامِ) أَرَادَ بِهِ أَهْلَ الشَّامِ، وَ اِطْلَاقَ الْمُسْلِمِ عَلَيْهِمْ لِاقْرَارِهِمْ ظَاهِرًا بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ وَ إِنْ كَانُوا مُحْكُومِينَ بِكُفْرِهِمْ لِبَغْيِهِمْ عَلَى الْإِمَامِ الْمَفْتَرَضِ الطَّاعَةَ يَعْنِي أَنَا إِنَّمَا قَاتَلْنَاهُمْ (عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ) أَيْ الْإِسْلَامَ مِنْهُمْ (مِنَ الزَّبْحِ) أَيْ الْعُدُولِ عَنِ الْحَقِّ (وَ الْاِعْوَجَاجِ) عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ (وَ الشَّبْهَةِ) فِي الدِّينِ (وَ التَّأْوِيلِ) لِلْكِتَابِ الْمُبِينِ (فَإِذَا طَمَعْنَا فِي خِصْلِهِ) أَرَادَ بِهَا الْحُكُومَةَ (يَلْمُ اللَّهُ بِهِ شَعْنًا) أَيْ يَجْمَعُ اللَّهُ بِهَا تَفَرُّقَنَا وَ اِنْتِشَارَ أُمُورِنَا (وَ نَتَدَانَا بِهَا إِلَى الْبَقِيَةِ فِيمَا بَيْنَنَا) أَيْ نَتَقَرَّبُ بِتِلْكَ الْخِصْلَةِ إِلَى الْإِصْلَاحِ وَ الْإِشْفَاقِ وَ الرَّحْمِ وَ تَرَكَ الْفُسَادَ فِيمَا بَيْنَنَا (رَغْبِنَا فِيهَا وَ أَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا) وَ حَاصِلُهُ أَنَّ مَقْصُودَنَا بِالذَّاتِ مِنْ قِتَالِ هَؤُلَاءِ لَمْ يَكُنْ مَحْضَ اسْتِيصَالِ النُّفُوسِ وَ اِرْقَاقِ الدِّمَاءِ بِهَوَى الْأَنْفُسِ وَ الْعِنَادِ، وَ إِنَّمَا الْمَقْصُودُ إِرْجَاعَهُمْ عَنِ الضَّلَالِ إِلَى الْهَدْيِ، وَ مِنَ الْفُسَادِ إِلَى الرَّشَادِ، فَإِذَا رَجَوْنَا حُصُولَ ذَلِكَ الْغَرَضِ وَ امْكَانَ التَّوَسُّلِ إِلَيْهِ بِالْحُكُومَةِ لَا بَدَّ لَنَا مِنَ الْمَصِيرِ إِلَيْهَا وَ الْكُفِّ عَنِ اِرْقَاقِ الدِّمَاءِ كَمَا تَبَّ عَلَيْهِ السَّيْلَامُ عَلَى ذَلِكَ فِي كَلَامِهِ الرَّابِعِ وَ الْخَمْسِينَ بِقَوْلِهِ: فَوَاللَّهِ مَا وَقَعَتِ الْحَرْبُ يَوْمًا إِلَّا- وَ أَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ لَتَهْتَدِيَ بِي وَ تَعْشُوَ إِلَى ضَوْئِي وَ ذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا وَ إِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا.

تنبيه

قد اسقط في أكثر نسخ الكتاب قوله: و قد كانت هذه الفعله، إلى قوله:

مذ صحبتته و من جمله تلك النسخ نسخه الشارح المعتزلي قال في الشرح: هذا الكلام ليس يتلو بعضه بعضا و لكنه ثلاثه فصول لا تلتصق أحدها بالآخر، و هذه عادة الرضوي

ينتخب من جمله الخطبه الطويله كلمات فصيحہ يوردها على سبيل التتالي و ليست متتاليه حين تكلم بها صاحبها، آخر الفصل الأول قوله: و إن ترك ذلّ، و آخر الفصل الثاني قوله: على مضض الجراح، و الفصل الثالث ينتهي إلى آخر الكلام، هذا.

و روى ذلك الكلام له عليه السلام في الاحتجاج عن قوله: ألم تقولوا، إلى آخر الكلام مثل ما في أكثر النسخ باسقاط ما سقط إلا أنّ فيه بدل قوله على شأنكم على تياتكم و لا تلتفتوا إلى ناعق في الفتنة نعق إن اجيب أضلّ و إن ترك أذلّ، و الله العالم

الترجمه

از جمله کلام بلاغت نظام آن حضرت است که گفته است آنرا بخوارج نهروان در حالی که بیرون رفته بود بسوی لشکرگاه ایشان، و ایشان ایستاده بودند بر انکار حکومت حکمین پس فرمود:

آیا همه شما حاضر بودید با ما در صفین؟ پس گفتند: بعضی از ما حاضر شده بود و بعضی از ما حاضر نشده بود، فرمود: پس جدا شوید از یکدیگر بدو فرقه پس باید باشد کسانی که حاضر صفین شده بودند یک فرقه، و جماعتی که حاضر نبودند در آن معرکه یک فرقه دیگر تا آنکه تکلم بکنم با هر فرقه از شما بکلامی که لایق حال او باشد، و صدا کرد مردمان را پس فرمود که:

باز ایستید از حرف زدن، و ساکت شوید از برای شنیدن قول من، و متوجه باشید با قلبهای خودتان بسوی من پس هر کسی که طلب کنم از آن شهادتی را پس باید که بگوید بمقتضای علم خود در آن شهادت، بعد از آن تکلم فرمود با ایشان بکلام دراز از جمله آن کلام این است که گفت:

آیا نگفتید شما در هنگام برداشتن ایشان مصحفها را از روی حيله گری و تباه کاری و مکاری و فریفتن که: ایشان برادران مايند و کسانی هستند که دعوت شده اند باسلام و قبول کرده اند طلب کرده اند از ما اقاله و فسخ گذشته های را، و راحت جستند بسوی کتاب خدا، پس رأی صواب این است که قبول خواهش ایشان را بکنیم، و غم و اندوه ایشان را بر طرف سازیم، پس گفتم شما را که این کارشان کاریست ظاهر

آن ایمانست و باطن آن نفاق و عدوان، و اول آن ترحم است از شما بایشان و آخر آن ندامت است و خسران. پس اقامت نمائید بر کار خودتان که عبارتست از محاربه دشمنان، و ثابت قدم بشوید بر راه خود، و بگزید بر بالای جهاد بدنندانها، و التفات نکنید بسوی صدا کننده که صدا کرد یعنی معاویه اگر جواب داده شود آن صدا کننده بضاللت افکند جواب دهنده خود را، و اگر ترک کرده شود یعنی جوابش را ندهند خوار و ذلیل گردد.

و بتحقیق که شد این یک کار یعنی رضای شما بحکومت حکمین، و بتحقیق دیدم شما را که عطا کردید آنرا و اقدام نمودید بآن بخدا سوگند هر آینه اگر من امتناع می کردم از آن واجب نمی شد بر من واجبات آن، و بار نمی کرد بر من خداوند گناه آنرا، و بخدا سوگند اگر می آمدم بسوی آن بدرستی و بتحقیق که منم محقّ و درستکار که تبعیت کرده می شوم، و بدرستی کتاب عزیز خدا با من است که جدا نشده ام من از آن از زمانی که مصاحب او شده ام پس بتحقیق که بودیم با حضرت رسول مختار صلوات الله علیه و آله در حالتی که کشتن دوران میکرد در میان پدران و پسران و برادران و خویشان، پس زیاده نمی کردیم ما بر بالای هر محنت و شدتی مگر ایمان را بخدا و گذشتن بر حق و منقاد شدن بر امر و صبر کردن بر سوزش جراحتهای، و لکن ما غیر از این نیست که گشتیم مقاتله می کنیم با برادران اسلامی خود بر آنچه داخل شده است در اسلام از جانب ایشان از لغزش و گمراهی و اشتباه و تأویل باطل، پس زمانی که طمع کردیم در خصلتی که جمع کند خداوند متعال بسبب آن خصلت پراکندگی ما را، و تقرب کنیم با یکدیگر بجهه آن خصلت بسوی مهربانی و شفقت در میان ما رغبت می کنیم در آن خصلت و دست برداریم از غیر آن

اشاره

فى باب الخطب

قاله للاصحاب فى ساعه الحرب و أى امرء منكم أحسّ من نفسه رباطه جاش عند اللّقاء، و راى من أحد من إخوانه فشلا، فليذبّ عن أخيه بفضل نجدته التى فضّل بها عليه كما يذبّ عن نفسه، فلو شاء الله لجعله مثله، إنّ الموت طالب حثيث، لا يفوته المقيم، و لا- يعجزه الهارب، إنّ أكرم الموت القتل، و ألذى نفس ابن أبى طالب بيده لألف ضربه بالسّيف أهون على من ميته على الفراش.

اللغه

(ربطه) يربطه من بابى نصر و ضرب شدّه، قال الفيروز آبادى و رابط الجاش و ربيطه شجاع و ربط جاشه رباطه بالكسر أشدّ قلبه و الله على قلبه ألهمه الصبر و قوّاه و (النجده) الشجاعه قال الشارح المعتزلى (الميته) بالكسر هيئه الموت كالجلسه و الركبه هيئه الجالس و الراكب يقال مات فلان ميته حسنه قال: و المروى فى نهج البلاغه بالكسر فى أكثر الروايات، و قد روى من موته، و هو الأليق يعنى المرّه الواحده ليقع فى مقابل الألف

الاعراب

أى شرطيه مرفوعه على الابتداء، و جمله أحسن خبر، و جمله فليذبّ جواب و الباقي واضح.

اعلم أنّ هذا الكلام (قاله عليه السلام للأصحاب في ساعه الحرب) و لم أظفر بعد على أنه أى حرب، و المقصود به امرهم بقضاء حقّ الاخوّه و رعايه شرائط المواساه و المحبه و الدّب عن اخوانهم المسلمين و حمايه بيضه الاسلام و حوزة الدّين قال عليه السّلام (و أى امرء منكم أحسن) أى علم و وجد (من نفسه رباطه جاش) و قوّه قلب (عند اللّقاء) أى عند القتال و لقاء الأبطال (و رأى من أحد من اخوانه) المؤمنين (فشلا) و جنبنا (فليذبّ) أى ليدفع المكروه (عن أخيه بفضل نجدته) و شجاعته (التي فضّل) أى فضّله الله (بها عليه كما يذبّ) و يدفع (عن نفسه) بنهايه الاهتمام و الجدّ (فلو شاء الله لجعله مثله) أى لجعل أخاه الجبان شجاعا مثله، و حيث آثره بتلك النعمه و تفرّد بهذه الفضيله و اختصّ بها و لم يجعل أخوه مثله فلا بدّ له من القيام بوظائف النعم و التشكّر بالدفع عن الآخر و ذلك ل (أنّ الموت طالب) للانسان (حثيث) أى سريع فى طلبه (لا- يفوته المقيم و لا- يعجزه الهارب) يعنى لا يخلص (1) منه الراضى به المقيم له، و لا- ينجو منه السّاخط له الهارب عنه، و مع ذلك فلا- ينبغى للعاقل أن يختار الفرار على القرار، و يؤثّر البقاء على اللّقاء، مع ايجابه العارفى الأعقاب، و النار يوم الحساب

ص: ١٥١

١- (١) قال الشاعر: ارى الموت لقيام الكرام و يصطفيعقيه مال الفاحش المتشدّدارى العيش كنزا ناقصا كلّ ليله ما تنقص الايام و الدّهر ينفد لعمر ك ان الموت ما أخطأ الفتيلكاء لطول المرخى و ثنيه باليد يعنى ارى الموت يختار الكرام بالافناء و يصطفى كريمه مال البخيل بالابقاء أو انه يعم الجواد و البخلاء فيصطفى الكرام و كرائم اموال البخلاء أى لا- خلاص منه لواجد من الصنفين فلا- يجدى البخيل بخله و الجواد جوده و قوله فى البيت الثالث لكاء لطول المرخى الطول الحبل الذى يطول للدابه لترعى فيه و الارخاء الارسال و الثنى الطرف و الجمع الاثناء يقول اقسم بحياتك ان الموت فى مده اخطائه الفتى بمنزله حبل طول للدابه ترعى فيه و طرفاه بيد صاحبه يريد انه لا يتخلص منه كما ان الدابه لا تفلت ما دام صاحبها اخذ بطرفى طولها منه

و أيضا قال (إن أكرم الموت القتل) حيث إنه موجب للذكر الجميل في الدنيا و الأجر الجزيل في العقب و مع ذلك فلا يجوز للبصير تفويت هذا النفع الكثير على نفسه و الاقدام على الموت بحتف أنفه قال الشاعر:

و إن تكن الأبدان للموت انشئت فقتل امرء و الله بالسيف أفضل

ثم حاول عليه السّلام تحريص أصحابه و تحريضهم على الجهاد و الثبات عليه و جعل طباعهم مناسبة لطبيعته فقال (و الذى نفس ابن أبى طالب بيده لألف ضربه بالسيف أهون على) و أسهل (من ميتة على الفراش).

فان قلت: حلفه ذلك هل هو على الحقيقه أو من باب المجاز و المبالغه ترغيبا لأصحابه فى الجهاد؟ قلت: بل هو على حقيقته، لأنّه لفرط محبّته فى الله و منتهى شوقه إلى الله و غايه رغبته فى ابتغاء مرضات الله سبحانه كان فى أعلى مراتب الفناء فى الله و البقاء بالله، فارغا عن نفسه فى جنب مولاه، و مع ذلك الحال لا تأثير فيه لضربات السيوف و طعنات الرّماح البتّه و يشهد بذلك ما رواه غير واحد من أنه عليه السّلام قد أصابت رجله الشريف نشابه فى غزوه صفّين و لم يطق الجّراحون إخراجها من رجله لاستحكامها فيه، فلما قام إلى الصّلاه أخرجوها حين كونه فى السجده، فلما فرغ من الصّلاه علم باخراجه و حلف أنه لم يحس ذلك أصلا و يؤيد ذلك ما عن الخرائج مسندا عن أبى جعفر عليه السّلام قال الحسين عليه السّلام قبل أن يقتل إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: يا بنى أنك ستساق إلى العراق و هى أرض قد التقى بها النّبيون و أوصياء النّبیین، و هى أرض تدعى غمور او أنك تستشهد بها و يستشهد معك جماعه من أصحابك لا يجدون ألم مسّ الحديد، و تلى صلّى الله عليه و آله و سلّم: يا نار كونى بردا و سلاما على إبراهيم، يكون الحرب عليك و عليهم سلما، الحديث وجه التأييد أنّ أصحاب الحسين عليه السّلام مع كونهم من أدنى عبيد أمير المؤمنين إذا لم يجدوا ألم الحديد بما فيهم من المحبّه و الشوق إلى لقاء الحقّ فكيف به عليه السّلام

مع خوضه فی بحار المعرفه و کماله فی مقام المحبّه.

هذا کله علی ما فی اکثر النسخ من روايه کلامه علیه السلام كما أوردنا و فی نسخه الشارح المعتزلی هكذا: لألف ضربه بالسيف أهون من ميتة علی فراش فی غیر طاعه الله، و علیه فلا- اشکال أصلا لأنّ ألم السیوف دنیوی، و الميته علی الفراش بغير الطاعه معقبه للألم الاخری، و الأوّل أهون و أسهل من الثاني لا محاله و لعذاب الآخره أشدّ و أبقى.

و العجب من الشارح أنه حمل ذلك علی المجاز و المبالغه حیث قال، بعد ایراد کلامه علیه السلام علی ما حکینا من نسخته: الواجب أن یحمل کلامه إمّا علی جهه التحریص فیکون قد بالغ کعاده العرب و الخطباء فی المبالغات المجازیه، و إمّا أن یکون أقسم علی أنه یعتقد ذلك و هو صادق فیما اقسام لأنّه هكذا کان یعتقد بناء علی ما هو مرکوز فی طبعه من محبّه القتال و کراهیه الموت علی الفراش، انتهى.

و فيه ما فيه.

الترجمه

از جمله کلام آن حضرتست که فرموده آنرا بأصحاب خود در ساعت جنگ و هر مردی از شما که احساس کند و بفهمد از نفس خود قوت قلب را هنگام ملاقات اعداء و ببیند از یکی از برادران خود ترس و جبن را پس باید که دفع نماید از برادر خود بزیادتی شجاعت خود که تفضیل داده شده بآن شجاعت برادر خود همچنان که دفع میکند از نفس خود، پس اگر می خواست خداوند تعالی هر آینه می گردانید او را در شجاعت مثل آن، بدرستی که مرگ طلب کننده است شتابان که فوت نمی شود از او اقامت کننده، و عاجز نمی کند او را گریزنده، بدرستی که که گرمی ترین مرگ کشته شدن است، بحق آن کسیکه جان پسر ابي طالب بید قدرت او است هر آینه هزار ضربت با شمشیر سهل و آسان تر است بر من از مردن بر روی بستر.

ص: ۱۵۳

اشاره

المختار فى باب الخطب

و كأتى أنظر إليكم تكشون كشيح الضباب، لا تأخذون حقاً، و لا تمنعون ضيماً، قد خليتكم و الطريق، فالتجاء للمقتحم، و الهلكه للمتلاوم.

اللغه

(كششت) الأفعى كشيحاً من باب ضرب إذا صارت من جلدها لا من فمها قال الشارح المعتزلى: الكشيح الصوت يشوبه خور مثل الخشخشه قال الراجز:

كشيح افعى اجمعت بعض فهى تحك بعضها ببعض

و عن النهايه كشيح الأفعى صوت جلدها إذا تحرّكت، و قد كشت تكش و ليس صوت فمها لأن ذلك فصحيحها، و (الضبّ) دابه بريّه و جمعه ضباب بالكسر كسهم و سهام

الاعراب

جملة لا تأخذون آه فى محلّ نصب على الجال من فاعل تكشون، و الطريق منصوب على المفعول معه

المعنى

اشاره

اعلم أنّ المستفاد من بعض نسخ النهج أنّ هذا الكلام و كذلك الكلام الآتى كليهما من فصول الكلام السابق، حيث إنّ العنوان فيه فى كلّ منهما بلفظ منه و فى بعضها عنوان ذلك بلفظ منه، و عنوان ما يتلوه بلفظ و من كلام له عليه السلام و فى نسخه ثالثة العنوان فى كلّ منهما بلفظ منها، و الظاهر أنّه سهو من النساخ لأنّ العنوان فيما سبق حسبما عرفت بلفظ و من كلام له عليه السلام فلا يناسبه ارجاع الضمير المؤنث إليه و لعلّ الأظهر أنّ كلاً منها كلام مستقلّ لعدم ارتباط أحدهما بالآخر، حيث إنّ الكلام السابق حسبما عرفت قاله للأصحاب فى ساعه الحرب للتحريض و التشجيع

و هذا الكلام كما ترى وارد فى مقام التوبيخ و التقرير لهم، و الكلام الآتى وارد فى مقام تعليم رسوم الحرب، فلا مناسبه لأحدها مع الآخر لو لم يكن الوسط مصادًا لهما، اللهم إلا أن يكون السيد (ره) قد اسقط ما يوجب الائتلاف و الارتباط على ما جرت عليه عادته فى الكتاب من الاسقاط و الالتقاط، و بعض فقرات هذا الكلام يأتى فى روايه الارشاد، و هو أيضا يخيل كونه كلاما مستقلا، و ستطلع فى شرح الكلام الآتى ما يفيد استقلاله أيضا.

و كيف كان فقد قال عليه السّلام لأصحابه (و كأتى أنظر إليكم) بما فيكم من الجبن و الفشل (تكشون كشيخ الضباب) المجتمعه يعنى أنّ أصواتكم غمغمه بينكم من الهلع الذى قد اعتراكم، فهى أشبه شىء بأصوات الضباب، أو المراد بيان حالهم فى الازدحام و الهزيمه (لا تأخذون) لله (حقًا و لا تمنعون ضيما) و ذلًا (قد خليتم و الطريق) أى طريق الآخره (فالنجاه للمقتحم و الهلكه للمتلوّم) أى النجاه فى الدنيا من العار و فى الآخره من النار للدخل فى الجهاد و المقدم عليه، و الهلاك الدائم للمتوقف عن القتال المتشبث فيه، أو أنّ النجاه من سيف الأعداء للمطرق المقدم، لانه مع اقدمه و تجلده يرتاع له خصمه و ينخزل عنه نفسه و الهلاك بسيف الأعداء للمتشبث المتلوّم لأنّ نفس خصمه تقوى عليه و طمعه يزداد فيه كما هو مشاهد بالعيان و تشهد به التجربه و الوجدان و فى هذا المعنى قال:

ذق الموت ان شئت العلى و اطعم الردى قتيل الأمانى بالمئيه مكتوب

خض الحتف تأمن خطه الخسف انما يبوح ضرام الخطب و الخطب مشيوب

تنبيه

يشبه أن يكون هذا الكلام ملتقطا من كلام له عليه السّلام رواه فى البحار من الارشاد قال: من كلامه صلوات الله عليه فى هذا المعنى (١) بعد حمد الله و الثناء عليه:

ما أظن هؤلاء القوم - يعنى أهل الشام - إلا ظاهرين عليكم، فقالوا له: بما ذا

ص: ١٥٥

١- (١) فى استنفار القوم الى الجهاد و استبطائهم عنه بعد بلوغ خبر مسير بسر بن ارطاه الى اليمن كما سبق اليه الاشاره فى الارشاد، منه

يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أرى أمورهم قد علت، و نيرانكم قد خبت، و أراهم جادين، و أراكم و انين، و أراهم مجتمعين، و أراكم متفرقين، و أراهم لصاحبهم مطيعين، و أراكم لى عاصين، أم و الله لئن ظهروا عليكم لتجدنهم أرباب سوء من بعدى لكم، لكأنى أنظر إليهم و قد شاركوكم فى بلادكم، و حملوا إلى بلادهم فيئكم، و كأنى أنظر إليكم تكشون كشيش الضباب، و لا- تأخذون حقًا، و لا- تمنعون لله من حرمه، و كأنى أنظر إليهم يقتلون صالحكم، و يحيفون(١) قرائكم، و يحرمونكم، و يحجبونكم، و يدنون الناس دونكم. فلو قد رأيتم الحرمان و الاثره و وقع السيوف و نزول الخوف، لقد ندمتم و حسرتكم(٢) على تفريقكم فى جهادكم و تذاكرتم ما أنتم فيه اليوم من الخفض و العافيه حين لا ينفعكم التذكار

الترجمه

از جمله کلام آن امام اناست که فرمود:

گویا نظر میکنم بسوی شما که آواز می کنید در ازدحام نمودن بهزیمت و فرار همچو آواز نمودن پوستهای سوسمار که بر هم خورند در رفتار، در حالتی که أخذ نمی کنید بجهه خدا حقّی را، و منع نمی کنید ذلّتی را، بتحقیق که رها شده اید با طریق آخرت، پس نجات مر کسی راست که داخل شود بدون تأمل در قتال و جهاد و هلاکت مر کسی راست که توقّف کند از محاربه اعداء.

و من کلام له علیه السلام فى حث اصحابه على القتال و هو الماء

اشاره

و الرابع و العشرون من المختار فى باب الخطب

قاله للاصحاب فى صفين و قد رواه غير واحد باختلاف تعرفه انشاء الله فقدّموا الدّارع، و أخرّوا الحاسر، و عضّوا على الأضراس فإنه

ص: ١٥٦

١- (١) الحيف الجور و الظلم منه

٢- (٢) الحسره أشد التهلّف على الشىء الفائت تقول منه حسر على الشىء بالكسر يحسر حسرا فهو حسير، صحاح

أنبا للسيوف عن الهام، و التوا في أطراف الرّماح فإنّه أمور للأسنّه، و غصّوا الأبصار فإنّه أربط للجاش و أسكن للقلوب، و أميتوا الأصوات فإنّه أطرّد للفشل، و رايتكم فلا تميلوها و لا تخلوها و لا تجعلوها إلاّ بأيدي شجعانكم و المانعين الدّمار منكم، فإنّ الصّابرين على نزول الحقائق هم الذين يحفّون براياتهم و يكتنفونها حفافيها و ورائها و أمامها، لا يتأخرون عنها فيسلموها، و لا يتقدّمون عليها فيفردوها، أجزء امرء قرنه، و آسى أخاه بنفسه، و لم يكل قرنه إلى أخيه، فيجتمع عليه قرنه و قرن أخيه، و أيم الله لئن فررتم من سيف العاجله لا تسلموا من سيف الآخره، و أنتم لهاميم العرب، و السنّام الأعظم، إنّ في الفرار موجه الله و الدّلّ اللازم، و العار الباقي، و إنّ الفارّ لغير مزيد في عمره، و لا محجوز بينه و بين يومه، من رائح إلى الله كالظمآن يرد الماء، الجنّه تحت أطراف العوالي، اليوم تبلى الأخبار، و الله لأنا أشوق إلى لقائهم منهم إلى ديارهم، أللهمّ فإن ردّوا الحقّ فافضض جماعتهم، و شتت كلمتهم، و أبسلهم بخطاياهم، إنهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك يخرج منه النّسيم، و ضرب يفلق الهام، و يطيح العظام، و يندر السّواعد و الأقدام، و حتّى يرموا بالمناسر

تتبعها المناسر، و يرجموا بالكتائب، تقفوها الحلائب، و حتى يجزّ ببلادهم الخميس يتلوه الخميس و حتى تدعق الخيول فى نواحر أرضهم، و بأعان مساريهم و مسارحهم. قال السيد ره: الدعق، الدق، اى تدقّ الخيول بحوافرها أرضهم، و نواحر أرضهم، متقابلاتها يقال: منازل بنى فلان تتناحر أى تتقابل.

اللغة

(الدارع) لابس الدرع و (الحاسر) الذى لا درع عليه و لا مغفر و (نبا) السيف عن الضريه كلّ عنها و ارتد و لم يمض و (التوى) انعطف و (المور) التحريك و الاضطراب قال تعالى: يوم تمور السماء مورا، و (الذمار) بالكسر ما يلزمك حفظه و حمايته، و عن الجوهرى فلان حامى الذمار أى إذا ذمر و غضب حمى و فى شرح المعتزلى الذمار ما وراء الرّجل مما يحقّ عليه أن يحميه و سمى ذمارا لأنّه يجب على أهله التذمر له أى الغضب.

و (الحقائق) جمع الحقيقه بمعنى ما يحقّ للرّجل أن يحميه، أو بمعنى الرايه كما ذكره فى القاموس و حكى عن الصحاح، و قال الشارح المعتزلى و تبعه غيره إنّ الحقائق جمع حاقه و هى الأمر الصعب الشديد، و منه قوله تعالى: الحاقّه ما الحاقّه يعنى الساعه، و فى كونه جمعا لها نظر و (الحفاف) وزان كتاب الجانب و فى (امرء) ثلاث لغات: فتح الراء دائما و ضمّها دائما، و اختلافها باختلاف حركه الآخر، تقول: هذا امرء و رأيت امرأ و مررت بامرء و (القرن) بالكسر كفوك فى الشجاعه أو عامّ لكلّ كفو و (آس) أخاه بالهمزه أى جعله اسوه لنفسه و يجوز و اسيت زيدا بالواو و هى لغه ضعيفه و (اللّهاميم) جمع اللّهموم بالضم كعقود و عناقيد الجواد من النّاس و الخيل و (سنام) الابل معروف و (الموجدّه) الغضب و السخط و فى بعض النسخ (و الدّل اللّاذم) بالدال المعجمه أيضا بمعنى اللازم بالزاء يقال: لذمت المكان أى لزمته و (العوالى) جمع

العاليه و هى أعلى القناه أو رأسها أو نصفها الذى يلي السنان.

و (تبلى الأخبار) هنا بالبا الموحده و فى بعض النسخ بالياه المثناه التحتائيه و (أبسلته) أسلمته إلى الهلكه و (النسيم) الريح اللينه، و فى بعض النسخ النسّم أى طعن يخرق الجوف بحيث يتنفّس المطعون من الطعنه، و روى القشّم بالقاف و الشين المعجمه و هو اللحم و الشحم و (فلقت) الشىء افلقه بكسر اللّام فلقا شققته و (المناسر) جمع المنسر بفتح الميم و كسر السّين و بالعكس أيضا قطعه من الجيش تكون امام الجيش الأعظم و (الحلائب) بالحاء المهمله جمع حليه و هى الطائفه المجتمعه من حلب القوم حلبا من باب نصر أى اجتمعوا من كلّ وجه و يقال احلبوا إذا جاءوا من كلّ أوب للنصره و (الخميس) الجيش لأنه خمس فرق: المقدمه، و القلب، و الميمنه و الميسره، و الساقه و (المسارب) و (المسارح) جمع المسربه و المسرح و هو المرعى قال الشارح المعتزلى: (و نواحر أرضهم) قد فسره الرضىّ و يمكن أن يفسر بأمر آخر، و هو أن يريد أقصى أرضهم و آخرها من قولهم لآخر ليله فى الشهر ناحره و المسارب ما يسرب فيه المال الراعى، و المسارح ما يسرح فيه و الفرق بين سرح و سرب أنّ السروح إنما يكون فى أول النهار، و ليس ذلك بشرط فى السروب.

الأعراب

جمله لا يتأخرون عنها آه، بدل من جمله يكتنفونها كما فى قوله تعالى:

«وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ».

و قوله: اجزاء امرء قرنه آه، قال الشارح المعتزلى: من الناس من يجعل هذه الصيغه و هى صيغه الاخبار بالفعل الماضى فى معنى الأمر كأنه قال ليجزى كلّ امرء قرنه لأنه إذا جاز الأمر بصيغه الاخبار فى المستقبل جاز الأمر بصيغه الماضى، و قد جاز الأول نحو قوله:

«وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ».

فوجب أن يجوز الثاني، و من الناس من قال معنى ذلك هلاً اجزاء امرء قرنه فيكون تحضيضاً محذوف الصيغه، انتهى أقول: معنى التحضيض في الماضي التوبيخ و اللوم على ترك الفعل و في المضارع الحَضُّ على الفعل و الطلب له، و هذا الكلام له عليه السلام كما ترى و ارد في معرض الحث و الترغيب لا اللوم و التوبيخ، فلا بد أن يجعل هلاً هنا على تقدير حذفها حرف عرض، و قوله: من رانح إلى اللهرائح خبر لمبتدأ محذوف و الجملة صله من، و في بعض النسخ الرانح إلى الله كالظمان، و هو الأوفق، و يجوز على الأول كون خبر من لفظ كالظمان و جمله يرد صفة للظمان، و يجوز كون كالظمان صفة لرانح و خبر من جمله يرد، و على ذلك فلا-بد أن يراد بالماء الحياه الأبد على سبيل المجاز و في بعض النسخ كالظمان يرد إلى الجنه، و هو يؤيد كون جمله يرد خبراً كما هو ظاهر.

المعنى

اشاره

اعلم أن الشارح المعتزلى بعد تقطيعه فى الشرح هذا الكلام له عليه السلام على فصول ثلاثه قال فى شرح الفصل الثانى منه و هو قوله: اجزاء امرء قرنه إلى قوله و ابسلهم بخطاياهم: و هذه الألفاظ لا يتلو بعضها بعضاً و إنما هى منتزعه من كلام طويل انتزعتها الرضى (ره) و اطرح ما عداها أقول: و ما ظفرت بعد على تمامه، و المستفاد من الروايات الآتية فى التكملة الآتية أنه ليس منتزعا من كلام واحد، بل منتزعا من كلام متعدّد حسبما تطلع عليه و كيف كان فالغرض منه حث أصحابه على الجهاد و تحريضهم و تعليمهم آداب الحرب و رسومها قال عليه السلام (فقدّموا الدارع) اللابس للدرع (و أخروا الحاسر) العارى عنه لأنّ سوره الحرب و شدتها تلتقى و تصادف، الأول فالأول، فوجب أن

ص: ١٤٠

يكون أول القوم مستلثما و يقدم المستلثم (١) على غير المستلثم (و عضوا على الأضراس فانه أنبا للسيوف عن الهام) كما مضى توضيحه في شرح الكلام الحادى عشر مع ما فيه من إظهار الغيظ و الخنق على الخصم (و التوا في أطراف الرماح فانه أمور للأسنه) أى إذا وصلت إليكم أطراف الرماح فانعطفوا ليزلق و يتحرك فلا ينفذ، و حمله الشارح البحرانى (ره) على الالتواء عند إرسال الرمح و رميه إلى العدو بأن يميل صدره و يده فان ذلك أنفذ و ليس بشىء (و عضوا الأبصار فانه أربط للجاش) و رواع القلب إذا اضطرب (و أسكن للقلوب) من الفزع و إنما أمرهم بغضها لئلا يروا من العدو ما يهولهم و يدهشهم، و كيلا يرى العدو منهم جينا و فشلا قد مضى ذلك أيضا فى شرح الكلام الحادى عشر (و أميتوا الأصوات) أراد به قلله الكلام و ترك رفع الأصوات (فانه أطرده للفشل) و الجبن و الجبان يصيح و يرعده و يبرق كما مرّ فى الكلام التاسع (و رايتكم فلا تميلوها) لأن ميلها من أسباب انكسار العسكر، لأنهم ينظرون إليها (و لا تخلوها) من محام لها (و لا تجعلوها إلا بأيدى شجعانكم) لضعف الجبناء عن إمساكها.

كما ضعف الأول و الثانى عن إمساكها يوم خيبر و انهزما بأقبح وجه، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله كزار غير فزار يفتح الله عليه، فلما كان الغد طاولت الأعناق لها، و كلّ رجاء أن يدفعها إليه فلم يدفعها إلا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، و فى هذا المعنى قال الشارح المعتزلى فى قصيدته التى قالها فى فتح خيبر:

و ما أنس لا أنس اللذين تقدّما و فزهما و الفرّ قد علما حوب

و للراية العظمى و قد ذهبها بها ملابس ذلّ فوقها و جلايب

يشلها من آل موسى شمردل طويل نجاد السيف اجيد يعبوب

إلى أن قال

دعا قصب العلياء يملكها امرؤ بغير أفاعيل الدنائته مقضوب

ص: ١٦١

يرى أنّ طول الحرب و البؤس راحه و أنّ دوام السلم و الخفض تعذيب

فَلله عينا من رآه مبارزا و للحرب كأس بالميتيه مقطوب

إلى آخر ما قال، و قوله (و المانعين الدّمار منكم) أى الذائنين عمّن يجب عليهم حفظه و حمايته، فإنّ من كان كذلك لا يترك الرايه حتى يظفر أو يقتل و علّله بقوله (فإنّ الصّيابرين على نزول الحقائق) أى نزول الرايات منازلها أو نزول ما يعرض لهم فى الحرب من الحالات التى يجب و يحقّ حمايه عنها، أو نزول الامور الصّعبه الشديده كما ذكره الشارح المعتزلى (هم الذين يحقّون براياتهم) و يحيطون بها (و يكتنفونها حفا فيها) و جانبها أى اليمين و اليسار (و ورائها و أمامها لا يتأخرون عنها فيسلموها و لا يتقدّمون عليها فيفردوها) بل يلازمونها أشدّ الملازمه و يراقبونها كمال المراقبه و يحاربون حولها و يضربون خلفها و أمامها.

ثمّ قال (أجزء امرء قرنه و آسا أخاه بنفسه و لم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه و قرن أخيه) و هو أمر لهم بالمواساه يقول: ليجزى و ليكفى كلّ امرء منكم قرنه و كفوه و ليواس أخاه بنفسه، و لم يدع قرنه ينضمّ إلى قرن أخيه فيصيرا معا فى مقاومه الأخ المذكور، فإنّ ذلك قبيح كاسب للآئمه، ناش عن دنائه الهّمه، إذ اولو العزم و ذوو الهمم العاليه لا يرضى أحد منهم بأن يقاتل أخوه اثنين و هو ممسك يده قد خلّى قرنه إلى أخيه هاربا منه أو قائما ينظر إليه ثمّ أقسم بالقسم البارّ فقال (و أيم الله لئن فررتم من سيف العاجله) لحبّ البقاء و الحياه (لا تسلموا من سيف الآخره) أى من عذاب الله و عقابه سبحانه على فراركم و تخاذلكم، و تسميته العذاب بالسيف إما مبنى على الاستعاره أو على المشاكله (و أنتم لهايم العرب) أى ساداتها و أجوادها (و السنام الأعظم) أراد شرفهم و علوّ نسبهم على سبيل الاستعاره أو التشبيهه البالغ لأنّ السنام أعلى أعضاء البعير و أرفعها (إنّ فى الفرار) من الجهاد (موجده الله) سبحانه و غضبه يوم الحساب (و الذلّ اللازم و العار الباقي) فى الأعقاب (و أنّ الفارّ لغير مزيد فى عمره و لا محجوز بينه و بين يومه) يعنى أنّ

الفرار لا يزيد في عمر الفارّ ولا يحجز بينه و بين اليوم الذي قدّر فيه موته كما قال تعالى في حق المنافقين المعتلين في الرجوع يوم الأحزاب بأن بيوتهم عوره:

«قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَ لَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا».

يعنى قل للذين استأذنونك في الرجوع و اعتلوا بأن بيوتهم يخاف عليها: لن ينفعكم الفرار من الموت أو القتل، إن كان حضر آجالكم فإنه لا بدّ من واحد منهما و لا ينفعكم الهرب و الفرار، و إن لم يحضر آجالكم و سلمتم من الموت أو القتل في هذه الوقعه لم تمتعوا في الدنيا إلا أياما قلائل.

ثم أكّد الحثّ عليهم بالترغيب و التشويق فقال (من) هو (رائح إلى الله) و ذاهب إلى رضوان الله سبحانه (كالظمان) العطشان (يرد الماء) و يروى غلته (الجنه تحت أطراف العوالي) و أسنّه الرّماح و تحت ظلال السيوف (اليوم تبلى الأخبار) أى أخبار الحرب من الثبات و الفرار و يمتحن السرائر و الضمائر من الايمان و النفاق و الشجاعه و الجبن و غيرها، أو يمتحن الأخبار من الأشرار (و الله لأننا أشوق) و أرغب (إلى لقائهم) أى الأعداء (منهم إلى ديارهم) ثم دعا عليهم بقوله:

(اللهم فان ردّوا الحقّ) و أرادوا إبطاله (فافضض جماعتهم و شتت كلمتهم) أى بدّل اجتماعهم بالافتراق و اتّفاق قولهم بالاختلاف و النفاق الموجب للهزيمه (و أبسلهم بخطاياهم) أى اهلكهم و أسلمهم إلى الهلاك و لا تنصرهم بما اكتسبوا من الاثم و الخطاء كما قال سبحانه:

«وَ ذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَ لَهْوًا وَ غَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَ ذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَ لَا شَفِيعٌ وَ إِنْ تَعَدَّلْ كُلٌّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا»

«لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ» ثم أشار إلى جدِّ الخصم في الجهاد تهييحا لأصحابه على المقاومة و الثبات فقال عليه السَّلام (انهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك) متدارك متتابع يتلو بعضه بعضا (يخرج منه النسيم) و الريح اللينه لسعته كما قال الشاعر:

طعنت ابن عبد القيس طعنه نائر لها نفذ لو لا الشعاع أضاها

ملكنت بها كفى فانهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها

يعنى أنّ هذه الطعنه لا-تساعها يرى الانسان المقابل لها ببصره ما وراها، و انه لو لا شعاع الدّم لبان منها الضوء (و ضرب يفلق الهام) و يشقق الرءوس (و يطيح العظام و يندر السواعد و الأقدام) أى يسقطها من مواضعها و محالها (و حتّى يرموا بالمناسر) و الجيوش (تتبعها المناسر) الاخر (و يرحموا) أى يغزوا (بالكتائب) و طوائف الجيوش (تقفوها) و تتبعها (الجلائب) و الطوائف الاخرى المجتمعه من كلّ صقع و ناحيه لنصرها و المحاماه عنها (و حتّى يجزّ ببلادهم الخميس يتلوه) و يعقبه (الخميس) الآخر (و حتّى تدعق الخيول) و تدقّ بحوافرها (فى نواحر أرضهم) أى متقابلاتها أو أواخرها (و بأعنان مساربهم و مسارحهم) أى أطراف مراعيهم و نواحيها

تكملة

هذا الكلام رواه المحدث العلامة المجلسي (ره) بطرق متعدده و اختلاف كثير أحببت أن أورد ما رواه طلبا لمزيد الفائدة فأقول:

روى (قده) فى البحار من الكافى فى حديث مالك بن أعين قال: حرّض أمير المؤمنين عليه السَّلام النَّاسَ بِصَفِّينَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ دَلَّكُمْ عَلَى تِجَارِهِ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ، وَ تَشْفَى بِكُمْ عَلَى الْخَيْرِ، الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ جَعَلَ ثَوَابَهُ مَغْفِرَةً لِلذَّنْبِ وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَ قَالَ جَلَّ وَ عَزَّ «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ» فَسَوُّوا صَفُوفَكُمْ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ، فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ وَ أَخْرُوا الْحَاسِرَ، وَ عَضُّوا

على النواجذ، فانه أبنا للسيوف عن الهام، و التوا على أطراف الرماح فانه امور للأسته، و غصوا الأبصار فانه أربط للجاش و أسكن للقلوب، و أميتو الأصوات فانه أطرده للفشل و أولى بالوقار، و لا- تميلوا براياتكم و لا- تزيلوها، و لا- تجعلوها إلا- مع شجعانكم، فانّ المانع للذمار و الصابر عند نزول الحقائق هم أهل الحفاظ، و لا تمثلوا بقتيل، و إذا وصلتكم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سرّاً «ستراظ» و لا تدخلوا دارا، و لا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلاّ ما وجدتم في عسكرهم، و لا تهيجوا امرأه بأذى و إن شتمت أعراضكم و سببن امرائكم و صلحائكم، فانهنّ ضعاف القوى و الأنفس و العقول، و قد كنا نؤمر بالكفّ عنهنّ و هنّ مشركات و ان كان الرّجل ليتناول المرأه فيعيّر بها و عقبه من بعده و اعلموا أنّ أهل الحفاظ هم الذين يحفّون براياتكم و يكتفونها، و يصيرون حفا فيها و ورائها و أمامها، و لا يضيعونها و لا يتأخرون عنها فيسلموها و لا يتقدّمون عليها فيفردوها رحم الله امرأه و اسأه بنفسه، و لم يكل قرنه إلى أخيه، فيجتمع عليه قرنه و قرن أخيه فيكتسب بذلك اللأئمه، و يأتي بدنائه، و كيف لا يكون كذلك و هو يقاتل الاثنين، و هذا ممسك يده قد خلى قرنه على أخيه هاربا ينظر إليه و هذا فمن يفعله يمقته الله فلا تعرّضوا لمقت الله عزّ و جلّ فانما ممركم إلى الله و قد قال الله عزّ و جلّ:

«لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَ إِذَا لَا- تُمْتَعُونَ إِلَّا- قَلِيلًا» و أيم الله لئن فررتم من سيوف العاجله لا تسلمون من سيوف الآجله، فاستعينوا بالصبر و الصدق فانما ينزل النصر بعد الصبر فجاهدوا في الله حقّ جهاده و لا قوه إلاّ بالله.

و في كلام له آخر

و إذا لقيتم هؤلاء القوم غدا فلا تقاتلوهم حتّى يقاتلونكم، فاذا بدءوا بكم فانهدوا إليهم و عليكم السكينه و الوقار، و عضوا على الأضراس فانه أنبا للسيوف

عن الهام، و غَضُوا الأبصار، و مدّوا جباه الخيول و وجوه الرجال، و أقلّوا الكلام فانه أطرده للفشل، و أذهب بالوهل، و وطنوا أنفسكم على المبارزه و المنازله و المجادله، و اثبتوا، و اذكروا الله عزّ و جلّ كثيرا فإنّ المانع للذّمّار عند نزول الحقائق هم أهل الحفاظ الذين يحفّون براياتهم و يضربون حافتيها و أمامها، و إذا حملتم فافعلوا فعل رجل واحد، و عليكم بالتحامى فإنّ الحرب سجال لا يشدّون عليكم كرهه بعد فزه، و لا حملة بعد جوله، و من ألقى اليكم السّلام فاقبلوا منه و استعينوا بالصّبر فإنّ بعد الصّبر النّصر من الله عزّ و جلّ.

«إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ».

و فى البحار من الارشاد قال من كلامه عليه السّلام أيضا فى هذا المعنى أى فى تحضيضه على القتال يوم صفّين:

معشر النّاس إنّ الله قد دلّكم على تجاره تنجيكم من عذاب اليم، و تشفى بكم على الخير العظيم: الايمان بالله و رسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم و الجهاد فى سبيله، و جعل ثوابه مغفره الذّنوب و مساكن طيبه فى جنات عدن ثمّ أخبركم أنه «يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صِيًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ» فقدّموا الدّارع و أخروا الحاسر و عضّوا على الأضراس فانه أنبا للسيوف عن الهام و التّوا فى أطراف الرماح فانه أمور للأسنّه، و غَضُوا الأبصار فانه أربط للجاش و أسكن للقلوب، و أميتوا الأصوات فانه أطرده للفشل و أولى بالوقار، و رايتكم فلا تميلوها و لا تخلّوها و لا تجعلوها إلّا فى أيدي شجعانكم، فإنّ المانع للذّمّار الصّابرين على نزول الحقائق أهل الحفاظ الذين يحفّون براياتهم و يكتنفونها، رحم الله امرء منكم آسى أخاه بنفسه و لم يكل قرنه إلى أخيه فيجمع عليه قرنه و قرن أخيه فيكتسب بذلك اللائم، و يأتي به دنائه و لا تعرّضوا لمقت الله، و لا تفرّوا من الموت فإنّ الله تعالى يقول:

«قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَزْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا» و أيم الله لئن فررتم من سيف العاجله لا تسلموا من سيف الآجله، فاستعينوا بالصبر و الصّلاه و الصدق في النّيه فانّ الله تعالى بعد الصّبر ينزل النصر، هذا و قد مرّ أكثر الفقرات الأخيره من هذا الكلام الذي نحن بصدد شرحه في روايه نصر بن مزاحم عن الشّعبي في شرح الخطبه الخامسه و الثلاثين عند ذكر كيفيه التحكيم فليراجع ثمه.

بيان ما لعله يحتاج إلى التفسير من ألفاظ الروائين فأقول قال الجوهري «رَضِيَتْ» الشيء رَضًا أَلْصَقَتْ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَ مِنْهُ بِنْيَانٌ مَرْصُوصٌ وَ «الْحِفَافُ» بِالْكَسْرِ الذَّبُّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَ «حَفَافِيهَا» مَتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: يَكْتَنِفُونَهَا أَوْ بِقَوْلِهِ: يَصِيرُونَ أَيْضًا عَلَى سَبِيلِ التَّنَازُعِ، قَالَ فِي الْبَحَارِ وَ فِي بَعْضِ النُّسخِ وَرَائِهَا بَدُونِ الْعَطْفِ فَهِيَ الْإِمَامُ وَ الْوَرَاءُ وَ «نَهْدُ» الرَّجُلِ نَهْضٌ وَ الْعُدْوَةُ صَمْدٌ لَهُمْ.

و قوله عليه السّلام «و مَدَّوْا جِبَاهَ الْخِيُولِ وَ وَجُوهَ الرِّجَالِ» قَالَ فِي الْبَحَارِ لَعَلَّ الْمُرَادَ بِهِمَا تَسْوِيَهُ الصِّفُوفِ وَ أَقَامَتَهَا رَاكِبِينَ وَ رَاجِلِينَ، أَوْ كُنَايَهُ عَنِ تَحْرِيكِهَا وَ تَوَجِيهِهَا إِلَى جَانِبِ الْعُدْوِ وَ «الْوَهْلُ» الضَّعْفُ وَ الْفَزَعُ، وَ قَوْلُهُ «فَإِنَّ الْحَرْبَ سَجَالٌ» أَي مَرَّةً لَنَا وَ مَرَّةً عَلَيْهِمَا، وَ أَصْلُهُ إِنَّ الْمُسْتَقِينَ بِالسَّجْلِ يَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ سَجْلٌ، وَ السَّجْلُ الدَّلْوُ الْكَبِيرُ وَ «السِّيلَامُ» الْإِسْتِسْلَامُ، وَ قَدْ مَرَّ تَفْسِيرُ سَائِرِ مَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّفْسِيرِ فِي شَرْحِ الْمَتْنِ

تذکره

قد قدّمنا في شرح الكلام الخامس و الستين شطرا من وقايح صفين، و أوردنا تمام وقايحها في شرحه و شرح سائر الخطب المتقدّمه عليه حسبما مرّت الاشاره اليها هنالك، من أراد الاطلاع عليها فليراجع ثمّه

از جمله کلام بلاغت نظام آن جنابست در تحریص و ترغیب أصحاب خود بر مقاتله و محاربه معاویه و أصحاب او که فرموده:

پس مقدم دارید زره پوش را، و مؤخر نمائید عاری از زره را، و بگزید بر دندانها یعنی دندانها را بالای همدیگر محکم بگذارید، پس بدرستی که استحکامی دندانها باز گرداننده تر است شمشیرها را از فرق، و پیچیده شوید در اطراف نیزها پس بتحقیق که آن پیچیدگی حرکت دهنده تر است نیزها را از نفوذ آنها، و فرو خوابانید دیده ها را پس بدرستی که آن موجب زیادتی ثبات دل بی آرام است و شدت سکون قلبها است، و ترک کنید بلندی آوازاها را پس بدرستی که آن راننده تر است جبن را.

و علم خودتان را پس میل ندهید آنرا و خالی نگذارید آنرا و مگردانید آنرا مگر بر دست شجاعان خودتان، و مگر بر دست کسانی که باز دارند گانند بی غیرتی را از شما در روز هیجا، پس بدرستی کسانی که صبر نمایند اند بر نزول حقیقه کارهائی که حقیق است بحمایت ایشان اشخاصی هستند که احاطه میکنند بعلمهای خود، و دور آنها را می گیرند از دو جانب چپ و راست آنها و از پس آنها و پیش آنها یعنی محافظت میکنند علمها را از چهار طرف و پس نمی افتند از آن علمها تا تسلیم کنند آنها را بر اعداء، و پیش نمی روند از آنها تا این که تنها گذارند آنها را باید که کفایت کند مرد کفو خودش را در کار زار، و مواساه کند با برادر خودش بنفس خود، و واگذار ننماید قرین و کفو خود را برادر خود تا مجتمع شود بر او قرین او و قرین برادر او، و بخدا سوگند اگر بگریزید شما از شمشیر دنیا سلامت نمایند از شمشیر آخرت و حال آنکه شما اشراف عرب هستید و کوهانهائی بزرگتر ارباب ادب می باشید، بدرستی که در گریختن از جنگ غضب پروردگار است، و ذلت و خواری همیشگی است و عار و سرکوبی باقی است، و بدرستی که فرار کننده از جنگ زیاده کننده نیست در عمر خود، و باز داشته شده نیست میان خود و میان روز موعود خود

کسی که رونده است بسوی آفریدگار مثل تشنه ایست که وارد شود بر آب بهشت عنبر سرشت، در زیر اطراف نیزه‌های بلند مقدار است، امروز آشکار می شود خبرها.

بار پروردگارا اگر رد کنند این قوم بد بنیاد حق را پس پراکنده نما جماعت ایشان را، و متفرّق گردان سخنان باطل ایشان را، و هلاک بگردان ایشان را بگناهان خودشان، ایشان هرگز زایل نمی شوند از موقفهای خودشان بی زدن نیزه پی در پی که خارج بشود از او بجهت گشادی او نسیم، و بی ضربتی که بشکافد کاسه سر را و بیندازد استخوانها را و بیفکند بازوها و قدمها را، و تا آنکه انداخته شوند بلشکرهایی که مقدمه لشکر دیگر باشند که تابع شود بایشان مقدمه الجیش دیگر، و سنگسار شوند بلشکرهای گران که تبعیت نماید بایشان لشکران جمع شده از هر طرف تا آنکه کشیده شود بشهرهای ایشان سپاهی که در عقب آن باشد سپاهی دیگر، و تا آنکه بکوبند اسبان بسمهای خود در اواخر بلاد ایشان و بنواحی مراعی و چراگاههای ایشان، یعنی اگر جد و کوشش نشود در جهاد ایشان دست از طغیان خود بر نخواهند داشت

و من کلام له علیه السلام فی التحکیم و هو المأه و الخامس

اشاره

و العشرون من المختار فی باب الخطب.

و رواه الطبرسی فی الاحتجاج الی قوله لا اول البغی نحوه قال علیه السلام إنّنا لم نحکم الرجال و إنّما حکمنا القرآن و هذا القرآن إنّما هو خطّ مسطور بین الدفتین، لا ینطق بلسان و لا بدّ له من ترجمان، و إنّما ینطق عنه الرجال، و لّمّا دعانا القوم إلی أن نحکم بیننا القرآن لم نکن الفریق المتولّی عن کتاب الله تعالی، و قد قال سبحانه فإن:

ص: ۱۶۹

تنازعتم في شيء فردوه إلى الله و الرسول، فردّه إلى الله أن نحكم بكتابه، و ردّه إلى الرسول أن نأخذ بسنته، فاذا حكم بالصدق في كتاب الله فنحن أحقّ الناس به، و إن حكم بسنّه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فنحن أولاهم به، و أمّا قولكم لم جعلت بينكم و بينهم أجلا في التحكيم فإنما فعلت ذلك ليتبين الجاهل، و يتثبت العالم و لعلّ الله أن يصلح في هذه الهدنه أمر هذه الأمّة، و لا تؤخذ بأكظامها فتعجل عن تبيين الحقّ، و تنقاد لأوّل الغيّ، إنّ أفضل الناس عند الله من كان العمل بالحقّ أحبّ إليه و إن نقصه و كرّثه من الباطل و إن جرّ إليه فائده و زاده فأين يتاه بكم و من أين أتيتم، إستعدّوا للمسير إلى قوم حيارى عن الحقّ لا- يبصرونه، و موزعين بالجور و لا يعدلون به، جفاه عن الكتاب نكب عن الطّريق، ما أنتم بوثيقه يعلق بها، و لا زوافر عزّ يعتصم إليها، لبئس حشاش نار الحرب أنتم، أفّ لكم لقد لقيت منكم برحا يوما أناديكم و يوما أناجيكم، فلا أحرار صدق عند النداء، و لا إخوان ثقّه عند النّجاء.

اللغة

(دفتا) المصحف جانباه المكتنفان به و (الترجمان) و زان زعفران و عنفوان و ريهقان مفسر اللسان باللسان الآخر، و التاء أصلية و الألف و النون زائدتان و الفعل ترجم و (التبين) يستعمل لازما و متعدّيا و (التثبت) التأنى في الامور و (الهدنه)

بالضّم المصالحة و الدّعه و السكون و (الأكظام) جمع كظم كأسباب و سبب و مخرج النفس من الحلق و (كرثه) الغمّ من باب نصر و ضرب و أكرثه اشتدّ عليه و بلغ منه المشقه.

و (تاه) يتيه تيتها تحيّر و ضلّ أو تكبر و (اتيم) بالبناء على المفعول و (أوزعته) بكذا ألهمته و قال الجوهريّ أوزعته بالشىء أغريته به و (جفات) جمع جاف من جفا السرج عن ظهر الفرس نبا و ارتفع و (نكب) عن الطريق ينكب نكوبا من باب قعد عدل و (زافره) الرّجل خواصّه و أنصاره و (الحشاش) بضمّ الحاء و تشديد الشين جمع حاش و هو الموقد للنار و يروى حشاش بالكسر و التخفيف و هو ما يحشّ به النار أى يوقد و (البرح) الشدّه و فى بعض النسخ بالتاء و هو الحزن و (النجاء) المناجاه مصدر ناجيته نجاه مثل صارعته صراعا و ضاربتة ضرابا

الاعراب

قوله: بين الدّفتين، ظرف لغو متعلّق بقوله مسطور أو مستقرّ صفه لخطّ أو حال ضمير مسطور، و مثله فى احتمال الوصفيه و الحاليه جمله لا- ينطق آه، و لعلّ الله أن يصلح آه لعلّ حرف موضوع للتوقّع و هو التّرجى للمحجوب و الاشفاق من المكروه و تنصب الاسم و ترفع الخبر مثل ساير الحروف المشبّهه بالفعل و يقترن خبرها كثيرا بأن كما فى هذا المقام و فى قوله:

لعلّك يوما أن تلّم ملّمه عليك من اللّاء يدعنك أجدعا(١)

حملا- لها على عسى لاشتراكهما فى الدلاله على التّرجى على سبيل الانشاء فان قلت: أن تجعل مدخولها فى تأويل المصدر و عليه فكيف يصحّ الحمل فى قوله: لعلّ الله أن يصلح و قولك لعلّ زيدا أن يقوم إذ الحدث لا يكون خبرا عن الجئه.

قلت: هذا اشكال تعرّض له علماء الأدبيّه فى باب عسى و تفصّوا عنه بوجوه

ص: ١٧١

١- (١) الاجدع بالجيم و الدال المهمله مقطوع الانف أى لعلّك ان تنزل عليك نازله من نوازل الدهر من اللّاء يتركنك بهذا الصفه من الجدع، منه

احدها أن يقدر هنا مضاف إِمَّا في الاسم أو في الخبر، فمعنى عسى زيد أن يقوم عسى حال زيد أن يقوم أو عسى زيد صاحب أن يقوم، و نوقش فيه بأنه تكلف إذ لم يظهر هذا المضاف إلى اللفظ أبدا لا في الاسم ولا في الخبر و ثانيها أن زائده، و رد بأن الزائد لا يلزم إلا مع بعض الكلم و لزومه مطردا في موضع معيّن مع أى كلمه كانت بعيد و ثالثها ما قاله الكوفيون و هو أن أن مع الفعل في محلّ الرفع بدلا مما قبله بدل اشتمال كقوله تعالى:

«لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ» إلى قوله:

«أَنْ تَبْرُوهُمْ».

أى لا ينهيكم الله عن أن تبرؤهم قال نجم الأئمه: و الذى أرى أن هذا وجه قريب فيكون فى نحو يا زيدون عسى أن يقوموا قد جاء بما كان بدلا من الفاعل مكان الفاعل و المعنى أيضا يساعد على ما ذهبوا إليه، لأنّ عسى بمعنى يتوقع، فمعنى عسى زيد أن يقوم أى يتوقع و يرجأ قيامه و إنما غلب فيه بدل الاشتمال لأنّ فيه اجمالا ثم تفصيلا و فى إبهام الشىء ثم تفسيره وقع عظيم لذلك الشىء فى النفس و قوله و لا يؤخذ باكظامها عطف على قوله يتبين، و قوله: حيارى و جفاه و نكب بالجرّ صفه لقوم، و قوله ما أنتم بوثيقه بالجرّ على حذف المضاف أو الموصوف أى بذوى وثيقه أو بعروه وثيقه، و الباء فى قوله و لا يعدلون به إما بمعنى عن كما ذهب إليه الكوفيون فى قوله تعالى: فاسئل به خبيرا، أى عنه و يؤيده ما فى بعض النسخ بدل به عنه أوصله بمعناها الأصلية.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام قاله عليه السّلام فى مقام الاحتجاج على الخوارج حيث أنكروا عليه التحكيم، و قد مضى فى شرح الخطبه الخامسة و الثلاثين كيفيه التحكيم و بدء خروج الخوارج، و فى شرح الخطبه السادسه و الثلاثين احتجاجاته عليه السّلام معهم من كتابى المناقب لابن شهر آشوب و كشف الغمه لعليّ بن عيسى الإربلى، و نقول هنا

ص: ١٧٢

قد روى الطبرسى فى الاحتجاج احتجاجه معهم نحو ما قدّمناه من المناقب و لا بأس بايراده هنا لاختلاف الروايتين و توضيحا للمقام و تأكيدا لما تقدّم فأقول: قال (ره): و روى أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام أرسل عبد الله بن العباس إلى الخوارج و كان بمرثى منهم و مسمع قالوا له فى الجواب: إنّنا نعلمنا يا بن عباس على صاحبك خصالا كلّها مكفره موبقه تدعوا إلى النار أمّا أولها فأنه محا اسمه من امره المؤمنين ثمّ كتب ذلك بينه و بين معاويه فاذا لم يكن أمير المؤمنين و نحن المؤمنون فلسنا نرضى بأن يكون أميرنا و أمّيا الثانيه فانه شكّ فى نفسه حيث قال للحكمين انظرا فان كان معاويه أحقّ بها فاثبتاه و إن كنت أولى بها فاثبتانى فاذا هو شكّ فى نفسه و لم يدر أهو حقّ أم معاويه فنحن فيه أشدّ شكا و الثالثه أنه جعل الحكم إلى غيره و قد كان عندنا أحكم الناس و الرابعه أنه حكم الرجال فى دين الله و لم يكن ذلك إليه.

و الخامسه أنه قسم بيننا الكراع و السلاح يوم البصره و منعنا النساء و الذريّه.

و السادسه أنه كان وصيّيا فضيّع الوصيّه قال ابن عباس قد سمعت يا أمير المؤمنين مقاله القوم و أنت أحقّ بجوابهم، فقال عليه السّلام: نعم، ثمّ قال: يا بن عباس قل لهم أستم ترضون بحكم الله و حكم رسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم؟ قالوا: نعم، قال: ابدء بما بدءتم به فى بدء الأمر ثمّ قال عليه السّلام:

كنت أكتب لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم الوحي و القضايا و الشروط و الأمان يوم صالح أبا سفيان و سهيل بن عمرو فكتبت: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اصطلح عليه محمّد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أبا سفيان بن صخر بن حرب و سهيل بن عمرو فقال سهيل إنا لا- نعرف الرحمن الرحيم، و لا- نقرّ أنّك رسول الله، و لكن نحسب ذلك شرفا لك أن تقدّم اسمك قبل أسمائنا و ان كنا أسنّ منك و أبى أسنّ من أبيك، فأمرنى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فقال اكتب مكان بسم الله الرحمن الرحيم: باسمك اللهم، فمحوت ذلك و كتبت باسمك اللهم و محوت رسول الله و كتبت محمّد بن عبد الله، فقال لى: إنك تدعى إلى

مثلها فتجيب و أنت مكره و هكذا كتبت بيني و بين معاويه و عمرو بن العاص: هذا ما اصطاح عليه أمير المؤمنين و معاويه و عمرو بن العاص فقالا: لقد ظلمناك إن أقررنا أنك أمير المؤمنين و قاتلناك، و لكن اكتب علي بن أبي طالب، فمحت كما محى رسول الله، فان أبيت ذلك فقد جحدتم، فقالوا: هذه لك خرجت منها قال:

و أما قولكم انى شككت فى نفسى حيث قلت للحكمين انظرا فان كان معاويه أحق بها منى فأثبتاه، فان ذلك لم يكن شكاً منى، و لكنى أنصفت فى القول قال الله تعالى:

«وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» و لم يكن ذلك شكاً و قد علم الله أن نبيه على الحق قالوا: و هذه لك قال عليه السلام:

و أما قولكم انى جعلت الحكم إلى غيرى و قد كنت عندكم أحكم الناس، فهذا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قد جعل الحكم إلى سعد يوم بنى قريظه و قد كان من أحكم الناس فقد قال الله تعالى:

«لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» فتأسيت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قالوا: و هذه لك بحجتنا قال:

و أمياً قولكم انى حكمت فى دين الله الرجال، فما حكمت الرجال و إنما حكمت كلام الرب الذى جعله الله حكماً بين أهله، و قد حكم الله الرجال فى طائر فقال:

«وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ».

فدماء المسلمين أعظم من دم طائر قالوا، و هذه لك بحجتنا قال:

و أمياً قولكم انى قسمت يوم البصره لما اظفر الله بأصحاب الجمل الكراع و السلاح و منعتكم النساء و الذريه فانى مننت على أهل البصره كما من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم

على أهل مكه و ان كان عدوا علينا أخذناهم بذنوبهم و لم نأخذ صغيرا بكبير، و بعد فايكم كان يأخذ عايشه فى سهمه؟ قالوا: و هذه لك بحجتنا قال:

و أميا قولكم إني كنت وصيا و ضيعة الوصية فأنتم كفرتم و قدمتم على و أزلتم الأمر عني، و ليس على الأوصياء الدعا إلى أنفسهم إنما يبعث الأنبياء عليهم السلام فيدعون إلى أنفسهم، و أما الوصي فمدلول عليه مستغن عن الدعا إلى نفسه و ذلك لمن آمن بالله و رسوله و لقد قال الله تعالى:

«وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» فلو ترك الناس الحج لم يكن البيت ليكفر بتركهم إياه و لكن كانوا يكفرون بتركهم لأن الله قد نصبه لهم علما و كذلك نصبني علما حيث قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: يا على أنت منى بمنزلة هارون من موسى، أنت منى بمنزلة الكعبة تؤتى و لا تأتى، فقالوا هذه لك بحجتنا فادعونا، فرجع بعضهم و بقى منهم أربعة آلاف لم يرجعوا ممن كانوا قعدوا عنه، فقالتهم و قتلهم إذا عرفت ذلك فأقول: إنه قد ظهر لك من هذه الرواية و من روايه، المناقب المتقدمه أن من جمله ما نقم الخوارج عليه عليه السلام تحكيمه للرجال، و من جمله أنه عليه السلام ضرب للتحكيم أجلا معيناً، فساق هذا الكلام دفعا لشبهتهم و قال فى ردّ الأوّل و دفعه: إن دعويكم على بتحكيم الرجال غير صحيحه ل (أنا لم نحكم الرجال و إنما حكمنا القرآن و هذا القرآن انما هو خط مسطور بين الدفتين لا ينطق بلسان و لا بد له من مفسير و ترجمان و إنما ينطق عنه) و يترجمه (الرجال و لما دعانا القوم) أى أهل الشام (إلى أن نحكم بيننا القرآن) حسبما مرّ تفصيله فى شرح الخطبه الخامسه و الثلاثين (لم نكن الفريق المتولى عن كتاب الله سبحانه و قد ذمّ الله أقواما على ذلك حيث قال: و إذا دعوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم تولّوا إلا قليلا منهم و هم معرضون بل لا بد لنا من التسليم و الاجابه امثالاً لأمره تعالى حيث قال عزّ من قائل فان تنازعتم فى شىء فردّوه إلى الله و الرسول)

و لما كان الردّ إلى الله و الرّسول مجملا محتاجا إلى التفسير و البيان فسره بقوله (فرّده إلى الله) سبحانه (أن نحكم بكتابه) العزيز (و رده إلى الرّسول أن نأخذ بسنته) القويمه (فاذا حكم بالصدق فى كتاب الله) أى بقول مطابق للواقع لا بتفسيره عن رأى و اعتقاد فاسد (فنحن أحقّ الناس به) أى بالله أو بكتاب الله أو بالحكم الصّديق المستنبط من الكتاب و لوجب بمقتضاه الحكم بخلافتنا و وجوب المتابعه لنا لأنّ الله سبحانه قد قال فيه:

«أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» و قال: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ».

(و إن حكم بسنّه رسول الله) بالحقّ لا- بتأويله عن هوى النفس (فنحن أولاهم بها) أى بالسنّه و فى بعض النسخ به أى بالحكم الحقّ المستفاد من السنّه أو أولاهم بالرّسول لقوله فيه أنت منى بمنزله هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبىّ بعدى، و غيره مما قال فيه من الأخبار الداله على أولويته عليه السّلام حسبما قدّمناها فى شرح الخطبه الثالثه المعروفه بالشقشقيه و غيرها أيضا و محصّل جوابه عليه السّلام انه لما نعموا عليه بتحكيم الرّجال أجاب لهم بأنّ القوم لما رفعوا المصاحف على الرّماح و دعونا إلى كتاب الله سبحانه و العمل بحكمه لم يسعنا التّولى و الاعراض و إن كان دعوتهم فى الظاهر ايمانا و فى الباطن كفرا و عدوانا، فأجبنا إليهم دعوتهم و رضينا بالتحكيم بالقرآن، و حيث إنّ القرآن خطّ مسطور محتاج إلى المفسّر و المترجم قرّنا الرجلين لمسييس الحاجه إلى التفسير و الترجمه، فالحكم فى الواقع و الحقيقه هو القرآن لا الرّجلان، و انما وجودهما توصّلا إلى التفسير و البيان و حاجه إلى المفسر و التّرجمان، مع انه قد مرّ غير مرّه أنّ رضاه عليه السّلام بالتحكيم كان إجبارا و اضطرارا، لا رغبه و اختيارا، هذا

و لما كان هناك مظنه أن يقال إنك بعد ما رضيت بالحكمين و لو من باب الحاجه إلى الترجمة فهلاً انفذت قولهما و لم لم ترض بحكهما؟ فأجاب عليه السيّد لام عنه بأن الواجب علينا اتّباعهما لو كانا يحكمان في السنّه و الكتاب بالصدق و الصّواب و لو حكما بالحقّ لكنّا به أحقّ، لكنهما حكما بالهوى و الخطاء فلا يجب علينا الرضا و الاتباع و لا التنفيذ و الامضاء، هذا.

و العجب من الشّارح المعتزلي حيث ذكر في هذا المقام سؤالاً و جواباً ملخّصه أنه إذا كان البناء على تفسير الرجلين و ترجمتهما و حكمهما في واقعه أهل العراق و أهل الشام بما في القرآن دلالة عليه فمن الجائز اختلافهما في تفسيره و تأويله و استدلال كلّ منهما بدليل يوافق غرضه أو تفسير كلّ منهما لآيه واحده على ما يطابق رأيه، إذ ليس فيه نصّ صريح يحسم مادّه النزاع و يرفع الخلاف من البين.

و أجاب بأنّ الحكمين لو تأملا الكتاب حقّ التأمل لوجد فيه النصّ الصريح على خلافه أمير المؤمنين، لأنّ فيه النصّ الصريح على أنّ الاجماع حجّه و معاويه لم يكن مخالفا في هذه المقدّمه و لا أهل الشام، و إذا كان الاجماع حجّه فقد وقع الاجماع لما توفي رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم على أنّ اختيار خمسة من صلحاء المسلمين لواحد منهم و بيعته يوجب لزوم طاعته و صحّه خلافته، و قد بايع أمير المؤمنين خمسة من صلحاء الصحابه بل خمسون، فوجب أن تصحّ خلافته، و إذا صحّت خلافته نفذت أحكامه، فقد ثبت أنّ الكتاب لو تؤمّل حقّ التأمل لكان الحقّ مع أهل العراق و لم يكن لأهل الشام ما يقدر في استنباطهم المذكور، انتهى كلامه هبط مقامه.

أقول: أما قوله إنّ الحكمين لو تأملا الكتاب لوجدا فيه النصّ الصريح على خلافه أمير المؤمنين، فهو حقّ لا ريب فيه، لأنّ الآيات الدالّة على خلافته عليه السّلام كثيره لا تحصى، و قد مضى جملة منها في مقدّمات الخطبه الثالثه المعروفه بالشقشقيه و أشرنا إلى بعضها هنا أيضا.

و أما قوله لأنّ فيه النصّ الصريح على حجّيه الاجماع، فلا يخفى ما فيه من الخبط و الخطاء، لأنّه مع وجود النصّ من القرآن على أصل الخلافه لا داعي

إلى إقامته النص على حجّيه الاجماع ثم الاستدلال به على خلافته، و إنما هو أشبه شىء بالأكل من القفاء و لعلّ الشارح إنما التزم به لأجل حمايه الحمى و ذابياً عن الخلفاء، لأنّه لو التزم بوجود النص على أصل الخلافه لم يجد بداً من الالتزام ببطلان خلافه المتخلفين كالالتزام ببطلان خلافه معاويه، و فى ذلك ابطال ما اختاره من المذهب و الدين.

و بعد الغض عن ذلك أقول: أى نص صريح فى القرآن على حجّيه الاجماع فإنّ الآيات التى استدلّ بها الجمهور عليها من قوله سبحانه:

«وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصِِّلِهِ جَهَنَّمَ» و قوله: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا» و قوله: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» و قوله: «فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ».

و غير ذلك مما استدلوا بها عليها جلّها بل كلّها غير خال عن المناقشه و الفساد كما نبه عليه الفحول فى كتب الاصول، فانظر إلى كتابى التهذيب و النّهايه للعلامه الحلّى طاب ثراه تجد صدق ما قلناه و بعد التنزل و التسليم أقول: غايه الأمر أنّ هذه الأدلّه من قبيل الظواهر لا- من قبيل النصوص، ثم لا أدرى ما ذا يريد بقوله: فقد وقع الاجماع لما توفى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم إلى قوله: و صحّح خلافته، و أى شىء كان غرضه من اقحامه فى البين مع عدم ربطه بالدعوى و عدم الحاجه إليه فى اثبات المدعى، لأنّه إذا دلّ الدليل من القرآن على حجّيه الاجماع، و قام الاجماع على خلافه أمير المؤمنين فتثبت خلافته

من غير حاجه إلى مقدمه اخرى اللهم إلا- أن يقال بأن غايه ما دلّ عليه القرآن هو حجّيه الاجماع و أما أنّ المعبر في حصول الاجماع على البيعه هل هو اتفاق الكلّ أو يكفي اتفاق البعض و على الثاني فأقلّ ما يحصل به هل هو اتفاق سبعة أو خمسة أو ثلاثه أم يكفي الاثنان كما ذهب إلى كلّ منها قوم، فهذا شيء لا- دلالة في القرآن عليه فاحتيج في تعيين القدر المعبر في حصوله إلى دليل آخر فذكر هذه المقدمه لاثبات أنّ المعبر فيه هو اتفاق الخمسه لا الزائد، فعلى هذا فلا تكون تلك المقدمه مستغنا عنها، اذ على فرض اعتبار اتفاق الكلّ في حصوله لا ينهض هذا الدليل على اثبات المدعى كما لا يخفى إلاّ أنّه يتوجه عليه أنه بعد اشتراط اعتبار الخمسه في مقام الاختيار و البيعه لا بدّله من الالتزام بيطان خلافه أبي بكر، لما قد مرّ في المقصد الثاني من المقدمه الثانيه من مقدمات الخطبه الشقشقيه من أنّ خلافته لم تنعقد إلاّ ببيعه عمر و أبي عبيده و سالم و لم يكن هنالك خمسه نفر، و قد مضى ثمّه حكاية كلام من صاحب المواقف و شارحه ينفعك ذكره في هذا المقام و لو سلّمنا وجود خمسه أيضا حينئذ لما يجديه لاشتراطه في الخمسه هنا أن يكونوا من صلحاء المسلمين، و من الواضح أنّ الصلحاء يومئذ قد كانوا من المنكرين لخلافته لا- المبايعين و إنما بايعه طغاه(1) طغام و عبيد كالأنعام و تخلف عنه وجوه الصحابه في بيت أمير المؤمنين ثمّ أخرجوا ملبّين و بايعوا مكرهين كما عرفت ذلك كلّه في مقدمات الخطبه الشقشقيه و غيرها هذا كلّه على التّنزل و المماشاه، و إلاّ فقد قدّمنا في مقدمات الخطبه المذكوره من أنّ الامامه لا تكون إلاّ بالنصّ من الله و رسوله لاشتراط العصمه فيه التي لا- يعرفها إلاّ- الله و رسوله، و لا- تنعقد ببيعه أجلاف العرب و لا أشرافها كما لا تبطل بعدم بيعتهم فافهم ذلك و اغتنم و بالهدى فاستقم، هذا

ص: ١٧٩

١- (١) الطغاه جمع الطاغى و الطغام بالطاء لمهمله و الغين المعجمه الاوغاد و السفله من الناس منه،

وقال عليه السّلام فى ردّ الثّانى (و أما قولكم لم جعلت بينكم و بينهم أجلا فى التحكيم فانما فعلت ذلك ليتبين الجاهل) و يظهر له وجه الحقّ (و يتثبت العالم) و يطمئنّ قلبه (و لعلّ الله أن يصلح فى هذه الهدنه) و المصالحه (أمر هذه الامه) المفتونه (و) انما فعلته أيضا لئ (لا تؤخذ) الامه (بأكظامها) أى مجارى أنفاسها (فتعجل عن تبيين الحقّ و تنقاد لأوّل الغيّ) و هو أوّل شبهه عرضت لهم من رفع المصاحف.

يعنى أنى لو أعجلت فى الأمر و تركت ضرب الأجل بينى و بينهم و التنفيس عنهم لا لجأهم الارهاق و ضيق الخناق إلى البقاء على الجهل و العمى و الانقياد إلى الغيّ و الغوى و عدم ظهور وجه الحقّ و الهدى و هو مناف للغرض المطلوب للشارع و مخالف للمقصود (إنّ أفضل الناس عند الله) سبحانه (من) آثر الحقّ و (كان العمل بالحقّ أحبّ اليه و إن نقصه و كرثه) أى يوجب لنقصانه و يوقعه فى الشدّه و المشقه (من الباطل و إن جرّ اليه فائده و زاده) ثمّ قال (فأين يتاه بكم) و تذهبون فى التيه و الحيره (و من أين اتيتم) أى من أىّ وجه أتاكم الشيطان و استحوذ عليكم، أو من أىّ المداخل دخلت عليكم الشبهه و الحيله و الاستفهام على التعجّب.

ثمّ حثّهم على الجهاد و قال (استعدّوا للمسير إلى قوم حيارى عن الحقّ) متحيزين عنه (لا يبصرونه و موزعين) ملهين (بالجور لا يعدلون به) أى عنه إلى غيره أو لا يجعلون له مثلا و عديلا (جفاه عن الكتاب) بعيدون عنه (نكب عن الطريق) أى عادلون عن طريق الهدى إلى سمت الردى ثمّ وبّخهم على التثاقل و التساهل فقال (ما أنتم) (ب) عروه (وثيقه يعلق) و يتمسك (بها) عند القتال (و لا- زوافر عزّ يعتصم) و يلتجأ (اليها) عند براز الأبطال (لبئس حشاش نار الحرب أنتم افّ لكم لقد لقيت منكم ترحا) أى شدّه و أذى (يوما اناديكم) جهارا للحثّ على الجهاد (و يوما اناجيكم) سرّا بتدبير امور الحرب و الارشاد إلى الرشاد (فلا أحرار صدق عند النداء) حتّى تنصرون و تحمون (و لا اخوان ثقه عند النجاء) حتّى تكتمون السرّ و تحفظون

از جمله کلام بلاغت نظام آن امام عالیمقام است در خصوص تحکیم عمرو عاص و اُبی موسی اشعری و رد کردن شبهه خوارج فرمود که بدرستی ما حکم نگردانیدیم مردمان را، بلکه حکم قرار دادیم ما قرآن را و این قرآن جز این نیست که خطی است نوشته شده میان دو جلد که نطق نمی کند بزبان، و ناچار است مر او را از ترجمان، و جز این نیست که گویا می شود از آن مردمان، و هنگامی که دعوت کرد ما را قوم معاویه ملعون به آن که حاکم گردانیدیم در میان خود قرآن را نشدیم گروهی که اعراض نماید از کتاب خدا و حال آنکه خدا فرموده در کتاب مجید: فان تنازعتم فی شیء فردوه إلی اللّٰه و الرسول، یعنی پس اگر نزاع کردید در چیزی از امور دنیا و آخرت پس رد کنید آنرا بسوی خدا و رسول، پس رد کردن شیء متنازع فیہ بسوی خدا آنست که حکم کنیم با کتاب خدا، و رد کردن آن بسوی رسول اللّٰه صلی اللّٰه علیه و آله و سلّم آنست که أخذ کنیم سنت و طریقه او را، پس اگر حکم کرده شود بصدق و راستی در کتاب خدا پس ما سزاوارترین مردمانیم بآن، و اگر حکم کرده شود بطریقه رسول اللّٰه صلی اللّٰه علیه و آله و سلّم پس ما اولویّه داریم بآن.

و اما قول شما که چرا گردانیدی در میان خود و میان ایشان مدّتی معین در تحکیم، پس جز این نیست که کردم آنرا تا دانا شود جاهل، و تأمل نماید عالم و شاید که خداوند اصلاح نماید در این مدّت مصالحه امر این امت را، و بتنگی نیفتد و گرفته نشود مجاری نفس ایشان، پس شتابانیده شوند از دانستن حقّ، و گردن نهاده شوند مر اول گمراهی را، بدرستی افضل مردمان در نزد خداوند تعالی کسی است که عمل کردن بحقّ محبوب تر باشد بسوی او اگر چه نقصان برساند باو، و اندوهگین نماید او را از عمل کردن بیاطل اگر چه جلب منفعت کند بسوی او.

پس از کجا بحیرت افتاده شدید و از کجا آمده شدید یعنی از کجا آمد شیطان

ملعون بسوی شما و مسلط گردید بر شما مهیا شوید برای رفتن بسوی جهاد قومی که حیران و سرگردانند از راه حق که نمی بیند آن را، و الهام شدند بظلم و ستم که عدول نمی کنند از آن و دورانند از فهم مضامین کتاب، و اعراض کنندگانند از راه صواب.

نیستید شما صاحبان وثوق که تمسک بشود باو، و نه أعوان و أنصار عزّت که چنگ زده شود به آنها، هر آینه بد فروزندگان آتش حرید شما، دلتنگی باد شما را هر آینه ملاقات کردم از شما بشدّت و اذیت، یک روزی صدا میکنم شما را از برای جنگ در راه خدا، و یک روز نجوی میکنم با شما از تدبیر امور اعداء، پس نیستید شما از مردانی که صفت آزادی و حمیت در آنها هست در وقت نداء، و نه برادرانی که اعتماد می شود بر ایشان هنگام رازگوئی و نجوی.

و من کلام له علیه السّلام لما عوتب علی التسویه فی العطاء

اشاره

و تصییره الناس اسوه فی العطاء من غیر تفضیل اولی

السابقات و الشرف و هو المأه و السادس و العشرون

من المختار فی باب الخطب

و قد روی بطریق آخر علی اختلاف تطلع علیه أ تأمرونی أن أطلب النّصر بالجور فیمن ولیت علیه، و الله ما أطور به ما سمر سمیر و ما أمّ نجم فی السّماء نجما، لو كان المال لی لسوّیت بینهم، فكیف و إنّما المال مال الله، ألا و إنّ إعطاء المال فی غیر حقّه تبذیر و إسراف، و هو یرفع صاحبه فی الدّنیا، و یضعه فی الآخرة، و یكرمه فی النّاس، و یهینه عند الله، و لم یضع امرؤ ماله فی غیر

ص: ۱۸۲

حَقُّهُ و لا عند غير أهله إلا حَرَمَهُ اللهُ شُكْرَهُمْ، و كان لغيره و دَّهَم، فإن زَلَّتْ به النَّعْلُ يوماً فاحتاج إلى معونتهم فشرَّ خدين، و أَلِثَم خليل.

اللغة

(الأسوه) بالضمّ القدوه و تصيير النَّاسِ اسوه التَّسْوِيَةِ بينهم كأنَّ كلاً منهم قدوه صاحبه و (تأمرؤنى) بالتَّشْدِيدِ أصله تأمرؤنى بنونين فاسكنت الاولى و ادغمت فى الثَّانِيَةِ قال تعالى: أ فغير الله تأمرؤنى أعبد أيها الجاهلون و (وليت) الشىء و عليه وزان رضيت إذا ملكت أمره و فى بعض النسخ وليت بالبناء على المفعول من باب التَّفْعِيلِ أى ولائى الله عليه و (طار) حول الشىء يطور طورا إذا حام.

و (ما سمر سمر) قال فى القاموس: السِّمْرُ محرَّكه اللَّيْلُ و حديثه، و ما أفعله ما سمر سمر، أى ما اختلف اللَّيْلُ و النَّهَارُ، قال الطَّريحي سمر فلان إذا تحدَّث ليلاً، و الاسامره هم الذين يتحدَّثون ليلاً، قال: و فى حديث عليّ عليه السِّلام لا يكون ذلك ما سمر سمر أى ما اختلف اللَّيْلُ و النَّهَارُ، و المعنى لا يكون ذلك أبداً، و هو من كلام العرب يقولون: ما أفعله ما سمر السِّمير قال الجوهرى: و ابنا سمر اللَّيْلُ و النَّهَارُ يسمر فيهما، تقول: ما أفعله ما سمر بنا سمر أى أبداً، و لا أفعله السِّمير و القمر أى ما دام الناس يسمرون فى ليله القمر، و فى شرح المعتزلى السِّمير الدَّهر و ابناه اللَّيْلُ و النَّهَارُ و (الخدين) الصِّديق من خادنت الرِّجال أى صادقته

الاعراب

الباء فى قوله بالجور للمقابلة، و فى قوله زَلَّتْ به النَّعْلُ للتَّعْدِيَةِ، و الباقى واضح.

المعنى

اعلم أنَّ سنَّه رسول الله قد كانت جاريه فى تقسيم بيت المال و الفىء و الصَّدقات على العدل و التسويه من غير ترجيح و تفضيل لاولى الشرف و السَّابقات على غيرهم و لما ولى أبو بكر هذا حذوه، و لما ولى عمر ترك السنَّه و بنى فى العطيهِ على

الترجيح و التفضيل حسب ما تطلع عليه بتفصيل، و لما وليّ عثمان بلغ في ذلك الغايه و أعطى الناس على ما يراه و سلك في الاعطاء اليهم بمقتضى هواه حسب ما عرفته في شرح الخطبه الثالثه المعروفه بالشقشقيه.

فلما قام أمير المؤمنين عليه السلام بالأمر و قد كان الناس اعتادوا التفضيل و الترجيح أزمنه متطاوله و مدّه متماديه و أرادوا التسويه في العطيه و العمل بسنّه الرسول صلى الله عليه و آله و سلّم شقّ ذلك على الناس و صعب عليهم تغيير العاده و كان ذلك سببا لتفضيل البيعه من زبير و طلحه و أكد أسباب تقاعد الناس عنه عليه السلام و لحقوقهم بمعابيه حيث رأوا منه الصّنيعه حسب ما عرفته في شرح الخطبه الرابعه و الثلاثين.

فعند ذلك مشى إليه طائفه من أصحابه و سألوه تفضيل اولى السابقات و الشرف في العطاء أى تفضيل ذوى الخصال الحميده من السابق في الاسلام و الهجره و شهود الحروب من البدر و الأحزاب و سائر الخطوب و ذوى المجد و الشرف و المتّصفين بعلوّ الحسب و النسب.

فلما سألوه ذلك أجابهم عليه السلام بقوله: (أ تأمروني أن أطلب النّصر بالجور) استفهام على سبيل التقرّيع و التوبيخ: أى كيف تأمروني أن أطلب النّصر منكم بالجور و الظلم (فى) حقّ (من وليت عليه) و ملكت أمره من المسلمين الذين لا سوابق لهم و لا شرف فى حسبهم و نسبهم بنقصهم فى العطاء عن غيرهم و بخسهم حقّهم كما فعله عمر و عثمان (و الله ما أطور به) و لا أحوم حومه (ما سمر سمير) و اختلف الليل و النهار (و ما أمّ) و قصد (نجم فى السماء نجما) أى دائما لأنّ النجوم لا يزال يقصد بعضها بعضا بحركتها.

(لو كان المال لى لسويت بينهم) تبعاً لسيره الرسول و سنّته و قضاء لحقّ المواساه (فكيف و إنما المال مال الله) و الفقراء عيال الله فلا ينبغي إزواء ماله عن عياله و صرفه إلى غيره.

ثمّ تبّه عليه السلام على مفساد صرف المال فى غير أهله بقوله (ألا و إنّ إعطاء المال فى غير حقّه تبذير و إسراف) و قد نهى الله عنه و قال:

«إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ» وقال: «وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ».

(و هو يرفع صاحبه في الدنيا و يضعه في الآخرة و يكرمه في الناس و يهينه عند الله) ثم تبه على ما يترتب على وضع المال في غير محله في الدنيا بقوله (و لم يضع امرؤ ماله في غير حقه و لا عند غير أهله) رجاء للمكافاه و الجزاء أو توقعاً للشكر و الثناء (إلا حرّمه الله شكرهم و كان لغيره ودهم فان زلت به التعلل يوماً) أي إذ اعثر و افتقر يوماً (فاحتاج إلى معونتهم ف) هم إذا (شرّ خدين) و صديق (و أئتم خليل) و رفيق كما هو معلوم بالتجربه مشاهد بالعيان.

تنبيه

إشارة

قد أشرنا إلى أنّ أول من فتح باب التفضيل في الصدقات لاولى الشرف و السابقات هو عمر بن الخطاب، فحذا حذوه عثمان بن عفّان، و تبعها معاوية بن أبي سفيان، فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، و غيروا سنّه رسول الله، و كان ذلك من أعظم المطاعن على فاتح الباب، حيث خالف السنيّه و الكتاب، و ترتّب على ذلك من المفسد ما لا يحصى، و من البدعات ما لا تستقصى، و لا بأس باشباع الكلام في هذا المرام تنبيهاً على ما ترتّب عليه من الهفوات و الآثام فأقول: قال الشارح المعتزلي في شرح هذا الكلام، و اعلم أنّ هذه مسأله فقهية و رأى عليّ و أبي بكر فيه واحد، و هو التسويه بين المسلمين في قسمة الفيء و الصدقات، و إلى هذا ذهب الشافعي، و أمّا عمر فأنّه لما ولي الخلافة فضّل بعض الناس على بعض: فضّل السابقين على غيرهم، و فضّل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين، و فضّل المهاجرين كافّه على الأنصار كافّه، و فضّل العرب على العجم، و فضّل الصّيريح على المولى، و قد كان أشار على أبي بكر أيام خلافته فلم يقبل: و قال: إنّ الله لم يفضّل أحداً على أحد و لكنه قال: أنّما الصدقات للفقراء و المساكين، و لم يخصّ قوماً دون قوم فلما أفضت إليه الخلافة عمل بما

ص: ١٨٥

كان أشار أولاً قال: وقد ذهب كثير من فقهاء المسلمين إلى قوله، والمسألة محلّ اجتهاد و للامام أن يعمل بما يؤدّيه اليه اجتهاده و إن كان اتباع عليّ عليه السّلام عندنا أولى لا سيّما إذا عضده موافقه أبي بكر، و إن صحّ الخبر أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم سوى فقد صارت المسألة منصوصا عليها، لأنّ فعله عليه السّلام كقوله، انتهى أقول: كون المسألة منصوصه لا غبار عليها حسبما تعرفه، و الاجتهاد في مقابل النصّ باطل و قال الشّارح في شرح الكلام المائتين و الأربعة و العشرين عند ذكر مطاعن عمر: إنّ كان يعطى من بيت المال ما لا يجوز حتّى أنّه كان يعطى عايشه و حفصه عشره آلاف درهم في كلّ سنه، و منع أهل البيت خمسهم الذي يجرى مجرى الواصل إليهم من قبل رسول الله صلّى الله عليه و آله، و انه كان عليه ثمانون ألف درهم من بيت المال على سبيل القرض إلى أن قال: و نحن نذكر ما فعله عمر في هذا الباب مختصرا نقلناه من كتاب أبي الفرج عبد الرحمن بن عليّ ابن الجوزى المحدث في أخبار عمر و سيرته.

روى أبو الفرج عن سلمه بن عبد الرحمن قال استشار عمر الصّحابه بمن يبدء في القسم و الفريضة، فقالوا ابدء بنفسك، فقال بل أبدأ بآل رسول الله و ذوى قرابته فبدء بالعبّاس.

قال ابن الجوزى: و قد وقع الاتّفاق على أنّه لم يفرض لأحد أكثر ممّا فرض له، و روى أنّه فرض له اثنا عشر ألفا و هو الأصحّ.

ثمّ فرض لزوجات رسول الله لكلّ واحده عشره آلاف، و فضّل عايشه عليهنّ بألفين فأبت فقال: ذلك بفضل منزلتك عند رسول الله فإذا أخذت فشأنك، و استثنى من الزوجات جويريه و صفّيّه و ميمونه، ففرض لكلّ واحده منهنّ سته آلاف، فقالت عايشه: إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم كان يعدل بيننا، فعدل عمر بينهنّ و ألحق هولاء الثلاث بسايرهنّ

ثمّ فرض للمهاجرين الذين شهدوا بدرا لكلّ واحد خمسه آلاف و لمن شهدها من الأنصار لكلّ واحد أربعة آلاف، و قد روى أنّه فرض لكلّ واحد ممن شهد بدرا من المهاجرين أو من الأنصار أو من غيرهم من القبائل خمسه آلاف.

ثمّ فرض لمن شهد احدا و ما بعدها إلى الحديبيّه أربعة آلاف، ثمّ فرض لكلّ من شهد المشاهد بعد الحديبيّه ثلاثه آلاف، ثمّ فرض لكلّ من شهد المشاهد بعد وفاه رسول الله ألفين و خمسمائه و ألفين و ألفا و خمسمائه و ألفا واحدا إلى مأتين و هم أهل هجر و مات عمر على ذلك قال ابن الجوزى و ادخل عمر فى أهل بدر ممن لم يحضر بدرا أربعة: و هم الحسن و الحسين و أبو ذر و سلمان ففرض لكلّ واحد منهم خمسه آلاف.

قال ابن الجوزى و روى السيّد أنّ عمر كسا أصحاب النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم فلم يرتض فى الكسوه ما يستصلحه للحسن و الحسين عليهما السلام فبعث إلى اليمن فاتى لهما بكسوه فاخره، فلما كساهما قال: الآن طابت نفسى.

قال ابن الجوزى: فأمر ما أعتدده فى النساء فأنه جعل نساء أهل بدر على خمسمائه، و نساء من بعد بدر إلى الحديبيّه على أربعمائه، و نساء من بعد ذلك على ثلاثمائه، و جعل نساء أهل القادسيّه على مأتين ثمّ سوى بين النساء بعد ذلك.

قال الشارح بعد روايه ما أوردنا: و لو لم يدلّ على تصويب عمر فيما فعله إلاّ اجماع الصحابه و اتّفاقهم عليه و ترك الانكار لذلك، كان كافيا و قال ثمّه أيضا بعد ما ذكر جواب قاضى القضاة عن ذلك الطعن و اعتراض المرتضى (ره) عليه بأنّ تفضيل الأزواج لا سبب فيهنّ يقتضى ذلك و إنّما يفضّل الامام فى العطاء ذوى الأسباب المقتضيه لذلك مثل الجهاد و غيره من الامور العامّ نفعها للمسلمين ما لفظه: و كيف يقول المرتضى ما جاز أن يفضّل أحدا إلاّ بالجهاد و قد فضّل الحسن و الحسين على كثير من أكابر المهاجرين و الأنصار و هما صبيان ما جاهدا و لا بلغا الحلم بعد، و أبوهما أمير المؤمنين موافق على ذلك راض به غير منكر له، و هل فعل عمر ذلك إلاّ لقربهما من رسول الله؟ انتهى

اما اولاً فلأن كون القسم بالسّويه موافقاً للسّنه و منصوباً عليه ممّا لا غبار عليه، و مخالفه عمر لها فى ابداع التفضيل و كونه بدعه لا خفاء فيه و يدلّ على ذلك ما رواه فى البحار من البخارى و مسلم و غيرهما بأسانيد عديده أنّ النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم قال للأنصارى فى مقام التّسليه قريباً من وفاته: ستلقون بعدى اثره فاصبروا حتّى تلقونى على الحوض، و هل يرتاب عاقل فى أنّ هذا القول بعد أن كان يسوى بين المهاجرين و الأنصار مدّه حياته إخبار بما يكون بعده من التّفضيل و يتضمّن عدم إباحته و عدم رضاه به و ما تقدّم آنفاً فى روايه ابن الجوزى من قول عايشه لعمر أنّ رسول الله كان يعدل بيننا و ما تقدّم أيضاً فيكلام الشارح من قول أبى بكر لعمر إنّ الله لم يفضّل أحداً على أحد و لكنه قال:

«إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِينِ».

و لم يخصّ قوماً دون قوم، و يفيد أيضاً تسويه أمير المؤمنين فى التقسيم، و هو يدور مع الحقّ و الحقّ يدور معه حيثما دار، بنصّ الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم كما تضافرت به الروايات من طرق المخالف و المؤالف، و احتجاجه على المهاجرين و الأنصار لمّا كرهوا عدله فى القسمه بمخالفه التّفضيل للشّريعه بما مرّ فى هذا الكلام الذى شرحناه بقوله: أتأمرونى أن أطلب النصر بالجور، و قوله: ألا و إنّ إعطاء المال فى غير حقّه تبيذير و إسراف، و احتجاجه على طلحه و الزبير بما يأتى إن شاء الله فى الكلام المأتين و الأربعة من قوله: و أما ما ذكرتما من أمر الاسوه فإنّ ذلك أمر لم احكم أنا فيه برأى ولا وليته هوى منى بل وجدت أنا و أنتما ما جاء به رسول الله قد فرغ منه فلم احتج اليكما فيما قد فرغ الله من قسمه و امضى فيه حكمه فليس لكما و الله عندى و لا لغير كما فيهذا عتبى.

فلو كان رسول الله يقسم على التفضيل لاحتجّ به عمر على أبى بكر و لأقام المهاجرون و الأنصار و طلحه و الزبير بذلك على أمير المؤمنين حجّه

و العجب من الشّارح أنه مع ذلك كلّه يشكّ في كون المسأله منصوفا عليها و مع ما قاله في بعض كلامه من قوله فان قلت: إن أبا بكر قد قسّم بالسويه كما قسّمه أمير المؤمنين عليه السّلام و لم ينكروا عليه كما أنكروا على أمير المؤمنين عليه السّلام.

قلت: قسّم أبو بكر محتذيا بقسم رسول الله، فلما ولى عمر الخلفه و فضّل قوما على قوم ألفوا ذلك و نسوا تلك القسمة الاولى و طالت أيام عمر و اشربت قلوبهم حبّ المال و كثرة العطاء، و أمّا الذين اهتضموا ففنعوا و مرثوا على القناعه و لم يخطر لأحد من الفريقين أنّ هذا الحال تنقض و تتغيّر بوجه ما، فلمّا ولى عثمان أجرى الأمر على ما كان عمر يجريه فازداد وثوق العوام بذلك، و من ألف أمرا شقّ عليه فراقه و تغيير العاده فيه، فلمّا ولى أمير المؤمنين أراد أن يردّ الأمر إلى ما كان في أيام رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم و أبى بكر و قد نسي ذلك و رفض و تخلّل بين الزمانين اثنتان و عشرون سنه، فشقّ ذلك عليهم و أكبروه حتى حدث ما حدث من نقض البيعه و مفارقه الطاعه و لله أمر هو بالغه، انتهى و أقول: مضافا إلى هذا كلّه إنّه لو كان إلى جواز التفضيل و مصانعه الرّؤساء و الأشراف للمصالح سبيل، لما عدل أمير المؤمنين إلى العدل و التّسويه مع ما رآه عيانا من تفرّق أصحابه لذلك، و تقاعد الناس عنه و لحوقهم بمعاويه حيثما عرفته في شرح الخطبه الرّابعه و الثّلاثين، و من نقض طلحه و الزّبير بيعته حسبما عرفته فيما تقدّم و تعرفه مفضّلا أيضا إنشاء الله تعالى في شرح الكلام المأتين و الأربعه، و لما اختار فيه إراقه الدّماء و حدوث الفتن، و لما كان يمنع عقيلًا- صاعا من برّ فيذهب إلى معاويه، إلى غير ذلك ممّا ترتّب عليه و أما ثانيا فلأنّ استدلال الشّارح على تصويب عمر فيما فعله باجماع الصحابه فيه:

أولا- منع الاجماع إذ لم يجمع على ذلك إلاّ أجلاف العرب و الخاضمون لمال الله خضم الابل نبتة الرّبيع، و النّاس أبناء الدّنيا يحبّون المال حبّا جمّا

و يأكلونه أكلا لئماً، فإذا وصل اليهم منه منافع جزيله و فوائد جليله و انتفعوا بها في دنياهم و كانوا أهل يسار و ثروه بعد ما كانوا ذوى فقر و فاقه و خصاصه كيف ينكرون فعله.

و ثانياً منع حجّيه ذلك الاجماع خصوصاً مع مخالفته لسنّه الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم و أما ثالثاً فلأنّ ما ذكره الشّارح في الاعتراض على المرتضى من عدم انحصار اسباب التّفضيل في الجهاد و جواز كون سببه رعايه القرابه من رسول الله مستدلاً بتفضيل الحسين عليهما السلام مع رضاه أبيهما و عدم إنكاره له فيه:

انّ عدم انحصار السبب في الجهاد على فرض جواز أصل التّفضيل مسلّم، و اعتراضه على المرتضى بذلك حقّ إلا أنّ أصل التّفضيل ممنوع كما عرفته، و رعايه عمر لقرابه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم باطل إذ لو كان ملاحظاً للقرابه لما منع بضعه الرسول و ابنته البتول من حقّها كما هو ظاهر لا يخفى.

و أمّا رضاه أمير المؤمنين بتفضيل الحسين عليهما السلام فأما أنه للتّقيّه، أو لأنّه لئماً حرّمهم حقّهم من الخمس و الفىء و الانفال أخذاً ما أخذوا عوضاً من حقوقهم.

قال في البحار: و يمكن أن يقال لئماً كان أمير المؤمنين عليه السّلام وليّ الأمر فلعلّ ما أخذوا صرفه في مصارفه و كان الأخذ من قبيل الاستنقاذ من الغاصب و الاستخلاص من السّارق، إذا عرفت ذلك فلنشر إلى ما ترتّب على هذه البدعه و ما أثمرته هذه الشجره الملعونه فأقول:

قال العلامة المحدث المجلسي:

و اعلم أنّ أكثر الفتن الحادّته في الاسلام من فروع هذه البدعه، فأنّه لو استمرّ النّاس على ما عوّدهم الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم من العدل و جرى عليه الأمر في أيّام أبي بكر لما نكث طلحه و الزبير بيعة أمير المؤمنين عليه السّلام، و لم تقم فتنة الحمل، و لم يستقرّ الأمر لمعاويه، و لا تطرّق الفتور إلى أتباع أمير المؤمنين و أنصاره و لو كان المنازع له في أوّل خلافه معاويه لدفعه بسهولة، و لم ينتقل الأمر إلى بنى اميّه، و لم يحدث ما أثمرته تلك الشجره الملعونه من إراقه الدّماء المعصومه و قتل

الحسين و شيوع سب أمير المؤمنين على المنابر، ثم انتقال الخلافة إلى بني العباس و ما جرى من الظلم و الجور على أهل البيت و على سائر أهل الاسلام و قد كان من الدواعى على الفتن و الشرور بدعته الاخرى و هى الشورى اذ جعل طلحه و الزبير مرشحين للخلافة نظيرين لأمر المؤمنين عليه السلام فشق عليهما طاعته و الصبر على الاسوه و العدل، و هذا فى غايه الوضوح و قد روى ابن عبد ربّه فى كتاب العقد على ما حكاه العلامة عنه فى كشف الحق قال: إنّ معاويه قال لابن الحصين: أخبرنى ما المذى شئت أمر المسلمين و جماعتهم و فرق ملائهم و خالف بينهم؟ فقال: قتل عثمان، قال: ما صنعت شيئاً، قال: ما عندى غير هذا يا أمير المؤمنين قال: فأنا أخبرك أنه لم يشئت بين المسلمين و لا فرق أهوائهم إلا الشورى جعلها عمر فى سته ثم فسّر معاويه ذلك فقال: لم يكن من الستة رجل إلا هواها لنفسه و لقومه، و تطلعت إلى ذلك نفوسهم، و لو أنّ عمر استخلف كما استخلف أبو بكر ما كان فى ذلك اختلاف، و قد تمّ اثاره الفتنة باغواء معاويه و عمرو بن العاص و اطماعهما فى الخلافة. و كان معاويه عامله على الشام و عمرو بن العاص عامله و أميره على مصر، فخاف أن يصير الأمر إلى على فقال لما طعن و علم أنه يموت: يا أصحاب محمّد صلى الله عليه و آله و سلم تناصحوا فان لم تفعلوا عليكم عليها عمرو بن العاص و معاويه بن أبى سفيان روى ذلك ابن أبى الحديد ثم حكى عن شيخنا المفيد (ره) أنه قال: كان غرض عمر بالقاء هذه الكلمه إلى الناس أن تصل إلى عمرو بن العاص و معاويه فيتغلبا على مصر و الشام لو أفضى الأمر إلى على عليه السلام و بالجمله جميع ما كان و ما يكون فى الاسلام من الشرور إلى يوم النشور إنما أثمرته شجره فتنته فغرس أصل الفتن يوم السقيفه، و ربى بما أبدعه من التفضيل فى العطاء و وضع الشورى و غير ذلك، فهو السهم فى جميع المعاصى و الجرائم، و الحامل لجمله الأوزار و الآثام.

قد مرّ روايه هذا الكلام له عليه السلام فى شرح الخطبه الرابعه و الثلاثين عن على بن سيف المدائنى باختلاف عرفته و رواه أيضا فى مجلدّ الفتن من البحار من كتاب الغارات لإبراهيم بن محمّد الثقفى عن محمّد بن عبد الله بن عثمان عن على بن سيف عن أبى حباب عن ربيعه و عماره قال: إنّ طائفه من أصحاب على مشوا إليه فقالوا: يا أمير المؤمنين أعط هذه الأموال و فضل هؤلاء الأشراف من العرب و قريش على الموالى و العجم، و من تخاف خلافه من الناس و فراره، و إنّما قالوا له ذلك للذى كان من معاويه يصنع بمن أتاه، فقال لهم على: أتأمرونى أن أطلب النصّر بالجور، و الله لا أضلّ «أفعل ظ» ما طلعت شمس و ملاح فى السماء نجم، و الله لو كان ما لهم لى لو أسيت بينهم فكيف و ما هى إلا أموالهم.

قال ثمّ أرمّ طويلا ساكتا ثمّ قال: من كان له مال فأيّاه و الفساد فإنّ إعطاء المال فى غير حقّه تبذير و اسراف، و هو ذكر لصاحبه فى الدنيا و يضعه عند الله و لم يضع رجل ماله فى غير حقّه و عند غير أهله إلاّ حرّمه الله شكرهم، و كان لغيره ودهم، فان بقى معه من يودّه و يظهر له البشر فأنّما هو ملق و كذب و إنّما ينوى أن ينال من صاحبه مثل الذى كان يأتى إليه من قبل، فان زلت بصاحبه النعل فاحتاج إلى معونته و مكافاته فشرّ خليل و أئثمّ خدين، و من صنع المعروف فيما آتاه الله فليصل به القرابه، و ليحسن فيه الضّيفاه، و ليفكّ به العانى، و ليعن به الغارم و ابن السبيل و الفقراء و المهاجرين، و ليصبر نفسه على الثّواب و الحقوق، فإنّ الفوز بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا و درك فضائل الآخره.

و رواه أيضا فى الكافى عن العده عن أحمد بن أبى عبد الله عن محمّد بن على عن أحمد بن عمرو بن سليمان البجليّ عن إسماعيل بن الحسن بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم التّمار عن إبراهيم بن إسحاق المدائنى عن رجل عن أبى مخنف الازدى

قال: أتى أمير المؤمنين عليه السلام رهط من الشيعة فقالوا يا أمير المؤمنين لو أخرجت هذه الأموال ففرقتها في هؤلاء الرؤساء و الأشراف و فضلتهم علينا حتى إذا استوسقت الامور عدت إلى أفضل ما عودك الله من القسم بالسويه و العدل، فقال أمير المؤمنين: أتأمرؤني و يحكم أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه من أهل الاسلام، لا و الله لا يكون ذلك ما سمر سمير و ما رأيت في السيماء نجما و الله لو كانت أموالهم مالي لساويت بينهم فكيف و إنما هي أموالهم قال ثم أرم ساكتا طويلا ثم رفع رأسه فقال: من كان فيكم له مال فأياه و الفساد، فإن إعطائه في غير حقه تبذير و إسراف، و هو يرفع ذكر صاحبه في الناس و يضعه عند الله و لم يضع امرء ماله في غير حقه و لا عند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم، و كان لغيره و ذمهم، فان بقي معه منهم بقيه ممن يشكر له و يريه النصيح فأنما ذلك ملق منه و كذب، فان زلت بصاحبهم النعل ثم احتاج إلى معونتهم و مكافئتهم فألثم خليل و شرّ خدين، و لم يضع امرء ماله في غير حقه و عند غير أهله إلا لم يكن له من الحظ فيما أتى إلا محمده اللثام، و ثناء الأشرار ما دام عليه منعما مفضّلا، و مقاله الجاهل ما أجوده، و هو عند الله بخيل فأى حظ أبور و أخسر من هذا الحظ، و أى فائده معروف أقلّ من هذا المعروف، فمن كان منكم له مال فليصل به القرابه، و ليحسن منه الضيافه، و ليفكك به العاني و الأسير و ابن السبيل فإن الفوز بهذه الخصال مكارم الدنيا و شرف الآخره

الترجمه

از جمله کلام فصاحت انتظام آن جنابست در وقتی که سرزنش کردند او را بر مساوی نمودن در عطاء، و برگردانیدن او مردمان را پیروی شده یکدیگر در مقام اعطاء بی تفضیل دادن صاحبان سبقت در اسلام و جهاد و هجرت و موصوفان بشرف حسب و نسب و نجابت باین نحو که فرمود:

آیا امر می کنید شما مرا باین که طلب یاری کنم از شما بظلم و ستم نمودن در حق کسی که والی امر و صاحب اختیار او هستم، بخدا سوگند که نزدیک نشوم

باین خواهش شما مادامی که افسانه گوید زمانه، و مادامی که قصد کند ستاره در آسمان ستاره دیگر را، یعنی ابتدا اقدام در این کار نمیکنم اگر بودی این مال که قسمت میکنم از من هر آینه رعایت برابری و موااساه می نمودم در میان ایشان، پس چگونه ترک موااساه نمایم و حال آنکه جز این نیست که این مال مال خداست آگاه باشید و بدانید که اعطا نمودن مال در غیر حق خود بی اندازه خرج کردن و اسراف است، و آن بی اندازه‌گی بلند میکند صاحب خود را در دنیا، و پست می گرداند او را در آخرت، و عزیز می نماید او را در نزد خلاق، و خوار میکند او را در نزد خالق، و نگذارد و مصرف نکرد هیچ کس مال خود را در غیر مصرف آن و در غیر اهل آن مگر آنکه محروم نمود او را خدای تعالی از تشکر و پاداش دادن ایشان، و باشد بجهه غیر او دوستی ایشان، پس اگر بلغزد بأو پای او روزی از روزها پس محتاج بشود بیاری ایشان پس بدترین صدیق باشند و لئیم ترین رفیق.

و من کلام له علیه السلام قاله للخوارج و هو الماء و السابع

اشاره

و العشرون من المختار فی باب الخطب

فإن أیتم إلا أن ترعموا أنى أخطأت و ضللت فلم تضللون عامه أمه محمّد صلی الله علیه و آله و سلّم بضلالی؟ و تأخذونهم بخطای؟ و تکفرونهم بذنوبی؟ سیوفکم علی عواتقکم تضعونها مواضع البرء (البراءه خ) و السیقم، و تخلطون من أذنب بمن لم یذنب، و قد علمتم أنّ رسول الله صلی الله علیه و آله و سلّم رجم الزّانی المحصن ثمّ صلی علیه ثمّ ورّثه أهله، و قتل القاتل و ورّث میراثه أهله، و قطع السّارق، و جلد الزّانی غیر المحصن، ثمّ قسّم علیهما من الفیء، و نکح المسلمات، فأخذهم رسول الله صلی الله علیه و آله و سلّم بذنوبهم،

ص: ۱۹۴

و أقام حقّ اللّٰه فيهم، و لم يمنعهم سهمهم من الإسلام، و لم يخرج أسمائهم من بين أهله، ثمّ أنتم شرار النّاس و من رمى به الشّيطان مراميه، و ضرب به تيهه، و سيهلك في صنفان: محبّ مفرط يذهب به الحبّ إلى غير الحقّ، و مبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحقّ، و خير النّاس فيّ حالا النّمط الأوسط فألزموه، و ألزموا السّواد الأعظم، فإنّ يد اللّٰه على الجماعه، و إياكم و الفرقه، فإنّ الشاذّ من النّاس للشّيطان، كما إنّ الشاذّ من الغنم للذّئب، ألا من دعا إلى هذا الشّعار فاقتلوه و لو كان تحت عمامتي هذه، و إنّما (فإنّما خ) حكّم الحكمان ليحييا ما أحيا القرآن، و يميتا ما أمات القرآن، و إحيائه الاجتماع عليه، و إماتته الإفتراق عنه، فإنّ جزنا القرآن إليهم إتبعناهم، و إن جرّهم إلينا اتبعونا، فلم آت لا- أبا لكم بجرا، و لا- ختلتم عن أمركم و لا- لبسته عليكم، إنّما اجتمع رأى ملائكم على اختيار رجلين أخذنا عليهما أن لا يتعدّيا القرآن فتاها عنه، و تركا الحقّ، و هما يبصرانه، و كان الجور هويهما، فمضيا عليه، و قد سبق استثنائنا عليهما في الحكومه بالعدل، و الصّمد للحقّ سوء رثيها، و جور حكمهما.

اللغة

(ضللت) بكسر اللّام و فتحها و في بعض النسخ (البراءه) بدل البرء و معناهما واحد

و (احصن) الرّجل إذا تزوّج فهو محصن بالكسر على القياس و بالفتح على غير القياس و كلاهما مروى (و ضرب به تيهه) أى ووجهه إليه من ضربت فى الأرض إذا سافرت، و التيه بالفتح الحيره و بالكسر المفازة التى يتاه فيها.

و عن التّهايه فى حديث على عليه السّلام خير هذه الامّه التّمط الأوسط (التّمط) الطريقه من الطرائق و الضّرب من الضروب يقال ليس هذا من ذلك النمط أى من ذلك الضّرب و التّمط الجماعه من التّاس أمرهم واحد و (شعار) القوم علامتهم التى بها يتميّزون فى الحرب و (العمامه) بالكسر المغفر و البيضه و ما يلفّ على الرّأس و (البجر) بالضمّ الشّرّ و الأمر العظيم و (الملاء) من التّاس الأشراف و الرؤساء الذين يرجع إليهم و إنّما قيل لهم ذلك لأنّهم ملأوا بالرّأى و الغناء و (الصّمد) بالفتح فالسكون القصد.

الاعراب

جمله و قد علمتم حال من فاعل تصلّلون أو تكفرون على سبيل التّنازع، و الباء فى قوله: رمى به و ضرب به للتّعديه، و حالا منصوب على التمييز، و بجرأ مفعول آت، و جمله لا أبالكم معترضه بينهما، و سوء رأيهما بالنّصب مفعول سبق.

المعنى

اعلم أنّ مذهب الخوارج أنّ مرتكب الكبائر كافر، و زعموا أنّ التحكيم كبيره، فحكموا بكفر أمير المؤمنين عليه السّلام و أصحابه لذلك كما مرّ تفصيل ذلك فى شرح الخطبه الخامسه و الثلاثين و الخطبه السادسه و الثلاثين، و قد مرّ فى شرح الكلام المأه و الخامس و العشرين فى روايه الاحتجاج قولهم لابن عيّاس: إنّنا نقمنا على صاحبك خصالا كلّها مكفّره، فاحتجّ عليه السّلام بهذا الكلام عليهم ابطالا لما زعموا بوجوه أربعه بعضها ناظر إلى منع الصّغرى، و بعضها الى منع الكبرى، و بعضها مبنى على التّنزّل و المماشاه حسبما تعرفه حيثما بلغ الكلام محلّه و قدّم ما بنائه على المماشاه رعايه لقانون المناظره، و ذلك أنّ الخوارج لما قالوا إنّ الدّار دار كفر لا يجوز الكفّ عن أحد من أهلها و قتلوا من لقوه

حتى الأطفال و البهائم حسبما مرّ في شرح الخطبه السادسة و الثلاثين فقال لهم مماشاه معهم (فان أبيتم إلا أن تزعموا) و تظنوا (أني أخطأت و ضللت) بنصب الحكّمين و الرّضاء بالتحكيم (فلم تضلّون عامّه امّه محمّد صلى الله عليه و آله و سلّم بضلالى و تأخذونهم بخطاى و تكفّرونهم بذنوبى) و تقتلونهم حيثما لقيتم و لا- تكفّون عن أحد برّ أو فاجر ما ذنبهم و ما جريرتهم (سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء و السقم و تخلطون من أذنب بمن لم يذنب) يعنى تقصير التحكيم على زعمكم إنّما هو مقصور علىّ و مؤاخذته راجع إلىّ فما بال من لم يكن دخيلا في هذا الأمر و لم يكن منه في مراح و لا مغدى ثم بين فساد ما زعموه من كون صاحب الكبيره كافرا، و هو راجع إلى منع الكبرى معللا- بأنّ رسول الله حكم في مرتكبي الكبائر بأحكام الاسلام و سلك معهم مسلك سائر المسلمين فقال (و قد علمتم أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم رجم الزانى المحصن) قال الشهيد (ره) الرّجم يجب على المحصن إذا زنى ببالغه عاقله، و الاحصان إصابه البالغ العاقل الحرّ فرجا مملوكا له بالعقد الدائم أو الرّق يغدو عليه و يروح إصابه معلومه و قال الشهيد الثانى فى شرحه: فهذه قيود ثمانيه:

أحدها الاصابه أى الوطى قبلا- على وجه يوجب الغسل فلا- يكفى مجرد العقد و لا- الخلوه التامه و لا إصابه الدبر و لا ما بين الفخذين و لا فى القبل على وجه لا يوجب الغسل و ثانيها أن يكون الواطى بالغافلو أولج الصبى حتى غيب مقدار الحشفه لم يكن محصنا و إن كان مراهقا و ثالثها أن يكون عاقلا فلو وطى مجنوننا و إن عقد عاقلا فلا يتحقّق الاحصان و يتحقّق بوطيه عاقلا و إن تجدد جنونه و رابعها الحرّيه فلو وطى العبد زوجه حرّه و أمه لم يكن محصنا و ان عتق ما لم يظأ بعده

و خامسها أن يكون الوطى بفرج فلا- يكفى الدبر و لا التفخيذ و نحوه كما سلف و سادسها كونه مملوكا له بالعقد الدائم أو ملك اليمين فلا يتحقق بوطى الزنا و لا الشبهه و إن كان بعقد فاسد و لا المتعه و سابعها كونه متمكنا منه غدوا و رواحا، فلو كان بعيدا عنه لا- يتمكّن منه فيهما و ان تمكّن فى أحدهما دون الآخر أو فيما بينهما أو محبوسا لا يتمكّن من الوصول إليه لم يكن محصنا و إن كان قد دخل قبل ذلك و ثامنها كون الاصابه معلومه و يتحقق العلم باقراره بها أو بالبينه لا بالخلوه و لا الولد لأنهما أعمّ (ثم صلى عليه و ورثه أهله) فلو كان الزنا مع كونه كبيره موجبا للكفر لما صلى عليه و لا ورثه لعدم جواز الصلاه على الكافر و كون الكفر من موانع الارث (و) كذلك (قتل): صلى الله عليه و آله و سلم (القاتل و ورث ميراثه أهله) فلو كان القتل مع أنه كبيره موجبا للكفر لما ورث أهله منه و هذا بظاهره يدل على أن المسلم لا يرث الكافر و هو خلاف المذهب لأن الكفر مانع من الارث فى طرف الوارث لا المورث قال المحدث العلامة المجلسي و لعله إزام عليهم أقول: و هو يتم لو كان مذهب الخوارج كونه مانعا من التوارث من الطرفين و إلا فلا- (و) كذلك (قطع) يد (السارق و جلد الزانى غير المحصن ثم قسم عليهما من الفىء) و لم يجعل السرقة و الزنا مكفرا مانعا من تقسيم مال الاسلام اليهما (و) كذلك (نكح) أى السارق و الزانى (المسلمات) و لم يمنعهما رسول الله من ذلك بل قررها عليه (فأخذهم) أى هؤلاء المذكورين من أهل الكبائر (رسول الله بذنوبهم و أقام حق الله فيهم) و حدّه بجرمهم (و لم يمنعهم سهمهم من الاسلام) من التوريث و التقسيم و تقرير النكاح و غيرها (و لم يخرج أسمائهم من بين أهله)

أى أهل الاسلام و هذه كلها تدلّ على أنّ مرتكب الكبيره لا يخرج بذنبه من حدّ الاسلام إلى الكفر ثمّ تبّه على اتّصافهم بالغفله و الجهاله، و هلكهم فى أوديه الضّلاله فقال (ثمّ أنتم شرار الناس) بخروجكم على الامام الحقّ و بغيكم على من هو بالاتباع أحقّ (و من رمى به الشيطان مراميه) من طرق الضّلال التي يقودكم بوساوسه إليها (و ضرب به تيهه) و وجهه إليه (و سيهلك فيّ صنفان محبّ مفرط) مجاوز للحدّ (يذهب به الحبّ إلى غير الحقّ) كالغلايه و هم فرق كثيره اتّفق كلّهم لعنهم الله على إبطال الشرائع كما تبّه عليه البرسى فى مشارق الأنوار منهم السّبائيه و هم أصحاب عبد الله بن سبا و هو أول من غلا كما مرّ فى شرح الكلام الثامن و الخمسين و كان يهوديًا يتستّر بالاسلام و ينتحله و مذهبه أنّ الله لا يظهر إلاّ فى أمير المؤمنين وحده، و أنّ الرسل كانوا يدعون إلى علىّ عليه السّلام و أنّ الأئمه أبوابه فمن عرف أنّ عليًا خالقه و رازقه سقط عنه التكليف، و فى شرح المعتزلى قال السّبائيه إنّ عليًا لم يمت و الرّعد فى السّماء صوته و البرق ضوءه و إذا سمعوا صوت الرّعد قالوا: السّلام عليك يا أمير المؤمنين و منهم الخصيّيه أصحاب يزيد بن الخصيب و عنده أنّ الله لا يظهر إلاّ فى أمير المؤمنين و الأئمه من بعده، و أنّ الرّسل هو أرسلهم يحثون عباده على طاعته و أنّ عمر هو ابليس الاّ بالسه و أنّ ظلمه زريق قديمه مع نور علىّ لأنّ الظلمه عكس النور و منهم المفوضه و هم قالوا إنّ الله فوّض الخلق و الأمر و الموت و الحياه و الرّزق إلى علىّ و الأئمه عليهم السّلام، و إنّ الذى يمرّ بهم من الموت فهو علىّ الحقيقه و أنّ الملائكه يأتيهم بالأخبار و منهم من يقول: إنّ الله يحلّ فى هذه الصّوره و يدعو بنفسه إلى نفسه إلى غير ذلك من مزخرفاتهم التي لا يجوز تضييع الأوقات فى نقلها و حكايتها، و فرقهم تزيد على عشرين حسبما ذكره البرسى فى مشارق الأنوار و غيره، و بالجملة فهؤلاء كلّهم

هالكون لا فراطهم في المحبة و ادعائهم للامام ما لا يرضى به و تجاوزهم فيه عن مرتبه العبوديه إلى مرتبه الالوهيه الربويه (و) مثل هؤلاء في الاتصاف بالهلاك (مبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق) كالتواصب و الخوارج، قال في البحار: و تقييد البغض بالافراط لعله لتخصيص أكمل الأفراد بالذكر، أو لأنّ المبغض مطلقا مجاوز عن الحدّ، أو لأنّ الكلام إخبار عمّا سيوجد منهم مع أنّ فيه رعايه الازدواج و التناسب بين الفقرتين.

أقول: هذا كله بناء على كون لفظه مفرط من باب الافعال، و أمّا على كونها من باب التفعيل كما في بعض النسخ فلا حاجة إلى التكلّف (و خير الناس فيّ حالا- النمط الأوسط) و هم التاركون لطرفي الافراط و التفريط، و المهتدون إلى الجاده الوسطى و الصراط المستقيم السالك بهم إلى الجنان، و الموصل لهم إلى أعظم الرضوان و لذلك أمر بلزومه بقوله (فالزومه و الزموا السواد الأعظم) أي جملة الناس و معظمهم المتجمعين إلى طاعه السلطان العادل و سلوك المنهج المستقيم و النهج القويم (فإنّ يد الله على الجماعة) و هو كناية عن الحفظ و الدفاع عنهم يعني أنّ الجماعة من أهل الاسلام في كنف الله سبحانه (و إياكم و الفرقة فإنّ الشاذّ من الناس) طعمه (للشيطان كما أنّ الشاذّ من الغنم) فريسه (للذئب) ثمّ قال (ألا من دعا إلى هذا الشعار) قال البحراني: أي مفارقه الجماعة و الاستبداد بالرأى. و قال الشارح المعتزلي: يعني شعار الخوارج و كان شعارهم أنّهم يحلقون وسط رؤوسهم، و يبقون الشعر وسطه مستديرا حوله كالاكليل، و قيل شعارهم ما ينادون به في الحرب من قولهم: لا حكم إلاّ الله أو لا حكم إلاّ- لله (فاقتلوه و لو كان) الداعي (تحت عمامتي هذه) قيل: و هو كناية عن نفسه أي و لو كان الداعي أنا، و قال الشارح المعتزلي: أي و لو كان اعتصم و احتفى بأعظم الأشياء حرمه، فلا تكفوا عن قتلهم أشار إلى بطلان الصغرى و منع كون التحكيم كبيره بقوله (و إنّما حكم

الحكمان ليحييا ما أحيا القرآن و يميتا ما أمات القرآن) يعنى أن تحكيم الحكيمين إنما كان المقصود به التوصل إلى حكم القرآن من حيث إنه خطّ مستور بين الدفتين محتاج إلى الترجمان لا لمطلوبيّتهما بالذات حسبما مرّ في كلامه المأه والخامس والعشرين و شرحه، فالحكم فى الحقيقه هو القرآن لا الرّجلان فوجودهما إنّما هو إحياء ما أحياه القرآن و إماتة ما أماته (و إحيائه الاجتماع عليه) و الاتّباع له و الالتزام على ما شهد باستصوابه و استصلاحه (و إماتته الافتراق عنه) و التّولى و الاعراض عمّن شهد بضلاله (فان كان جزنا القرآن إليهم اتبعناهم و إن جرّهم الينا اتبعونا) و من المعلوم أنّ القرآن إنّما كان يجرّهم إليه عليه السّلام إلّا أنّ الحكيمين خالفا حكم الكتاب و لم يحييا ما أحياه و لم يميتا ما أماته (فلم آت لا أبا لكم بجرا) أى داهيه و شرّا (و لا ختلتكم) و خدعتكم (عن أمركم و لا لبسته عليكم) أى ما جعلت الأمر مشتبهها و متلبسا عليكم، و محصّله أنّى ما أتيت بشىء موجب للكفر و الضلال حتّى تكفرونى و تضللونى ثمّ أبطل زعمهم الفاسد و اعتقادهم الكاسد بوجه آخر أشار اليه بقوله و (إنّما اجتمع رأى ملاءنكم) و رؤسائكم (على اختيار رجلين) يعنى أنّى ما أقدمت على التحكيم برضاء و اختيار منّى و إنّما اجتمع رأى اشرافكم عليه و كنت مجبورا فيه و مستكرها له و مع ذلك فقد (أخذنا عليهما أن لا يتعدّيا القرآن) و لا يخالفا حكمه (فتاها عنه و تركا الحقّ و هما يبصرانه) فنبذا الكتاب و نكبا عن سمت الهدى و الصّواب (و كان الجور هواهما فمضيا عليه) و أقاما فيه (و أيضا ف (قد سبق استثنائنا عليهما فى الحكومه بالعدل و الصّيمد) أى القصد (للحقّ سوء رأيهما و جور حكمهما) يعنى أنا اشرطنا عليهما فى كتاب الصّيلح أن لا يتجاوزا حكم القرآن، و لا يحكما بهوى النفس و سوء الرّأى فخالفوا «فخالفا ظ» الكتاب المبين، و خانوا «خانا ظ» فى حقّ المسلمين، فكان اللّائمه فى ذلك إليهما و العبؤ عليهما، فلا يجب علينا اذا اتّباع حكمهما فضلّ و نخزى

از جمله کلام آن حضرت است که فرمود بخارجیان بی ایمان:

پس اگر امتناع می نمائید از اطاعت مگر بجهه این که گمان فاسد می کنید که من خطا کردم و بضلالت افتاده ام پس چرا گمراه می دانید عموم امت پیغمبر را صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بگمراهی من، و أخذ می کنید ایشان را بخطای من، و تکفیر می کنید آنها را بگناهان من، شمشیرهای شما بر دوشهای شما، می نهید آنها را بر محلّهای سلامتی و بیماری و می آمیزید گناهکار را بغير گنه کار، و حال آنکه بتحقیق عالم هستید باین که حضرت رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سنگسار نمود زنا کار صاحب زن را پس از آن نماز کرد بر او و داد میراث او را بوارثان او، و بقتل آورد قاتل را از روی قصاص و إرث داد میراث او را بوارثان او، و برید دست دزد را و تازیانه زد بر زنا کننده غیر صاحب زن پس قسمت کرد بر ایشان از مال غنیمت، و نکاح کردند آن دو نفر زنان مسلمه را پس مؤاخذه نمود بایشان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بجهت گناهان ایشان و اقامه نمود حق خدا را در ایشان و با وجود آن منع نفرمود ایشان را از سهمی که داشتند از اسلام، و خارج نکرد نام ایشان را از میان أهل اسلام پس شما شریرترین مردمانید و کسی هستید که انداخته است او را شیطان لعین بمواضع انداختن خود، و برده است او را به بیابان گمراهی خود، و زود باشد که هلاک شود در حقّ من دو صنف: یکی دوست افراط کننده که ببرد او را آن دوستی بسوی غیر حق، و یکی دشمن تقصیر کننده است که ببرد او را آن دشمنی بسوی غیر حق، و بهترین مردمان در حق من از حیث حال جماعتی هستند که وسط باشند میان افراط و تفریط، پس لازم شوید بآن جماعت و ملازم باشید بسواد أعظم پس بدرستی که دست عنایت پروردگار بر سر جماعت است، و پرهیزید از تفرقه پس بدرستی که شخصی که تنها شده است از خلق طعمه شیطان لعین است چنانچه تنها مانده از گوسفندان طعمه گرگ است آگاه باشید و بدانید هر کسی که بخواند مردمان را بسوی این شعار خارجیان

پس بکشید او را و اگر چه شود آن شخص در زیر عمامه من، و جز این نیست که تحکیم ساخته شدند آن دو نفر حاکم تا این که زنده سازند چیزی را که زنده ساخته آن را قرآن، و بمیرانند چیزی را که میرانیده آن را قرآن، و زنده گردانیدن آن عبارت است از اجتماع و اتفاق بآن، و میرانیدن آن عبارت است از افتراق از آن پس اگر کشیده بود ما را قرآن بسوی ایشان تبعیت ایشان می کردیم، و اگر کشیده بود ایشان را بسوی ما متابعت می کردند ما را پس نیاوردیم پدر مباد شما را بجهه شما شری را، و فریب ندادیم شما را از کار شما، و مشتبه نکردیم آن کار را بر شما، و جز این نیست که جمع شد رأی های رؤسای شما بر اختیار کردن دو مرد، أخذ پیمان کردیم از ایشان که تجاوز نکنند از حکم قرآن پس متحیر و سرگردان شدند از آن، و ترک کردند حق را و حال آنکه می دیدند حق را و بصیر بودند بآن و بود ظلم و جور آرزوی ایشان، پس بگذشتند بآن و حال آنکه سابق شد استثنا کردن ما بر ایشان در حکم کردن بعدالت و قصد کردن مر حق سوء رای ایشان را، و حکم بجور ایشان را یعنی در اول امر استثنا کرده بودیم که این دو نفر اگر اندیشه بدو حکم جور نمایند معتبر نخواهد شد.

و من خطبه له علیه السلام فیما یخبر به عن الملاحم بالبصره

اشاره

و هی المأه و الثامنه و العشرون من المختار

فی باب الخطب

و شرحها فی فصلین

الفصل الاول

اشاره

یا أحنف کأنتی به و قد سار بالجیش العذی لا- یكون له غبار و لا- لجب و لا- قعقععه لجم و لا- حمحمه خیل، یشرون الأرض بأقدامهم کأنتها أقدام النعام.

ص: ۲۰۳

قال السيّد (ره) يومى بذلك إلى صاحب الزنج ثم قال عليه السلام: ويل لسكككم العامره، و الدّور المزخرفه الّتى لها أجنحه كأجنحه النّسور، و خراطيم كخراطيم الفيله من أولئك الّذين لا- يتدب قتلهم، و لا- يفتقد غائبهم، أنا كابّ الدّنيا لوجهها، و قادرها بقدرها، و ناظرها بعينها.

اللغة

(الملحمه) هى الحرب أو الوقعه العظيمه فيها و موضع القتال، مأخوذ من اشتباك النّاس فيها كاشتباك لحمه الثّوب بالسيّدى و (اللّجب) محرّكه الجلبه و الصّياح و (الققععه) تحريك الشّىء اليابس الصّلب مع صوت و تفسيره بحكايه صوت السّلاح و نحوه غير مناسب للمضاف إليه و (اللّجم) جمع اللّجام ككتب و كتاب و (الخمحمه) صوت الفرس حين يقصر فى الصّهيل و يستعين بنفسه و (النعام) اسم لجنس النعامه و يقع على الواحد و (النسر) طائر معروف و يجمع على أنسر على وزن أفعل و نسور و (الفيله) وزان عنبه جمع الفيل و (كبيت) فلان على وجهه تركته و لم ألّفت إليه، و كبه قلبه و صرعه

الاعراب

قول السيّد: بالبصره إمّا ظرف لغو متعلق بقوله يخبر أو مستقرّ صفه للملاحم و كلاهما جائزان، لأنّ هذه الخطبه قد خطب بها فى البصره كما أنّ تلك الملاحم كانت فيها، و جمله و قد سار منصوبه المحلّ على الحال من قوله به، و العامل محذوف و التقدير كأنى أبصر به و قد سار، و جمله يثرون حال من الجيش، و الباقي واضح

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه قد خطب بها فى البصره كما صرّح به الشّارح المعتزلى و الشّارح البحرانى، و المستفاد من الثّانى أنّها من فصول الخطبه التى قدّمتا روايتها منه فى شرح الكلام الثالث عشر، و أنّه عليه السّلام خطبها بعد الفراغ من حرب

أهل البصره و وقعه الجمل على ما تقدّم ثمه و هو من جمله الأخبار الغيبية له عليه السلام و هذا الفصل كما تبّه عليه السيد (ره) إشاره إلى خروج صاحب الزنج و هو رجل اسمه عليّ زعم أنّه عليّ بن محمّد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين ابن عليّ بن أبي طالب، قال الشّارح المعتزلي: و أكثر النَّاس يقدرحون في نسبه خصوصا الطّالبيّون و جمهور النّسابين اتّفقوا على أنّه من عبد القيس و أنّه عليّ بن محمّد بن عبد الرّحيم، و امه أسديّه من أسد بن خزيمه جدّه محمّد بن حكيم الأسدي من أهل الكوفه أحد الخارجين مع زيد بن عليّ على هشام بن عبد الملك، و ذكر المسعودي في مروج الذهب أنّ أفعال عليّ بن محمّد صاحب الزنج تدلّ على أنّه لم يكن طالبيّا و تصدّق ما رمى به من دعوته في النّسب، لأنّ ظاهر حاله كان ذهابه إلى مذهب الأزارقه في قتل النّساء و الأطفال و الشيخ الفاني و المريض و كيف كان فقد كان ظهوره في البصره في سنه خمس و خمسين و مأتين، فتبعه الزّنج الذين كانوا يسبخون السّباخ في البصره و كان أكثر اتباعه في أوّل أمره عبيد الدّهاقين بالبصره، و استمالهم إلى الفتنة بالمواعد و استنقاذهم من أيدي ساداتهم و استخلاصهم من سوء الحال و ما يلقونه من شدّه العبوديّة و الخدمة و منّا هم أن يجعلهم قواد جيشه، و يملّكهم الضّياع و الأموال، و حلف لهم بالايامن المغلّظه أن لا يخدع بهم و لا يخذلهم و لا يدع شيئا من الاحسان إلّا أتى إليهم، و اجتمع اليه السّودان من كلّ جهه، و تبعه جمع كثير من غيرهم، و فعل بأهل البصره و غيرهم ما هو مشهور و في كتب السّير مسطور مأثور، و قد ذكره الشّارح المعتزلي على تفصيله من أراد الاطلاع فليراجع إليه.

إذا تمهد لك ذلك فلنعد إلى شرح كلامه فأقول: قوله: (يا أحنف) قيل كان اسمه صخر و قيل الضّحّاك بن قيس بن معاويه من بنى تميم و كنيته أبو بحر شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام الجمل و لم يشهد صفّين مع أحد الفريقين قال البحراني: و الخطاب مع الاحنف، لأنّه كان رئيسا ذا عقل و سابقه في قومه و بسببه كان اسلام بنى تميم حين دعاهم رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فلم يجيبوا، فقال لهم الأحنف: إنه يدعوكم إلى مكارم الأخلاق

فأسلموا و أسلم الأحنف.

(كأنتى به) أى على بن محمّد صاحب الزنج (و قد سار بالجيش الذى لا يكون له غبار) أصلا أو الغبار الشديدا الذى جرت العاده بسطوعها عند مسير الجيوش و الفرسان و ثورانها من حوافر الخيل (و لا لجب) و صياح (و لا قعقه لجم و لا حمحمه خيل) إذ لم يكونوا ركبا بل كانوا مشاه حفاه (يثيرون الأرض بأقدامهم كأنتى أقدام النعام) تشبيهاً بأقدام النعام لكونها فى الأغلب قصارا عراضا منتشره الصدر مفترجات الأصابع كما فى النعام، و أراد باثارتهم الأرض بأقدامهم شدّه و طئهم لها، و كنى بها عنها و ما قيل: من أنّ المعنى أنهم يثرون التراب بأقدامهم لأنّ أقدامهم فى الخشونه كحوافر الخيل ففيه أنه لا يلائم ظاهر قوله لا يكون له غبار إلا أن يحمل المنفى على الغبار الشديدا حسبما قدّمناه.

ثمّ قال: (ويل لسككم العامره) أى لطركم المستويه و أزقتكم المعموره (و الدّور المزخرفه) المموّه بالزّخرف و الذهب (التي لها أجنحه كأجنحه النّسور) أراد بأجنحه الدّور رواشنها و ما يعمل من الأخشاب و البوارى بارزه عن السّيّوف حفظا للحيطان و غيرها عن الأمطار و شعاع الشمس (و خراطيم كخراطيم الفيله) أراد بخراطيمها ميازيها التي تعمل من الخوص على شكل خرطوم الفيل و تطفى بالقار يكون نحو من خمسه أذرع أو أزيد تدلى من السّيّطوح ليسيل منها ماء المطر و يحفظ السّيّطوح و الحيطان (من أولئك الذين لا ينتدب قتلهم) قيل إنه وصف لهم لشدهّ البأس و الحرص على القتال و لا يبالون بالموت، و قيل: لأنهم كانوا عبيدا غرباء لم يكن لهم أهل و ولد ممّن عادتهم النّديه (و لا يفتقد غائبهم) لكثرتهم و كونهم إذا قتل منهم قتل سدّ مسدهّ غيره، أو لكونهم غرباء ليس لهم أقرباء من شأنهم افتقاد الغائب.

ثمّ قال: (أنا كابّ الدّنيا لوجهها) كناية عن عدم التفاته إليها كما حكى مثله عن عيسى أنه قال: أنا الذى كبيت الدّنيا على وجهها ليس لى زوجه تموت و لا بيت يخرب و سادى الحجر و فراشى المدر و سراجى القمر، أو أراد به علمه

بأسرارها و بواطنها كما يقال قلب الأمر ظهرا لبطن.

(و قادرها بقدرها) أى معامل لها بمقدارها (و ناظرها بعينها) أى ناظر إليها بعين البصيره و العبره، أو أنظر إليها نظرا يليق بها و هو نظر الحقاره و الذله.

كما يشهد به ما رواه فى غايه المرام من رساله الأهواز للصادق عليه السلام قال:

قال على بن الحسين سمعت أبا عبد الله الحسين عليهما السلام يقول: حدّثنى أمير المؤمنين عليه السلام قال: إننى كنت بفدك فى بعض حيطانها و قد صارت لفاطمه، قال: فاذا أنا بامرئ قد قحمت على و فى يدي مسحاه أعمل بها، فلما نظرت إليها طار قلبى ممّا تداخلى من جمالها، فشبّتها بثنيه بنت عامر الجمحى و كانت من أجمل نساء قريش، فقالت: يا بن أبى طالب هل لك أن تزوّج بى فاغنيك عن هذه و أدلك على خزائن الأرض فيكون لك المال ما بقيت و لعقبك من بعدك؟ فقلت لها: من أنت حتى أخطبك من أهلك؟ قالت: أنا الدنيا، قلت لها: ارجعى و اطلبى زوجا غيرى، و أقبلت على مسحاتى و أنشأت أقول:

لقد خاب من غرّته دنيا دنيته و ما هى إن غرّت قرونا بطائل

أتتنا على زىّ العزيز ثيبه و زينتها فى مثل تلك الشّمائيل

فقلت لها غرّى سواى فأننى عروف عن الدنيا و لست بجاهل

و ما أنا و الدنيا فانّ محمّدا أحلّ صريعا بين تلك الجنادل

وهبها أتتنا بالكنوز و درّها و أموال قارون و ملك القبائل

أليس جميعا بالفناء مصيرها و تطلب من خزّانها بالطوائل

فغرّى سواى أننى غير راغب بما فيك من ملك و عزّ و نائل

فقد قنعت نفسى بما قد رزقته فشأنك يا دنيا و أهل الغوائل

فأنى أخاف الله يوم لقائه و أخشى عذابا دائما غير زائل

فخرج من الدنيا و ليس فى عنقه تبعه لأحد حتى لقي الله سبحانه محمودا غير ملوم و لا مذموم، ثم اقتدت به الأئمه من بعده بما قد بلغكم لم يتلطخوا بشيء

من بوائقها صَلَّى اللهُ عليهم أجمعين و أحسن مثوهم.

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن سرور دین و قدوة ارباب یقین است در آنچه خبر می دهد بآن از وقایع عظیمه در شهر بصره باین نحو که می فرماید:

أی أحنف گویا من نظر میکنم به آن شخص در حالتی که سیر کند با لشکری که نباشد مر آنرا گرد و غباری، و نه آواز هائلی، و نه صدای حرکت لجامها، و نه آواز اسبها، بشورانند خاک را بقدمهای خود گویا که قدمهای ایشان قدمهای شتر مرغان است در پهنائی و کوتاهی، و در گشادگی انگشتان اشاره می فرماید آن حضرت باین کلام بعلی بن محمد رئیس لشکر زنگیان.

بعد از آن فرمود: وای در آن زمان براههای آبادان شما، و بخانهای زر اندودی که مر آنها راست بالها مثل بالهای کرکسان، و خرطومها مانند خرطومهای فیلان، از این لشکری که گریسته نشود بر مقتولان ایشان، و جسته نشود غائبان ایشان، من افکننده دنیا هستم بروی او، یعنی بی اعتنا هستم بآن، و اندازه کننده اویم باندازه آن، و نظر کننده اویم بچشمی که مناسب و لایق او هست.

الفصل الثانی منها

اشاره

و یومی بذلک الی وصف الاتراک

کأنی أراهم قوما کأنّ وجوههم المجرّون المطرقة، یلبسون السرق و الدیاج، و یعتقبون الخیل العتاق، و یكون هنالك استحرار قتل حتّی یمشی المجرّوح علی المقتول، و یكون المفلت أقلّ من المأسور. فقال له بعض أصحابه: لقد اعطیت یا أمیر المؤمنین علم الغیب؟

ص: ۲۰۸

فضحك عليه السّلام وقال للرجل و كان كلبيا يا أبا كلب ليس هو بعلم غيب و إنّما هو تعلّم من ذى علم، و إنّما علم الغيب علم السّاعه و ما عدّده الله سبحانه بقوله: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» الآية، فيعلم سبحانه ما فى الأرحام من ذكر أو أنثى، و قبيح أو جميل، و سخيّ أو بخيل، و شقيّ أو سعيد، و من يكون فى النار حطبا، أو فى الجنان للنبّيين مرافقا، فهذا علم الغيب الذى لا يعلم أحد إلاّ الله، و ما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيّه صلّى الله عليه و آله و سلّم فعلمنيه، و دعا لى بأن يعيه صدرى، و تضطّم عليه جوانحى.

اللغة

(المجانّ) بفتح الميم و تشديد التّون جمع المجن بكسر الميم و هو الترس أو المجنّه بالكسر أيضا كالمحاشّ و المحشّه و هو الدّبر إلاّ أنّه بالفتح و هو مأخوذ من الجنّ و هو السّتر كأنّ الترس يستتر به و منه الجنّ لاستتاره عن النّظر و الجنين لاستتاره فى الرّحم، و المجنون لاستار عقله، و الجنان للقلب و الجنّه لالتفافها بالأشجار و استتارها بها و قال سبحانه: «فلما جنّ عليه الليل» أى ستره.

و (المطرقة) و زان مكرمه من باب الافعال قال فى القاموس و المجانّ المطرقة كمكرمه الذى يطرق بعضها على بعض كالنّعل المطرقة المخصوفه، و يروى المطرقة بالتشديد كمعظمه أى التى طرّق و ركب بعضها على بعض و اطراق البطن ما ركب بعضها على بعض، و الطّراق كلّ خصيفه يخصف بها النّعل و يكون حدوها سواء، و كلّ صنعه على حدو، و جلد النّعل و أن يقوّر جلد على مقدار الترس فيلنزق بالتّرس.

و (السرق) محرّكه شقق الحرير الأبيض أو الحرير عامّه و الواحده سرقه و (يعتقبون الخيل) أى يحتبسونها و يرتبطونها من اعتقب السلعه إذ احبسها من المشتري ليقبض الثمن أو يجبنونها لينتقلوا من غيرها إليها، و (اضطّم) الشئ جمعته إلى نفسه، و (الجوانح) الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر و يروى جوارحى بدل جوانحى.

الاعراب

قوما منصوب على البدل من ضمير الجمع فى أراهم و ابدال الظاهر من الضمير الغائب لا غبار عليه بتصريح علماء الأديبه، و جمله يلبسون منصوبه المحلّ على الحال من ضمير الجمع أيضا، و الاضافه فى أبا كلب لانتسابه إلى تلك القبيله و هى من الاضافات الشائعه فى لهجه العرب و الرّابط إلى الموصول فى قوله لا يعلم أحد محذوف

المعنى

اشاره

اعلم أنّ الموجود فى نسخ النهج غير نسخه الشارح البحرانى عنوان هذا الفصل بلفظ: منها، و أمّا نسخه الشارح فالعنوان فيها بقوله: و من كلام له عليه السلام و هو يفيد كون ذلك كلاما مستقلاّ لا من فصول الكلام السابق و الأمر سهل.

قال السيّد ره: و يؤمى به إلى وصف الأتراك، و هم امّه تسمون بالتتار، و كانت مساكنهم فى أقاصى بلاد المشرق فى جبال طخاج من حدود الصّين، و بينهم و بين بلاد الاسلام التى ما وراء النهر ما يزيد على مسير ستّه أشهر، و كان عددهم فى الكثره متجاوزا عن حدّ الاحصاء، و كانوا من أصبر الناس على القتال لا يعرفون الفرار، و يعملون ما يحتاجون إليه من السلاح بأيديهم و من أصبر خلق الله على الجوع و العطش و الشقاء، يأكلون الميتة و الكلاب و الخنازير، و كان ثيابهم من أخشن الثياب، و منهم من يلبس جلود الكلاب و الدواب الميتة، و هم أشبه شئء بالوحش و السباع، و كان چنگيز خان رئيسهم و ابن رئيسهم، و ما زال سلفه رؤساء تلك الجهه، و كان شجاعا مدبرا عاقلا موفقا منصورا فى الحرب فأحبّ الملك و طمع فى البلاد فنهض بمن معه من أقاصى الصّين، إلى حدود تركستان فى سنه ستّ عشر

و ستّ مأثمه، و حارب الملوڪ ملوك الخطاء و قفجاق و ما وراء النهر و خراسان و العراقين و آذربيجان و أرميتيه و الشام و غيرها، و ملك هذه البلاد، و قتل من الذّكران و الاناث في كلّ ما مرّ عليه جيشه من البلدان ما لا يحصى عددهم إلاّ الله سبحانه، و قد نهبوا أكثر ما مرّوا عليه من المدن و القرى، و أحرقوه و خرّبوه و استأصلوا أهله، و سبوا الخرم، و استرقوا الغلمان، و فعلوا كلّ قبيح منكر فيها، و لم يتركوا من الظلم و الجور على المسلمين و المعاهدين شيئاً على ما هو في كتب التّواريخ و السّير مسطور، و في الألسنه إلى زماننا هذا و قد مضى من زمانه نحو من سبعمائه سنه مشهور مأثور، و كان ظهورهم في عصر الشّارح المعتزلي، فأورد طرفاً من حالهم و وقائعهم في الشّرح من أراد الاطلاع فليراجع إليه.

إذا تمهّد لك ذلك فأقول: إنّ عليه السّلام يخبر عن حالهم و يقول (كأني أراهم قوما كأنّ وجوههم المجان المطرقة) تشبيهاً بالمجان في الاستداره و العظم و الانبساط و توصيفها بالمطرقة للخشونه و الغلظه (يلبسون السّرق و الدّيباج) و لا منافاه بين ذلك و بين ما قدّمنا من كون لباسهم أخشن اللّباس، لأنّ ما قدّمناه كان في بدو حالهم و ذلك بعد ما ظهر دولتهم و علا أمرهم، أو أنّ ذلك وصف حال الرؤساء، و ما قدّمنا وصف ثياب الأتباع مع أنّه لا داعي إلى الجمع لأنّ ما تقدّم من نقل أرباب التّواريخ و كلام الامام هو الصّحيح الأحقّ بالاتباع.

(و يعتقبون الخيل العتاق) أي يحتبسونها لينقلوها من غيرها إليها عند مسيس الحاجه و مقام الضّروره (و يكون هناك استحرار قتل) و شدته (حتّى) ينتهى الأمر إلى أن (يمشى المجروح) منهم (على المقتول) منهم لعدم مبالاه الجرحى بقتل القتلى أو من مقاتليهم فيكون إشاره إلى كونهم مجروحين و كون مقابلتهم مقتولين (و يكون المفلت) النّاجي من أيديهم (أقلّ من المأسور فقال له بعض أصحابه لقد اعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب فضحك عليه السّلام) قال الشّارح المعتزلي: و سرّ هذا الضّحك أنّ التّبي و الوليّ إن تجددت عنده نعمه لله سبحانه أو عرف النّاس و جاهته عند الله فلا بدّ أن يسرّ بذلك، و قد

يحدث الضحك من السرور و ليس ذلك بمذموم إذا خلا من التيه و العجب و كان محض السرور و قد قال سبحانه:

«فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ».

اقول: و فى هذا المعنى قوله سبحانه: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ»، فإنَّ التحدّث بالنّعمه أعنى إظهارها و إشاعتها قد يكون الدّاعى إليه هو العجب و الشّهرة و إظهار الكبر و النّخوه به على الخلق فهو قبيح محرّم مذموم، و قد يكون السّبب له محض إظهار أنها ممّا منّ الله سبحانه بها عليه فيشكر عليه و يحمده له، و هذا حسن ممدوح مأمور به فى الآيه و إليه الاشاره فى الحديث بقوله: و التحدّث بنعمه الله شكر و تركه كفر.

و قال الصادق عليه السّلام فى روايه الكافى: إذا أنعم الله بعبده بنعمه فظهرت عليه سمى حبيب الله محدّثا بنعمه الله، و إذا أنعم الله على عبده بنعمه فلم تظهر عليه سمى بغيض الله مكذّبا بنعمه الله.

(و قال عليه السّلام للرجل و كان كليتا: يا أخا كلب ليس هو) أى ما أخبرت به من خبر الأتراك (بعلم غيب و إنّما هو تعلم من ذى علم) أراد به رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم كما سيصرّح به (و إنّما علم الغيب) هو العلم بامور خمسّه أشار إليها سبحانه فى سورة لقمان و هو (علم السّاعه و ما عدده الله سبحانه بقوله:

«إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ».

يعنى عنده سبحانه علم وقت قيامها و استأثر به و لم يطلع عليه أحد من خلقه، و يعلم نزول الغيث فى مكانه و زمانه، و يعلم ما تحمله الحوامل (فيعلم سبحانه ما فى الأرحام من ذكر أو أنثى و قبيح أو جميل و سخى أو بخيل و شقى أو سعيد و من

يكون في النار حطباً أو في الجنان للنبين مرافقاً) و ما تدرى نفس ما ذا تكسب غدا من خير أو شرور بما تعزم على شىء فتفعل خلافه و قيل ما يعلم بقائه غدا فكيف يعلم تصرفه، و ما تدرى نفس فى أى أرض تموت و قيل أنه إذ ارفع خطوه لم يدر أنه يموت قبل أن يضع الخطوه أم لا.

(فهذا) أى ما ذكر من العلم بالامور الخمسه المعدوده (علم الغيب الذى لا يعلمه أحد إلا الله سبحانه و ما سوى ذلك فعلم علمه سبحانه نبىه صلى الله عليه و آله و سلم فعلمنيه) رسول الله باذن من الله (و دعا لى بأن يعيه) أى يحفظه (صدرى و تضطم عليه جوانحى) أى تضبطه قلبى و يشتمل عليه، و كنى بالجوانح عن القلب لاشتمالها عليه.

اقول: و محصل ما استفيد من كلامه أن ما أخبر به من خبر الأتراك و نحوه ممّا يكون و يحدث به فى غابر الزمان فليس هو من علم الغيب و إنما علم الغيب هو العلم بالامور الخمسه المعدوده فى الآيه الشريفه إلا أنه يشكل بوجهين.

أحدهما أنه كيف يمكن نفى علم الغيب عمّا أخبر به مع أنك قد عرفت فى شرح الفصل الثانى من الخطبه التسعين أن الغيب عباره عمّا غاب عن الخلق علمه و خفى مأخذه، و من المعلوم أن الحوادث التى تحدث و الملاحم التى تقع فى غابر الزمان ممّا هو غائب عن نظر الخلق و هو اسهم.

و ثانيهما أنه كيف يصلح حصر علم الغيب فى الامور الخمسه فأنه بعد ما كان المدار على التعلّم من ذيعلم فلا تفاوت حينئذ بين تلك الامور و غيرها، لا مكان العلم بها بتعليم ذى العلم، بل هو واقع، و تحقيق المقام يحتاج إلى بسط فى الكلام لكونه من مزال الأقدام.

فأقول بعد الاعتصام بالملك العلام و التمسك بذيل أئمه الأنام عليهم الصلاه و السلام: إن مقتضى بعض الأدله هو اختصاص علم الغيب بالله سبحانه و نفيه عمّن سواه تعالى، و مقتضى البعض الآخر إثباته لغيره تعالى من الأنبياء و الأئمه و الملائكه و الرسل عليهم السلام، و مفاد طائفه ثالثه من الأدله هو التفصيل.

أمّا الأدله الأول فمنها قوله تعالى فى سوره الأنعام: و عنده مفاتيح الغيب

لا يعلمها إلا هو، و في سورة الأعراف: لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير و ما مسنى السوء، و في سورة يونس إنما الغيب لله، و في سورة هو دو النحل، و لله غيب السماوات و الأرض، و في سورة النمل قل لا يعلم من في السماوات و الأرض الغيب إلا الله، و بمعناها آيات و أخبار اخر.

و أمّا الأدلة الثانيه فمثل ما دلّ بعلم المدبرّات من الملائكه بأوقات وقوع الحوادث، و ما دلّ بعلم ملك الموت بأوقات الآجال، و ما دلّ على اخبار الأنبياء بالمغيبات، و ما دلّ على علم النبيّ و الأئمه بما كان و ما يكون و ما هو كائن.

كما في البحار من بصائر الدرجات عن ابن معروف عن حمّاد عن حريز عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السّلام قال: سئل علىّ عليه السّلام عن علم النبيّ فقال: علم النبيّ علم جميع النبيّين و علم ما كان و علم ما هو كائن إلى قيام السّاعه، ثم قال: و الّذى نفسى بيده إنّي لأعلم علم النبيّ و علم ما كان و علم ما هو كائن فيما بينى و بين قيام السّاعه و فيه أيضا من البصائر عن أحمد بن محمّد عن محمّد بن سنان عن يونس عن الحرث بن مغيره و عدّه من أصحابنا فيهم عبد الأعلى و عبيده بن عبد الله بن بشر الخنعميّ و عبد الله بن بشير سمعوا أبا عبد الله عليه السّلام يقول: إنّي لأعلم ما في السماوات و أعلم ما في الأرضين و أعلم ما في الجنه و أعلم ما في النار و أعلم ما كان و ما يكون، ثم مكث هنيهة فرأى أنّ ذلك كبر على من سمعه فقال: علمت من كتاب الله إنّ الله يقول: فيه تبيان كلّ شيء.

و فيه من مصباح الأنوار باسناده إلى المفضّل قال: دخلت على الصادق عليه السّلام ذات يوم فقال لي يا مفضّل هل عرفت محمّدا و عليّيا و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السّلام كنه معرفتهم؟ قال: يا مفضّل من عرفهم كنه معرفتهم كان مؤمنا في السّلام (1) الأعلّى، قال: قلت: عزّفتي ذلك يا سيّدي، قال: يا مفضّل تعلم أنّهم علموا ما خلق الله عزّ و جلّ، و ذراه و براه و أنّهم كلمه التّقوى و خزّان السماوات و الأرضين و الجبال و الرّمال و البحار، و علموا كم في السّماء من نجم

ص: ٢١٤

١- (١) اى أعلى مدارج الايمان و سنام كل شى أعلاء.

و ملك و وزن الجبال و كيل ماء البحار و أنهارها و عيونها، و ما تسقط من ورقه إلا علموها و لا حبه في ظلمات الأرض و لا رطب و لا يابس إلا في كتاب مبين، و هو في علمهم، و قد علموا ذلك، فقلت: يا سيدي قد علمت ذلك و أقررت به و آمنت، قال: نعم يا مفضل، نعم يا مكرم، نعم يا محبوب(1)، نعم يا طيب طبت و طابت لك الجنة و لكل مؤمن بها.

و في الكافي عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن عمر بن عبد العزيز، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لا و الله لا يكون عالم جاهلا أبدا، عالما بشيء جاهلا بشيء، ثم قال: الله أجل و أعز و أكرم من أن يفرض طاعه عبد يحجب عنه علم سمائه و أرضه، ثم قال: لا يحجب ذلك عنه.

إلى غير ذلك من الأخبار المتظافره بل المتواتره الداله على عموم علمهم عليهم السلام بما في الآفاق و الأنفس، و على كونهم أعرف بطرق السماء من طرق الأرض، و كونهم شهداء على الناس و الشهاده فرع العلم و معرفتهم على الناس لحقيقه الايمان و حقيقه الكفر و علمهم بعدد أهل الجنة و أهل النار، و غير ذلك مما كان أو يكون و قد مضى كثير من تلك الأخبار في شرح الخطب السابقه، و لا حاجة إلى الاعاده المفضيه إلى التكرار و الاطاله و أما الطائفة الثالثه من الأدله فيستفاد منها التفصيل و به يجمع بين الأدلتين المتقدمتين و يقيد اطلاقهما أو يخصص عمومهما و وجه الجمع امور ثلاثه:

الأول

أن يكون المراد بالأدله الاول الحاصره للغيب في الله سبحانه النافيه له عن غيره أنه سبحانه عالم به بذاته لا يعلمه غيره كذلك فيكون المراد بالأدله الاخر أن غيره يعلم الغيب بعلم مستفاد منه سبحانه بوحى أو إلهام أو نكت في القلوب و نقر في الأسماع أو غير ذلك من جهات العلم و يدل على ذلك قوله سبحانه في سورة آل عمران: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ»

ص: ٢١٥

١- (١) لعله من الخبره قال في القاموس الخبره بالضم نعمه حسنه و المبالغه في ما وصف بجميل.

«عَلَى الْغَيْبِ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ»، و في سورة الجن: «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رُسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا».

روى في الصّبا في عن الخرائج عن الرضا عليه السلام في هذه الآية قال: فرسول الله عند الله مرتضى، و نحن ورثه ذلك الرسول الذي أطلعه الله على ما يشاء من غيبه، فعلمنا ما كان و ما يكون إلى يوم القيامة و يأتي في روايه الكافي و البحار من البصائر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في هذه الآية، و كان محمّد مّمّن ارتضاه، و مضى في شرح الفصل الثالث من فصول الخطبه السادسة و الثمانين في روايه البحار قول أمير المؤمنين لسلمان: يا سلمان أما قرأت قول الله عزّ و جلّ حيث يقول: عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول، فقلت: بلى يا أمير المؤمنين، فقال أنا ذلك المرتضى من الرسول الذي أظهره الله عزّ و جلّ على غيبه.

أقول: و المستفاد من هذه الروايه كون لفظه من في قوله من رسول الله ابتدائه، كما أنّ المستفاد من الروايتين السابقتين كونها بيانته و لا منافاه لأنّ هذه تأويل للباطن و ما تقدّم تفسير للظاهر كما هو ظاهر هذا.

و قال الطبرسي في تفسير هذه الآية: ثم استثنى فقال إلا من ارتضى من رسول، يعنى الرّسل، فإنّه يستدلّ على نبوتهم بأن يخبروا بالغيب فيكون آيه و معجزه لهم، و معناه أنّ من ارتضاه و اختاره للنّبوه و الرساله فإنّه يطلعه على من شاء من غيبه على حسب ما يراه من المصلحه و هو قوله:

«فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا».

و الرّصد الطريق أى يجعل له إلى علم ما كان من قبله من الأنبياء و السلف و علم ما يكون بعده طريقا و قال (ره) في قوله تعالى: «وَ لِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ»: معناه و لله علم ما غاب

فى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآ ىخفى عىه شىء منه، ثم قال (ره): وىءت بعض المشايخ ممن ىتسم بالعدل و التشىع قد ظلم الشىعه الامامىه فى هذا الموضع من تفسيره فقال: هذا يدل على أن الله تعالى ىخص بعلم الغيب خلافا لما تقول الرافضه:

إن الأئمه عليهم السلام يعلمون الغيب، و لا شك أنه عنى بذلك من ىقول بامامه الاثنى عشر و ىدين بأنهم أفضل الأنام بعد النبى عليهم السلام، فإن هذا دأبه و ديدنه، فهو يشنع فى مواضع كثره من كتابه عليهم و ىنسب القبايح و الفضائح اليهم و لا نعلم أحدا منهم استجاز الوصف بعلم الغيب لأحد من الخلق، و إنما ىستحق الوصف بذلك من يعلم جميع المعلومات لا بعلم مستفاد، و هذه صفة القديم سبحانه، العالم لذاته لا ىشركه فىه أحد من المخلوقين، و من اعتقد أن غير الله سبحانه ىشركه فى هذه الصفة فهو خارج عن مله الاسلام و أما ما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام و رواه عنه الخاص و العام من الاخبار بالغائبات فى خطب الملاحم و غيرهما كاخباره عن صاحب الزنج و عن ولايه مروان الحكم و أولاده و ما نقل من هذا الفن عن أئمه الهدى عليهم السلام، فإن جميع ذلك ملقى من النبى مما أطلع الله عليه، فلا معنى لنسبه ما روى عنهم هذه الاخبار المشهوره إلى أنه ىعتقد كونهم عالمين بالغيب، و هل هذا إلا سب قبيح و تضليل لهم بل تكفير و لا ىرتضيه من هو بالمذهب خبير، و الله ىحكم بينه و بينهم و إليه المصير.

و فى البحار من بصائر الدرجات باسناده عن عبد الأعلى و عبيده بن بشير قال:

قال أبو عبد الله ابتداء منه: و الله إنى لأعلم غيب السموات و الأرض و ما فى الجنة و ما فى النار و ما كان و ما ىكون إلى أن تقوم الساعة، ثم قال: اعلمه من كتاب الله أنظر إليه هكذا ثم بسط كفيه ثم قال: إن الله ىقول:

«وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ۗ» و فىه من مجالس المفيد باسناده عن أبى المغيره قال: كنت أنا و يحيى بن عبد الله بن الحسين عند أبى الحسن عليه السلام فقال له يحيى جعلت فداك إنهم ىزعمون

أَنْتَ تَعْلَمُ الْغَيْبَ؟ قَالَ: سَبَّحَانَ اللَّهِ ضَعَّ يَدَكَ عَلَى رَأْسِي فَوَاللَّهِ مَا بَقِيَتْ شَعْرَةٌ فِيهِ وَلَا جَسَدِي إِلَّا قَامَتْ، ثُمَّ قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا هِيَ إِلَّا- وَرَأَيْتَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ وَفِي الْكَافِي عَنْ عَدِّهِ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَيْسَى عَنْ مَعْمَرِ بْنِ خَلَّادٍ قَالَ: سَأَلَ أَبَا الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ فَارَسٍ فَقَالَ لَهُ: أَتَعْلَمُونَ عِلْمَ الْغَيْبِ فَقَالَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: يَبْسُطُ لَنَا الْعِلْمَ فَنَعْلَمُ وَيَقْبِضُ عَنَّا فَلَا نَعْلَمُ، وَقَالَ: سَرَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَسْرَهُ إِلَى جِبْرِئِيلَ وَأَسْرَهُ جِبْرِئِيلَ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَسْرَهُ مُحَمَّدٌ إِلَى مَنْ شَاءَ اللَّهُ.

قال المفيد (ره) في محكي كلامه من كتاب المسائل: أقول: إن الأئمة من آل محمد عليهم السلام قد كانوا يعرفون ضمائر بعض عبادهم، ويعرفون ما يكون قبل كونه وليس ذلك بواجب في صفاتهم، ولا شرط في إمامتهم، وإنما أكرمهم الله تعالى به وعلّمهم إياه للطف في طاعتهم والتبجيل بامامتهم، وليس ذلك بواجب عقلا، ولكنّه وجب لهم من جهة السماع، فأما إطلاق القول عليهم بأنهم يعلمون الغيب فهو منكر بين الفساد، لأنّ الوصف بذلك إنّما يستحقّه من علم الأشياء بنفسه، لا بعلم مستفاد وهذا لا يكون إلاّ لله عزّ وجلّ، وعلى قولي هذا جماعة أهل الدهامه إلاّ من شدّ عنهم من المفوضه و من انتمى إليهم من الغلاه، هذا.

و أنت بعد ما أحطت خبرا بما ذكرنا تقدر على دفع ما استشكلناه في كلامه عليه السلام من نفيه علم الغيب عمّا أخبر به عن خبر الأتراك، و محضّ دفعه أنّ قوله:

يا أخوا كلب إنّه ليس هو بعلم غيب، لم يرد به نفي علم الغيب عنه رأسا أراد به سلب علم الغيب على زعم الكلبي السائل فانه عليه السلام لما أخبر بما أخبر من الغيب توهم السائل أنه عليه السلام علمه من تلقاء نفسه بدون توسط معلم كما هو زعم الغلاه فزّده عليه السلام بقوله: ليس هو بعلم غيب و أنّما هو تعلّم من ذى علم فان قلت: قول السائل لقد اعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب ينافي ذلك، لظهوره في أنّ اعتقاده أنّ الله أعطاه العلم بذلك، لا أنّه علمه بنفسه قلنا: لفظ الاعطاء لا ينافيه، لامكان أن يكون مراده منه أنّه عليه السلام آتاه الله قوه يقتدر بها على علم الغيب من غير حاجه إلى وساطه النبيّ صلى الله عليه وآله و سلّم أو إلهام إلهي

أو توسيط الملائكة النازلين في ليله القدر و نحو ذلك و بالجمله من دون حاجه إلى تعليم معلّم فافهم و تأمل و الحاصل أنّهم عليهم السّلام لا يعلمون إلّا ما علّمهم الله سبحانه، و تعليمه فيكلّ آن فلو لم يعلمهم في آن ما كان عندهم شيء و لا يعلمهم الله إلّا بواسطه محمّد و هو قولهم الحقّ كما في الكافي عن زراره قال سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: لو لا أنّا نزاد لأنفدنا، قال: قلت: تزدادون شيئاً لا- يعلمه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم؟ قال: أما أنّه إذا كان ذلك عرض على رسول الله ثمّ على الأئمّه ثمّ انتهى الأمر إلينا.

و عن يونس بن عبد الرّحمن عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: ليس شيء يخرج من عند الله عزّ و جلّ حتّى يبيده برسول الله، ثمّ بأمر المؤمنين، ثمّ بواحد بعد واحد لكيلا- يكون آخرنا أعلم من أولنا فملخص الكلام و فذلكه المرام ما ورد في الأخبار و ذكره علمائنا الأخيار من أنّهم لا يعلمون الغيب لا ينافى باخبارهم بأشياء كثيره من الغيب، لأنّ ذلك كلّ من الوحي الذي نزل على رسول الله فعلمهم رسول الله ذلك بأمر من الله، و لأنّ عندهم علم القرآن كلّ و فيه تبيان كلّ شيء، و تفصيل كلّ شيء و هو مستور محجوب عن الأغيار و قد كشفه الله سبحانه لمحمّد و آله الأطهار الأبرار، و ما أخبروا به من ذلك المستور عن غيرهم، و أيضا عندهم الاسم الأكبر و به يعلمون ما شاءوا كما ورد في أحاديثهم فعلى ما ذكر لو قيل أنّهم لا- يعلمون الغيب بمعنى من ذاتهم فهو حقّ، و أمّا لو قيل إنّهم لا- يعلمونه أصلا فلا- بل قد علموا كثيرا منه بتعليم الرّسول و علموا بعضه بما عندهم من الاسم الأ- كبر و بعضه بما كتب في القرآن و مصحف فاطمه و الجامعه و الجفر، و بعضه بالملائكة الذين ينزلون إليهم ليله القدر و بغيرهم من الملائكة المسخّرين لهم، و الجانّ الذين يخدمونهم و ينقلون إليهم علوم ما غاب عنهم و ما لم يكن مشاهدا و على هذه كلّها دلّت أخبارهم و هذه العلوم الغائبه هي المشار إليها في قوله: فلا يظهر على غيبه أحدا إلّا- من ارتضى من رسول، و في قوله و لكنّ الله يجتبي من رسله من يشاء هي المراد بقوله في الزّياره الجامعه: و اصطفاكم بعلمه و ارتضاكم

الوجه الثانى

أن يقال: إنَّ الغيب على قسمين: قسم هو غيب عند الكلِّ، وقسم هو غيب عند بعض شهاده عند آخر، و الأول قد يعبر عنه بالعلم المكفوف و هو مختصَّ بالله سبحانه و عليه يحمل الأدلّه الدّالّه على أنّ الغيب لله، و الثانى هو المعبر عنه بالعلم المبذول و عليه يحمل الأدلّه المثبتة لعلمهم بالغيب و هذه القسمه مستفاده من أخبار كثيره مثل ما فى البحار من بصائر الدّرجات باسناده عن بشير الدهان قال سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: إنّ لله علما لا يعلمه أحد غيره، و علما قد علمه ملائكته و رسله فنحن نعلمه.

و عن سماعه عن أبى عبد الله عليه السّلام قال إنّ لله علما علمه ملائكته و أنبيائه و رسله فنحن نعلمه، و علما لم يطلع عليه أحد من خلق الله و عن سدير قال: سمعت حمرا بن أعين يسأل أبا جعفر عليه السّلام عن قول الله تبارك و تعالى: بديع السّموات و الأرض، قال أبو جعفر عليه السّلام إنّ الله ابتدع الأشياء كلّها على غير مثال كان، و ابتدع السّموات و الأرض و لم يكن قبلهنّ سموات و لا أرضون، أما تسمع لقوله تعالى: و كان عرشه على الماء، فقال حمرا: عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا، فقال له أبو جعفر عليه السّلام: إلّا من ارتضى من رسول فأنّه يسلك من بين يديه و من خلفه رصدا، و كان الله و محمّد ممّن ارتضاه، و أمّا قوله عالم الغيب فإنّ الله تبارك و تعالى عالم بما غاب عن خلقه ممّا يقدر من شىء و يقضيه فى علمه، فذلك يا حمرا علم موقوف عنده إليه فيه المشيّه فيقضيه إذا أراد و يبدو له فلا يمضيه، فأما العلم الذى يقدره الله و يقضيه و يمضيه فهو العلم الذى انتهى إلى رسول الله ثمّ إلينا و رواه فى الكافى عن سدير نحوه إلّا أنّ فيه بعد قوله: و يقضيه فى علمه، قبل أن يخلقه و قبل أن يفرضه إلى الملائكه و فى البحار من البصائر أيضا عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: إنّ لله

علمين: علم مكنون مخزون لا يعلمه إلا هو من ذلك يكون البداء، و علم علمه ملائكته و رسله و أنبيائه و نحن نعلمه قال العلامة المجلسي: قوله: من ذلك يكون البداء، أى إنما يكون البداء فيما لم يطلع الله عليه الأنبياء و الرسل حتما لئلا يخبروا فيكذبوا هذا.

و ربما يظهر من بعض الأخبار أنه قد يخرج من العلم المخزون إليهم عليهم السلام ما لا- يخرج إلى غيرهم، و هو ما رواه فى البحار من البصائر عن ابن هاشم عن البرقى رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام إن لله علمين، علم تعلمه ملائكته و رسله، و علم لا- يعلمه غيره، فما كان ممّا يعلمه ملائكته و رسله فنحن نعلمه، و ما خرج من العلم الذى لا يعلم غيره فالينا يخرج و يدلّ على ذلك ما قدّمناه فى تحقيق معنى السّير فى شرح الفصل الرّابع من فصول الخطبه الثانيه فليراجع إليه و قال بعض الأعلام فى توضيح المرام: اعلم أنّ المراد بالغيب ما غاب عن الحسّ، فاذا قيل غيب الله يراد به ما غاب عن بعض خلقه أو عن كلّهم، لأنّ الله سبحانه لم يغب عنه غائبه فلا يكون عنده غيب، و أمّا خلقه فلهم غيب و شهاده، و قد يكون غيب فى امكان عند بعض شهاده عند بعض آخر، و قد يكون غيب عند الكلّ أمّا الأوّل هو الغيب الذى ارتضاهم عليهم السلام له، و هو غيب عند غيرهم و شهاده عندهم و أمّا الثّانى و هو ما كان غيبا عند كلّ الخلق فهو ما دخل فى الامكان و أحاطت به المشيه إلاّ أنّه لم تعلق به تعلق التكوين، و هذا لا يتناهى و لا ينفد أبد الآبدين و ذلك هو خزائنه التى لا تبنى و لا يتصوّر فيها نقص بكثرة الانفاق، فهو عزّ و جلّ ينفق منها كيف يشاء، و الذى ينفق منه فى أوقات الانفاق و أمكنته ينزل من الغيب، إلى البيوت التى ارتضاهم لغيبه و ينزل من أبوابها ما يشاء.

و ذلك المخزون منه محتوم، و منه موقوف فالمحتوم منه ما لا- يمكن تغييره و هو كون ما كان فأنّه لا يمكن بعد أن كان ألاّ يكون، و منه ما يمكن تغييره و لكنّه

وعد ألا يغيّره و هو لا يخلف الميعاد و قال تعالى في محتوم الخير: فلا كفران لسعيه و إنا له لكاتبون، و في محتوم الشرّ: و لكن حقّ القول مني لأملئنّ جهنّم من الجنّه و النّاس أجمعين، و هذا المحتوم لو شاء غيره و محاه و الموقوف مشروط فيكون كذا إن حصل كذا و إن لم يحصل كذا لكان كذا و كذا، و الشرط هو السبب و أما المانع فقد يكون في الغيب و الشّهاده، و قد يكون في الغيب و لا يكون في الشّهاده، لأنّه إذا وجد في الشّهاده وجد في الغيب و لا يلزم العكس.

فإذا وجد المقتضى فان وجد المانع منه فان اعتدلا فهو الموقوف كما ذكر و إن رجح أحدهما فالحكم له فاذا وجد المقتضى و فقد المانع فان فقد في الغيب و الشّهاده حتم وجوده، فان تمّت قوابله وجد و وصل إليهم علمه لأنّه ممّا شاء، و إن انتظرت جاز في الحكمه الاخبار به فيخبر به على جهه الحتم و لا بدّ أن يكون إلاّ أنّه قبل كونه في الصّيفحه الثانيه من اللّوح، و هذا عندهم عليهم السّلام و منه ما كان و منه ما يكون، و إلى هذا القسم أشاروا في أخبارهم أنّ عندنا ما كان و ما يكون إلى يوم القيامة و إن فقد المانع في الغيب خاصّه جاز في الحكمه الاخبار به فيخبر به من غير حتم، و هذا قد يكون و قد لا يكون، و الفائده في الاخبار به مع أنّه سبحانه لا- يكذب نفسه و لا يكذب أنبيائه و رسله و حججه هي اظهار التّوحيد بالخلق و الأمر و الاستقلال بالملك و إرشاد الخلق إلى اعتقاد البداء، لأنّه ما عبد الله شيء أفضل من البداء أي إثبات البداء لله تعالى، و هذا بجوز للحجج الاخبار به لا- على سبيل الحتم بل عليهم أن يعرفوا من لا- يعرفوا إنّ الله يفعل ما يشاء و إنّّه يمحو ما يشاء و يثبت و عنده أمّ الكتاب و لهذا قالوا عليهم السّلام ما معناه إذا أخبرناكم بأمر فكان كما قلنا فقولوا:

صدق الله و رسوله، و إن كان بخلاف ذلك فقولوا: صدق الله و رسوله توجروا مرّتين و ليس عليهم أن يعرفوا من لا يعرف هذا في خصوص الواقعه، لأنّ ذلك

يوجب الشك في تصديقهم عند أكثر الناس، وقد يلزمهم من ذلك القول على الله لأنه سبحانه لم يأمر بذلك في كل واقعه، وإن كان قد يأمر بذلك كما في وعد موسى بين ثلاثين و أربعين في معرض التقرير والهداية والبيان وقد يلزم من البيان خلاف المقصود من الاخبار، وهذا القسم قد يكون يوجد مانعه في الشهاده كالصدقه في دفع البلاء المبرم يعنى الذى ابرم فى الغيب لعدم المانع هناك و الدعاء فى ردّ البلاء و قد ابرم ابراما كذلك، و كبعض الأفعال بل و كل الطاعات و تفصيل ذلك يطول.

الوجه الثالث

أن يحمل الأدلة الحاصره لعلم الغيب فى الله سبحانه على الخمسه المذكوره فى الآيه، و الأدله المثبتة له على غيره تعالى على ما سوى الخمسه و يدلّ على هذا الجمع هذا الكلام لأمير المؤمنين عليه السلام الذى نحن فى شرحه و يدلّ عليه أيضا ما فى البحار من تفسير عليّ بن إبراهيم القميّ (ره) بعد ذكر الآيه قال الصادق عليه السلام: هذه الخمسه أشياء لم يطلع عليه ملك مقرب و لا نبي مرسل و هى من صفات الله عزّ و جلّ و من الخصال عن ابن الوليد عن الصفار عن ابن هاشم عن عبد الرحمن بن حماد عن إبراهيم بن عبد الحميد عن أبي اسامه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لى أبي: ألا اخبرك بخمسه لم يطلع الله عليه أحدا من خلقه؟ قلت: بلى قال عليه السلام:

إنّ الله عنده علم الساعه، الآيه.

و من البصائر عن أحمد بن محمد بن محمد بن سنان عن أبي الجارود عن الاصبغ ابن نباته قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إنّ لله علمين: علم استأثر به فى غيبه فلم يطلع عليه نبيا من أنبيائه و لا ملكا من ملائكته و ذلك قول الله تعالى إنّ الله عنده علم الساعه و ينزل الغيث و يعلم ما فى الأرحام و ما تدرى نفس ما ذا تكسب غدا و ما تدرى نفس بأى أرض تموت، و له علم قد اطلع عليه ملائكته فما اطلع عليه ملائكته فقد اطلع عليه محمّدا و آله، و ما اطلع عليه محمّدا و آله فقد اطلعنى عليه بعلمه الكبير منّا و الصّغير.

و بمعناها أخبار اخر مفیده لتفرد الله سبحانه بهذه الامور الخمسه إلا أن هذا الجمع يشكل من وجهين:

احدهما أن أشياء كثيره أخبروا عليهم السلام بأنهم لا يعلمونها، و ليست من هذه الخمسه و ثانيهما أنهم عليهم السلام كثيرا ما أخبروا بكثير من هذه الامور الخمسه كما هو غير خفى على من تتبع الأخبار و الآثار منها إخبار أمير المؤمنين بحمل الجاربه التى اختصم فيها قومه و إعلامه بأن الجنين فى بطنها علقه وزنها سبعمائه و خمسون درهما و دانقان، فوجدوها كما قال عليه السلام حتى قال أبوها أشهد أنك تعلم ما فى الأرحام و الضمائر، و أنت باب الدين و عموده فى قصه بيت الطست المعروفه و منها إخباره بوقت قتله و مقتله و قاتله و كذلك الحسين عليه السلام و منها إخبارهم بأجال الناس مثل ما فى الكافى عن أحمد بن مهران عن محمد بن على عن سيف بن عميره عن إسحاق بن عمار قال: سمعت العبد الصالح يعنى إلى الرجل نفسه، فقلت فى نفسى: و إنه ليعلم متى يموت الرجل من شيعته فالتفت إلى شبه المغضب و قال: يا اسحاق قد كان رشيد الهجرى يعلم علم المنيا و البلايا و الامام أولى بعلم ذلك، ثم قال: يا اسحاق اصنع ما أنت صانع فان عمرك قد فنا و أنك تموت إلى سنتين و إخوتك و أهل بيتك لا يلبثون إلا يسيرا حتى يتفرق كلمتهم و يخون بعضهم بعضا حتى يشمت بهم عدوهم، فكان هذا فى نفسك، فقلت فأتى استغفر الله مما عرض فى صدرى، فلم يلبث اسحاق بعد هذا المجلس إلا يسيرا حتى مات، فما أتى عليهم إلا قليل حتى قام بنو عمار بأموال الناس فافلسوا و فيه عن إسحاق قال حدثنى محمد بن الحسن بن شمون قال حدثنى أحمد بن محمد قال كتبت إلى أبى محمد عليه السلام حين أخذ المهتدى فى قتل الموالى: يا سيدى الحمد لله الذى شغله عنا، فقد بلغنى أنه يهددك و يقول و الله لا جليتهم عن جديد

الأرض فوقع أبو محمّد بخطه عليه السّلام: ذاك أقصر لعمره، عد من يومك هذا خمسه أيام و يقتل فى اليوم السّادس بعد هوان و استخفاف يمرّ به، فكان كما قال عليه السّلام و فى العيون عن سعد بن سعد عن أبى الحسن الرّضا عليه السّلام أنّه نظر إلى رجل فقال له يا عبد الله أوص بما تريد و استعدّ لما لا بدّ منه فكان فمات بعد ذلك بثلاثة أيام.

و فى الاحتجاج فيما خرج من التّوقيع إلى أبى الحسن السّمرى رابع الوكلاء الأربعة: بسم الله الرّحمن الرّحيم يا علىّ بن محمّد السّمرى أعظم الله أجر إخوانك فيك، فانك ميّت ما بينك و بين سنّه أيام، فاجمع أمرك و لا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبه الثّيامه، فلا- ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره و ذلك بعد طول الأمد و قسوه القلوب و امتلاء الأرض جورا، و سيأتى من شيعتى من يدعى المشاهده، ألا- فمن ادعى المشاهده قبل خروج السّيفيانى و الصّيححه فهو كاذب مفترى و لا- حول و لا قوه إلا بالله العلىّ العظيم. فنسخوا هذا التّوقيع و خرجوا من عنده فلمّا كان اليوم السّادس عادوا إليه و هو وجود بنفسه، فقال له بعض الثّاس: من وصيّك بعدك، فقال: لله أمر هو بالغه و قضى، فهذا آخر كلام سمع منه رضى الله عنه و أرضاه، هذا و الاخبار الدّاله على علمهم (1) عليهم السّلام بالمانيا و البلايا و الانساب، و بعلمهم بأنهم متى يموتون، و بعلمهم بما فى الأرحام، و بما يصيبون و يكتسبون، و بنزول المطر فوق حدّ الاحصاء متجاوزة عن حدّ الاستقصاء روى أبو بصير عن أبى عبد الله عليه السّلام أنّه قال: إنّ الامام لو لم يعلم ما يصيبه و إلى ما يصير فليس ذلك بحجّه الله على خلقه و إذا عرفت ذلك فأقول: و يمكن التفصّى عن هذين الاشكالين اما عن الاول فبحمل ما اخبروا بأنهم لا يعلمونه على أنهم عليهم السّلام لا يعلمونه

ص: ٢٢٥

١- (١) يعنى علمهم بامور المعدوده فى الآيه الشريفه أعنى قوله: إن الله عنده علم الساعه و ينزل الغيث الآيه م

من تلقاء أنفسهم على ما تقدّم تفصيلاً في أوّل وجوه الجمع و أما عن الثانى فيما فى المجلد السابع من البحار قال (ره) بعد ما عقد بابا على أنّ الأئمة عليهم السّلام لا يعلمون الغيب و أورد الآيات و الأخبار الدالّة لذلك:

تذكره

قد عرفت مرارا أنّ نفى علم الغيب عنهم معناه أنّهم لا يعلمون ذلك من أنفسهم بغير تعليمه تعالى بوحي أو إلهام و إلاّ فظاهر أنّ عمده معجزات الأنبياء و الأوصياء عليهم السّلام من هذا القبيل و أحد وجوه إعجاز القرآن أيضا اشتماله على الاخبار بالمغيبات و نحن نعلم أيضا كثيرا من المغيبات باخبار الله تعالى و رسوله و الأئمة صلوات الله عليهم كالقيامه و أحوالها و الجنّة و النار و الرجعة و قيام القائم و نزول عيسى عليه السّلام و غير ذلك من أشراط السّاعة و الكرسي و الملائكة و أمّا الخمسة التى وردت فى الآيه فتحتمل وجوها الأوّل أن يكون المراد أنّ تلك الامور لا يعلمها على التعيين و الخصوص إلاّ الله تعالى، فإنّهم إذا أخبروا بموت شخص فى اليوم الفلانى فيمكن أن لا يعلموا خصوص الدقيقه التى تفارق الرّوح الجسد فيها مثلا، و يحتمل أن يكون ملك الموت لا يعلم ذلك.

الثانى أن يكون العلم الحتمى بها مختصّا به تعالى و كلّ ما أخبر الله به من ذلك محتمل للبداء الثالث أن يكون المراد عدم علم غيره تعالى إلاّ من قبله فيكون كسائر الغيوب، و يكون التخصيص بها لظهور الأمر فيها أو لغيره أقول: و يؤيد ذلك ما رواه سدير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: إنّ أبى مرضا شديدا حتّى خفنا عليه، فبكى بعض أهله عند رأسه، فنظر إليه فقال عليه السّلام إنّى لست بميت من وجعى هذا إنّه أتانى اثنان فأخبرانى أنّى لست بميت من وجعى هذا قال: فبرء و مكث ما شاء الله أن يمكث فبينما هو صحيح ليس

به بأس قال عليه السّلام: يا بنی إنّ الذین أتیانی من وجعی ذاک أتیانی فأخبرانی أنّی میّت یوم کذا و کذا، قال: فمات فی ذلک الیوم الرّابع ما أو مانا إلیه سابقا، و هو أنّ الله تعالی لم یطلع علی تلک الامور کلّیه أحدا من الخلق علی وجه لابداء فیہ، بل یرسل علمها علی وجه الحتم فی زمان قریب من حصولها، کلّیله القدر أو أقرب من هذا، و هذا وجه قریب تدلّ علیہ أخبار کثیره، إذ لا بدّ من علم ملک الموت بخصوص الوقت کما ورد فی الأخبار و کذا ملائکة السّحاب و المطر بوقت نزول المطر، و کذا المدبّرات من الملائکة بأوقات وقوع الحوادث، هذا و قد أطنبنا الکلام فی هذا المقام لکونه من مزالّ الأقدام، و قد أتینا فیہ ما یقتضیه التأمّل و یسوق إلیه النّظر و التدبّر فی أخبار الأئمة علیهم السّلام، و الأمر بعد ذلک موکول إلیهم، فانّ أهل البیت أدری بما فیہ و سرّ الحیب مع الحیب لیس قلم یحکیه، و ما التوفیق إلاّ باللّٰه، و الحمد لله علی ذلک

الترجمه

بعض دیگر از این خطبه است، و اشاره می فرماید بآن بسوی وصف ترکان و بیان حال ایشان گویا من می بینم ایشان را گروهی گویا روهای ایشان سپرهایست که پوست بر پوست دوخته شده باشند در استداره و غلظت در حالتی که می پوشند جامهای حریر و دیبا، و جنیه می کشند اسبهای خوب و نجیب، و باشد در آن مکان شدت قتل و قتل تا این که راه می رود مرد زخم دار بر مرد کشته شده، و باشد نجات یابنده کمتر از اسیر و دستگیر.

پس گفت مر آن حضرت را بعض اصحاب او: هر آینه بتحقیق عطا شده یا امیر المؤمنین علم غیب را، پس تبسم فرمود آن حضرت و فرمود بآن مرد و بود او از قبیله کلب

ای برادر کلب نیست آن چه که خبر دادم من از آن علم غیب، و جز از این نیست که آن آموختنی است از صاحب علم یعنی حضرت رسالت‌آب صلی الله علیه و آله و سلم، و غیر از این است که علم غیب علم بوقت قیامت است و به آن چه که خداوند تبارک و تعالی تعداد فرمود آنرا با کلام معجز نظام خود که فرموده: **إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ** تا آخر آیه، یعنی بدرستی خداوند عالم در نزد اوست علم قیامت، و فرو می فرستد باران را، و میداند آن چه که در رحم مادران است، پس میداند حق تعالی آنچه که در رحمها است از مذکر یا مؤنث و زشت یا خوب و صاحب سخاوت و بخیل و صاحب شقاوت یا سعادت را، و آن کسی را که باشد در آتش دوزخ سوزان، و در بهشت عنبر سرشت رفیق پیغمبران، پس این است علم غیب که نمی داند او را هیچکس جز خدا و آنچه که غیر از این است پس علمی است که تعلیم فرموده آنرا خداوند متعال پیغمبر خود، پس تعلیم فرمود پیغمبر سلام الله علیه بمن آنرا، و دعا کرده در حق من باین که نگه دارد آن علم را سینه من، و ضبط کند آنرا قلب من، و الله أعلم بالصواب.

و من خطبه له علیه السلام فی ذکر المکائیل و الموزین

اشاره

و هی المأه و التاسعه و العشرون من المختار فی

باب الخطب

عباد الله إنکم و ما تأملون من هذه الدنیا أثویاء مؤجلون، و مدینون مقتضون، أجل منقوص، و عمل محفوظ، فربّ دائب مضیع، و ربّ کادح خاسر، و قد أصبحتم فی زمن لا یزداد الخیر فیہ إلا إدارا، و الشرّ فیہ إلا إقبالا، و الشّیطان فی هلاک النّاس إلا طمعا، فهذا أوان قویت عدّته، و عمّت مکیدته، و أمکنت فریسته، اضرب

ص: ۲۲۸

بطرفك حيث شئت من الناس، فهل تبصر إلا فقيرا يكابد فقرا، أو غنيا بدّل نعمه الله كفرا، أو بخيلا اتّخذ البخل بحقّ الله وفرا، أو متمرّدا كأنّ بأذنه عن سماع المواعظ وقرا، أين خياركم و صلحاءكم و أحراركم و سمحاءكم، و أين المتورّعون في مكاسيهم، و المتنزّهون في مذاهبهم؟ أليس قد ظعنوا جميعا عن هذه الدّنيا الدّنيّة و العاجله المنغصه، و هل خلّفتكم إلا في حثاله لا تلتقى بدمهم الشّفتان استصغارا لقدرهم، و ذهابا عن ذكرهم، فإنّا لله و إنا إليه راجعون، ظهر الفساد فلا منكر متغيّر، و لا زاجر مزدجر، أفبهذا تريدون أن تجاوروا الله في دار قدسه، و تكونوا أعزّ أوليائه عنده، هيهات لا يخدع الله عن جنّته، و لا تنال مرضاته إلا بطاعته، لعن الله الأمرين بالمعروف التاركين له، و النّاهين عن المنكر العاملين به.

اللغة

(المكائيل) جمع المكيال و هو ما يكال به الطعام كالكيل و المكيل و المكيله و (أثوياء) جمع ثوى كأغنياء و غنى و هو الضّيف و الأسير و المجاور بأحد الحرمين من ثوى المكان و به يثوى ثواء أطال الاقامه به و (دنت) الرّجل أقرضته و هو مدين و مديون و دنت أيضا استقرضت و صار علىّ دين فأنا دايّن يعدى و لا يعدى و (مقتضون) جمع مقتضى كمرتضون جمع مرتضى و (مضّيع) يروى بالتشديد و التخفيف و (زاد الله خيرا) و زيده، فزاد و ازداد و (الفرس) القتل و الفريس القتيل و فرس الأسد فريسته دقّ عنقها، و الأسد فرّاس و فارس و مفترس و فروس و المنغصه ()

بتشديد الغين و تخفيفها و كسرهما و فتحها و (الحثاله) الساقط الردى من كل شىء (فلا منكر متغير) كلاهما بصيغه المفعول و الأول من باب الأفعال و الثانى من باب التفعيل و فى بعض النسخ كلاهما بصيغه الفاعل إلا أن الأول من باب الافعال و الثانى من باب التفعيل مغير بدل متغير

الاعراب

أجل و عمل خبران محذوف المبتدأ، و قوله: أين خياركم، استفهام على سبيل التحسر و التحزن، و قوله: أليس قد ظعنوا، استفهام على سبيل الابطال و الانكار أو التقرير لما بعد التنى، و قوله: أ فبهذا، استفهام على سبيل التوبيخ و التقرير.

المعنى

اعلم أن هذه الخطبه كما ذكره السيد خطبها فى ذكر المكائيل و الموازين قال الشارح المعتزلى: و لست أرى فى هذه الخطبه ذكرا للمكائيل و الموازين التى أشار إليه الرضى (ره) اللهم إلا- أن يكون قوله: و اين المتورعون فى مكاسبهم، أو قوله ظهر الفساد، و دلالتهما على المكائيل و الموازين بعيدة انتهى و قد يقال إن ذلك ابتداء على ما هو دأب السيد (ره) و عادته فى الكتاب من التقطيع و الالتقاط، فلعله أسقط ما اشتمل على ذكر الموازين و المكائيل، و لا يبعد أن يكون ذكر عنده تطفيف الناس فى المكائيل و الموازين و اشتهار ذلك بينهم فخطب بهذه الخطبه نهيًا لهم عن ذلك المنكر على سبيل الاجمال و وبخهم على فعلهم بقوله أين المتورعون و نحو ذلك، فالمراد بقوله: فى ذكر المكائيل: عند ذكرها و فى وقته لا أنها مذكوره فى الخطبه صريحا و كيف كان فقد نبه عليه السلام أولا- على فناء الدنيا و زوالها و زهاده قدرها إزعاجا للمخاطبين عن الركون إليها و الاعتماد عليها و الشغف بها فقال: (عباد الله إنكم و ما تأملون من هذه الدنيا أثوياء مؤجلون) أى أنتم ما ترجونه من هذه الدنيا الدنيه من البقاء و التعيش فيها بمنزله أضياف منزلين فى منزل مقترين إلى أجل

معلوم و وقت معدود (و مدینون مقتضون) ای ما اوتیتم فیها من زبرجها و زخارفها مطالبون بها و محاسبون علیها کالمدیون المطالب بدینه، و قیل استعار لفظ المدین لهم باعتبار وجوب التکالیف المطلوبه منهم و لیس بشیء (أجل منقوص و عمل محفوظ) ای آجالکم منقوصه بمضیّ اللیالی و الأیام و انقضاء الشهور و السنین، و أعمالکم محفوظه بأیدی الکرام الکاتبین.

ثم أشار علیه السلام إلى عدم جواز الاغترار بالأعمال و الابتهاج بها بقوله: (فربّ دائب مضیع و ربّ كادح خاسر) یعنی کم من مجدّد فی العباده متعب نفسه فی الاتیان بها مضیع لها بما يلحقها من العجب و الزیاء و نحو ذلك ممّا يبطلها و یضیعها، کابطاله صدقاته بالمنّ و الأذى، و کم من ساع خاسروهم الأخسرون أعمالا الّذین ضلّ سعيهم فی الحیاه الدّنیاه و هم یحسبون أنّهم یحسنون صنعا، الّذین یأتون بالطاعات فاقدہ لشرائطها المعتره فی القبول كطاعه الخوارج و التّواصب و الغلاصه و من یحذو حذوهم.

(و قد أصبحتم فی زمن لا یزاد الخیر فیہ إلاّ إدبارا و الشّر إلاّ إقبالا) لغلبه اتّباع الهوی و النکوب عن سمت الرشاد و الهدی (و الشیطان فی هلاک النّاس إلاّ طمعا) لأنّه بعد ما ضعف جانب الحقّ و قوی جانب الباطل فهنا لك یطمع إبلیس فی اغواء النّاس و إهلاکهم و یستولی علی أولیائه (فهذا أوان قویت عدّته) استعاره للشّرور و المفساد الّتی هی زاد الشیطان و ذخیرته (و عمّت مکیدته) للنّاس إلاّ الّذین سبقت لهم من الله الحسنی (و أمکت فریسته) أي أمکنته فریسته من نفسها حتّی سهل علیه افتراسها، و هی استعاره لأهل الضّلال باعتبار هلاکهم فی یده و استیلائه علیهم و تمکنه من إغوائهم و إضلالهم ثمّ شرح علیه السلام أنواع الشّرور الّتی لا تزیّد إلاّ إقبالا بقوله: (اضرب بطرفک) أي أمعن النّظر (حيث شئت من النّاس فهل تبصر إلاّ فقیرا یکابد فقرا) أي یتحمّل مشاقته و یقاسی مرارته و متاعبه، و هو إشاره إلى استکراه الفقیر لفقره و استنکافه منه، و لا شک أنّ ذلك محبط لأجره و اضع لقدره

و لذلك قال عليه السلام يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم.

و عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّ لله عقوبات و ثوبات بالفقر، فمن علامه الفقر إذا كان مثوبه أن يحسن إليه خلقه و يطيع ربّه و لا يشكو حاله و يشكر الله تعالى على فقره و من علامته إن يكون عقوبه أن يسوء إليه خلقه و يعصى ربّه و يكثر الشكاية و يتسخط القضاء (أو غتيا بدل نعمه الله كفرا) لأنّ الانسان ليطنى أن رآه استغنى فيلهيه غناه عن ذكر الله تعالى كما قال سبحانه: ألهيكم التكاثر، و قال: إنّما أموالكم و أولادكم فتنه.

بيان ذلك أنّ ذكر الله سبحانه و شكره و الثناء عليه و التفكر فيجلاله يستدعى قلبا فارغا، و الغنى لا فراغ له، و إنّما يصبح و يمسى و هو متفكر في إصلاح ماله، مصروف الحواس إلى حفظه قال عيسى عليه السلام: فى المال ثلاث آفات: أن يأخذه من غير حله، فقيل: إن أخذه من حله، فقال: يضعه فى غير حقه، فقيل: إن وضعه فى حقه، فقال: يشغله إصلاحه عن الله تعالى و فى إحياء العلوم عن النبى صلى الله عليه و آله و سلّم قال: سيأتى بعدكم قوم يأكلون أطائب الدنيا و ألوانها، و يركبون فره الخيل و ألوانها، و ينكحون أجمل النساء و ألوانها و يلبسون أجمل الثياب و ألوانها، لهم بطون من القليل لا تشبع، و أنفس بالكثير لا تقنع، عاكفين على الدنيا، يغدون و يروحون إليها، اتخذوها آلهه من دون إلههم، و ربّا دون ربهم، إلى أمرها ينتهون، و لهواهم يتبعون، فعزيمه من محمّد بن عبد الله لمن أدرك ذلك الزمان من عقب عقبكم و خلف خلفكم أن لا يسلم عليهم و لا يعود مرضاهم، و لا يتبع جنازتهم، و لا يوقر كبيرهم، فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الاسلام (أو بخيلا اتخذ البخل بحق الله و فرا) أى ثروه و كثره فى المال، و لمّا كان البخيل هو الذى لا يطيب قلبه بالعطاء و هذا على اطلاقه ليس حراما و لا من

أفراد الشر الذي أشار عليه السلام إلى اقباله وازدياده ولا جرم خصه بالبخل في عرف الشرع وهو الذي يمنع من أداء الواجب عليه، والبخل في غير الواجب مكروه مذموم وفاعله ملوم، وفي الواجب موجب للعقاب والعتاب مبعد لفاعله من حظيره القدس وحضره رب الأرباب كما قال الله سبحانه: «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (أو متمردا كان باذنه عن سماع المواعظ) والنصائح (وقرا) و ثقلا فلهم أعين لا يبصرون بها، و لهم قلوب لا يفقهون بها، و لهم آذان لا يسمعون بها، ختم الله على قلوبهم و على سمعهم و على أبصارهم غشاوه و لهم عذاب عظيم ثم تحسّر و تأسّف على فوت الخيار و موت الصلحاء الأخيار فقال (أين خياركم و صلحاءكم و أحراركم و سمحاءكم) أى أخياركم و أسخياكم (و أين المتورّعون فى مكاسبهم) المراقبون لشرائط التجارات و المواظبون لرسوم المعاملات الآخذون بوظائف العدل و الانصاف، و المجانيون عن التطفيف و البخس و الاعتساف (و المتنزّهون فى مذاهبهم) أى المتباعدون عن الأخذ بالمقاييس و الاراده الفاسده و بالاستحسانات العقليه و العقائد الكاسده (أليس قد ظعنوا) و ارتحلوا (جميعا عن هذه الدنيا الدنيّه و العاجله المنغصه) المكدره فلم يبق منهم من تأخذون منه مكارم الآداب و الأخلاق، و ترجعون إليه فى صالح الأعمال و الأفعال لعلكم تقتبسوا آثارهم و تتبعوا أفعالهم ثم تبه على حقاره الباقين و رذالتهم فقال (و هل خلفتم إلا فى حثاله لا تلتقى بذمهم الشفتان) أى ما بقيتم إلا فى أوغاد الناس و أرذلهم و طغاتهم و حمقائهم يأنف الانسان أن يذمهم و لا يطبق إحدى الشفتين منه على الاخرى ليتكلّم فيهم (استصغارا لقدرهم و ذهابا) أى ترفعا (عن ذكرهم) و احتقارا لهم (فانا لله و إنا إليه راجعون) من اصابه هذه المصائب و ابتلاء تلك البليّه، فإنّ المبتلى و المصاب إنّما يسترجع إذا وقع فى بليّه أو ابتلى بمصيبه (ظهر الفساد) فى الناس بارتفاع المعروف و اشتهاى المنكر (فلا منكر متغيّر) أى لا يتغيّر فعل منكر لعدم وجود المتغيّر و المنكر

أو لعدم تأثير انكاره لعدم تأثره في نفسه عن قبيح فعله، و يؤيّده ما في بعض النسخ من قوله فلا منكر مغير بدله أى ليس منكر يغير سوء فعله (و لا زاجر مزدجر) عن قبيح عمله فيكون القرينه الثانيه تفسيراً للاولى، و المقصود أنه لا ينتهى التاهى عن المنكر عمّا ينهى عنه، و لا زاجر يزدجر و يتعظ (أ فيهذا) الحال (تريدون أن تجاوروا الله في دار قدسه) و تسكنوا جنّته (و تكونوا أعزّ أوليائه عنده) و تلقوا النضره و السرور، و تنزلوا الغرف و القصور و تشربوا الشراب الطهور و تلبسوا الديباج و الحرير، و تزوجوا بالهور العين، و تخدموا الولدان المخلمدين (هيها ت لا يخدع الله عن جنّته و لا تنال مرضاته إلا بطاعته) لأنّ الخديعه إنّما تجوز على من لا يعلم السرّ دون من هو عالم بالسرّ و أخفى يعلم ما فى السموات و ما فى الأرض و ما بينهما و ما تحت الثرى، فالطمع فى نزول الجنان و الدرجات و نيل الرضوان و المرضاه ليس إلا من اغترار الأنفس و أمانى إبليس، فلا يغرّنكم الحيوه الدنيا و لا يغرّنكم بالله الغرور (لعن الله الأمرين بالمعروف التاركين له، و التاهين عن المنكر العاملين به) لأنّ الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر إنّما هو بعد الاتيان بالأوّل و الانتهاء عن الثانى، قال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون، و قد مضى أخبار كثيره فى هذا المعنى فى شرح الفصل الثانى من فصول الخطبه المأه و الرابعه

الترجمه

از جمله خطب شريفه آن امام مبین و سید وصيین است در ذکر پيمانها و ترازوها بندگان خدا بدرستی که شما و آنچه امید می دارید بآن در این دنیا مهمانانید مهلت داده شده تا مدّت معيّن، و قرض دارانید طلبکاری شده أجل شما أجلی است نقصان یافته، و عمل شما عملی است نگه داشته شده، پس بسا جهد کننده در عبادت که ضایع کننده اوست، و بسا سعی کننده که زیان کار است، و بتحقیق صباح کردید

در زمانی که زیاده نمی شود نیکوئی در آن مگر اِدبار او، و نه بدی مگر اِقبال آن، و نه شیطان لعین در هلاک مردمان مگر طمع او، پس این زمان زمانی است که قوّت یافته ذخیره مهیا شده آن لعین، و فرا گرفته است کید و مگر او غالب خلق را، و دست داده است شکار او بگردان نظر خود را هر جا که می خواهی از مردمان، پس نمی بینی مگر فقیر که می کشد رنج و تعب فقر را، یا غنیّ که بدل نموده نعمت خدا را بکفران، یا بخیلی که أخذ نموده بخل بحقّ خدا را از کثرت مال، یا گردنکشی که گویا در گوش او از شنیدن موعظها سنگینی و گره است، کجایند اخیار شما و صالحین شما و آزاد مردان شما و سخیان شما؟ و کجایند کسانی که پرهیزکار بودند در کسبهای خودشان، و دو روی می جستند از شبه باطله در مذهبهای خودشان؟ آیا رحلت نکردند همگی ایشان از این دنیای پست و بی مقدار، و از این شتاب کننده کدورت آمیز واپس گذاشته نشده اید مگر در پست و بد مردمان که بهم نمی آید بمذمت ایشان لبها بجهت حقیر شمردن قدر ایشان، و بجهت اظهار رفعت از ذکر ایشان پس بدرستی که ما بندگانیم خداوند تعالی را و بتحقیق که ما بسوی او رجوع خواهیم کرد، ظاهر گردید فساد در میان عباد، پس نیست انکار کننده معاصی تغیر دهنده عمل قبیح خود را، و نه منع کننده از قبیح باز دارنده خود از معصیت، آیا پس باین حال می خواهید مجاور باشید خدا را در سرای پاکیزه او، و بشوید عزیزترین دوستان او در نزد او، چه دور است این آرزو، فریب داده نمی شود خدای متعال از بهشت خود، و درک نمی شود خوشنودی او مگر بطاعت او، لعنت کند خدا امر بمعروف کنندگانی که ترک کننده آن معروف باشند، و نهی کنندگان از منکر که عمل کننده باشند بآن منکر.

اشاره

و هو الماء و الثلاثون من المختار فى باب الخطب.

و هو مروى فى روضه الكافى بتفصيل تطلع عليه انشاء الله يا ابا ذر انك غضبت لله سبحانه فارح من غضبت له، ان القوم خافوك على دنياهم و خفتهم على دينك، فاترك فى ايديهم ما خافوك عليه، و اهرب منهم بما خفتهم عليه، فما احوجهم الى ما منعهم، و اغناك عما منعوك، و ستعلم من الزابح غدا، و الأكثر حسدا، و لو ان السموات و الارضين كانتا على عبد رتقا ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجا، لا يونسك إلا الحق، و لا يوحشك إلا الباطل، فلو قبلت دنياهم لأحبوك، و لو قرضت منها لأمنوك.

اللغة

قال الطريحي (الربذه) بالتحريك قريه معروفه قرب المدينه نحو من ثلاثه أميال كانت عامره فى صدر الاسلام فيها قبر أبى ذر الغفارى و جماعه من الصيحابه و هى فى هذا الوقت دارسه لا يعرف لها أثر و لا رسم و (الرتق) ضد الفتق قال الله تعالى: «أَوْ لَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا»، و رتقت المرأه رتقا من باب تعب إذا انسدت مدخل الذكر من فرجها فلا- يستطاع جماعها فهى رتقاء واسع (القرض) القطع و منه الحديث كان بنى إسرائيل إذا أصاب أحدا قطره من بول قرضوا لحومهم بالمقاريض أى قطعوها، و سمي القرض المصطلح و هو ما تعطيه لتفضاه به لأنه قطيعه من مالك (الأمن) ضد الخوف و أمن كفرح أمنا و أمانا بفتحهما.

قد مضى تحقيق الكلام فى ما فى مثل قوله فما أحوجهم فى شرح الخطبه المأه و الثامنه، و ما فى ما منعتهم يحتمل المصدر و الموصول فالعايد محذوف و مثله على الاحتمال الثانى ما فى عمّا منعوك، فافهم

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الكلام حسبما أشار إليه السيّد (ره) قاله لأبى ذرّ لما أخرج إلى الرّبذه بأمر عثمان اللّعين، و ستعلم نبأه بعد حين (يا أبا ذر إنك غضبت) القوم (لله سبحانه فارح من غضبت له) و إنّما أتى بالموصول و لم يقل فارح الله لما فيه من تقرير الغرض المسوق له الكلام، فإنّ المقصود بهذا الكلام تسليه همّ أبى ذرّ رحمه الله و سلب وحشته و كأبته، فإنّه إذا كان غضبه لله سبحانه و فى الله سبحانه خالصا مخلصا فلا بدّ أن يكون رجاه بالله و حرىّ حينئذ عليه سبحانه الذى كان غضبه له أن لا يخيب رجاه و لا يقطع أمله بل يكون مونسه فى الوحشه و أنيسه فى الوحده، و ناصره و معينه و حافظه على كلّ حاله، ففى التّعبير بالموصول زياده تقرير لعدم تخيب رجاه، و فيه من التّسليه له ما لا يخفى (إنّ القوم) أراد به عثمان و معاويه و أمثالهما (خافوك على دنياهم و خفتهم على دينك) يعنى أنّهم خافوا منك أن تفسد دنياهم كما أنّك خفت أن تفسدوا دينك (فاترك فى أيديهم ما خافوك عليه و اهرب منهم بما خفتهم عليه فما أحوجهم إلى ما منعتهم) أيما أعظم احتياجهم إلى منعك إياهم لأنك إنّما تمنعهم من المنكرات و فى هذا المنع لهم من الفوائد ما لا تحصى و فى تركه من المضارّ ما لا تستقصى، أو ما أكثر حاجتهم إلى الذى منعتهم بخروجك من بين أظهرهم و هو دينك الذى خفتهم عليه (و) ما (أغناك عمّا منعوك) أى ما كثر غنائك عن الذى منعوك منه و هو دنياهم التى خافوك عليها (و ستعلم من الرّابع غدا) أى فى الآخره (و الأكثر حسّدا) ثمّ أراد زياده ترغيبه فى الثّقه و الاعتماد على الله سبحانه فقال (و لو أنّ

السَّموات و الأرضين كانتا على عبد رتقا) أى مرتقين منسدين و هو كناية عن شدّه الضيق أى لو كان العبد فى غاية الشده و نهايه الضيق و الضيق بحيث ضاقت عليه السَّموات و الأرض بما رحبت (ثم اتقى الله) سبحانه (لجعل الله له منهما مخرجا) حسبما وعده فى الكتاب العزيز بقوله: و من يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب و من يتوكل على الله فهو حسبه.

(لا- يونسنك إلا- الحق و لا- يوحشّنك إلا الباطل فلو قبلت دنياهم) و لم تمنعهم من زبرجها و زخارفها و قيناتها (لأحبوك و لو قرضت منها) و قطعت قطيعه لنفسك من مالها و قبلت ما يعطونك منها إليك (لأمنوك) أى كنت فى أمن من شرورهم، و لم يصل إليك إذا هم

تنبيه

فى ذكر نبد من أحوال أبى ذر و فضائله و كيفيه اسلامه و اخراجه

الى الربذه

فأقول: أبو ذر اسمه جندب (١) ابن السِّكن كما قاله الطريحي، أو جندب ابن جناده كما قاله المجلسي و هو الأشهر فسماه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عبد الله، و هو من بنى غفار و زان كتاب أمّا كيفيه اسلامه ففى الروضه من الكافى عن أبى على الأشعري عن محمّد ابن عبد الجبار عن عبد الله بن محمّد عن سلمه اللؤلؤى عن رجل عن أبى عبد الله عليه السلام قال: ألا أخبركم كيف كان إسلام سلمان و أبى ذر؟ فقال الرجل و أخطأ: أمّا إسلام سلمان فقد عرفته فأخبرنى بإسلام أبى ذر، فقال: إنّ أباً ذر كان فى بطن مّرىعى غنما فأتى ذئب عن يمين غنمه فهشّ (٢) بعصاه على الذئب فجاء الذئب عن شماله فهشّ عليه أبو ذر فقال له أبو ذر ما رأيت ذئبا أخبث منك و لا شرّاً، فقال الذئب:

و الله شرّ منى أهل مكّه بعث الله عزّ و جلّ نبيا فكذبوه و شتموه، فوقع فى اذن

ص: ٢٣٨

١- (١) جندب وزان درهم كما فى القاموس

٢- (٢) اى صال م

أبى ذر فقال لامرءته هلمى مزودى و إداوتى و عصاى، ثم خرج على رجليه يريد مكه ليعلم خبر الذئب و ما أتاه به حتى بلغ مكه، فدخلها فى ساعه حارّه و قد تعب و نصب و أتا زمزم و قد عطش فاغترف دلوا فخرج لبنا، فقال فى نفسه: هذا داله يدلنى على أنّ خبر الذئب و ما جئت له حقّ فشرب و جاء إلى جانب من جوانب المسجد فاذا حلقة من قريش فجلس إليهم فرآهم يشتمون النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم كما قال الذئب، فما زالوا فى ذلك من ذكر النبىّ و الشتم له حتى جاء ابو طالب من آخر النهار، فلما رأوه قال بعضهم لبعض: كفّوا فقد جاء عمّه، قال: فكفّوا، فما زال يحدثهم و يكلمهم حتى كان آخر النهار، ثم قام و قمت على اثره فالتفت إليّ فقال: اذكر حاجتك، فقلت هذا النبىّ المبعوث فيكم؟ قال: و ما تصنع به؟ قلت: او من به و صدّقه و أعرض عليه نفسى و لا يأمرنى بشىء إلاّ أطعته، فقال: و تفعل؟ فقلت: نعم، قال:

فقال: غدا فى هذا الوقت إليّ حتى أذفعك إليه، قال: فبتّ تلك الليله فى المسجد حتى إذا كان الغد جلست معهم، فما زالوا فى ذكر النبىّ و شتمه حتى طلع ابو طالب فلما رأوه قال بعضهم لبعض امسكوا فقد جاء عمّه فأمسكوا فما زال يحدثهم حتى قام فتبعته فسلمت عليه فقال: اذكر حاجتك، فقلت: النبىّ المبعوث فيكم؟ قال: و ما تصنع به؟ قلت: أو من به و صدّقه و أعرض عليه نفسى و لا يأمرنى بشىء إلاّ أطعته قال: و تفعل؟ قلت: نعم، قال: قم معى، فتبعته فدفعتنى إلى بيت فيه حمزه عليه السّلام فسلمت عليه و جلست فقال لى: ما حاجتك؟ فقلت: هذا النبىّ المبعوث فيكم؟ قال: و ما حاجتك إليه؟ قلت: أو من به و صدّقه و أعرض عليه نفسى و لا يأمرنى بشىء إلاّ أطعته، فقال: تشهد أن لا إله إلاّ الله و أنّ محمّدا رسول الله، قال: فشهدت قال:

فدفعتنى حمزه إلى بيت فيه جعفر فسلمت عليه و جلست، فقال لى جعفر: ما حاجتك؟ فقلت: هذا النبىّ المبعوث فيكم؟ قال: و ما حاجتك إليه؟ قلت: أو من به و صدّقه و أعرض عليه نفسى و لا يأمرنى بشىء إلاّ أطعته، فقال: تشهد أن لا إله إلاّ الله و وحده لا شريك له و أنّ محمّدا عبده و رسوله، قال: فشهدت، فدفعتنى إلى بيت فيه علىّ عليه السّلام فسلمت و جلست فقال: ما حاجتك؟ قلت: هذا النبىّ المبعوث فيكم؟ قال: و ما

حاجتك إليه؟ قلت: أومن به و اصدقه و أعرض عليه نفسى، و لا- يأمرنى بشىء إلا- أطعته، قال: تشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله، قال: فشهدت فدفعتنى إلى بيت فيه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فسلمت و جلست فقال لى رسول الله: ما حاجتك؟ قلت:

النبي المبعوث فيكم؟ قال: و ما حاجتك إليه؟ قلت: أومن به و اصدقه و لا يأمرنى بشىء إلا أطعته، فقال: تشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله صلى الله عليه و آله، فقال لى: يا باذر انطلق إلى أهلِكَ فإنك تجد ابن عم لك قد مات و ليس له وارث غيرك، فخذ ما له و أقم عند أهلِكَ حتى يظهر أمرنا، قال: فرجع أبو ذر و أخذ و أقام عند أهله حتى ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقال أبو عبد الله عليه السلام: هذا حديث أبى ذر و إسلامه «رض»

و أما مناقبه الجميله و خصاله الحميده و كراماته البديعه

فأكثر من أن تحصى، و كفى فى فضله اختصاصه برسول الله و كونه من خيار صحابته و تالى مرتبه سلمان و أنه ارتد الناس بعد رسول الله إلى أعقابهم القهقرى و لم يبق غيرهما و غير عمّار و المقداد و قد قال فيه رسول الله ما أقلت الغبراء و لا- أظلت الخضراء على ذى لهجه أصدق من أبى ذر، قيل بماذا فضله الله بهذا و شرفه؟ قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: لأنه كان بفضل على أخى رسول الله قوّال و له فى كلّ الأحوال مدّاحا، و لشائنه و أعدائه شائنا، و لأوليائه و أحبائه مواليا، سوف يجعله الله فى الجنان من أفضل سكانها، يخدمه ما لا يعرف عدده إلا الله من وصايفها و غلمانها و ولدانها.

و عن على بن إبراهيم عن الصّيدق عليه السلام قال: نزل قوله تعالى: إنّ الذين آمنوا و عملوا الصالحات كانت لهم جنّات الفردوس نزلا، فى أبى ذر و المقداد و سلمان و عمّار.

و فى الكافى عن سهل عن محمّد بن عبد الحميد عن يونس عن شعيب العقر قوفى

قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام شيء يروى عن أبي ذر رضى الله عنه أنه كان يقول ثلاث يبغضها الناس و أنا أحبها: أحب الموت، و أحب الفقر، و أحب البلاء، فقال: إن هذا ليس على ما تروون إنما عنى الموت فى طاعه الله أحب إلى من الحياه فى معصيه الله و البلاء فى طاعه الله أحب إلى من الصّحه فى معصيه الله، و الفقر فى طاعه الله أحب إلى من الغنى فى معصيه الله و فى تفسير الامام عند تفسير قوله: الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصّلاه، قال: و حدّثنى أبى عن أبىه أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم كان من خيار أصحابه أبو ذر الغفارى فجاء ذات يوم فقال: يا رسول الله إنّ لى غنيمات قدر ستين شاه أكره أن ابدئه فيها و افارق حضرتك و خدمتك، و أكره أن أكلها إلى راع فيظلمها و يسىء رعيها، فكيف أصنع؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم ابدء فيها فبدء فيها، فلمّا كان فى اليوم السابع جاء إلى رسول الله فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: يا أبا ذرّ، فقال لبيّك يا رسول الله، قال: ما فعلت غنيماتك؟ فقال: يا رسول الله إنّ لها قصّه عجيبه، قال: و ما هى؟ قال يا رسول الله بينا أنا فى صلاتى إذ عدا الذئب على غنمى فقلت: يا ربّ صلاتى يا ربّ غنمى فأثرت صلاتى فأحضر الشيطان ببالى يا أبا ذرّ أين أنت إن عدت الذئاب على غنمك و أنت تصلّى فأكلها كلّها و ما بقى لك فى الدّنيا ما تتعّيش به؟ فقلت للشيطان: يبقى لى توحيد الله و الايمان بمحمّد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و موالاه أخيه سيّد الخلق بعده على ابن أبى طالب عليه السلام و موالاه الأئمه الهادين الطّاهرين من ولده عليهم السلام و معاداه أعدائهم و كلّما فات من الدّنيا بعد ذلك سهل و أقبلت على صلاتى، فجاء ذئب فأخذ حملا و ذهب به و أنا أحسّ به إذ أقبل على الذئب أسد قطعه نصفين و استنقذ الحمل و ردّه إلى القطيع ثمّ نادى يا أبا ذرّ اقبل على صلاتك فإنّ الله قد و كلنى بغنمك إلى أن تصلّى، فأقبلت على صلاتى و قد غشبنى التّعجب ما لا- يعلمه إلا- الله تعالى حتّى فرغت منها، فجاءنى الأسد و قال لى امض إلى محمّد فأخبره إنّ الله تعالى قد أكرم صاحبك الحافظ شريعتك و و كل أسدا بغنمه يحفظها، فتعجّب من كان حول رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم صدقت يا أبا ذرّ و لقد آمنت به أنا و على و فاطمه و الحسن و الحسين، فقال بعض المنافقين:

هذا بمواطاه بين محمّد و أبي ذر يريد أن يخذعنا بغروره و اتفق منهم عشرون رجلا و قالوا نذهب إلى عنمه فنظر إليها و نظر إلى أبي ذر إذا صلى هل يأتي الأسد و يحفظ غنمه فنبين بذلك كذبه، فذهبوا و نظروا و أبو ذر قائم يصلي و الأسد يطوف حول غنمه و يريها و يردّ إلى القطيع ما يشدّ عنه منها حتى إذا فرغ من صلاته ناداه الأسد هات قطيعك مسلّما وافر لعدو سالما، ثم ناداهم الأسد معاشر المنافقين أنكرتم تولّى محمّد و عليّ و الطيّبين من آلها و المتوسّل إلى الله تعالى بهما أن يسخرني ربّي لحفظ غنمه، و الّمدى أكرم محمّدا و آله الطيّبين، لقد جعلني الله طوع يدي أبي ذر حتى لو أمرني باقتراسكم و إهلاكم لأهلككم، و الّذى لا يحلف بأعظم منه لو سئل الله بمحمّد و آله الطيّبين أن يحول البحار دهن زنبق و بان و الجبل مسكا و عنبرا و كافورا و قضبان الأشجار قضب الزّمرد و الزّبرجد لما منعه الله ذلك، فلما جاء أبو ذر إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم قال: يا أبا ذر إنك أحسنت طاعه الله فسخر الله لك من يطيعك في كفّ العواري عنك، فأنت من أفضل من مدحه الله عزّ و جلّ بأنهم يقيمون الصّلاه

و أما كيفيه اخراجه الى الرّبذه و ما جرى بينه و بين عثمان

فقد رواه العامّه و الخاصّه قال الشّارح المعتزلي و علم الهدى في محكّي الشافى و اللفظ للثاني: إنّ عثمان لّمّا أعطى مروان بن الحكم ما أعطاه و أعطى الحرث بن الحكم بن أبي العاص ثلاثمأه ألف درهم، و أعطى زيد بن ثابت مائة ألف درهم جعل أبو ذر يقول: بشر الكافرين بعذاب أليم، و يتلو قول الله عزّ و جلّ الذين يكتزون الذهب و الفضة و لا ينفقونها في سبيل الله فيسّرهم بعذاب أليم، فرجع ذلك مروان إلى عثمان، فأرسل إلى أبي ذر رحمه الله نائلا- مولاه أن انته عمّا يبلغني عنك، فقال: أ ينهاني عثمان عن قراءه كتاب الله عزّ و جلّ و عيب من ترك أمر الله فوالله لأن أرضى الله بسخط عثمان أحبّ إليّ و خير لي من أن أرضى عثمان بسخط الله، فأغضب عثمان ذلك فأحفظه و تصابر، و قال عثمان يوما: أ يجوز للامام أن يأخذ من المال فاذا أيسر قضاه؟ فقال كعب الأخبار: لا بأس بذلك، فقال أبو ذر رحمه الله: يا بن اليهوديين أتعلّمنا ديننا؟ فقال عثمان: قد كثر أذاك لي و تولعك بأصحابي الحق بالشّام،

فأخرجه إليها، فكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها، فبعث إليه معاوية ثلاثمائة دينار فقال أبو ذر: إن كانت من عطائي الذي حرمتونه عامي هذا قبلتها، وإن كانت صلته فلا حاجه لي فيها وردّها عليه، وبنى معاوية الخضراء بدمشق فقال أبو ذر: يا معاوية إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهو الاسراف، فكان أبو ذر يقول: والله لقد حدثت أعمالا ما أعرفها والله ما هي في كتاب الله ولا في سنّه نبيّه، والله إنّي لأرى حقًا يطفأ و باطلا يحيى و صادقًا مكذّبا و اثره بغير تقى و صالحا مستأثرا عليه و قال حبيب بن مسلمة الفهرى لمعاوية: إنّ أبا ذر لمعضد عليكم الشّام فتدارك أهله إن كان لكم فيه حاجه، فكتب معاوية إلى عثمان إلى معاوية أما بعد فاحمل جنيدبا إلىّ على أغلظ مركب و أوعره، فوجه به مع من سار به الليل و النّهار، و جملة على شارف ليس عليها إلاّ قتب حتّى قدم بالمدينه و قد سقط لحم فخذيه من الجهد.

أقول: و عن المسعودى فى مروج الذهب أنّه ردّ الى المدينه على بعير عليه قتب يابس معه خمسمائه من الصّيقاليه يطردون به حتّى أتوا به المدينه و قد تسلّخت بواطن أفخاذه و كاد يتلف، ف قيل له: إنّك تموت، قال: هيهات لن أموت حتّى انفى قال السيّد(١) ره و فى روايه الواقدي إنّ أبا ذر لما دخل على عثمان قال:

لا أنعم الله بك عينا يا جنيدب، فقال أبو ذر رحمه الله: أنا جندب و سمّانى رسول الله عبد الله فاخترت اسم رسول الله الذى سمّانى به على اسمي، فقال عثمان: أنت الذى تزعم أنّا نقول إنّ يد الله مغلوله و إنّ الله فقير و نحن أغنياء؟ فقال أبو ذر: لو كنتم لا تزعمون لأنفقتم مال الله على عباده، و لكن اشهد أنّى سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول:

إذا بلغ ابن أبى العاص ثلاثين رجلا- جعلوا مال الله دولا، و عباد الله خولا(٢)، و دين الله دخلا- ثم يريح عباد الله منهم، فقال عثمان لمن حضر: أسمعتموها من رسول الله؟

ص: ٢٤٣

١- (١) أى علم الهدى م

٢- (٢) أى عبيدا و خدما يستعبدونهم و يستخدمونهم، منه

فقالوا: ما سمعناه، فقال عثمان: ويلك يا أبا ذر أتكذب على رسول الله؟ فقال أبو ذر لمن حضر: أما تظنون أنى صدقت؟ قالوا: لا والله ما ندرى، فقال عثمان: ادعوا لى عليا فدعى فلما جاء قال عثمان لأبى ذر: اقصص عليه حديثك فى بنى أبى العاص، فحدّثه، فقال عثمان لعلّى: هل سمعت هذا من رسول الله؟ فقال: لا وصدق أبو ذر، فقال:

كيف عرفت صدقه؟ فقال: لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذى لهجه أصدق من أبى ذر، فقال من حضر (1) من أصحاب النبى جميعا: لقد صدق أبو ذر، فقال أبو ذر: أحدّثكم أنى سمعت هذا من رسول الله ثم تتهمونى ما كنت أظن أن أعيش حتى أسمع من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

قال السّيد (ره): وروى الواقدى فى خبر آخر باسناده عن صهبان مولى الأسلميين قال: رأيت أبا ذر يوما دخل به على عثمان فقال له: أنت الذى فعلت و فعلت؟ فقال له أبو ذر: قد نصحتك فاستغششتنى و نصحت صاحبك فاستغشّنى، فقال عثمان: كذبت و لكنك تريد الفتنة و تحبّها قد قلبت الشّام علينا، فقال له أبو ذر:

اتّبع سنّه صاحبيك لا يكون لأحد عليك كلام، فقال له عثمان: ما لك و ذلك لا أم لك، فقال أبو ذر و الله ما وجدت لى عذرا إلا الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، فغضب عثمان فقال: أشيروا لى فى هذا الشيخ الكذاب إمّا أن أضربه أو أحبسه أو أقتله فإنّه قد فرّق جماعه المسلمين أو أنفيه من الأرض، فتكلّم لى عليه السّلام و كان حاضرا فقال: أشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون قال: إن يك كاذبا فعليه كذبه و إن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم إنّ الله لا يهدى من هو مسرف كذاب فأجابه عثمان بجواب غليظ لم احبّ أن أذكره و أجابه لى عليه السّلام مثله أقول هذا الجواب الذى لم يحبّ ذكره هو قوله لعنه الله: بفيك التراب، فأجابه عليه السّلام بقوله: بل بفيك التراب كما يأتى فى روايه تقريب المعارف قال الواقدى: ثم إنّ عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذر و يكلموه، فمكث كذلك أيّاما ثم أمر أن يؤتى به، فلما أتى به و وقف بين يديه قال: ويحك يا عثمان أما رأيت رسول الله و رأيت أبا بكر و عمر هل رأيت هديك هديهم إنك لتبشش

ص: ٢٤٤

فى بطش جبّار، فقال: اخرج عَنّا من بلادنا، فقال أبو ذر: فما أبغض إلّى جوارك فالى أين أخرج؟ قال: حيث شئت، قال: فأخرج إلى الشّام أرض الجهاد، فقال:

إنما أجلبتكَ من الشّام لما قد أفسدتها أفردك إليها؟ قال: إذا أخرج إلى العراق قال: لا، قال: و لم؟ قال: تقدم على قوم أهل شبهه و طعن على الأئمّه، قال: فأخرج إلى مصر، قال: لا، قال: فالى أين أخرج قال: حيث شئت فقال هو إذا التعرّب بعد الهجره أخرج إلى نجد، قال عثمان: الشّرف الشّرف الا بعد أقصى فأقصى، فقال أبو ذر: قد أبيت ذلك علىّ، قال: امض على وجهك هذا و لا تعودنّ الرّبذه و فى البحار من تقريب المعارف لأبى الصّلاح عن الثّقفى فى تاريخه عن عبد الملك ابن أختى أبى ذر قال: كتب معاويه إلى عثمان: إنّ أبا ذر قد حرّف قلوب أهل الشّام و بَغَضَكَ إليهم فما يستفتون غيره و لا يقضى بينهم إلّا هو، فكتب عثمان إلى معاويه أن احمل أبا ذر على ناب صعب و قتب ثمّ ابعث معه من يبخش به بخشا(1) عنيفا حتّى يقدم به علىّ، قال: فحمله معاويه على ناقه صعبه عليها قتب ما على القتب إلّا مسح ثمّ بعث معه من يسيره سيرا عنيفا و خرجت معه فما لبث الشّيخ إلّا قليلا حتّى سقط مايلى القتب من لحم فخذيّه و قرح، فكنت إذا كان اللّيل أخذت ملائى فالقيتهما تحته فاذا كان السّحر نزعتهما مخافه أن يرونى فيمنعونى من ذلك حتّى قدمنا المدينه، و بلغ عثمان ما لقي أبو ذر من الوجع و الجهد فحجبه جمعه و جمعه حتّى مضت عشرون ليله أو نحوها و أفاق أبو ذر ثمّ أرسل اليه و هو معتمد على يدي فدخلنا عليه و هو متكى، فاستوى قاعدا فلما دنى أبو ذر منه قال عثمان:

لا أنعم الله بعمرو عينا تحيه السّخط إذا التقينا

فقال له أبو ذر: فو الله ما سمّانى الله عمرا و لا سمّانى أبواى عمرا و إنّى على العهد الذى فارقت عليه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم ما غيرت و لا بدّلت، فقال له عثمان: كذبت لقد كذبت على نبينا و طعنت فى ديننا و فارقت رأينا و ضغنت قلوب المسلمين علينا، ثمّ قال لبعض غلمانّه: ادع لى قريشا، فانطلق رسوله فما لبثنا أن امتلاء البيت من

ص: ٢٤٥

١- (١) البخش بالجيم الاسراع و بالخاء المعجمه الحثّ و السوق الشديده و التحريك للايذاء، منه

رجال قريش، فقال لهم عثمان إننا أرسلنا إليكم في هذا الشيخ الكذاب الذى كذب على نبينا و طعن فى ديننا و ضغن قلوب المسلمين علينا، و إنى قد رأيت أن أقتله أو أصلبه أو أنفيه من الأرض، فقال بعضهم: رأينا لرأيتك تبع، و قال بعضهم: لا تفعل فإنه صاحب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و له حقّ فما منهم أحد أدى الذى عليه فيناهم كذلك إذا جاء على بن أبى طالب يتوكأ على عصا سراً، فسلم عليه و نظر و لم يجد مقعداً فاعتمد على عصاه فما أدري أتخلف عهد أم يظنّ به غير ذلك، ثم قال على فيما أرسلتم إلينا؟ قال عثمان: أرسلنا إليكم فى أمر قد فرّق لنا فيه الرأى فأجمع رأينا و رأى المسلمين فيه على أمر، قال على عليه السلام: و لله الحمد أما أنكم لو أشرتمونا لم نألکم نصيحته، فقال عثمان: إننا أرسلنا إليكم فى هذا الشيخ الذى قد كذب على نبينا و طعن فى ديننا و خالف رأينا و ضغن قلوب المسلمين علينا، و قد رأينا أن نقتله أو نصلبه أو ننفيه من الأرض، قال على عليه السلام أفلا أدلکم على خير من ذلكم و أقرب رشداً تتركونه بمنزله آل فرعون «إن يك كاذباً فعليه كذبه و إن يك صادقاً يصبكم بعض الذى يعدكم إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب» فقال عثمان لعنه الله: بفيك التراب، فقال له على عليه السلام بل بفيك التراب، و سيكون به فأمر بالناس فاخرجوا و فى تفسير على بن إبراهيم القمى فى قوله تعالى: و إذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم الآيه، أنها نزلت فى أبى ذر رحمه الله و عثمان بن عفان، و كان سبب ذلك لما أمر عثمان بن عفان بنفى أبى ذر إلى الرّبذه، دخل عليه أبو ذر و كان عليلاً متوكئاً على عصاه و بين يدي عثمان مائة ألف درهم قد حملت إليه من بعض النّواحي و أصحابه حوله ينظرون إليه و يطمعون أن يقسمها فيهم، فقال أبو ذر لعثمان: ما هذا المال؟ فقال له عثمان: مائة ألف درهم حملت إليّ من بعض النّواحي اريد أن أضمّ إليها مثله و أرى فيه رأى، فقال أبو ذر: يا عثمان أيما أكثر مائة ألف درهم أو أربعة دنانير؟ فقال: بل مائة ألف درهم، فقال: أما تذكر أنا و أنت و قد دخلنا على رسول الله عشيّاً فرأينا كئيباً حزينا فسلمنا عليه فلم يردّ علينا السلام، فلما أصبحنا أتينا فرأينا ضاحكاً مستبشراً فقلنا له: بأبائنا و أمهاتنا دخلنا عليك البارحة فرأيناك

كثييا حزينا، ثم عدنا إليك اليوم فرأيناك ضاحكا مستبشرا، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: نعم كان قد بقي عندي من فيء المسلمين أربعة دنائير لم أكن قسيتها وخفت أن يدركني الموت وهي عندي وقد قسيتها اليوم واسترحت منها، فنظر عثمان إلى كعب الأخبار فقال له: يا أبا إسحاق ما تقول في رجل أدى زكاه ماله المفروضه هل يجب عليه فيما بعد ذلك شيء؟ فقال: لا ولو اتخذ لبنه من ذهب ولبنه من فضة ما وجب عليه شيء، فرفع أبو ذر عصاه و ضرب به رأس كعب ثم قال له: يا ابن اليهودية الكافره ما أنت و النظر في أحكام المسلمين قول الله أصدق من قولك حيث قال:

«الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارٍ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ».

فقال عثمان: يا أبا ذر إنك شيخ قد خرفت و ذهب عقلك و لو لا صحبتك لرسول الله لقتلتك، فقال: كذبت يا عثمان أخبرني حبيبي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال: إنهم لا- يفتنونك و لا يقتلونك و أما عقلي فقد بقي منه ما أحفظ حديثا سمعته من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيك و في قومك، فقال: ما سمعت في و في قومي؟ قال: سمعته يقول: إذا بلغ آل أبي العاص ثلثة- ثين رجلا- صيروا مال الله دولا- و كتاب الله دخلا، و عباده خولا و الفاسقين حزبا و الصالحين حربا، فقال عثمان: يا معشر أصحاب محمد هل سمع أحد منكم هذا من رسول الله؟ قالوا: لا ما سمعنا هذا من رسول الله، فقال عثمان:

ادع لي عليا ف جاء أمير المؤمنين عليه السلام فقال له عثمان: يا أبا الحسن انظر ما يقول هذا الشيخ الكذاب، فقال عليه السلام: مه يا عثمان لا- تقل كذاب فأنى سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: ما أظلت الخضراء و لا أقلت الغبراء على ذى لهجه أصدق من أبي ذر فقال

أصحاب رسول الله: صدق أبو ذر فقد سمعنا هذا من رسول الله، فبكى أبو ذر عند ذلك فقال: ويلكم كلكم قد مدّ عنقه إلى هذا المال ظننتم أنى أكذب على رسول الله، ثم نظر إليهم فقال: من خيركم؟ فقالوا أنت تقول إنك خيرنا قال: نعم خلفت حبيبي رسول الله على هذه الجبّه و هو علىّ بعد و أنتم قد أحدثتم أحداثا كثيرة و الله سائلكم عن ذلك و لا- يسألنى، فقال عثمان: يا أبا ذر أسألك بحق رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلا ما أخبرتنى عن شىء أسألك عنه، فقال أبو ذر: و الله لو لم تسألنى بحق رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أيضا لأخبرتكم فقال: أى البلاد أحب إليك أن تكون فيها؟ قال: مكّه حرم الله و حرم رسوله أعبد الله فيها حتى يأتينى الموت، فقال: لا- و لا كرامه، قال: المدينة حرم رسول الله قال: لا و لا كرامه لك، قال: فسكت أبو ذر، فقال عثمان: أى البلاد أبغض إليك أن تكون فيها؟ قال: الرّبذه التى كنت فيها على غير دين الاسلام، فقال عثمان:

سر إليها، قال أبو ذر: قد سألتنى فصدقتك و أنا أسألك فاصدقنى، قال: نعم فقال:

أخبرنى لو بعثتنى فيمن بعثت من أصحابك إلى المشركين فأسرونى فقالوا لا نفديه إلا بثلاث ما تملك، قال: كنت أفديك، قال: فان قالوا لا نفديه إلا بنصف ما تملك، قال:

كنت أفديك، قال فان قالوا لا نفديه إلا بكل ما تملك قال كنت أفديك، قال أبو ذر رحمه الله: الله أكبر قال لى حبيبي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يوما: يا أبا ذر كيف أنت إذا قيل لك: أى البلاد أحب إليك فتقول: مكّه حرم الله و حرم رسوله أعبد الله فيها حتى يأتينى الموت، فيقال لك لا و لا كرامه لك، فتقول: فالمدينة حرم رسول الله، فيقال لك لا و لا كرامه لك ثم يقال لك أى البلاد أبغض إليك أن تكون فيها، فتقول: الرّبذه التى كنت فيها على غير دين الاسلام، فيقال لك سر إليها، فقلت:

إنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ فقال: إى و الذى نفسى بيده إنّه لكائن فقلت: يا رسول الله أفلا أضع سيفى هذا على عاتقى فأضرب به قدما قدما؟ قال صلى الله عليه و آله و سلم: لا، اسمع و اسكت و لو لعبد حبشىّ و قد أنزل الله تعالى فيك و فى عثمان آيه، فقلت: و ما هى يا رسول الله فقال: قوله تبارك و تعالى: «وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَ لَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَ إِنْ يَأْتُواكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَ هِيَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَ مَا لِلَّهِ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ » و فى الرّوضه من الكافى عن سهل عن محمّد بن الحسن عن محمّد بن حفص التميمى قال حدّثنى أبو جعفر الخنعمى قال:

لما سیر عثمان أبا ذرّ إلى الرّبذه شيّعه أمير المؤمنين و عقيل و الحسن و الحسين عليهم السّلام و عمّار بن ياسر رضى الله عنه، فلما كان عند الوداع قال أمير المؤمنين عليه السّلام: يا أبا ذر إنّما غضبت لله عزّ و جلّ فارح من غضبت له إنّ القوم خافوك على دينارهم و خفتهم على دينك فارحلوك عن الفناء و امتحنوك بالبلاء، لو كانت السّماوات و الأرض على عبد رتقا ثم اتقى الله جعل له مخرجا، لا يؤنسك إلا الحقّ و لا يوحشك إلا الباطل ثم تكلم عقيل و قال: يا أبا ذر أنت تعلم أنّا نحبك و نحن نعلم أنّك تحبنا و أنت قد حفظت فينا ما ضيع الناس إلا القليل، فتوابك على الله عزّ و جلّ، و لذلك أخرجك المخرجون و سيرك المسيرون، فتوابك على الله عزّ و جلّ فاتق الله و اعلم أنّ استعفاؤك البلاء من الجزع و استبطاؤك العافيه من الأياس فدع

الأياس و الجزع فقل: حسبى الله و نعم الوكيل.

ثم تكلم الحسن عليه السلام و قال: يا عمّاه إنّ القوم قد أتوا إليك ما قد ترى و أنّ الله بالمنظر الأعلى، فدع عنك ذكر الدنيا بذكر فراقها، و شدّه ما يرد عليك لرخاء ما بعدها، و اصبر حتّى تلقى نبيك صلى الله عليه و آله و سلّم و هو عنك راض إن شاء الله.

ثم تكلم الحسين عليه السلام فقال: يا عمّياه إنّ الله تبارك و تعالى قادر أن يغيّر ما ترى و هو كلّ يوم فى شأن، القوم منعوك دنياهم و منعتهم دينك فما أغناك عمّيا منعوك و أحوجهم إلى ما منعتهم فعليك بالصّبر، و إنّ الخير فى الصّبر و الصّبر من الكرم و دع الجزع فإنّ الجزع لا يغنيك

ص: ٢٤٨

ثم تكلم عمّار رضى الله عنه فقال: يا أبا ذرّ أوحش الله من أوحشك و أخاف من أخافك، أنّه و الله ما منع الناس أن يقولوا الحقّ إلّا الرّكون إلى الدّنيا و الحبّ لها، ألا إنّما الطاعة على الجماعة و الملك لمن غلب عليه، و إنّ هؤلاء القوم دعوا الناس إلى دنياهم فأجابوهم إليها و وهبوا لهم دينهم فخسروا الدّنيا و الآخره ذلك هو الخسران المبين.

ثم تكلم أبو ذر رحمه الله فقال: عليكم السّلام و رحمه الله و بركاته بأبى و أمى هذه الوجوه، فأتى إذا رأيتمكم ذكرت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بكم و مالى بالمدينه شجن و لا سكن غيركم و إنّهُ ثقل على عثمان جوارى بالمدينه كما ثقل على معاويه فألى أن يسيرنى إلى بلده و طلبت إليه أن يكون ذلك إلى الكوفه، فزعم أنّه يخاف أن أفسد على أخيه الناس بالكوفه و آلى بالله ليسيرنى إلى بلده لا أرى بها أنيسا و لا أسمع بها حسيسا و إتى و الله ما يريد إلّا الله عزّ و جلّ صاحبا و مالى مع الله و حشه حسبى الله لا- إله إلّا- هو عليه توكلت و هو ربّ العرش العظيم و صلّى الله على محمّد و آله الطاهرين و فى البحار عن المسعودى فى مروج الذهب بعد أن أورد كيفيّة ردّ عثمان له رحمه الله إلى المدينه و ساق الحديث إلى نفيه له منها قال:

فقال له عثمان: و اوجهك عنى قال: أسير إلى مكّه، قال: لا و الله، قال فألى الشّام، قال: لا و الله، قال: فألى البصره قال: لا و الله فاختر غير هذه البلدان، قال لا و الله لا أختار غير ما ذكرت لك و لو تركتني فى دار هجرتي ما أردت شيئا من البلدان فسيرنى حيث شئت من البلاد، قال إننى اسيرك إلى الرّبذه، قال: الله أكبر صدق رسول الله قد أخبرنى بكلّ ما أنا لاق قال: و ما قال لك؟ قال: أخبرنى أنى امنع من مكّه و المدينه و أموت بالرّبذه و يتولّى دفنى نفر يريدون العراق إلى نحو الحجاز و بعث أبو ذر إلى جمل فحمل عليه امرأته و قيل ابنته، و أمر عثمان أن يتجافاه الناس حتّى يسير إلى الرّبذه و لمّا طلع عن المدينه و مروان يسيره عنها طلع علىّ بن ابى طالب عليه السّلام و معه الحسن و الحسين عليهما السّلام و عقيل أخوه و عبد الله بن جعفر و عمّار بن ياسر فاعترض

مروان و قال: يا عليّ إنّ أمير المؤمنين نهى الناس أن يمنحوا أبا ذر أو يشيعوه، فان كنت لم تعلم بذلك فقد أعلمتك، فحمل عليه السّلام عليه بالسّوط و ضرب بين اذني ناقة مروان و قال تنحّ نحاك الله إلى النار، و مضى مع أبي ذر فشيّعه ثم ودّعه و انصرف فلمّا أراد عليه السّلام الانصراف بكى أبو ذر و قال: رحمكم الله أهل البيت إذا رأيتك يا أبا الحسن و ولدك ذكرت بكم رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فشكى مروان إلى عثمان ما فعل به عليّ عليه السّلام، فقال عثمان: يا معشر المسلمين من يعذرني من عليّ ردّ رسولي عمّا وجهته له و فعل و فعل و الله لنعطينه حقّه، فلمّا رجع عليّ عليه السّلام استقبله الناس و قالوا: إنّ أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك أبا ذر، فقال عليّ عليه السّلام: غضب الخيل على اللّجج، فلمّا كان بالعشى و جاء عثمان قال: ما حملك على ما صنعت بمروان و لم اجترأت عليّ ورددت رسولي و أمرى؟ فقال: أمّا مروان فاستقبلني بردى فرددته عن ردّي، و أمّا أمرك لم أردّه، فقال:

ألم يبلغك أنّي قد نهيت الناس عن أبي ذرّ و تشييعه؟ فقال عليّ عليه السّلام أو كلّما أمرتنا به من شيء نرى طاعه الله و الحقّ في خلافه اتبعنا فيه أمرك لعمر الله ما نفعل، فقال عثمان: أقدم مروان، قال: و ممّ أقيّد قال: ضربت بين اذني راحلته و شتمته فهو شاتمك و ضارب بين اذني راحلتك، قال عليّ أمّا راحلتي فهي تلك فان أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فعل، و أمّا أنا فوالله لئن شتمني لأشتمنك بمثله لا- كذب فيه و لا- أقول إلاّ حقاً، قال عثمان: و لم لا يشتمك إذا شتمته فوالله ما أنت بأفضل عندي منه، فغضب عليّ عليه السّلام و قال: لى تقول هذا القول أمر و ان يعدل بي فلا و الله أنا أفضل منك، و أبي أفضل من أبيك و أمّي أفضل من أمّيك و هذه نبلى قد نثلتها فانشلّ نبلك، فغضب عثمان و احمرّ وجهه و قام و دخل، و انصرف عليّ فاجتمع إليه أهل بيته و رجال المهاجرين و الأنصار فلمّا كان من الغد و اجتمع الناس شكى إليهم عليّ، و قال إنّّه يغشنى و يظهر من يغشنى يريد بذلك أبا ذرّ و عمّارا و غيرهما، فدخل الناس بينهما حتّى اصطلحا و قال عليّ: و الله ما أردت بتشيعي أبا ذر إلاّ الله تعالى، هذا.

و قد روى الشّارح المعترلى أكثر ما أوردناه من الأخبار في تلك القصّه

بطرق آخر نحو ما رويناها و هي كافيه في الطعن على عثمان و القدرح فيه لأن أيدائه لأبي ذر رحمه الله و إهائته به في حكم المعاداة لله و لرسوله، و قد قال الله تعالى: من أهان لى و ليا فقد بارزنى بالمحاربه، و شهادته على أبى ذرّ بالكذب بعد ما سمع من أمير المؤمنين شهاده النبى عليه بالصّيدق و كونه أصدق الناس لهجه تكون في الحقيقه راجعه إلى تكذيب رسول الله و ردّا لقوله، و أعظم ذلك منازعته في تلك القضيّه مع أمير المؤمنين و إسائته الأدب في حقّه و هي كافيه في وجوب طعنه و لعنه و العجب أنّ الشّارح المعتزلى بعد ما أورد الأخبار الدّاله على إخراجها من المدينه بالاجبار اتبعه بقوله: و اعلم أنّ أصحابنا قد رووا أخبارا كثيره معناها أنّه اخرج إلى الرّبذه باختياره «إلى أن قال» و نحن نقول: هذه الأخبار و إن كانت قد رويت لكنّها ليست في الاشتهار و الكثره كتلك الأخبار و الوجه أن يقال في الاعتذار عن عثمان و حسن الظنّ بفعله أنّه خاف الفتنة و اختلاف كلمه المسلمين فيغلب على ظنّه أنّ إخراج أبى ذرّ (ره) إلى الرّبذه أحسم للشّغب و أقطع للأطماع من أن يشرب إلى شقّ العصا، فأخرجه مراعا للمصلحه، و مثل ذلك يجوز للامام هكذا يقول أصحابنا المعتزله و هو الأليق بمكارم الأخلاق فقد قال الشّاعر:

إذا ما أنت من صاحب لك زله فكن أنت محتالا لزله عذرا

و إنّما يتأوّل أصحابنا حال من يحتمل حاله التّأويل كعثمان، فأما من لا يحتمل حاله التّأويل و إن كانت له صحبه سالفه كمعايه و أضرابه فإنّهم لأيتأوّلون لهم إذ كانت أفعالهم و أقوالهم لا وجه لتأويلها و لا يقبل العلاج، و الاصلاح انتهى كلامه هبط مقامه.

اقول: أمّا ما حكاه عن أصحابه من روايتهم الأخبار الدّاله على إخراجها بالاختيار، ففيه أنّ هذه الأخبار ممّا تفرّد بروايته أولياء عثمان المتعصّيون له دفعا للعار و الشّار عنه، و هي لا تكافؤ أخبار الاجبار عددا و سندا و شهره بين المؤالف و المخالف، مضافا إلى ما فيها من مخايل الصّدق و دلائل الصّواب و الصّيحه، و هل تظنّ في حقّ مثل أبى ذرّ أو يحكم عقلك بأنّه ترك إقامه حرم الله و حرم رسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم

و مجاوره قبره و مصاحبه أمير المؤمنين و آله المعصومين و اختار المهاجره إلى الفلاه و الأرض القفر بالطّوع و الاختيار و الرّغبه و الرّضاء كلّاً ثمّ كلّاً و كيف يرضى من له أدنى عقل و كياسه من المسلمين أن يموت في أرض اليهود و يكون فيها و يرححها على الدّفن في حرم الرّسول فضلا عن أبي ذرّ و أمثاله، إن هذا إلّا مفترى.

و أمّا ما اعتذر به الشارح عنه ففيه أنّ حمل فعل المسلم على الصّيححه إنّما هو اذا لم يكن الغالب على حاله الفساد، و أمّا اذا كان الغالب على حاله ذلك فلا و حال عثمان و سابقه في السّوء و الفساد معلوم، و كفى بذلك اغتصابهم الخلافة لأمير المؤمنين عليه السّلام و تغييرهم شريعته سيّد المرسلين و إحراقهم باب بضعه خاتم النّبیین و جعلهم القرآن عّضين، و اعتياضهم الدّنيا بالدّين، مضافه إلى مطاعنهم الدّثره و فضائحهم الجّمّه الّتي تقدّمت في مقامه و تأتي أيضا و مع ذلك فأىّ شيء أوجب حسن الظنّ بفعل عثمان حتّى تأوّل الأخبار الناصّه بسوء فعله.

ثمّ أقول: هب أنّ الدّاعى على إخراجه كان خوف الفتنة و شقّ العصا على زعمك، و لكن أىّ شيء كان الدّاعى على حمله من الشّام إلى المدينه على جمل صعب ليس عليها إلّا قتب يابس حتّى سقط لحم فخذه من الجهد، و ما كان السّبب لهذه الأذيه؟ فان قلت: إنّ معاويه فعل ذلك في حقّه قلت: عثمان كتب إلى معاويه بأن يحمله على أغلظ مركب و أوعره مع من ساربه الليل و النّهار.

و أمّا تفرقه الشّارح بين عثمان و معاويه فهو أعجب ثمّ أعجب، لأنّ كليهما من فروع الشّجره الملعونه، و كلّ منهما في مقام المحادّه و المعاداه و الظلم لأمير المؤمنين و لعتره سيّد النّبیین و لرؤساء الدّين، فلا يمكن إصلاح حالهما و علاج قبائح أعمالهما و فضائح أفعالهما بعد العين بالأثر و لا بعد الدّرايه بالخبر، و سيعلم الدّين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون.

از جمله کلام آن بزرگوار است مر اُبی ذر غفاری را در حینی که اخراج شد از مدینه طَیبه بسوی ربه فرمود:

ای اُبو ذر بدرستی که تو غضب کردی از برای رضای خدای تبارک و تعالی پس امیدوار باش بکسی که از برای او غضب نمودی، بدرستی که این قوم ترسیدند از تو بر دنیای خودشان و ترسیدی تو از ایشان بر دین خود، پس ترک کن در دست ایشان آنچه را که ترسیدند از تو بر آن، و بگریز از ایشان به آن چه که ترسیدی از ایشان بر او، پس چه بسیار احتیاج دارند به آن چه که منع کردی تو ایشان را یعنی از دین خود، و چه قدر بی نیازی تو از آنچه که منع کردند تو را یعنی دنیایشان و زود باشد که بدانی که کیست صاحب ربح و منفعت فردای قیامت و بیشتر مردمان در حالتی که حسد برند او را.

و اگر آسمانها و زمینها باشند بر بنده بسته شده پس بپرهیزد آن بنده از خدای تعالی هر آینه بگرداند پروردگار متعال از برای آن بنده محلّ خروجی از آنها یعنی أبواب فرج بر وی او مفتوح می شود، و نباید مونس بشود ترا مگر خدا، نباید وحشت آورد ترا غیر از باطل، پس اگر قبول کرده بودی دنیای ایشان را هر آینه دوست می داشتند ترا، و اگر قطع کرده بودی و اخذ نمودی از دنیا یعنی قبول هدایای ایشان را می کردی هر آینه در امان بودی از شرّ ایشان.

و من کلام له علیه السلام و هو المأه و الاحد و الثلاثون من

اشاره

المختار فی باب الخطب.

أیتها النفوس المختلفه، و القلوب المتشتته، الشاهده أبدانهم،

ص: ۲۵۴

و الغائبه عنهم عقولهم، أظأركم على الحق و أنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعه الأسد، هيهات أن أطلع بكم سرار العدل، أو أقيم اعوجاج الحق، اللهم إنك قد تعلم إنه لم يكن الذى كان منّا منافسه فى سلطان، و لا التماس شىء من فضول الحطام، و لكن لنردّ المعالم من دينك، و نظهر الإصلاح فى بلادك، فىأمن المظلومون من عبادك و تقام المعطله من حدودك، اللهم إنى أوّل من أناب، و سمع و أجاب لم يسبقنى إلا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلمّ بالصلاه، و قد علمتم أنه لا ينبغى أن يكون الوالى على الفروج و الدماء و المغانم و الأحكام و إمامه المسلمين البخيل، فتكون فى أموالهم نهمته، و لا- الجاهل فىضلّهم بجهله، و لا- الجافى فىقطعهم بجفائه، و لا الحائف للدول، فىتخذ قوما دون قوم، و لا المرتشى فى الحكم، فىذهب بالحقوق و يقف بها دون المقاطع، و لا المعطل للسنة، فىهلك الامه.

اللغه

(ظارت) التاقه إذا عطفت على ولد غيرها و ظأرتها أيضا أى عطفتها يتعدى و لا يتعدى و (المعز) من الغنم خلاف الضأن و هو اسم جنس و كذلك المعزى و (سرار) العدل قال الفيروز آبادى: السرار كسحاب من الشهر آخر ليله كسراره و سرره و قال أيضا: سراره الوادى أفضل مواضعه كسرته و سرّه و سراره، و قال

الكندرى فى محكىّ كلامه: سرار الشهر و سرره آخر ليله منه، و السرار المساره من السر و جمع سرر الكفّ و الجبهه.

و (المنافسه) المغالبه فى الشىء النفيس و (الحطام) ما تكسّر من اليبس و (النهمه) بلوغ الهّمه و الشّهوه فى الشىء و هو منهوم بكذا مولع به، و روى نهمته محرّكه و هى إفراط الشّهوه فى الطّعام و (الجفاء) خلاف البرّ و الصّيله و رجل جافى الخلق و الخلقه أى غليظ منقبض و (الحائف) بالخاء المهمله من الحيف و هو الظلم و الجور و (الدّول) بضمّ الدّال المهمله جمع الدّوله اسم للمال المتداول به قال تعالى: كيلا يكون دوله بين الأغنياء منكم، و روى الخائف للدّول بالخاء المعجمه و كسر الدّال جمع دوله بالفتح و هى الغلبه

الاعراب

الباء فى قوله اطلع بكم أمّا تعديه أو سببيّه، و سرار العدل إمّا منصوب على الظرف أو مفعول به حسبما تعرف فى بيان المعنى

المعنى

اشاره

اعلم أنّ المقصود بهذا الكلام توييح أصحابه و ذمّهم على التّقصير فى اتّباع الحقّ و الاعراض عن متابعه الامام العدل، و أشار إلى بعض مناقبه المستلزمه لوجوب اتّباعه و عقّبه بالتّعريض على المنتحلين للخلافه الغاصبين لها فقال (أيتها النفوس المختلفه) الأهواء (و القلوب المشتتّه) الآراء (١) و (أظأركم) و أعطفكم (على الحقّ و أنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعه الأسد) و صوته (هيئات أن اطلع بكم سرار العدل) أى بعد أن أظهركم و أّبين لكم ما خفى من العدل و استسرّ لتخاذ لكم و تفرّق أهوائكم.

و قال الشّارح المعتزلى: يفسّره النّاس بمعنى هيئات ان اطلعكم مضيئين و منورين سرار العدل، و السرار آخر ليله من الشهر و تكون مظلمه و يمكن أن يفسّر عندى على وجه آخر، و هو أن يكون السرار ههنا بمعنى السرر و هى خطوط

ص: ٢٥٦

١- (١) هكذا فى النسخه المصحّحه، و الظاهر أنّ فيه سقطا «المصحح» «ج ١٦»

مضيقه فى الجبهه فىكون معنى كلامه علىه السلام هيهات أن تلمع بكم لوامع العدل و إشراق وجهه، و يمكن فىه أيضا وجه آخر و هو أن ينصب سرار على الطرفيه و يكون التقدير هيهات أن اطلع بكم الحق زمان استسرار العدل و استخفائه، فىكون حذف المفعول و حذفه كثير، انتهى و عن الكندرى قال فى محكى كلامه و سرار العدل أى فى سرار فحذف حرف الجرّ و وصل الفعل، و قيل أى هيهات أن اظهر بمعونتكم ما خفى و استسرّ من اقمار العدل و أنواره، انتهى و هو أولى ممّا ذكره الشارح المعتزلى و الأظهر ما ذكرناه (أو اقيم اعوجاج الحق) أى ما اعوجّ منه بسبب غلبه الضلال و الجهال علىه.

ثمّ تبّه على برائه ساحته و تركيه نفسه فى أمر الخلافه فقال(اللهمّ أنّك تعلم أنّه لم يكن الذى كان)وقع(منّا)و هو الرغبه فى الخلافه أو الحروب أو الجميع (منافسه فى سلطان)و حرصا علىه(و التماس شىء من فضول الحطام)أى طلبا لشىء من زخارف الدّنيا و زينتها السّاقطه عن درجه الاعتبار الغير المحتاج إليها(و لكن لندّ المعالم من دينك)أى الآثار التى يهتدى بها فىه(و نظهر الاصلاح فى بلادك) و نرفع الفساد عنها(فيا من المظلومون من عبادك و تقام المعطله من حدودك) و لا يخفى ما فى هذه الجمل من التعريض على المتقدّمين المنتحلين للخلافه و الاشاره إلى أنّ طلبهم لها إنّما كان تنافسا فى الملك و السّيلطنه، و رغبه فى القنيات الدّنيويّه، و إلى أنّ أنوار الدّين فى زمانهم قد انطمست، و آثار الشّرع المبين قد اندرست، و أنّه شاع الفساد فى البلاد و غلب الجور و الظلم على العباد و تعطل الحدود و الأحكام و تغبّر الحلال و الحرام.

ثمّ أنّه لّمّا بين أنّ طلبه للخلافه لم يكن للدّنيا أكّمد هذا المعنى بقوله (اللهمّ إنّى أوّل من أناب) و رجع إليك (و سمع) دعوه الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم (و أجاب) إليه (لم يسبقنى إلّا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بالصّلاه) أمّا كون هذه الجملة تأكيدا لما سبق فلأنّه إذا كان أوّل النّاس اسلاما مع عدم كون الاسلام معروفّا حينئذ متوقّعا به الانتفاع فى الدّنيا لا بدّ و أن يكون إسلامه لله سبحانه و ابتغاء لرضاه، و من كان هذا حاله

فى بدايه أمره كيف يخطر ببال عاقل أنه يطلب الدنيا و حطامها، و يجرد عليها السيف فى آخر عمره.

و أمّا كونه عليه السّلام أوّل من أناب و أجاب إلى الايمان و الاسلام فهو المتفق عليه بين الشّيعه و المشهور بين الجمهور لم يخالف فى ذلك إلا شردمه منهم لا يعتدّ بخلافهم و ستعرف تفصيل ذلك فى التنبيه الآتى.

و أمّا أنه سبق النّاس بالصّلاه و لم يسبقه غيره فيدلّ على ذلك ما رواه فى المجلد التاسع من البحار من كتاب المناقب للشّيخ الفقيه رشيد الدّين أبى جعفر محمّد ابن على بن شهر آشوب المازندراني تغمّده الله برحمته، قال ما هذا لفظه:

أبو عبد الله المرزبانى و أبو نعيم الاصبهانى فى كتابيهما فيما نزل من القرآن فى علىّ عليه السّلام و النطنزى فى الخصائص عن الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس، و روى أصحابنا عن الباقر عليه السّلام فى قوله تعالى: و اركعوا مع الرّاكعين، نزلت فى رسول الله و علىّ بن أبى طالب و هما أوّل من صلّى و ركع.

المرزبانى عن الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله تعالى: إنّ الذين آمنوا و عملوا الصّالحات اولئك أصحاب الجّنه هم فيها خالدون، نزلت فى علىّ خاصّه و هو أوّل مؤمن و أوّل مصلّ بعد النّبىّ.

تفسير السيّدى عن قتاده عن عطاء عن ابن عباس فى قوله: إنّ ربّك يعلم أنّك تقوم أدنى من ثلثى اللّيل و نصفه و ثلثه و طائفه من الذين معك، فأوّل من صلّى مع رسول الله علىّ بن أبى طالب.

تفسير القطان عن وكيع عن سفيان عن السيّدى عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله تعالى: يا أيّها المدثر، يعنى محمّدا أدّثر بشيابه، قم فأنذر، أى فصلّ ادع علىّ بن أبى طالب إلى الصّلاه معك، و ربّك فكبر، ممّا تقول عبده الأوثان تفسير يعقوب بن سفيان قال: حدّثنا أبو بكر الحميدى عن سفيان بن عيينه عن ابن أبى النجيج عن مجاهد عن ابن عباس فى خبر يذكر فيه كيفيه بعثه النّبىّ ثمّ قال: بينا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قائم يصلّى مع خديجه إذ طلع عليه علىّ بن ابى طالب

فقال له: ما هذا يا محمد؟ قال: هذا دين الله فآمن به و صدقه، ثم كانا يصليان و يركعان و يسجدان فأبصرهما أهل مكه ففشا الخير فيهم أن محمدا قد جنّ، فنزل: ن و القلم و ما يسطرون ما أنت بنعمه ربك بمجنون.

شرف النبي عن الخركوشي قال: و جاء جبرئيل بأعلى مكه و علمه الصلاه فانفجرت من الوادي عين حتى توضأ جبرئيل بين يدي رسول الله، و تعلم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم منه الطهاره ثم أمر به عليا عليه السلام تاريخي الطبري و البلادرى، و جامع الترمذى، و أبانه العكبرى، و فردوس الديلمى، و أحاديث أبى بكر بن مالك، و فضائل الصّحابه عن الزّعفرانى عن يزيد ابن هارون عن شعبه عن عمرو بن مرّه عن أبى حمزه عن زيد بن أرقم، و مسند أحمد عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قالوا قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: أوّل من صلّى معى على تاريخ النسوى قال زيد بن أرقم: أوّل من صلّى مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم على.

جامع الترمذى و مسند أبى يعلى الموصلى عن أنس، و تاريخ الطبري عن جابر قالوا:

بعث النبي يوم الاثنين و صلّى على يوم الثلاثاء أبو يوسف النسوى فى المعرفه و أبو القسم عبد العزيز بن إسحاق فى أخبار أبى رافع عن عشرين طريقا عن أبى رافع قال: صلّى النبي أوّل يوم الاثنين، و صلّت خديجه آخر يوم الاثنين، و صلى على يوم الثلاثاء من الغد.

أحمد بن حنبل فى مسند العشره و فى الفضائل أيضا، و النسوى فى المعرفه، و الترمذى فى الجامع، و ابن بطه فى الابانه روى على بن الجعد عن شعبه عن سلمه ابن كهيل عن حبه العرنى قال: سمعت عليا عليه السلام يقول: أنا أوّل من صلّى مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

ابن حنبل فى مسند العشره و فى فضائل الصّحابه أيضا عن سلمه بن كهيل عن حبه العرنى فى خبر طويل أنه قال على عليه السلام: اللهم لا أعرف أن عبدا من هذه الأمه عبدك قبلى غير نبيك ثلاث مرّات، الخبر.

و فى مسند أبى يعلى ما أعلم أحدا من هذه الامه بعد نبيها عبد الله غيرى الخبر.

الحسين بن عليّ عليهما السّلام في قوله تعالى: تريهم ركّعا سجّدا، نزلت في عليّ بن أبي طالب.

و روى جماعه أنّه نزل فيه: الذين يقيمون الصّلاه و يؤتون الرّكاه و هم راكعون.

تفسير القطن قال ابن مسعود: قال عليّ عليه السّلام: يا رسول الله ما أقول في السجود في الصّلاه؟ فنزل سبح اسم ربك الأعلى، قال: فما أقول في الرّكوع؟ فنزل فسبح باسم ربك العظيم، فكان أوّل من قال ذلك و أنّه صلّى قبل النّاس كلّهم سبع سنين و أشهراً مع النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، و صلّى مع المسلمين أربع عشره سنه و بعد النّبىّ ثلاثين سنه.

ابن فياض في شرح الأخبار عن أبي أيوب الأنصاري قال: سمعت النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول: لقد صلّت الملائكه عليّ و عليّ بن أبي طالب سبع سنين، و ذلك أنّه لم يؤمن بي ذكر قبله، و ذلك قول الله سبحانه: الذين يحملون العرش و من حوله يسبحون بحمد ربّهم و يستغفرون لمن في الأرض.

و في روايه زياد بن المنذر عن محمّد بن عليّ عن أمير المؤمنين عليه السّلام لقد مكثت الملائكه سنين لا تستغفر إلاّ لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و لي و فينا نزلت و الملائكه يسبحون بحمد ربّهم و يستغفرون للذين آمنوا ربّنا إلى قوله: الحكيم.

و روى جماعه عن أنس و أبي أيوب، و روى شيرويه في الفردوس عن جابر قال:

قال النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: لقد صلّت الملائكه عليّ و عليّ بن أبي طالب سبع سنين قبل النّاس، و ذلك أنّه كان يصلّى و لا يصلّى معنا غيرنا، و في روايه لم يصلّ فيها غيري و غيره، و في روايه لم يصلّ معي رجل غيره سنن ابن ماجه و تفسير الثعلبي عن عبد الله ابن أبي رافع عن أبيه أنّ عليا عليه السّلام صلّى مستخفيا مع النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم سبع سنين و أشهراً تاريخ الطّبري و ابن ماجه قال عباد بن عبد الله: سمعت عليا عليه السّلام يقول:

أنا عبد الله و أخو رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و أنا الصّدّيق الأكبر لا يقولها بعدى إلاّ كاذب

مفتر، صلّيت مع رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلم سبع سنين.

مسندى أحمد و أبى يعلى قال حبه العرنى: قال على عليه السلام: صلّيت قبل أن يصلّى الناس سبعا.

الحميرى

ألم يصلّ علىّ قبله حججاو و حدّ الله ربّ الشمس و القمر

و هؤلاء و من فى حزب دينهمقوم صلاتهم للعود و الحجر

وله

و كفاه بأنّه سبق الناسفضل الصلاه و التوحيد

حججا قبلهم كوامل سبعايركوع لديه أو بسجود

وله

أليس علىّ كان أوّل مؤمنو أوّل من صلّى غلاما و حدّا

فما زال فى سرّ يروح و يغتديفيرقى بشراء أو بحراء مصعدا

يصلّى و يدعو ربّه فيهما معالمصطفى مثنى و إن كان أوحدا

سنين ثلاثا بعد خمس و أشهر كوامل سبعا قبل أن يتمّردا

و هو أوّل من صلّى القبلتين صلّى إلى بيت المقدس أربع عشره سنه، و المحراب الذى كان النبى صلّى الله عليه وآله و سلمّ

يصلّى و معه علىّ و خديجه معروف، و هو على باب مولد النبى فى شعب بنى هاشم، و قد روينا عن الشيرازى ما رواه عن ابن

عباس فى قوله:

و السابقون الأوّلون، نزلت فى أمير المؤمنين سبق الناس كلّهم بالايمان و صلّى القبلتين و بايع البيعتين.

الحميرى

و صلّى القبلتين و آل تيمو اخوتها عدىّ جاحدونا

و صلّى إلى الكعبه تسعا و ثلاثين سنه تاريخ الطبرى بثلاثه طرق، و ابانه العكبرى من أربعه طرق، و كتاب المبعث عن محمّد بن

إسحاق، و التاريخ النسوى، و كتاب الثعلبى، و كتاب المادرى

و مسند أبي يعلى الموصلي، و يحيى بن معين، و كتاب أبي عبد الله محمد بن زياد النيسابوري عن عبد الله بن أحمد بن حنبل بأسانيدهم عن ابن مسعود، و علقمه البجلي و إسماعيل بن أياس بن عفيف عن أبيه عن جدّه أنّ كلّ واحد منهم قال: رأى عفيف أخو الأشعث بن قيس الكندي شايًا يصلّي، ثمّ جاء غلام فقام عن يمينه، ثمّ جاءت امرئته فقامت خلفها، فقال للعبّاس: هذا أمر عظيم، قال: ويحك هذا محمّد، و هذا عليّ، و هذه خديجه إنّ ابن أخي هذا حدّثني أنّ ربّه ربّ السّماوات و الأرض أمر بهذا الدّين، و الله ما على ظهر الأرض على هذا الدّين غير هؤلاء الثلاثة.

و في كتاب النّسوى أنّه كان يقول بعد إسلامه: لو كنت أسلمت يومئذ كنت ثانيًا مع عليّ بن أبي طالب.

و في روايه محمّد بن إسحاق عن عفيف قال: فلمّا خرجت من مكّه إذا أنا بشاب جميل على فرس فقال: يا عفيف ما رأيت في سفرك هذا؟ فقصصت عليه، فقال لقد صدقك العبّاس و الله إنّ دينه لخير الأديان و إنّ أمته أفضل الامم، قلت: فلمن الأمر من بعده؟ قال: لابن عمّه و ختنه علي بنته، يا عفيف الويل كلّ الويل لمن يمنعه حقّه.

ابن فياض في شرح الأخبار عن ابن أبي الحجاج عن رجل أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قال في خبر: هجم على رسول الله صلّي الله عليه و آله - يعنى أبا طالب - و نحن ساجدان قال:

أفعلتماها ثمّ أخذ بيدي فقال: انظر كيف تنصره و جعل يرغّبني في ذلك و يحضّني عليه الخبر.

و في كتاب الشّيرازي أنّ النّبي صلّي الله عليه و آله لمّا نزل الوحي عليه أتى المسجد الحرام و قام يصلّي فيه، فاجتاز به عليّ عليه السّلام و كان ابن تسع سنين فناده يا عليّ إلىّ اقبل، فأقبل إليه مليًا، قال: أتى رسول الله إليك خاصّه و إلى الخلق عامّه، فقال: يا عليّ فقف عن يميني و صلّ معي، فقال: يا رسول الله حتّى أمضى و استأذن أبا طالب والدي قال: اذهب فإنّه سيأذن لك، فانطلق يستأذن في أتباعه فقال: يا ولدي تعلم أنّ محمّدا و الله أمين منذ كان، امض و اتّبعه ترشد و تفلح و تشهد فأتى عليّ عليه السّلام و رسول الله قائم يصلّي في المسجد، فقام عن يمينه يصلّي معه، فاجتاز بهما أبو طالب و هما يصلّيان

فقال: يا محمد ما تصنع؟ قال: أعبد إله السماوات والأرض ومعى على يعبد ما أعبد، وأنا أدعوك إلى عبادة الله الواحد القهار، فضحك أبو طالب حتى بدت نواجده وأنشأ يقول:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى اغيب في التراب دفينا

تاريخ الطبري وكتاب محمد بن إسحاق أن النبي كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفيا من قومه فيصليان الصلاة فيها فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك زمانا.

ثم روى الثعلبي معهما أن أبا طالب رأى النبي وعليا يصليان فسأل عن ذلك فأخبره النبي أن هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم في كلام له، فقال علي: يا أبا أمية بالله ورسوله وصدقته بما جاء به وصليت معه لله فقال له: أما أنه لا يدعو إلا إلى خير فألزمه.

ثم إنه عليه السلام لما تبه على أن طلبه للخلافه إنما كان لله سبحانه وتعالى لا تنافسا في زخارف الدنيا والتماسا لحطامها وعقبه بالاشارة إلى سبقه في الاسلام والصلاه مع النبي المقتضى لتقدمه على غيره أردفه بالاشارة إلى موانع الامامه تنبئها على أنه هو الامام دون غيره لوجود المقتضى وانتفاء الموانع فيه مع عدمه ووجودها في غيره فقال (وقد علمتم) و حصول ذلك العلم لهم إما من الكتاب كقوله تعالى: لا ينال عهدى الظالمين، وقوله: أ فمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى إلا أن يهدى، وقوله: قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وما يضاهاى ذلك مما يستنبط منه شروط الولاية وأحكامها، وإما بنص من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو باعلام سابق منه عليه السلام وعلى أى تقدير فالمقصود به الاشارة إلى استحقاتهم للتوبيخ والتفريع لكون تفصيرهم فى حق الامام عن علم منهم لا عن جهل فيعدرون ويعتدرون وقوله (أنه لا ينبغي) أى لا يجوز (أن يكون الوالى على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامه المسلمين البخيل) الشحيح وهو فى لسان الشرع من يمنع

الواجب (فتكون فى أموالهم نهمته) أى حرصه و جشعه أو فرط شهوته (و لا- الجاهل فىضّلهم بجهله) و إضلاله معلوم (و لا الجافى) سىء الخلق (فىقطعهم بجفائه) و انقباضه عن الوصول إليه أو عن حاجاتهم أو بعضهم عن بعض لتفرّقهم (و لا الحائف للدّول) أى الجائر للأموال و الظالم فى تقسيمها بأن لا يقسّمها بالسّويه بل يرحّج بعضهم على بعض (فىتخذ قوما) و يخصّهم بالعطاء (دون قوم) و على روايه الخائف للدّول بالخاء المعجمه و كسر الدّال فالمراد به من يخاف دول الأيّام و تقلّبات الدّهور و غلبه الأعداء فىتخذ قوما يرجو نفعهم و نصرهم فى دنياه، و يقويهم على غيرهم و يفضّلهم فى العطاء و سائر جهات الاكرام على الآخريّن (و لا- المرتشى فى الحكم) أى أخذ الرّشوه و هو بالكسر ما يعطيه الشّخص الحاكم و غيره ليحكم أو يحمله على ما يريد، و فى الحديث لعن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم الرّاشى و المرتشى و الرايش يعنى المعطى للرّشوه و الآخذ لها و السّاعى بينهما يزيد لهذا و ينقص لهذا، و الحاصل أنّه لا يجوز أن يكون آخذ الرّشوه حاكما (فىذهب بالحقوق) أى حقوق النّاس و يبطلها و يخرجها من يد صاحبها (و يقف بها دون المقاطع) أى يقف عند مقطع الحكم فلا يقطعه بأن يحكم بالحقّ بل يحكم بالجور أو يسوّف الحكم حتّى يضطرّ المحقّ و يرضى بالصّلىح و يذهب بعض حقّه قال العلّامه المجلسّى (قد): و يحتمل أن يكون دون بمعنى غير أى يقف فى غير مقطعه (و لا- المعطل للسّنّه) و الطريقه الشرعيّه النّبويّه (فىهلك الامّه) فى الدّنيا أو الآخره أو كليهما

تبصره

قال الشّارح المعتزلى فى شرح هذا الكلام له عليه السّلام فى ابداء المناسبه و الارتباط بين ما ذكره من سبقه عليه السّلام إلى التّوحيد و المعرفه و الصّلاه و ما عقبه به من تقرير قاعده الامامه و التعرّض لموانعها ما محصّله:

إنّه عليه السّلام إذا كان أوّل السّابقين و جب أن يكون أقرب المقرّبين، لأنّه تعالى قال: و السّابقون السّابقون أولئك المقرّبون، و إذا كان أقرب المقرّبين و جب

أن ينتفى عنه الموانع السيئة التي جعل كل واحد منها صاذاً عن الامامه و قاطعا عن استحقاقها و هي البخل، و الجهل، و الجفاء، و العصبيّه في دولته، أى تقديم قوم على قوم، و الارتشاء في الحكم، و التعطيل للسنة، و إذا انتفت عنه هذه الموانع الستة تعين أن يكون هو الامام، لأنّ شروط الامامه موجوده فيه بالاتفاق، فاذا كانت موانعها عنه منتفيه و لم يحصل لغيره اجتماع الشروط و ارتفاع الموانع و جب أن يكون هو الامام، لأنّه لا يجوز خلوّ العصر من امام سواء كانت هذه القضية عقليّه أو سمعيّه.

أقول: بعد هذا التحقيق هل بقي للشارح عذر في اعتقاده بامامه الثلاثة و خلافتهم و جعله عليه السّلام رابعهم؟ و العجب كلّ العجب أنّه ينطق بالحقّ و لا يدعن به كمثل المنافقين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم و من لم يجعل الله له نورا فما له من نور، ثمّ قال الشّارح:

فان قلت: أفتراه عنى بهذا قوما بأعيانهم؟ قلت: الاماميّه تزعم أنّه رمز بالجفاء و العصبيّه لقوم دون قوم إلى عمر و رمز بالجهل إلى من كان قبله، و رمز بتعطيل السّنة إلى عثمان و معاويه، و أمّا نحن فنقول: إنّ عليه السّلام لم يعن ذلك و إنّما قال قولاً كلياً غير مخصوص، و هذا هو اللّائق بشرفه، و قول الاماميّه دعوى لا دليل عليها و لا يعدم كلّ أحد أن يستنبط من كلّ كلام ما يوافق غرضه و إن غمض، و لا يجوز أن تبنى العقائد على مثل هذه الاستنباطات الدقيقه.

أقول: أمّا أنّ في كلامه رمزا و إشاره إلى من ذكر فهو ممّا لا غبار عليه، و أمّا أنّ فيه دلالة عليه فلم تدّعه الاماميّه حتّى يناقش فيه أو يعترض عليهم، و الاشاره غير الدّلاله، و أمّا استبعاد ذلك بعدم لياقته بشرفه عليه السّلام و منافاته لسودده فيه أنّ شرافته مقتضيه للارشاد على الهدى و التّنبيه على ضلال قاده الرّدى و هفوه من اتّبعهم و أذعن بخلافتهم من أهل العصبيّه و الهوى، لأنّه من باب الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر المناسب لشأن الامام و وظيفته

وقد مرّ في فقرات الخطبه الشَّقشِقِيّيه ما هو نصّ في هذا المعنى، و أبلغ في الدّلاله على هذا الغرض، مثل تنبيهه على جفاوه عمر و غلظته بقوله: فصيّرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها و يخشن مسّها، و على جهله بقوله: و يكثر العثار فيها و الاعتذار منها، و على بخل عثمان بقوله: و قام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الرّبيع آه و نحو هذه الألفاظ في تضاعيف كلماته كثير كما هو غير خفيّ على الخبير البصير.

و بعد الغصّ عن ذلك كلّه فأقول: إنّ عمدته غرض الاماميّه التّنبيه على اتّصاف الخلفاء بتلك الأوصاف الرّذيله، و بعد تسليم الشارح و إذعانه باتّصافهم بها لا ضروره في التّقض و الابرام في دلاله كلامه عليه السّلام على هذا المرام.

ثم أقول: الأظهر على تقدير كون كلامه عليه السّلام رمزا إليهم أن يشار بالبخيل إلى عثمان لما هو المعلوم من حاله من أكله أموال المسلمين، و لما مرّ منه في الخطبه الشَّقشِقِيّيه، و بالجاهل إلى جميعهم، و بالجافي إلى عمر، و بالحائف للدّول إلى عمر و عثمان كما هو المعلوم من سيرتهما، و بالمعطل للسّنه إلى الجميع.

تنبيه

اشاره

لا خلاف بين المسلمين إلاّ من شرذمه من العامه العثمانيّه في أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام

سبق الناس كلّا إلى الاسلام و التّوحيد

، كما صرّح به عليه السّلام في هذا الكلام بقوله:

اللّهمّ إنّى أوّل من أناب و سمع و أجاب، و فى الكلام السّادس و الخمسين بقوله:

فأنّى ولدت على الفطره و سبقت إلى الايمان و الهجره، و نحو ذلك في كلماته و احتجاجاته كثير، و الأخبار في هذا المعنى من طرق العامه و الخاصّه بالغه حدّ التّواتر، و استقصائها غير ممكن و لا- حاجه إلى إيرادها مع وضوح المطلب و ظهوره ظهور الشمس الصّحى.

و إنّما نورد على وجه التّأييد و على رغم أنوف المخالفين ما أورده شيخ المحدّثين العلامه المجلسى قدّس الله روحه، و شيخ الأئمّه الشيخ المفيد نور الله

ضريحه: و من المخالفين الشارح المعتزلي أهبط الله قدره.

فأما العلامة المجلسي

فقد قال في المجلد التاسع من بحار الأنوار بعد ما أورد في هذا الباب كثيرا من الأخبار ما لفظه:

لا- يخفى على من شم رائحة الانسانيه و ترقى عن دركات البهيمة و العصبية أن سبق إسلامه صلوات الله عليه مع ورود تلك الأخبار المتواتره من طرق الخاصه و العامه من أوضح الواضحات، و الشاك فيه كالمنكر لأجلى البديهيات، و أن من تمسك بأن ايمانه كان في طفوليته، و لم يكن معتبرا فقد نسب الجهل إلى سيد المرسلين، حيث كلفه ذلك و مدحه به في كل موطن، و به أظهر فضله على العالمين، و إلى أشرف الوصيين حيث تمدح و افتخروا احتج به في مجامع المسلمين و إلى الصحابه و التابعين حيث لم ينكروا عليه ذلك مع كون أكثرهم من المنافقين و المعاندين.

ثم اعلم أننا قد تركنا كثيرا من الروايات و ما يمكن ذكره من التأييدات في هذا المطب حذرا من التكرار و الاسهاب و الاطاله و الاطناب.

فقد روى ابن بطريق رحمه الله في كتاب العمده في سبق اسلامه و صلواته من مسند أحمد بن حنبل ثلاثة عشر حديثا، و من تفسير الثعلبي أربعة، و من مناقب ابن المغازلي سبعة، و روى في المستدرک أيضا أخبارا كثيرة في ذلك، و رواه صاحب الصيراط المستقيم بأسانيد من طرقهم، و العلامة في كشف الحقّ و كشف اليقين و غيرها بأسانيد من كتبهم، و قد تركنا إيرادها مع كثير مما أورده المفيد في الارشاد، و النيسابوري في روضه الواعظين، و الطبرسي في اعلام الوري، و ابن الصباغ في الفصول المهمه، و غيرها من الاصول و الكتب التي عندنا، انتهى كلامه رفع مقامه.

فقد قال فى محكى كلامه من كتاب الفصول:

أجمعت الأئمة على أن أمير المؤمنين عليه السّلام أول ذكر أجاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ولم يختلف فى ذلك أحد، من أهل العلم إلا أن العثمانيه طعت فى ايمان أمير المؤمنين عليه السّلام بصغر سنّه فى حال الاجابه، قالوا: إنّه عليه السّلام لم يك فى تلك الحال بالغافيقع ايمانه على وجه المعرفه، وإن ايمان أبى بكر حصل منه مع الكمال، فكان على اليقين، و المعرفه و الاقرار من جهه التقليد و التلقين غير مساو للاقرار بالمعلوم المعروف بالدّلاله، فلم يحصل خلاف من القوم فى تقدّم الاقرار من أمير المؤمنين للجماعه و الاجابه منه للرّسول عليه وآله السّلام، و أنّما خالفوا فيما ذكرناه.

و أنا ابين غلطهم فيما ذهبوا إليه من توهين إقرار أمير المؤمنين و حملهم إياه على وجه التلقين دون المعرفه و اليقين بعد أن أذكر خلافا حدث بعد الاجماع من بعض المتكلمين و الناصبه من أصحاب الحديث، و ذلك أنّ ههنا طائفه تنسب إلى العثمانيه تزعم أنّ أبى بكر سبق أمير المؤمنين إلى الاقرار و تعتّل فى ذلك بأحاديث مولده باضعاف.

منها أنّهم رووا عن أبى نصره «نضيره خ» قال: أبطأ علىّ و الزبير عن بيعه أبى بكر قال: فلقى أبو بكر عليا فقال له: أبطأت عن بيعتى و أنا أسلمت قبلك و لقي الزبير فقال له: أبطأت عن بيعتى و أنا أسلمت قبلك.

و منها حديث أبى امامه عن عمرو بن عبسه قال: أتيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم أول ما بعث و هو بمكه و هو حينئذ مستخف فقلت: من أنت؟ فقال: أنا نبىّ، قلت: و ما النبىّ؟ قال: رسول الله، قلت: الله أرسلك؟ قال: نعم، قلت: بما أرسلك؟ قال:

بأن نعبد الله عزّ و جلّ و نكسر الأصنام و نوصل الأرحام، قلت: نعم ما أرسلك به من تبعك على هذا الأمر؟ قال: حرّ و عبد يعنى أبى بكر و بلال، و كان عمر يقول: لقد رأيتنى و أنا رابع الاسلام، قال: فأسلمت و قلت: أبايعك يا رسول الله و منها حديث الشّعبى قال: سألت ابن عباس عن أول من أسلم فقال: أبو بكر

ثم قال: أما سمعت قول حسان:

إذا تذكّرت شجوا من أخى ثقة فاذا ذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أعطاهما و أعدلها بعد النبي و أرقاها بما حملا

الثانى التالى المحمود مشهده و أول الناس منهم صدق الرسلا

و منها حديث رووه عن منصور عن مجاهد أنّ أول من أظهر الاسلام سبعة رسول الله و أبو بكر و خباب و صهيب و بلال و عمار و سميه.

و منها حديث رووه عن عمر بن مرّه قال: ذكرت لإبراهيم النخعي حديثا فأنكره و قال أبو بكر أول من أسلم قال الشيخ قدس الله روحه فيقال لهم:

أما الحديث الاول فأنه رواه أبو نضرة، و هذا أبو نضرة مشهور بعداوه أمير المؤمنين عليه السلام، و قد ضمنه ما ينقض اضلالهم فى الامامه، و لو ثبت لكان أرجح من تقدّم اسلام أبى بكر و هو أنّ أمير المؤمنين و الزبير أبطئا عن بيعه أبى بكر، و إذا ثبت أنّهما أبطئا عن بيعته و تأخرا نقض ذلك قولهم أنّ الامه اجتمعت عليه و لم يكن من أمير المؤمنين عليه السلام كراهيه لأمره، و إذا ثبت أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد كان متأخرا عن بيعته على وجه الكراهه لها بدلاله ما رووه من قول أبى بكر له أبطأت عن بيعتى و أنا أسلمت قبلك على وجه الحجّه عليه فى كونه أولى بالامامه منه، ثبت بطلان إمامه أبى بكر، لأنّ أمير المؤمنين عليه السلام لا يجوز أن يكره الحقّ و لا أن يتأخّر عن الهدى، و قد أجمعت الأمه على أنه عليه السلام لم يقع خطأ بعد الرسول صلى الله عليه و آله يعثر عليه طول مدّه أبى بكر و عمر و عثمان، و إنّما ادّعت الخوارج الخطاء منه فى آخر أيّامه بالتحكيم و ذهب عن وجه الحقّ فى ذلك و إذا لم يجز من الأمير المؤمنين التّأخّر عن الهدى و الكراهه للحقّ و الجهل بموضع الأفضل، بطل هذا الحديث، و ما زلنا نجتهد فى اثبات الخلاف لأمره، و التّأصبه تحيد عن قبول ذلك و تدفعه أشدّ دفع حتى صاروا يسلمونه طوعا و اختيارا، و ينظمونه فى احتجاجهم بفضل صاحبهم، و هكذا يفعل الله تعالى بأهل الباطل لحينهم، و يسلبهم التوفيق حتى

يدخلوا فيما يكرهون من حيث لا يشعرون.

على أنّ بازاء هذا الحديث عن أبي بكر حديثا ينقضه من طريق أوضح من طريق أبي نضرة، وهو ما رواه عليّ بن مسلم الطوسي عن زافر بن سليمان عن الصلت ابن بهرام عن الشعبي قال: مرّ عليّ بن أبي طالب و معه أصحابه على أبي بكر فسلمّ و مضى، فقال أبو بكر: من سرّه أن ينظر إلى أول الناس في الاسلام سبقا، و أقرب الناس من نبينا رحما، و أعظمهم دلاله عليه و أفضلهم فداء عنه بنفسه فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب.

و هذا يبطل ما ادّعوه على أبي بكر و أضافه أبو نضرة إليه.

و أما حديث عمرو بن عنبسه فأنه من طريق أبي امامه و لا خلاف أنّ أبا امامه كان من المنحرفين عن أمير المؤمنين عليه السلام و المتحرين عنه، و أنّه كان في جيش معاوية ثمّ فيه عن عمر بأنه شهد لنفسه أنه كان رابع الاسلام، و شهادته المرء لنفسه غير مقبولة إلا أن يكون معصوما أو يدلّ دليل على صدقه، و إذا لم يثبت شهادته لنفسه بطل الحديث بأسره.

مع أنّ الرواية قد اختلفت عن عمر من طريق أبي امامه، فروى عنه في حديث آخر أنّه قال: أتيت النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلمّ بماء يقال له عكاظ، فقلت له: يا رسول الله من تابعك على هذا الأمر؟ فقال: من بين حرّ و عبدا، فاقامت الصّلاه فصلّيت خلفه أنا و أبو بكر و بلال، و أنا يومئذ رابع الاسلام.

فاختلف اللفظ و المعنى في هذين الحديثين و الواسطه واحد فتاره يذكر مكه و تاره يذكر عكاظا، و تاره يذكر أنّه وجده مستخفيا بمكّه، و تاره يذكر أنّه كان ظاهرا يقيم الصّلاه و يصلّي بالناس معه، و الحديث واحد من طريق واحد، و هذا أدلّ دليل على فساد.

و أما حديث الشعبي فقد قابله الحديث عنه من طريق الصّليمت بن بهرام المتضمّن لضده و في ذلك إسقاطه، مع أنّه قد عزاه إلى ابن عبّاس و المشهور عن ابن عبّاس ضدّ ذلك و خلافه، ألا ترى إلى ما رواه أبو صالح عن عكرمه عن ابن عبّاس

و هذان أصدق علي ابن عباس من الشَّعبي، لأنَّ أبا صالح معروف بعكرمه و عكرمه معروف بابن عباس قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلَّم: صَلَّت الملائكة عليَّ و علي عليَّ بن أبي طالب سبع سنين، قالوا: و لم ذلك يا رسول الله؟ قال: لم يكن من الرِّجال غيره، و من طريق عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلَّم: أوَّل من أسلم بعد خديجه بنت خويلد عليَّ بن أبي طالب صلوات الله عليه.

و أما قول حسان فأنه ليس بحجّه من قبل أنّ حسان كان شاعرا و قصد الدَّوله و السِّلطان، و قد كان منه بعد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلَّم انحراف شديد عن أمير المؤمنين عليه السِّلام، و كان عثمانيا و حرَّض النَّاس على عليَّ بن أبي طالب عليه السِّلام، و كان يدعو إلى نصره معاويه و ذلك مشهور عنه في نظمه، ألا ترى إلى قوله:

يا ليت شعري و ليت الطَّير يخبرني ما كان بين عليَّ و ابن عفَّانا

ضحوا بأشمط عنوان السَّجود به يقطع اللَّيل تسيحا و فرقانا

لتسمعنَّ و شيكا في ديارهم الله أكبر يا ثارات عثمانا

فان جعلت النَّاصبه شعر حسان حجّه في تقديم ايمان أبي بكر فلتجعله حجّه في قتل أمير المؤمنين عثمان و القطع على أنه اخصَّ النَّاس بقتله، و أنّ ثاراته يجب أن يطلب منه، فان قالوا: إنّ حسان غلط في ذلك، قلنا لهم و كذلك غلط في قوله في أبي بكر، و ان قالوا لا يجوز غلظه في باب أبي بكر لأنّه شهد به بحضرة الصَّحابه فلم يردّوا عليه، قيل لهم ليس عدم اظهارهم الرَّد عليه دليلا على رضاهم به لأنّ الجمهور كانوا شيعه أبي بكر و كان المخالفون له في تقيته من الجهر بالتنكير عليه في ذلك مخافه الفرقه و الفتنة مع أنّ قول حسان يحتمل أن يكون أبو بكر من المتقدِّمين في الاسلام و الأوّلين دون أن يكون أوّل الأوّلين، و لسنا ندفع أن أبا بكر ممّن يعدّ في المظهرين للاسلام أوّلا، و إنّما ننكر أن يكون أوّل الأوّلين فلما احتمل قول حسان ما وصفناه لم ينكر المسلمون عليه ذلك.

مع أنّ حَسَانَ قد حرض على أمير المؤمنين ظاهرا و دعا إلى مطالبته بثارات عثمان جهرا فلم ينكر عليه في الحال منكر، فيجب أن يكون مصيبا في ذلك، فان قالوا:

هذا شيء قاله في مكان دون مكان فلما ظهر عنه أنكره جماعه من الصّحابه، قيل لهم: فان قنعتم بذلك، و اقترحتم في الدّعوى فاقنعوا منّا بمثله فيما اعتقدتموه في شعره في أبي بكر، و هذا ما لا فضل فيه على أنّ حسان بن ثابت قد شهد في شعره بامامه أمير المؤمنين عليه السّلام نصّا و ذكر ذلك بحضرة النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم فجراه خيرا في قوله:

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخمّ و أسمع بالرسول مناديا

في أبيات تقدّم ذكره منّا في مقدّمات الخطبه الثالثه المعروفه بالشّقشقيّه و شهد أيضا لأمير المؤمنين عليه السّلام بسبق قريش إلى الايمان حيث يقول:

جزى الله خيرا و الجزاء بكفّه أبا حسن عنا و من كأبي حسن

سبقت قريشا بالذي أنت أهله فصدرك مشروح و قلبك ممتحن

فشهد بتقديم ايمان أمير المؤمنين عليه السّلام الجماعه، و هذا مقابل لما تقدّم و مسقط له فان زعموا أنّ هذا محتمل، فكذلك ما ذكرتموه عنه أيضا محتمل.

و أما روايتهم عن مجاهد فإنّها مقصوره على مذهبه و رأيه و مقاله، و بازاء مجاهد عالم من التابعين ينكرون عليه و يذهبون إلى خلافه في ذلك و أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام أوّل الناس ايمانا، و هذا القدر كاف في ابطال قول مجاهد، على أنّ الثابت عن مجاهد خلاف ما ادّعاه هؤلاء القوم و أضافوه إليه، و ضدّه و نقيضه روى ذلك منهم من لا يتّهم عليه سفيان بن عيينه عن ابن أبي نجيح عن مجاهد و اثره عن ابن عتيّاس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم السّباق أربعة: يوشع بن نون إلى موسى بن عمران.

و صاحب يس إلى عيسى بن مريم، و سبق عليّ بن ابي طالب عليه السّلام إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و نسي الناقل عن سفيان الآخر، و قد ذكرت في حديث غير هذا أنّه مؤمن آل فرعون و هذا يسقط تعلّقهم بما ادّعوه من مجاهد.

و أما حديث عمرو بن مره عن إبراهيم فهو أيضا نظير قول مجاهد، و إنّما

أخبر عمرو عن مذهب إبراهيم، والغلط جائز على إبراهيم و من فوقه، و بازاء إبراهيم من هو فوقه و أجلّ قدرا منه يدفع قوله و يكذّبه في دعواه كأبي جعفر و أبي عبد الله الصادق عليهما السّلام و من غير أهل البيت قتاده و الحسن و غيرهما مما لا يحصى كثره و في هذا غنى عن غيره.

قال الشيخ قدس الله روحه فهذه جملة ما اعتمد القوم فيما ادّعوه من خلافنا في تقديم إيمان أمير المؤمنين عليه السّلام و تعلقوا به، و قد بينت عوارها و أوضحت حالها، و أنا أذكر طرفا من أسماء من روى أنّ أمير المؤمنين كان أسبق الخلق إلى رسول الله و أوّل من المذكور إجابته له و ايمانا به فمن ذلك الرواية عن أمير المؤمنين عليه السّلام نفسه من طريق سلمه بن كهيل عن حبه العرنى قال: سمعت عليا يقول: اللهم لا أعرف عبدا لك عبدك من هذه الأمّة قبلي غير نبيّها عليه و آله السّلام، قال ذلك ثلاث مرّات، ثمّ قال: لقد صلّيت قبل أن يصلى أحد سبعا.

و من طريق المنهال عن عبايه الأسدي عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: لقد أسلمت قبل الناس بسبع سنين و من طريق جابر عن عبد الله بن يحيى الحضرمي عن عليّ عليه السّلام قال: صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم ثلاث سنين و لم يصلّ أحد غيري.

و من طريق نوح بن قيس الطّاحي عن سليمان أبي فاطمه عن معاذة العدويه قال: سمعت عليّا يخطب على منبر البصره فسمعتة يقول: أنا الصّديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، و أسلمت قبل أن يسلم.

و من طريق عمرو بن مرّه عن أبي البختری عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: صلّيت قبل النّاس سبع سنين.

و من طريق نوح بن دراج عن خالد الخفاف قال: أدركت النّاس و هم يقولون:

وقع بين عليّ و عثمان كلام فقال عثمان و الله أبو بكر و عمر خير منك، فقال عليّ عليه السّلام كذبت و الله لأنا خير منك و منهما، عبدت الله قبلهما و عبدت الله بعدهما

و من طريق الحارث الأعور قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: اللهمّ إنّي لا أعرف عبدا من عبادك عبدك قبلي.

وقال عليه السّلام قبل ليله الهيرير بيوم و يحزّض النّاس على أهل الشّام: أنا أوّل ذكر صلّى مع رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم و لقد رأيتني أضرب بسيفي قدامه و هو يقول لا سيف إلاّ ذو الفقار و لا فتى إلاّ عليّ حياتك حياتي و موتك موتي.

وقال عليه السّلام و قد بلغه أنّ قوما يطعنون عليه في الاخبار عن رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم بعد كلام خطبه(1): بلغني أنكم تقولون إنّ عليا يكذب، فعلى من أكذب أعلى الله فأنا أوّل من آمن به و عبده و وّخده، أم على رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم فأنا أوّل من آمن به و صدّقه و نصره.

وقال عليه السّلام لما بلغه افتخار معاوية عند أهل الشّام شعره المشهور الذي يقول فيه:

سبقتكم إلى الاسلام طرا صغيرا ما بلغت أوان حلمي

و أنا أذكر الشعر بأسره في موضع غير هذا عند الحاجه إليه إنشاء الله تعالى.

و من ذلك ما رواه أبو أيّوب خالد بن زيد الأنصاري صاحب رسول الله من طريق عبد الرحمن معمر عن أبيه عن أبي أيّوب رحمه الله، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم: صلّت الملائكة عليّ و على عليّ بن أبي طالب عليه السّلام سبع سنين، و ذلك أنّه لم يصلّ معي رجل غيره.

و من ذلك ما رواه سلمان الفارسي رحمه الله عليه من طريق عليم الكندي عن سلمان قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم: أوّلكم ورودا عليّ الحوض أوّلكم اسلا ما عليّ بن أبي طالب.

و من ذلك ما رواه أبو ذر الغفاري رحمه الله عليه من طريق محمّد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جدّه عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم يقول لعليّ بن أبي طالب:

أنت أوّل من آمن بي، في حديث طويل.

و روى أبو سخيّله عن أبي ذر أيضا قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم هو آخذ بيد عليّ عليه السّلام يقول: أنت أوّل من آمن بي و أوّل من يصفحني يوم القيامة.

ص: ٢٧٤

١- (١) و قد مضى هذا الكلام بروايه السيد ره في الكتاب و هو المختار السبعون، منه

و قد رواه ابن أبي رافع عن أبيه أيضا عن أبي ذر قال: أتته اودّعه فقال:

ستكون فتنه فعليك بالشيخ عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه و تسليمه فاني سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول أنت أوّل من آمن بي.

و من ذلك ما رواه حذيفه اليمان رحمه الله عليه عن طريق قيس بن مسلم عن ربعي بن خراش قال: سألت حذيفه اليمان عن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه فقال: ذاك أقدم الناس سلما و أرجح الناس حلما.

و من ذلك ما رواه جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله عليه عن طريق شريك عن عبد الله بن محمّد بن عقيل عن جابر قال: بعث رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يوم الاثنين و أسلم عليّ عليه السّلام يوم الثلاثاء.

و من ذلك ما رواه زيد بن أرقم عن طريق عمرو بن مّره عن أبي حمزه مولى الأنصار قال: سمعت زيد بن أرقم يقول: أوّل من صلّى مع النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم عليّ بن أبي طالب و من ذلك ما رواه زيد بن صوحان العبدى عن طريق عبد الله بن هشام عن أبيه عن طريق بن عيسى الغنوى أنّ زيد بن صوحان خطب في مسجد الكوفة فقال: سيروا إلى أمير المؤمنين و سيّد المسلمين و أوّل المؤمنين إيمانا.

و من ذلك ما روته أم سلمه زوج النّبى عن طريق مساور الحميرى عن امّه قالت: قالت امّ سلمه: و الله لقد أسلم عليّ بن أبي طالب أوّل الناس و ما كان كافرا، في حديث طويل.

و من ذلك ما رواه عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رحمه الله عليه عن طريق أبي صالح عن عكرمه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: صلّت الملائكة عليّ و على عليّ بن أبي طالب سبع سنين، قالوا و لم ذاك يا رسول الله؟ قال: لم يكن معى من الرّجال غيره، و من طريق عمرو بن ميمون عنه ما تقدّم ذكره، و روى مجاهد عنه أيضا مثل ذلك و قد سلف لنا فيما مضى.

و من ذلك ما رواه قثم بن العباس بن عبد المطلب عن طريق قيس بن أبي حازم عن أبي إسحاق قال: دخلت على قثم بن العباس فسألته عن عليّ فقال: كان أوّلنا

برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحوقا و أشدنا به لصوقا.

و من ذلك ما رواه مالك الأثر رحمه الله عليه من طريق الفضل بن أدهم المدني قال: سمعت مالك بن الحارث الأشتر يقول في خطبه خطبها بصفتين: معنا ابن عم نبينا صلى الله عليه وآله وسلم و سيف من سيوف الله على بن أبي طالب صلى مع رسول الله صغيرا و لم يسبقه بالصلاة ذكر، و جاهد حتى صار شيخا كبيرا.

و من ذلك ما رواه سعيد بن قيس من طريق مالك بن قدامة الارجبي أن سعيد ابن قيس خطب الناس بصفتين فقال: معنا ابن عم نبينا صدق و صلى صغيرا و جاهد مع نبيكم كبيرا.

و من ذلك ما رواه عمرو بن الحمق الخزاعي من طريق عبد الله بن شريك العامري قال: قام عمرو بن الحمق يوم صفتين فقال: يا أمير المؤمنين أنت ابن عم نبينا و أول المسلمين إيمانا بالله عز و جل.

و من ذلك ما رواه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص من طريق جنذب قال: قال هاشم يوم صفتين: نجاهد في طاعة الله مع ابن عم رسول الله و أول من آمن بالله و أفقه الناس في دين الله.

و من ذلك ما رواه محمّد بن كعب من طريق عمر مولا غفره عن محمّد بن كعب قال: أول من أسلم على بن أبي طالب عليه السلام.

و من ذلك ما رواه مالك بن الحويرث من طريق مالك بن الحسن بن مالك قال: أخبرني أبي عن جدّي مالك بن الحويرث قال: أول من أسلم من الرجال على بن أبي طالب.

و من ذلك ما رواه أبو بكر عتيق بن أبي قحافه و عمر بن الخطاب و أنس ابن مالك و عمر و بن العاص و أبو موسى الأشعري.

و الذي رواه أبو بكر من طريق زافر بن سليمان عن الصيّلت بن بهرام عن الشعبي قال: مرّ على بن أبي طالب على أبي بكر و معه أصحابه فسلم عليهم و مضى فقال أبو بكر: من سرّه أن ينظر إلى أول الناس في الاسلام سبقا و أقرب الناس برسول الله قرابه، فلينظر إلى على بن أبي طالب، الحديث و قدّمناه

و أما عمر فانّ أبا حازم مولى ابن عباس قال: سمعت عبد الله بن عباس يقول قال عمر بن الخطاب: كفّوا عن عليّ بن أبي طالب فأنّي سمعت من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم فيه خصالا قال: إنك أوّل المؤمنين بعدى ايماننا، و ساق الحديث.

و أما عمرو بن العاص فان تميم بن جذيم النّاحي قال: إنّنا لمع أمير المؤمنين عليه السّلام بصفّين إذ خرج إليه عمرو بن العاص فأراد أن يكلمه فقال عمرو: تكلم فانك أوّل من اسلم فاهتدى و وخذ فصلّي.

و من ذلك ما رواه أبو موسى الأشعري عن طريق يحيى بن سلمه بن كهيل عن أبيه سلمه عن أبي جعفر عن ابن عباس قال أبو موسى الأشعري: عليّ أوّل من أسلم.

و من ذلك ما رواه أنس بن مالك من طريق عباد بن عبد الصّمد قال: سمعت أنس بن مالك يقول: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: لقد صلّت الملائكة عليّ و عليّ بن أبي طالب سبع سنين، و ذلك أنّه لم يرفع إلى السّماء شهادته أن لا إله إلاّ الله و أنى محمّدا رسول الله إلاّ منّي و من عليّ صلوات الله عليه.

و من ذلك ما روى عن الحسن بن أبي الحسن البصرى من طريق قتاده بن دعامة السّدوسى قال: سمعت الحسن يقول: إنّ عليّا عليه السّلام صلّى مع النّبي أوّل الناس فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: صلّت الملائكة عليّ و عليّ بن أبي طالب سبع سنين.

و من ذلك ما روى عن قتاده من طريق سعيد بن أبي عروبه قال: سمعت قتاده يقول: أوّل من صلّى من الرّجال عليّ بن أبي طالب.

و من ذلك ما روى عن أبي إسحاق من طريق يونس بن بكير عن محمّد بن إسحاق قال: كان أوّل ذكر آمن و صدّق عليّ بن أبي طالب و هو ابن عشر سنين، ثمّ أسلم بعده زيد بن حارثه.

و من ذلك ما روى عن الحسن بن زيد من طريق إسماعيل بن عبد الله بن أبي يونس قال: أخبرني أبي عن الحسن بن زيد أنّ عليا كان أوّل ذكر أسلم.

فاما الروايه عن آل أبى طالب فى ذلك فأنها أكثر من أن تحصى، وقد أجمع بنو هاشم و خاصه آل على لا تنازع بينهم على أن أول من أجاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الذكور على بن أبى طالب و نحن أغنياء بشهره ذلك عن ذكر طرقة و وجوهه.

فأما الاشعار التى تؤثر عن الصحابه فى الشهاده له عليه السلام بتقديم الايمان

و أنه أسبق الخلق إليه فقد وردت عن جماعه منهم و ظهرت عنهم على وجه يوجب العلم و يزيل الارتياب و لم يختلف فيها من أهل العلم بالنقل و الارتياب إثنان.

فمن ذلك قول خزيمه بن ثابت ذى الشهادتين رحمه الله عليه:

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا أبو حسن ممّا يخاف من الفتن
وجدناه أولى الناس بالناس أنّه أظبّ قریش بالكتاب و بالسّنن
و إنّ قریشاً لا يشقّ غباره إذا ما جرى يوماً على الضمر البدن
ففيه الذى فيه من الخير كلّه و ما فيهم مثل الذى فيه من حسن
وصى رسول الله من دون أهله و فارسه قد كان فى سالف الزمن
و أول من صلى من الناس كلّهم سوى خيره النسوان و الله ذو منن
و صاحب كبش القوم فيكلّ وقعه يكون لها نفس الشجاع لدى الذقن
فذاك الذى تشنى الخناصر باسمه إمامهم حتّى اغتیب فى الكفن

و منه قول كعب بن زهير:

صهر النبى و خير الناس كلّهم فكلّ من رامه بالفخر مفخور
صلى الصلاه مع الامى أولهم قبل العباد و ربّ الناس مكفور

و منه قول حسان بن ثابت:

جزي الله خيرا و الجزاء بكفّه «وقدّمتنا البيتين فيما سلف»

ص: ٢٧٨

و منه قول ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب حيث يقول عند بيعه أبي بكر:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منتقل عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن
أليس أوّل من صلّى لقبلكم و أعلم الناس بالآثار و السنن
و آخر الناس عهدا بالنبي و من جبريل عون له في الغسل و الكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به و ليس في القوم ما فيه من الحسن
ما ذا الذي ردّكم عنه فنعلمه ها إنّ بيعتكم من أوّل الفتن
و في هذا الشّعر قطع من قائله على إبطال إمامه أبي بكر و إثبات الامامه لأمير المؤمنين عليه السّلام.

و منه قول فضل بن عتبة بن أبي لهب فيما ردّ به على الوليد بن عتبة في

مديحه لعثمان و مرثيته له و تحريضه على أمير المؤمنين (عليه السلام) في قصيدته
التي يقول في أولها:

ألا إنّ خير النّاس بعد ثلاثة قتيل التجوي الذي جاء من مضر
فقال الفضل رحمه الله عليه:

ألا إنّ خير النّاس بعد محمّد مهيمنه التالیه في العرف و النكر
و خيرته في خيبر و رسوله بنذ عهد الشرك فوق أبي بكر
و أوّل من صلّى و صنو نبيّه و أوّل من أردى الغواه لدى بدر
فذاك على الخير من ذا يفوقه أبو حسن حلف القرابه و الصهر

و في هذا الشعر دليل على تقدّم ايمان أمير المؤمنين عليه السّلام و على أنّه كان الأمير في سنه تسع على الجماعه و كان في جملة
رعيتّه أبو بكر على خلاف ما ادّعتّه النّاصبه من قولهم إنّ أبا بكر كان الأمير على الجماعه و إنّ أمير المؤمنين كان تابعا له.

و منه قول مالك بن عباده الغافقي حليف حمزه بن عبد المطلب رحمه الله عليه:

رأيت عليا لا يلبث قرنه إذا ما دعاه حاسرا أو مسر بلا

فهذا و في الاسلام أوّل مسلم و أوّل من صلّى و صام و هلّلا

و منه قول عبد الله بن ابي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

و كان وليّ الأمر بعد محمّد عليّ و في كلّ المواطن صاحبه

وصيّ رسول الله حقا و جاره و أوّل من صلّى و من لان جانبه

و في هذا الشعر أيضا دليل على اعتقاد هذا الرّجل في أمير المؤمنين عليه السلام أنّه كان الخليفة لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بلا فصل.

و منه قول النجاشي بن الحارث بن كعب:

فقل للمضللّ من وائل و من جعل الغثّ يوما سمينا

جعلت ابن هند و أشياعه نظير عليّ أما تستحونا

إلى أوّل الناس بعد الرّسول أجاب الرّسول من العالمينا

و منه قول جرير بن عبد الله البجلي:

فصلّى الإله على أحمد رسول المليك تمام النعم

و صلّى على الطّهر من بعده خليفتنا القائم المدّعم

عليا عنيت وصيّ النّبىّ يجالده عنه غواه الامم

له الفضل و السبق و المكرمات و بيت النّبوه لا المهتمضم

و في هذا الشّعر أيضا تصريح من قائله بامامه أمير المؤمنين عليه السّلام بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و أنّه كان الخليفة على من تقدّم.

و منه قول عبد الله بن حكيم التميمي:

دعانا الزبير إلى بيعه و طلحه بعد ما أتقلا

ص: ٢٨٠

فقلنا صفقنا بإيماننا و إن شتتما فخذنا الأشملا

نكتتم علنا على بيعته و إسلامه فيكم أولا

و منه قول عبد الله بن جبل حليف بنى جمح:

لعمري لئن بايعتم ذا حفيظه على الدين معروف العفاف موقفا

عفيفا عن الفحشاء أبيض ماجد صدوقا و للجبار قدما مصدقا

أبا حسن فارضوا به و تبايعوا فليس كمن فيه لذي العيب منطقا

علني وصي المصطفى و وزيره و أول من صلى لذي العرش و اتقى

و منه قول ابي الاسود الدثلي:

و انّ علنا لكم مفخر يشبه بالأسد الأسود

أما إنّه سيّد العابدين بمكّه و الله لم يعبد

و منه قول زفر بن زيد بن حذيفه الاسدي:

فحوطوا علنا و احفظوه فانه وصي و في الاسلام أول أول

و منه قول قيس بن سعد بن عباده بصفين:

هذا علني و ابن عم المصطفى أول من أجابه ممن دعا

هذا إمام لا نبالي من غوى

و منه قول هاشم بن عتبة بن أبي وقاص بصفين:

أشلهم بذي الكعوب شلا مع ابن عم أحمد تجلا

أَوَّلُ مِنْ صَدَقَهُ وَصَلَّى

ص: ٢٨١

قال الشيخ قدس الله روحه: و أما قول الناصبه إن إيمان أمير المؤمنين صلوات الله عليه لم يقع على وجه المعرفة و إنما كان على وجه التقليد و التلقين و ما كان بهذه المنزله لم يستحق صاحبه المدحه و لم يجب به الثواب، و ادعائهم أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان في تلك الحال ابن سبع سنين و من كان هذه سنه لم يكن كامل العقل و لا مكلفاً، فإنه يقال لهم: إنكم قد جهلتم في ادعائكم أنه كان وقت مبعث النبي صلى الله عليه و آله و سلم ابن سبع سنين و قلم قولاً لا برهان عليه يخالف المشهور و يضاد المعروف، و ذلك أن جمهور الروايات جاءت بأنه عليه السلام قبض و له خمس و ستون سنه و جاء في بعضها أن سنه كانت عند وفاته ثلاثاً و ستين فأما ما سوى هاتين الروايتين فشاذ مطروح و قد يعرف في صحيح النقل و لا يقبله أحد من أهل الروايه و العقل.

و قد علمنا أن أمير المؤمنين عليه السلام صحب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ثلاثاً و عشرين سنه منها ثلاث عشره قبل الهجره، و عشر بعدها، و عاش بعده ثلاثين سنه، و كانت وفاته في أربعين من الهجره، فاذا حكمنا في سنه على خمس و ستين كما تواترت به الأخبار كانت سنه عند مبعث النبي صلى الله عليه و آله اثنتي عشره سنه، و إن حكمنا على ثلاث و ستين كانت سنه عند المبعث عشر سنين، و كيف يخرج من هذا الحساب أن يكون سنه عند المبعث سبع سنين.

اللهم إلا أن يقول قائل إن سنه كانت عند وفاته ستين سنه فيصح ذلك له إلا أنه يكون دافعا للمتواتر من الأخبار، منكرًا للمشهور من الآثار، معتمداً على الشاذ من الروايات، و من صار إلى ذلك كان الأولى في مناظرته البيان له على وجه الكلام في الأخبار، و التوقيف على طرق الفاسد من الصريح فيها دون المجازفه في مقاله، و كيف يمكن عاقلاً سماع الأخبار أو نظر في شيء من الآثار أن يدعى أن أمير المؤمنين عليه السلام توفي و له ستون سنه مع قوله عليه السلام الشائع عنه الذائع في الخاص و العام عند ما بلغه من ارجاف أعدائه في التدبير و الرأي:

بلغني أن قوماً يقولون إن علي بن أبي طالب شجاع لكن لا بصيره له بالحرب

لله أبوهم و هل فيهم أحد أبصر بها متى لقد قمت فيها و ما بلغت العشرين وها أنا قد ذرفت على الستين، و لكن لا رأى لمن لا يطاع.

فخبر عليه السلام بأنه نيف على الستين في وقت عاش بعده دهرا طويلا، و ذلك في أيام صفين و هكذا يكذب قول من زعم أنه صلوات الله عليه توفي و له ستون سنة مع أنّ الروايات قد جاءت مستفيضه ظاهره بأنّ سنّه كانت عند وفاته بضعا و ستين سنة و في مجيؤها بذلك على الانتشار دليل على بطلان مقال من أنكر ذلك.

فمن ذلك ما ذكره علي بن عمرو بن أبي سيره عن عبد الله بن محمد بن عقيل قال:

سمعت محمد بن الحنفية يقول في سنة الجحاف حين دخلت سنة إحدى و ثمانين هذه لى خمس و ستون سنة و قد جاوزت من أبي قلت: و كم كان سنّه يوم قتل؟ قال:

ثلاثا و ستين سنة.

و منهم أبو القاسم نعيم قال: حدّثنا شريك عن أبي إسحاق قال توفي عليّ صلاه الله عليه و هو ابن ثلاث و ستين سنة.

و منهم يحيى بن أبي كثير عن سلمه قال: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: و قد سئل عن سنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه يوم قبض قال: قد كان نيف على الستين.

و منهم ابن عايشه من طريق أحمد بن زكريا قال: سمعته يقول: بعث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم و عليّ ابن عشر سنين و قتل عليّ و له ثلاث و ستون سنة و منهم الوليد بن هاشم الفخذي «الفحدمي خ» من طريق أبي عبد الله الكواسجي «شحي خ» قال: أخبرنا الوليد بأسانيد مختلفه أنّ عليا صلوات الله عليه قتل بالكوفة يوم الجمعة لتسع عشره ليله خلت من شهر رمضان سنة أربعين و هو ابن خمس و ستين سنة.

فأما من روى أنّ سنة كانت عند البعثة أكثر من عشر سنين فغير واحد.

منهم عبد الله بن مسعود من طريق عثمان بن المغيرة عن وهب عنه قال:

إنّ أوّل شيء علمته من أمر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم أنّي قدمت مكّه فأرشدونا إلى العباس ابن عبد المطلّب فانتبهنا إليه و هو جالس إلى زمزم فبينما نحن جلوس إذ أقبل رجل

من باب الصِّفا عليه ثوبان أبيضان على يمينه غلام مراهق أو محتلم تتبعه امرأه قد سترت محاسنها حتى قصدوا الحجر، فاستلمه و الغلام و المرأة ثم طاف بالبيت سبعا و الغلام و المرأة يطوفان معه، ثم استقبل الكعبه فقام فرجع يديه و كبر فقام الغلام عن يمينه و كبر و قامت المرأة خلفهما فرفعت يديها فكبرت، فأطال القنوت ثم ركع فركع الغلام و المرأة معه، ثم رفع رأسه فأطال القنوت، ثم سجد و يصنعان ما صنع فلما رأينا شيئا ننكره و لا نعرفه بمكة أقبلنا على العباس فقلنا: يا أبا الفضل إن هذا الدِّين ما كنَّا نعرفه، قال: أجل و الله ما تعرفون هذا، قلنا: ما تعرفه قال:

هذا ابن أخي محمّد بن عبد الله، و هذا عليّ بن أبي طالب، و هذه المرأة خديجه بنت خويلد، و الله ما على وجه الأرض أحد يعبد الله بهذا الدِّين إلا هؤلاء الثلاثة.

و روى قتاده عن الحسن و غيره قال: كان أوّل من آمن عليّ بن أبي طالب عليه السّلام و هو ابن خمس عشره سنه أو ستّ عشره سنه.

و روى شدّاد بن أوس قال: سألت خباب بن الأرتّ عن إسلام عليّ بن أبي طالب عليه السّلام قال: أسلم و هو ابن خمس عشره سنه، و لقد رأيته يصلّي مع النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و هو مستحكم البلوغ.

و روى عليّ بن زيد عن أبي نصره قال: أسلم عليّ و هو ابن أربع عشره سنه، و كان له يومئذ ذؤابه يختلف إلى الكتاف.

و روى عبد الله بن زياد عن محمّد بن عليّ قال: أوّل من آمن بالله عليّ بن أبي طالب عليه السّلام و هو ابن إحدى عشره سنه.

و روى الحسن بن زيد قال: أوّل من أسلم عليّ بن أبي طالب عليه السّلام و هو ابن خمس عشره، و قد قال عبد الله بن الحارث بن أبي سفيان بن عبد المطلب.

و صلّى عليّ مخلصا بصلاته لخمس و عشر من سنه كوامل

و خلّى اناسا بعده يتبعونه له عمل أفضل به صنع حامل

و روى سلمه بن كهيل عن أبيه عن جبه بن جوين العرنى قال: أسلم عليّ صلوات الله عليه و آله و كان له ذؤابه يختلف إلى الاكتاف.

على أنا لو سلّمنا لخصومنا ما ادّعوه من أنه كان له عند المبعث سبع سنين لم يدلّ ذلك على صحّه ما ذهبوا إليه من أن إيمانه كان على وجه التلقين دون المعرفة واليقين، وذلك أنّ صغر السنّ لا ينافي كمال العقل و ليس دليل وجوب التكليف بلوغ الحلم فيراعى ذلك هذا باتّفاق أهل النّظر والعقول، وإنّما يراعى بلوغ الحلم في الأحكام الشّرعيه دون العقليه، فقد قال سبحانه في قصّه يحيى: و آتيناها الحكم صبيّا، وقال في قصّه عيسى: فأشارت إليه قالوا كيف نكلّم من كان في المهد صبيّا، قال إنّي عبد الله آتاني الكتاب و جعلني نبيا و جعلني مباركا أينما كنت و أوصاني بالصّيلوه و الزّكاه ما دمت حيّا، فلم ينف صغر سنّ هذين النّبیین عليهما السلام كما عقلهما أو الحكمه الّتي آتاها الله سبحانه، و لو كانت العقول تحيل ذلك لا حالته فيكلّ أحد و على كلّ حال.

و قد أجمع أهل التفسير إلّا من شدّد عنهم في قوله تعالى: و شهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قدّ من قبل فصدقت و هو من الكاذبين و إن كان قميصه قدّ من دبر فكذبت و هو من الصادقين، أنّه كان طفلا صغيرا في المهد أنطقه الله عزّ و جلّ حتّى برء يوسف من الفحشاء و أزال عنه التهمه.

و النّاصبه إذا سمعت هذا الاحتجاج قالت: إنّ هذا الذي ذكرتموه فيمن عدتموه كان معجزا لخرق العاده و دلالة لنبيّ من أنبياء الله، فلو كان أمير المؤمنين مشاركا لمن وصفتموه في خرق العاده لكان معجزا له أو للنبيّ و ليس يجوز أن يكون معجزا له و لو كان معجزا للنبيّ لجعله في معجزاته و احتجّ به في جملة بيناته و لجعله المسلمون في آياته، فلمّا لم يجعله رسول الله لنفسه علما و لا عدّه المسلمون في معجزاته علمنا أنّه لم يجر فيه الأمر على ما ذكرتموه.

فيقال لهم: ليس كلّ ما خرق الله به العاده و جب أن يكون علما و لا لزم أن يكون معجزا و لا شاع علمه في العام و لا عرف من جهة الاضطرار، و إنّما المعجز العلم هو خرق العاده عند دعوه داع أو براهه معروف يجرى براءته مجرى التّصديق له في مقاله، بل هي تصديق في المعنى و إن لم يك تصديقا بنفس اللفظ و القول،

و كلام عيسى إنّما كان معجزا لتصديقه له في قوله: إنّني عبد الله آتاني الكتاب و جعلني نبيا، مع كونه خرقا للعادة و شاهدا لبرائه أمّه من الفاحشه.

و لصدقها فيما ادّعت من الطهاره، و كان حكمه يحيى في حال صغره تصديقا له في دعوته في الحال و لدعوه أبيه زكريّا فصارت مع كونها خرق العاده دليلا و معجزا، و كلام الطفل في برائه يوسف إنّما كان معجزا لخرق العاده بشهادته ليوسف عليه السّلام للصدّق في برائه ساحته و يوسف نبى مرسل فثبت أنّ الأمر ما ذكرنا و لم يكن كمال عقل أمير المؤمنين شاهدا في شيء ممّن ادّعاه و لا استشهاد هو عليه السّلام به فيكون مع كونه خرقا للعادة معجزا و لو استشهاد به أو شهد على حدّ ما شهد الطفل ليوسف و كلام عيسى له و لامّه و كلام يحيى لأبيه بما يكون في المستقبل و الحال لكان لخصوصنا وجه للمطالبه بأن يذكر ذلك في المعجزات لكن لا وجه له على ما بيّناه.

على أنّ كمال عقل أمير المؤمنين عليه السّلام لم يكن ظاهرا للحواس، و لا معلوما بالاضطرار فيجربى مجرى كلام المسيح، و حكمه يحيى، و كلام شاهد يوسف، فيمكن الاعتماد عليه في المعجزات، و إنّما كان طريق العلم مقال الرسول و الاستدلال الشّاق بالنظر الثاقب و السرّ لحاله عليه السّلام و على مرور الأوقات بسمع كلامه و التأمّل لاستدلالاته و النظر فيما تؤدّى إلى معرفته و فطنته ثمّ لا يحصل ذلك إلّا لخاص من النّاس و من عرف وجوه الاستنباطات و ما جرى هذا المجرى فارق حكمه حكم ما سلف للأنبياء من المعجزات و ما كان لنبيّنا صلّى الله عليه و آله و سلّم من الاعلام إذا تلك بظواهرها فقدح في القلوب أسباب اليقين و تشرك الجميع في الحال الظاهره منها المنبئه عن خرق العادات دون أن تكون مقصوره على ما ذكرناه من البحث الطويل و الاستقرار للأحوال على مرور الأوقات أو الرجوع فيه إلى نفس قول الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم الذي يحتاج في العلم به إلى النّظر في معجز غيره و الاعتماد على ما سواه من البيّنات فلا ينكر أن يكون الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم إنّما عدل عن ذكر ذلك و احتججه به في جملة آياته لما وصفناه.

و شىء آخر و هو أنه لا ينكر أن يكون الله سبحانه علم من مصلحه خلقه الكف من رسول الله عن الاحتجاج بذلك و الدعاء إلى النظر فيه و أن اعتماده على ما ظاهره خرق العاده أولى في مصلحه الدين.

و شىء آخر و هو أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و إن لم يحتج به على التفصيل و التعيين فقد فعل ما يقوم مقام الاحتجاج به على البصيره و اليقين، فابتدأ علينا عليه السلام بالدعوه قبل الذكور كلهم ممن ظاهره البلوغ و افتتح بدعوته قبل أداء رسالته، و اعقد عليه في ايداعه سره و أودعه ما كان خائفا من ظهوره عنه، فدل باختصاصه بذلك على ما يقوم مقام قوله إنه معجز له و إن بلغ عقله علم على صدقه، ثم جعل ذلك من مفاخره و جليل مناقبه و عظيم فضائله، و نوه بذكره و شهره بين أصحابه فاحتج له به في اختصاصه، و كذلك فعل أمير المؤمنين صلوات الله عليه في ادعائه له، فاحتج به على خصومه و تمدح به بين أوليائه و فخره على جميع أهل زمانه، و ذلك هو معنى النطق بالشهادته بالمعجز له بل هو الحجج في كونه نائبا في القوم بما خصه الله تعالى منه و نفس الاحتجاج لعلمه و دليل الله و برهانه و هذا يسقط ما اعتمده.

و مما يدل على أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان عند بعثه النبي صلى الله عليه و آله و سلم بالغا مكلفا و أن إيمانه به كان بالمعرفه و الاستدلال و أنه وقع على أفضل الوجوه و أكدها في استحقاق عظيم الثواب أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مدحه به و جعله من فضائله و ذكره في مناقبه، و لم يك بالذى يفضل بما ليس يفضل و يجعل في المناقب ما لا يدخل في جملتها، و يمدح على ما لا يستحق عليه الثواب.

فلما مدح رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أمير المؤمنين عليه السلام بتقدمه الايمان فيما ذكرناه آنفا:

من قوله صلى الله عليه و آله و سلم لفاطمه عليها السلام: أما ترضين أنى زوجتك أقدمهم سلما: و قوله صلى الله عليه و آله و سلم في روايه سلمان: أول هذه الأمه و رودا على نبيها الحوض أولها إسلاما على بن أبى طالب و قوله صلى الله عليه و آله و سلم: لقد صلت الملائكه على و على بن أبى طالب سبع سنين، و ذلك إنه لم يكن من الرجال أحد يصلى غيرى و غيره.

و إذا كان الأمر على ما وصفناه فقد ثبت أن إيمانه وقع بالمعرفه و اليقين

دون التقليد و التلقين لا سيّما و قد سمّاه رسول الله إيمانا و إسلاما و ما يقع من الصبيان على وجه التلقين لا يسمّى على الاطلاق الدّيني إيمانا و إسلاما.

و يدلّ على ذلك أيضا أنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه قد تمدّح به و جعله من مفاخره و احتجّ به على أعدائه و كثره في غير مقام من مقاماته حيث يقول:

اللّهمّ إنّني لا أعرف عبدا لك عبدك من هذه الامه قبلي، و قوله أنا الصّديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر و أسلمت قبل أن يسلم و قوله صلوات الله عليه لعثمان أنا خير منك و منهما عبت الله قبلهما و عبت الله بعدهما و قوله عليه السّلام أنا أوّل ذكر صلّى، و قوله عليه السّلام على من اكذب أعلى الله فأنا أوّل من آمن به و عبده.

فلو كان إيمانه على ما ذهبت إليه النّاصبه من جهه التلقين و لم يكن له معرفه و لا علم بالتوحيد لما جاز منه أن يتمدّح بذلك، و لا أن يسمّيه عباده و لا أن يفخر به على القوم، و لا أن يجعله تفضيلا له على أبي بكر و عمر، و لو أنه فعل من ذلك ما لا يجوز لردّه عليه مخالفوه و اعترضه فيه مضادّوه و حاجّه في بطلانه مخاصموه، و في عدول القوم عن الاعتراض عليه في ذلك و تسليم الجماعه له ذلك دليل على ما ذكرناه و برهان على فساد قول النّاصبه الذي حكيناه.

و ليس يمكن أن يدفع ما رويناه في هذا الباب من الأخبار لشهرتها و اجماع الفريقين من النّاصبه و الشّيعه على روايتها، و من تعرّض للطعن فيها مع ما شرحناه لم يمكنه الاعتماد على تصحيح خبر وقع في تأويله الاختلاف، و في ذلك ابطال جمهور الأخبار، و إفساد عامه الآثار و هب أنّ من لا يعرف الحديث و لا خالط أهل العلم يقدم على انكار بعض ما رويناه أو يعاند فيه بعض العارفين به و يعتنم الفرصه بكونه خاصّا في أهل العلم كيف يمكن دفع شعر أمير المؤمنين في ذلك و قد شاع من شهرته على حدّ يرتفع فيه الخلاف و انتشر حتّى صار مسموعا من العامّه فضلا عن الخواص في قوله عليه السّلام:

محّمّد النّبيّ أخى و صنوى و حمزه سيّد الشّهداء عمى

و جعفر الذى يضحى و يمسى يطير مع الملائكة ابن امى

و بنت محمد سكنى و عرسى مساط لحمها بدمى و لحمى

و سبطا أحمد ولدای منها فمن فيكم له سهم كسهمى

سبقتكم إلى الاسلام طرا على ما كان من فهمى و علمى

و أوجب لى الولاء معا عليكم خليلى يوم دوح غدیر خم

و فى هذا الشعر كفايه فى البيان عن تقدّم ايمانه و أنّه وقع مع المعرفه بالحجه و البيان، و فيه أيضا أنّه كان الامام بعد الرسول بدليل المقال الظاهر فى يوم الغدير الموجب للاستخلاف.

و ممّا يؤيد ما ذكرناه ما رواه عبد الله بن الأسود البكرى عن عبيد الله بن أبى رافع عن أبيه عن جدّه أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم صلّى يوم الاثنين و صلّت خديجه معه و دعا عليا إلى الصيلاه معه يوم الثلاثاء فقال له: أنظرنى حتّى ألقى أبا طالب فقال له التّبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: إنّها أمانه، فقال عليّ: فإن كانت أمانه فقد أسلمت لك فصلّى معه و هو ثانى يوم المبعث.

و روى الكلينى عن أبى صالح عن ابن عبّاس مثله، و قال فى حديث إنّ هذا دين يخالف دين أبى حتّى أنظر فيه و اشاور أبا طالب فقال له التّبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: انظروا كتم، قال: فمكث هنيهة ثمّ قال بل أجبتك و اصدّق بك فصدّقه و صلّى معه.

و روى هذا المعنى بعينه و هذا المقال من أمير المؤمنين على اختلاف فى اللفظ و اتفاق فى المعنى كثير من حملة الآثار، و هو يدلّ على أنّ أمير المؤمنين كان مكلفا عارفا فى تلك الحال بتوقفه و استدلاله و تمييزه بين مشوره أبيه و بين الاقدام على القبول و الطاعه للرّسول من غير فكره و لا تأمل، ثمّ خوفه أن القى ذلك إلى أبيه أن يمنعه منه مع أنّه حقّ فيكون قد صدّد عن الحقّ فعدل عن ذلك إلى القبول و عدل من التّبيّ مع أمانته و ما كان يعرفه من صدقه من مقاله و ما سمعه من القرآن الذى نزل عليه و أراد الله من برهانه أنه رسول محقّ فآمن به و صدّقه، و هذا بعد أن ميّز بين الامانه و غيرها و عرف حقّها و كره أن يفشى سرّ الرسول و قد ائتمنه عليه

و هذا لا يقع باتفاق من صبى لا عقل له و لا يحصل ممن لا تميز معه.

و يؤيده أيضا ما ذكرناه أنّ النبىّ بدء به فى الدعوه قبل الذكور كلّهم و إنّما أرسله الله تعالى إلى المكلفين فلو لم يعلم أنه عاقل مكلف لما افتتح به أداء رسالته و قدّمه فى الدعوه على جميع من بعث الله إليه، لأنه لو كان الأمر على ما ادّعت الناصبه لكان عليه السّلام قد عدل عن الأولى و تشاغل بما لم يكلفه عن أداء ما كلفه و وضع فعله فى غير موضعه، و رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يجلّ عن ذلك.

و شىء آخر و هو أنه صلّى الله عليه و آله و سلّم دعا عليًا فى حال كان مستترا فيها بدينه كاتما لأمره خائفا ان شاع من عدوّه فلا يخلو أن يكون قد كان واثقا من أمير المؤمنين بكتم سرّه و حفظ وصيّته و امتثال أمره و حمله من الدّين ما حمّله، أو لم يكن واثقا بذلك فان كان واثقا و لم يثق به عليه السّلام إلّا و هو فى نهايه كمال العقل و على غايه الأمانه و صلاح السريره و العصمه و الحكمه و حسن التدبير، لأنّ الثقة بما وصفناه دليل جميع ما شرحناه على الحال التي قدّمنا وصفها، و إن كان غير واثق من أمير المؤمنين بحفظ سرّه و غير آمن من تضييعه و إذاعه أمره فوضعه عنده من التفريط و ضدّ الحزم و الحكمه و التدبير، حاشا الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم من ذلك و من كلّ صفه نقص و قد أعلى الله عزّ و جلّ رتبته و أكذب مقال من ادّعا ذلك فيه.

و إذا كان الأمر على ما بيناه فما ترى الناصبه قصدت بالطّعن فى ايمان أمير المؤمنين إلّا عيب الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم و الزم لافعاله و وصفه بالعبث و التفريط و وضع الأشياء غير موضعها و الازراء عليه فى تدبيراته و ما أراد مشايخ القوم و من ألقى هذا المذهب اليهم إلّا ما ذكرناه و الله متمّ نوره و لو كره الكافرون.

و انما أوردت هذا الكلام بطوله مع كثره فوائده و مزيد عوائده و وثاقه مبانيه و لطافه معانيه و إنبائه عن علوّ شأن قائله و رفعه مقامه و طول باعه فى باب المناظره و الجدال و قوّه ذراعه فى إبطال مقال أهل العصبيّه و الضّلال، فحرى له أن يلقّب بالمفيد و هنيئا له أن يخرج باسمه التّوقيع الشريف من الامام الرّشيد، جزاه الله عن مذهب الحقّ و أهله خير الجزاء.

فقد قال فى شرح الكلام السادس و الخمسين إن أكثر أهل الحديث و أكثر المحققين من أهل السير رواوا أنه أول من أسلم، ثم روى من كتاب الاستيعاب لأبى عمرو يوسف بن عبد البر روايات كثيرة داله على سبق إسلامه عليه السلام.

و قال بعدها: و اعلم أن شيوخنا المتكلمين لا يكادون يختلفون فى أن أول الناس إسلاما على بن أبى طالب إلا من عساه خالف فى ذلك من أوائل البصريين، فأما الذى تقررت مقاله عليه الآن فهو القول بأنه سبق الناس إلى الايمان لا تكاد تجد اليوم فى تصانيفهم و عند متكلميهم و المحققين منهم خلافا فى ذلك.

قال: و اعلم أن أمير المؤمنين ما زال يدعى ذلك لنفسه و يفتخر به و يجعله فى أفضليته على غيره و يصرح بذلك، و قد قال غير مره: أنا الصديق الأكبر، و أنا الفاروق الأول أسلمت قبل اسلام أبى بكر و صليت قبل صلانه.

و روى عنه هذا الكلام بعينه أبو محمد بن قتيبه فى كتاب المعارف و هو غير متهم فى أمره و من الشعر المروى عنه فى هذا المعنى الأبيات التى أولها:

محمد النبى أخى و صنوى و حمزه سيد الشهداء عمى

و من جملتها:

سبقتكم إلى الاسلام طرا غلاما ما بلغت أوان حلمى

و الأخبار الواردة فى هذا الباب كثيرة جدا لا يتسع هذا الكتاب لذكرها فليطلب من مظانها، و من تأمل كتب السير و التواريخ عرف من ذلك ما قلناه.

ثم قال: فأما الداهيون إلى أن أبى بكر أقدمها إسلاما فنفر قليلون، و نحن نذكر ما أورده ابن عبد البر أيضا فى كتاب الاستيعاب فى ترجمه أبى بكر و ذكر الأخبار الواردة فى سبق إسلامه، ثم قال و معلوم أنه لا نسبه لهذه الروايات التى ذكرناها فى ترجمه على الداله على سبقه، و لا ريب أن الصحيح ما ذكره أبو عمرو أن عليا كان هو السابق و أن أبى بكر هو أول من أظهر الاسلام فظن أن السبق له.

فَدَلٌ مَجْمُوعٌ مَا ذَكَرْنَاهُ أَنْ عَلَيَّا هُوَ أَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَامًا وَ أَنَّ الْمَخَالَفَ فِي ذَلِكَ شَاذٌ، وَ الشَّاذُّ لَا يُعْتَدُّ بِهِ.

الترجمه

از جمله کلام بلاغت نظام آن امام اَنام است در توییح و مذمت أصحاب خود که فرمود:

أَيُّ نَفْسِهَائِهِ مُتَخَلِّفٌ وَ أَيُّ قَلْبِهَائِهِ پَرَاكِنْدَه وَ مُتَفَرِّقٌ كِه حَاضِرٌ اسْتِ بَدَنِهَائِهِ اِيشَانِ وَ غَايِبٌ اسْتِ اِز اِيشَانِ عَقْلِهَائِهِ اِيشَانِ، بَرِ مِي كَرْدَانِمِ شِمَا رَا بَرِ حَقِّ وَ شِمَا رَمِ مِي كَنِيْدِ اِز اَنِّ مِثْلِ رَمِ كَرْدَنِ بَزِ اِز آوَازِ مَهِيْبِ شِيْرِ، چِه دُورِ اسْتِ كِه اِظْهَارِ بَكْنِمِ بَشِمَا نِهَانِ عَدْلِ رَا يَا اَيْنِ كِه رَاسْتِ بَكْنِمِ كَجِي حَقْرَا.

بار پروردگارا البته تو می دانی که نبود آنچه که واقع شد از ما یعنی طلب خلافت و محاربه از برای رغبت کردن در سلطنت دنیا، و نه از جهت خواهش چیزی از متاع بی قدر و بها، و لیکن این طلب و حرب بجهت این بود که برگردانیم آثار دین تو را، و اظهار اصلاح نمائیم در شهرهای تو تا این که ایمن شوند ستم رسیده از بندگان تو، و بر پا شود آنچه که تعطیل افتاد از حدود تو.

بار پروردگارا بتحقیق من اَوَّلُ كَسِي هِسْتَمِ كِه بَازِ كِشْتِ نَمُودِ بَسُويِ تُو وَ شَنِيدِ دَعُوْتِ پِيْغَمْبَرِ رَا وَ قَبُولِ نَمُودِ اَنِّ رَا، سَبِقْتِ نَكْرَدِ بَمَنْ مَكْرَ حَضْرَتِ رَسُوْلِ اللّٰهِ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَمٌ بِنَمَازِ، وَ بَتَحْقِيْقِ كِه شِمَا دَانِسْتِه اِيْدِ اَنَكِه جَائِزِ وَ سَزَاوَارِ نِيْسْتِ كِه بَاشَدِ حَاكِمِ وَاَلِيِ بَرِ فَرَجِهَا وَ بَرِ خُوْنِهَا وَ غَنِيْمَتِهَا وَ حَكْمَهَا وَ اَمَانَتِ مُسْلِمَانَانِ شَخْصِ بَخِيْلِ تَا شُوْدِ دَرِ مَالِهَائِهِ اِيشَانِ حَرَصِ وَ رَغْبَتِ اُو، وَ نِه شَخْصِ نَادَانِ تَا بَضَالَتِ اِنْدَازْدِ اِيشَانِ رَا بَجَهَالَتِ خُوْدِ، وَ نِه شَخْصِ كَجِ خَلْقِ تَا بَبْرَدِ اِيشَانِ رَا اِزِ يَكْدِيْگَرِ بَجَهْتِ كَجِ خَلْقِيِ خُوْدِ، وَ نِه شَخْصِ ظَلَمِ كَنْنِنْدِه دَرِ دَوْلَتِهَا تَا فَرَا كِيْرِدِ قَوْمِ دُوْنِ قَوْمِ رَا وَ تَرْجِيْحِ بَدِهْدِ بَعْضِ اِيشَانِ رَا بِه بَعْضِيِ، وَ نِه شَخْصِ رِشُوْتِ كِيْرِنْدِه دَرِ حَكْمِ تَا بَبْرَدِ حَقُوْقِ مُسْلِمَانَانِ رَا

و نگه بدارد آن حقوق را در مقام قطع کردن و قطع و فصل ننماید، و نه شخصی که تعطیل کننده است سنت و شریعت مطهره را تا این که بهلاکت اندازد امت را.

و من خطبه له علیه السلام و هی المأه و الثانی و الثلاثون من

اشاره

المختار فی باب الخطب

نحمده علی ما أخذ و أعطی، و علی ما أبلی و ابتلی، الباطن لكلّ خفیّه، و الحاضر لكلّ سریره، العالم بما تكنّ الصّیدور، و ما تخون العیون، و نشهد أن لا إله غیره، و أنّ محمّدا صلی الله علیه و آله و سلّم نجیبه و بعیثه، شهاده یوافق فیها الشرّ الإعلان، و القلب اللسان. منها:

فإنّه و الله الجدّ لا- اللّعب، و الحقّ لا- الكذب، و ما هو إلا- الموت أسمع داعیه، و أعجل حادیه، فلا یغرنك سواد النّاس من نفسک، فقد رأیت من كان قبلک ممّن جمع المال، و حذر الإقلال، و أمن العواقب طول أمل، و استبعاد أجل، کیف نزل به الموت فأزعجه عن وطنه، و أخذه من مأمنه محمولا علی أعواد المنايا، يتعاطى به الرّجال الرّجال، حملا علی المناكب، و إمساكا بالأنامل، أما رأیتم الذّین یأملون

ص: ۲۹۳

بعيدا، و بينون مشيدا، و يجمعون كثيرا، كيف أصبحت بيوتهم قبورا، و ما جمعوا بورا، و صارت أموالهم للوارثين، و أزواجهم لقوم آخرين، لا فى حسنه يزيدون، و لا من سيئه يستعتبون، فمن أشعر التقوى قلبه برز مهله، و فاز عمله، فاهتبلوا هبلها، و اعملوا للجنه عملها، فإن الدنيا لم تخلق لكم دار مقام، بل خلقت لكم مجازا لتزودوا منها الأعمال إلى دار القرار، فكونوا منها على أوفاز، و قربوا الظهور للزيال.

اللغة

قال الشارح المعتزلى (أبلى) أى أعطى يقال: قد أبلاه الله بلاء حسنا أى أعطاه قال زهير:

جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم و أبلاهنا خير البلاء الذى يبلو

و أما قوله (و ابتلى) فالابتلاء إنزال مضره بالانسان على سبيل الاختبار كالمريض و الفقر و المصيبة، و قد يكون بمعنى الاختبار فى الخير إلا أنه كثيرا ما يستعمل فى الشر.

أقول: و الظاهر أن استعمال البلاء فى الاعطاء أيضا على الغالب لا دائما، و إلا فقد قال سبحانه: و لنبلونكم بشىء من الخوف و الجوع و نقص من الأموال و الأنفس و الثمرات.

و التحقيق أن الابلاء و الابتلاء كلاهما من البلاء بمعنى الاختبار و الامتحان قال الفيروز آبادى: ابتليت الرجل اختبرته و امتحنته كبلوته بلوا، ثم قال: و البلاء

يكون منحه و يكون محنه، و فى المصباح بلاه الله بخير أو شرّ يبلوه بلوا و أبلاه بالألف و ابتلاه ابتلاء بمعنى امتحنه، و الاسم بلاء مثل سلام، و البلوى و البليه مثله و (كننته) أكنه من باب قتل سترته، و أكننته بالألف أخفيته، و قال أبو زيد الثلاثى و الرباعى لغتان فى السرو فى الاخفاء جميعا و تكّن الصدور فى النسخ من باب الافعال.

و (اللعب) فى بعض النسخ بفتح اللام و كسرهما و فى بعضها بتخفيف العين قال ابن قتيبه و لم يسمع فى التخفيف فتح اللام مع السكون و هو الظاهر من الفيروز آبادى قال:

لعب كسمع لعبا و لعبا و لعبا و تلعبا ضدّ جدّ و هو لعب و لعب و (الكذب) أيضا فى بعض النسخ بفتح الأوّل و كسر الثانى و فى بعضها بالسكون و (دعا) المؤذّن الناس إلى الصلاه فهو داعى الله و (حدوت) بالابل حثتها على السير بالحداء و حدوته على كذا بعثته عليه و (المشيد) من شدت البيت أشيده من باب باع بنيته بالشيد و هو بالكسر الجصّ و (البور) الفاسد الهالك و قوم بور أى هلكى قال سبحانه: و كنتم قوما بورا، و هو جمع باير كحول و حايل.

و (يستعبون) فى بعض النسخ على البناء للفاعل و فى بعضها على البناء للمفعول، و (برز مهله) أى فاق أو بمعنى أبرز أى أظهر، و المهل شوط الفرس هكذا قال الشارح المعتزلى، و شوط الفرس جريه مرّه إلى غايه، و الأظهر أنّ المهل بمعنى التقدّم فى الخير كما قاله فى القاموس و (اهتبل) فلان الصييد بغاه و طلبه و اهتبل كلمه حكمه اغتمها، و الهبال و زان شداد الصياد، و ذئب هبال أى محتال، و اهتبل هبلك محرّكه عليك بشأنك و (الأوفاز) جمع و فز بسكون الفاء و يحرك أيضا و هو العجله و (الظهور) كأظهر جمع ظهر الركاب و هم مظهرون أى لهم ظهور ينقلون عليها و (زايله) مزايله و زايلا أى فارقه

الاعراب

قوله: فأنه و الله آه الضمير إمّا راجع إلى متقدّم ذكره لفظا فى تضاعيف كلامه عليه السّلام و أسقطه السّيد (ره) و التقطه غيره على ما هو عادته من التقطيع و الالتقاط أو أنّه ضمير الشّان كما فى قولك هو الأمير مقبل أى الشّان هذا.

قال نجم الأئمه: و هذا الضمير فى الحقيقه كأنه راجع إلى المسئول عنه بسؤال

مقدّر كأنه سمع ضوضاء و جلبه فاستبهم الأمر فسأل بالشأن و القصه، فقلت هو الأمير مقبل، أى الشأن هذا، فلما كان المعود إليه الذى تضمنه السؤال غير ظاهر قبل اكتفى فى التفسير بخبر هذا الضمير بتعقبه بلا فصل لأنه معين للمسئول عنه و مبيّن له، فبان لك بهذا أنّ الجملة بعد الضمير لم يؤت بها لمجرد التفسير، بل هى كسائر اخبار المبتدات لكن سميت تفسيراً لما قرّرتة، و القصد بهذا الابهام ثمّ التفسير تعظيم الأمر و تفخيم الشأن، فعلى هذا لا بدّ أن يكون مضمون الجملة المفسّره شيئاً عظيماً يعنى به فلا يقال: هو الذباب يطير، و قد يخبر عن ضمير الأمر المستفهم منه تقديراً بالمفرد تقول: هو الأمر حتّى لا تبقى على صرفه باقيه.

و قال أيضاً فى موضع آخر فى شرح قول ابن الحاجب: المضمّر ما وضع لمتكلّم أو مخاطب أو غائب تقدّم ذكره لفظاً أو معنى أو حكماً: و التقدّم الحكى أن يكون المفسّر مؤخراً لفظاً و ليس هناك ما يقتضى تقدّمه على محلّ الضمير إلّا ذلك الضمير، فنقول إنه و ان لم يكن متقدّماً على الضمير لا- لفظاً و لا- معنى إلّا- أنه فى حكم المتقدّم نظراً إلى وضع ضمير الغائب و إنّما يقتضى ضمير الغائب تقدّم المفسر لأنه وضعه الواضع معرفه لا بنفسه بل بسبب ما يعود إليه، فان ذكرته و لم يتقدّم مفسّره بقى مبهما منكرًا لا يعرف المراد به حتّى يأتى تفسيره بعده و تنكيره خلاف وضعه، فالشئىء الحامل لهم على مخالفه مقتضى وضعه بتأخير مفسّره عنه قصد التفخيم و التعظيم فى ذكر ذلك المفسّر بأن يذكروا أوّلاً شيئاً مبهما حتّى يتشوّق نفس السامع إلى العثور على المراد به ثمّ يفسّروه، فيكون أوقع فى النفس و أيضاً يكون ذلك المفسّر مذكورا مرّتين بالاجمال و التفصيل ثانياً فيكون أكد انتهى.

و قوله: أسمع داعيه و أجل حاديه، منصوبان على الحال أمّا لفظاً لو كان أفعل بصيغه التفضيل فيكون داعيه و حاديه مجرورين بإضافه افعل إليهما من باب إضافه الصّفه إلى مفعوله، و لو كان اسمع فعلاً ماضياً من باب الافعال فداعيه منصوب بالمفعوليه كذا فى أكثر النسخ و الجملة منصوبه المحلّ على الحال من الموت و العامل معنى الضمير أعنى هو لأنّه للشأن و الشأن بمعنى المصدر كما فى قولك ما شأنك

واقفا و المصدر في معنى الفعل مضافا إلى تقويته معنى بشبه الفعل اخرى، كأنه قيل: ما الشأن المسئول عنه إلا الموت فافهم جيّدا، و إضافه داعيه إلى الضمير من باب اضافة الصّيفه إلى المفعول، و كذلك الكلام في أعجل حاديه، و قوله: فلا يغرنك سواد الناس من نفسك، قال الشارح المعتزلي من ههنا إما بمعنى الباء أى لا يغرنك الناس بنفسك و صحتك و شبابك فتستبعد الموت اغترارا بذلك فتكون متعلقه بالظاهر، و إما أن تكون متعلقه بمحذوف تقديره متمكنا من نفسك و راكنا إليها.

أقول: فعلى ما ذكره تكون بمعنى الباء السببيه، و لكنّ الأظهر أن تكون بمعنى عند كما قاله أبو عبيده في قوله تعالى: لن تغنى عنهم أموالهم و لا أولادهم من الله شيئا، فالمعنى لا يغرنك سواد الناس مجتمعين عندك، و يحتمل أن يكون بمعناها الأصلي، أى لا يغرنك الناس من إصلاح نفسك و لا يشغلونك عن التوجه إلى ذاتك.

و طول أمل منصوب على المفعول له لأمن أوله و للأفعال السابقه أيضا على سبيل التنازع، قال الشارح المعتزلي: و يجوز أن ينصب على البدل من المفعول المنصوب برأيت و هو من و يكون التقدير فقد رأيت طول أمل من كان، و هذا بدل الاشتمال، و قد حذف منه الضمير العائد كما حذف من قوله تعالى: «قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ» «انتهى» و لا بأس به و العايد المحذوف فى الآيه لفظه منه أى النار منه و قيل النار مرفوع خبر لمبتدأ محذوف أى هو النار و قيل: التقدير ذى النار، هذا و روى فى بعض النسخ بطول أمل.

و حملا- و امساكا إما منصوبان على المصدر و العامل محذوف حال من فاعل يتعاطى، أو مفعوله أى حالكونهم يحملونه حملا فيكون حالا مقدّره على حدّ:

فادخلوها خالدين، أو مفعولان لأجله أى يتعاطونه للحمل و الامساك، و مشيدا صفة حذف موصوفه أى بناء مشيدا و قصر مشيدا، و مهله فى بعض النسخ بالرفع

و بعضها بالنصب.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ مدار هذه الخطبه على فصلين: أحدهما حمد الله المتعال و الاشاره إلى جملة من نعوت الكبرياء و الجمال، و الثانى التنفير من الدنيا و الوصيه بالزهد و التقوى.

اما الفصل الاول

فهو قوله (نحمده على ما أخذ و أعطى) أى على أخذه و إعطائه، و المراد بالاعطاء واضح، و أمّا الأخذ فيجوز أن يراد به أخذ الميثاق فى عالم الذرّ بالتوحيد و التّوبه و الولايه كما يشهد به قوله سبحانه: و إذ أخذ ربّك من بنى آدم من ظهورهم ذرّيتهم و أشهدهم على أنفسهم أ لست برّبكم الآيه، أو أخذ عموم التكاليف أو خصوص الحقوق المائيه كالخمس و الزّكاه و الصّدقات، أو أخذ ما أعطاه على بعض العباد و ابتلائهم بالفقر و المسكنه بعد الغنى و الثّروه، فإنّ أخذ ذلك كلّ من العباد لما كان فعلا جميلا منه سبحانه و تعالى عائدا منفعتة إليهم و نعمه منه عزّ و جلّ عليهم استحقّق بذلك حمدا و شكرا و إن كان فى بعضها ضرر دنيوى إلاّ أنّ ثمرتها الاخرويه أعظم و جزائها أدوم.

و يحتمل أن يكون المراد به أخذ المجرمين، و مؤاخذه العاصين، و إعطاء المحسنين، و إنعام الصّالحين (و) نحمده (على ما أبلى و ابتلى) أى على اختباره و امتحانه بالخير و الشّر و النفع و الضّرر، لأنّ البلاء للأولياء كرامه، و الصّبر على المكاره و التحمل على المشاق من أفضل العبادات و أعظم القربات، و إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب، و قد تقدّم تحقيقه فى شرح الخطبه المأه و الثّالثه عشر فتذكّر.

(الباطن لكلّ خفيه) أى الخبير البصير بكلّ ما يبطن و يخفى (الحاضر لكلّ سريره) أى العالم بكلّ ما يسرّ و يكتم، و إن تجهر بالقول فإنّه يعلم السرّ

و أخفى (العالم بما تكنّ الصّيدور) و تستره (و ما تخون العيون) و تسترقه من الرّمزات و اللّحظات على وجه الخيانه و الخلاف كما قال عزّ من قائل: و الله يعلم خائنه الأعين و ما تخفى الصّدور، و قد مضى تحقيق الكلام فى عموم علمه سبحانه بالجزئيات و الكليات و ما يتضح به معنى هذه الفقرات فى شرح الفصل السّادس و السّابع من الخطبه الاولى و شرح الخطبه الرّابعه و السّتين و الخامسه و الثّمانين.

(و نشهد أن لا إله إلا الله (غيره) متوحّدا فى عزّ جلاله متفرّدا فى قدس جماله، متعاليا عن نقص كماله (و أنّ محمّدا صلّى الله عليه و آله نجيبه و بعثه) أى عبده المتتجب المصطفى من بين كافّه الخلق و المرسل المبعوث إلى عامّتهم (شهادته يوافق فيها السرّ الاعلان و القلب اللسان) أى صادرة عن صميم القلب و وجه الخلوص و توافق الباطن للظاهر.

و أما الفصل الثّانى (منها)

فهو قوله عليه السّلام (فأنه و الله الجدّ لا اللّعب و الحقّ لا الكذب و ما هو إلا الموت) لا يخفى ما فى هذا الكلام من التّهويل و التخويف و الانذار بالموت لما فيه على و جازته من وجوه التّأكيد و ضرور التّفخيم البالغه إلى عشره بعضها لفظيه و بعضها معنويه كما هو غير خفى على العارف بأسرار البلاغه و بدايعها.

أولها التّأكيد بأنّ و الثّانى الاتيان بضمير الشّأن إبهاما للمرام و قصدا للتّفخيم و الاعظام و تشويقا للسامعين إلى ما يتلوه من التّبا العظيم الثّالث اسميه الجملة الرّابع الاعتراض بين شطرى الكلام بقسم، و إنّه لقسم لو تعلمون عظيم الخامس الاخبار بأنّه جدّ ليس بهزل السّادس تعريف الجدّ باللام قصدا للمبالغه من باب زيد الشّجاع أى الكامل فى هذا الوصف السّابع تعقيبه بأنّه ليس بلعب الثّامن إردافه بأنّه حقّ لا كذب و فيه من وجوه التّأكيد ما فى قرنيه التّاسع الاتيان بضمير الشّأن ثانيا قصدا لزياده التمكن ما يعقبه فى ذهن السّامعين لأنّ

المحصل بعد الطلب أعزّ من المنساق بلا تعب العاشر الاتيان بكلمه الحصر أعنى ما و إلا.

و اتبع ذلك كله بالوجه الحادى عشر فقال (أسمع داعيه) و بالوجه الثانى عشر فقال (و أعجل حاديه) أى أسمع من دعاه إلى الله سبحانه أى المدعو له و أسرع من ساقه إلى مكانه و حثّه إلى السير اليه و نسبه الاسماع و الاعجال إلى الموت من التوسّع و التوكيد بهذا كله لشده ما رآه من المخاطبين من الغفله و نومه الجهاله و اشتغالهم عن ذكر الموت و ما يحلّ عليهم من الفناء و الفوت و عن أخذ الذخير و الزاد ليوم المعاد، فأنزلهم منزله المنكرين إيقاظا لهم عن رقد الغافلين، و أعلمهم أنّ الموت حقّ يقين ليس منه خلاص و لا -مناص لا فرار و لا محار، و أنّه يدركهم و لو كانوا فى بروج مشيده و إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعه و لا يستقدمون.

(فلا يغرنك سواد الناس) و كثرتهم و اجتماعهم حولك (من نفسك) و من الاشتغال باصلاحها، و قال الشارح البحرانى: أى فلا يغرنك من نفسك الأماره بالسوء و سوستها و استغفالها لك عن ملاحظه الموت برؤيه سواد الناس أى كثرتهم إذ كثيرا ما يرى الانسان الميت محمولا فيتداركه من ذلك رقه و روعه، ثم يعاوده الوسواس الخناس و يأمره باعتبار كثره المشيعين له من الناس. و أن يجعل نفسه من الاحياء الكثيرين بملاحظه شبابه و صحته و يأمره باعتبار أسباب موت ذلك الميت من القتل و سائر الأمراض، و باعتبار زوال تلك الأسباب فى حق نفسه و بالجمله فيبعد فى اعتباره عند الموت بكلّ حيله.

فنهى عليه السلام السامعين عن الانخداع للنفس بهذه الخديعه، و أسند الغرور إلى سواد الناس لأنه مادته، و تبه على فساد تلك الخديعه و الاغترار بقوله (فقد رأيت من كان قبلك ممن جمع المال و حذر الاقلال) أى خاف من الافتقار و مسائه الحال (و أمن العواقب) و اطمئن بالأقارب (طول أمل و استبعاد أجل كيف نزل به الموت)

و حلّ بساحته الفناء و الفوت (فأزعجه) و أقلعه (عن وطنه) و سكنه (و أخذه عن مأمنه) و مسكنه، و أرهقته مئيته دون الأمل، و شدّ به عنه تخزّم الأجل (محمولا على أعواد المنايا) و التّعوش (يتعاطى به الرّجال الرّجال) و يتداولونه (حملا له على المناكب و امساكا بالأنامل) أى بالأيدى تسميه للكلّ باسم جزئه.

ثمّ أكّد فساد الاغترار بتقرير آخر فقال (أ ما رأيتم الذين يأملون) أملا (بعيدا و بينون) قصرا (مشيدا و يجمعون) مالا (كثيرا كيف أصبحت) أى صارت (بيوتهم قبورا و ما جمعوا بورا) أى فاسدا هالكا (و صارت أموالهم للوارثين و أزواجهم لقوم آخرين) بلى و هو مدرّك بالعيان يشهد به التجربه و العيان (لا- فى حسنه يزيدون و لا- من سيئه يستعقبون) أى لا- يمكن لهم الزّيادة فى الحسنات و لا- طلب أن يعتب أى يرضى الله منهم فى السيئات، و على البناء للمجهول فالمعنى أنّه لا- يطلب منهم الاعتاب و الاعتذار بعد الانتقال إلى دار القرار، و ذلك لأنّ استزاده الحسنات و استعتاب السيئات إنّما هو فى دار التّكليف و حاله الحياه و أمّا الآخره فهو دار الجزاء، فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم و لا هم يستعقبون، فان يصبروا فالنار مثوى لهم و إن يستعقبوا فما هم من المعتبين، و قد تقدّم توضيح ذلك فى شرح الفصل الخامس من فصول الخطبه الثانيه و الثمانين.

و لما نبه على زوال الدّنيا و فنائها أردفه بما هو زاد الاخرى و ذخيرتها فقال (فمن أشعر التقوى قلبه) أى لآزمه لزوم الشعار بالجسد (برز مهله) أى فاق على أقرانه فى جريه إلى مكانه أى تقدّمهم فى السّير و اكتساب الخير أو أنّه أبرز جريه و بان سبقه (و فاز عمله) أى نال إلى جزاء عمله و أدرك منتها أمله (فاهتبلوا هبلها) و اغتموا فرصتها و عليكم بشأنها (و اعملوا للجنّه عملها) الذى به تدركونها و تستحقّونها.

(فانّ الدّنيا لم تخلق لكم دار مقام) لتنافسوا فيها (و إنّما خلقت لكم مجازا لتزودوا منها) صالح (الأعمال) و تتقوّوا للوصول بها (إلى دار القرار)

و مصاحبه الأبرار (فكونوا منها على أو فاز) و عجله (و قربوا الظهور) و الركاب (للزّيال) و المفارقة.

قال الشّارح المعتزلي أمرهم أن يكونوا فيها على سرعه في قطع عقباتها و عجل في الارتحال عنها، لأنّ التّأني فيها يستلزم الالتفات إلى لذاتها و الغفلة عن المقصد الحقّ، و استعار له لفظ الظهور و هي الركاب مطايا الآخرة و هي الأعمال الصّالحة و تقربها للزّيال هو العناية بالأعمال المقربّة إلى الآخرة المستلزمه للبعد عن الدّنيا و الاعراض عنها و مفارقتها.

الترجمه

از جمله خطب آن بزرگوار و مقتدای اخیار است:

حمد میکنم معبود بحق را بر این که أخذ فرمود و عطا نمود، و بر این که امتحان کرد با خیر و شر خیر است بهر امر پنهان، و حاضر است مر هر سرّ نهران را، عالم است به آن چه پوشیده است آن را سینها، و بر آنچه خیانت میکند در آن چشمها، و شهادت می دهیم که نیست معبودی غیر از او، و این که محمّد بن عبد الله صلّی الله علیه و آله برگزیده اوست و فرستاده شده اوست، چنان شهادتی که موافقت نماید در آن ظاهر و باطن، و قلب با زبان.

بعض دیگر از فقرات خطبه اینست که فرموده:

پس بدرستی که آن حقیقت است نه بازیچه، و راست است نه دروغ، و نیست آن مگر مرگ در حالتی که شنواید خواننده خود را، و شتابانید راننده خود را، پس مغرور و فریفته ننماید ترا سیاهی مردمان و کثرت ایشان از اصلاح حال تو، و حال آنکه بتحقیق دیدی تو کسی را که بود پیش از تو از آن کسی که جمع کرد مال را و ترسید از افتقار و پریشانی، و ایمن شد از عواقب امور بجهه درازی آرزو، و بعید شمردن أجل چگونه فرود آمد باو مرگ پس بر کند او را از وطن مألوف خود و بگرفت او را از محلّ امن خود در حالتی که برداشته شده بود بر چوبهای

مرکبها فرا می گرفتند او را مردان از مردان بنوبه بجهه برداشتن بر دوشها، و نگه داشتن با دستها، آیا ندیدید کسانی را که آرزوی دور و دراز می کردند، و قصرهای محکم می ساختند، و جمع می نمودند مالهای بسیار را گردید خانهای ایشان قبرها و آنچه که جمع می نمودند نیست و نابود، و گشت مالهای ایشان مال وارشان، و زنان ایشان از برای دیگران، نه در ثواب قدرت زیاده دارند، و نه از گناه قدرت استرضا و معذرت.

پس کسی که شعار قلب خود نمود تقوی و پرهیزکاری را ظاهر شد پیش قدمی او، و فائز شد بعمل خود، پس اهتمام کنید اهمتامی که لایق آن تقوی باشد، و عمل نمائید بجهت بهشت عملی که به آنجا برساند، پس بدرستی که دنیای غدار خلق نشده است از برای شما سرای اقامت و قرار، و جز این نیست خلق شده است برای شما راه گذرگاه تا توشه بردارید از آن عملهای شایسته را که برساند شما را بسوی سرای قرار، پس باشید از آن بر شتاب، و نزدیک گردانید پشتهای مرکب را از برای رحلت و مفارقت نمودن از این دنیای فانی و بی وفا.

و من خطبه له علیه السلام و هی المآه و الثالثه و الثلاثون

اشاره

من المختار فی باب الخطب

و شرحها فی فصلین:

الفصل الاول

اشاره

و انقادت له الدنیا و الآخره بأزمته، و قذفت إلیه السموات و الأرضون مقالیدها، و سجدت له بالغدوّ و الآصال الأشجار النّاضره، و قدحت له من قضبانها النیران المضيئه، و آتت أكلها بكلماته الثّمار الیانه.

ص: ۳۰۳

منها و كتاب الله بين أظهركم، ناطق لا- يعيا لسانه، و بيت لا تهدم أركانه، و عزّ لا تهزم أعوانه. منها أرسله على حين فتره من الرّسل، و تنازع من الألسن، فقفّى به الرّسل، و ختم به الوحى، فجاهد فى الله المديرين عنه، و العادلين به.

اللغة

(المقاليد) جمع المقلاد و هو كالمقلد بكسر الميم المفتاح، و فى المصباح المقاليد الخزائن و (قدح) بالزّند رام الايراء(١) به و المقدح و المقداح و القداح حديدته و (الفضبان) بالضمّ جمع القضيبي و هو الغصن المقطوع و (النيران) جمع النّار و (الاكل) بالضمّ و بضمتين المأكول، و هو (بين أظهرهم) و ظهريهم و ظهرانيهم أى وسطهم و فى معظمهم.

قال الشّارح المعتزلى: و إنّما قالت العرب: من بين أظهرهم و لم يقل بين صدورهم، لارادتهم بذلك الاشعار لشده المحامات عنه و المرامات من دونه، لأنّ الذيل(٢) إذا حامى القوم عنه استقبلوا أسنّه و السيوف عنه بصدورهم و كان هو محروسا مصنونا عن مباشره ذلك وراء ظهورهم و (تهدم) بالبناء على الفاعل و فى بعض النسخ بالبناء على المفعول و (تهزم) بالعكس من هزمت الجيش هزما من باب ضربته كسرتة.

ص: ٣٠٤

١- (١) الايراء الاستخراج بالنار قال تعالى «أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ»، منه.

٢- (٢) أذيال الناس أواخرهم، منه. «ج ١٩»

الباء فى قوله: بالغدوّ، بمعنى فى، و فى قوله: بكلماته، للسببىه، و الثمار اليانعه، بدل من أكلها، أو عطف بيان، و الواو فى قوله: و كتاب الله، إمّا عاطفه لو كان لها معطوف عليه أسقطه السيد (ره) على عادته، أو للحال، أى تفعلون كذا و كتاب الله بينكم، و قوله: بين أظهركم، خبر لكتاب الله، فيكون ناطق خبرا لمبتدأ محذوف، أى و هو ناطق، أو بدلا من بين أظهركم، و يجوز كونه خبرا لكتاب الله، فيكون بين أظهركم صفة لكتاب الله أو حالا، و الأول أظهر بل أقوى

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبه يدور على فصول ثلاثه على سبيل التقطيع و الالتقاط.

الفصل الاول

فى تمجيد الله سبحانه باعتبار عموم قدرته و نفاذ أمره و عظمه سلطانه

و هو قوله (و انقادت له) أى لله تعالى السابق ذكره فى أوّل الخطبه أسقطه السيد (ره) على عادته (الدنيا و الآخره بأزمتها) أراد به نفوذ أمره سبحانه فيهما و كونه مالكا لأمرهما و دخولهما فى ذلّ الامكان و الافتقار إليه تعالى على سبيل الاستعاره بالكنايه، تشبيها لهما بالحيوان السليس المنقاد لصاحبه الذى بيده زمامه المتمكّن من التصرف فيه كيف شاء، و ذكر الأزمه تخيل و الانقياد ترشيح.

(و قذفت) أى ألقت (إليه السماوات و الأرضون مقاليدها) و هو كنايه عن قدرته و حفظه لها و أنّه لا يملك أمرها و لا يتمكّن من التصرف فيها غيره، و هو اقتباس من قوله سبحانه فى سورة الزمر: له مقاليد السموات و الأرض، قال الزمخشري: أى هو مالك أمرها و حافظها، و هى من باب الكنايه (1) لأنّ حافظ

ص: ٣٠٥

١- (١) يعنى أنّ حافظ الخزائن يلزمه أن يكون مالك المقاليد فذكر اللازم أعنى ملك المقاليد و اريد الملزوم اعنى حفظ الخزائن كما فى زيد كثير الرماد، منه.

الخزائن و مدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها، و منه قولهم: فلان القيت إليه مقاليد الملك، و هي المفاتيح، و في مجمع البيان يريد مفاتيح السموات و الأرض بالرزق و الرحمه عن ابن عباس و قتاده، و قيل خزائن السموات و الأرض يفتح الرزق على من يشاء و يغلقه عن من يشاء عن الضحاك، و قال في تفسير قوله: له مقاليد السموات و الأرض ييسط الرزق لمن يشاء و يقدر أنه بكل شيء عليم في سورة الشورى: أي مفاتيح أرزاق السماوات و الأرض و أسبابها فتمطر السماء بأمره و تنبت الأرض بأذنه عن مجاهد، و قيل معناه خزائن السماوات و الأرض عن السدي يوسع الرزق لمن يشاء و يضيق على من يشاء على ما يعلمه من المصالح.

قال الشارح البحراني (ره) بعد ما حكى عن ابن عباس كون المقاليد بمعنى المفاتيح: و عن الليث كونه بمعنى الخزائن:

أقول: لفظ القذف مجاز (1) في تسليمها و انقيادها بزمام الحاجه و الامكان إلى قدرته مع جميع ما هي سبب في وجوده في هذا العالم مما هو رزق و رحمه للخلق و كذلك لفظ المفاتيح على رأى ابن عباس استعاره للأسباب المعده للأرزاق و الرحمه، و تلك الأسباب كحركات السموات و اتصالات بعض الكواكب ببعض و كاستعدادات الأرض للنبات و غيره، و وجه الاستعاره أن هذه الأسباب باعدادها المواد الأرضيه يفتح بها خزائن الجود الالهى كما يفتح الأبواب المحسوسه بمفاتيحها و كلها مسلّمه إلى حكمه و جريانها بمشيئته، و على قول الليث فلفظ الخزائن استعاره في موادها و استعداداتها، و وجه الاستعاره أن تلك المواد و الاستعدادات يكون فيها بالقوه و الفعل جميع المحدثات من الأرزاق و غيرها كما يكون في الخزائن ما يحتاج إليه انتهى.

و هو تحقيق نفيس إلا- أن الأظهر أن المقاليد إن جعلت بمعنى المفاتيح يكون كلامه من باب الاستعاره بالكنايه، حيث شبه السموات و الأرضون بخزائن الملك بجامع أن فيها ما يحتاج إليه الخلق كما يكون في الخزائن ما يحتاج إليه، و يكون

ص: ٣٠٤

١- (١) من باب مجاز المرسل للتلازم بين القذف و الانقياد، منه.

ذكر مقاليدها تخيلاً و ذكر القذف ترشيحاً، و فى نسبة القذف إليها نكته خفيه و هى الاشارة إلى أنّها لتمكينها التام لبارئها فكأنّها باختيارها ألفت و سلّمت مفاتيحها إليه سبحانه، و على هذا فالمقاليد بمعناها الأصلي و ليس استعاره كما زعمه الشارح و أمّا إن جعلت بمعنى الخزائن فهو كما قال الشارح استعاره لما فيه من الموادّ و الاستعدادات فافهم جيداً.

(و سجدت له بالغدوّ و الأصال الأشجار الناضرة) أراد به خضوع التكوين و ذلّ الامكان كما قال سبحانه: ألم تر أنّ الله يسجد له من فى السموات و من فى الأرض و الشمس و القمر و النجوم و الجبال و الشجر و الدواب.

(و قدحت له من قضبانها النيران المضئية) نسبها لقدمها بالأشجار من باب التوسع و المجاز العقلى، لكونها لأشجار سبباً مادياً، و المراد أنّ تلك الأشجار أورت النار و استخرجتها من أمر الله سبحانه و اقتضاء مشيئته، و فيه إشاره إلى كمال قدره لأنّ إخراج النار من الشجر الأخضر الذى يقطر منه الماء أعجب كما قال تعالى فى سورة يس: الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون، و فى سورة الواقعة: أفرأيتم النار التى تروون ء أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤون نحن جعلناها تذكرة و متاعاً للمقوين.

قال الفخر الرزاقى: فى شجرة النار و جوه:

أحدها أنّها الشجرة التى تورى النار منها بالزند و الزنده كالمرخ.

و ثانيها الشجرة التى تصلح لا يقاد النار فانها لو لم تكن لم يسهل إيقاد النار لأنّ النار لا تتعلّق بكلّ شىء كما تتعلّق بالحطب.

و ثالثها اصول شعلها و وقود شجرتها، و لو لا كونها ذات شعل لما صلحت لانضاج الأشياء، و فى ذلك تذكرة و متاع للمقوين، أى للذين يوقدونه فيقوونه و يزيّدونه.

(و آتت أكلها بكلماته الثمار اليانعة) الناضجة، و المراد بكلماته قدرته و مشيئته المعبر عنهما بلفظ كن، قال الشارح البحرانى: و إطلاق الكلمات عليها

استعاره وجهها نفوذ تلك الأحكام فى المحكومات كنفوذ الأوامر القوليّه فى المأمورات و أراد بايتاء الثّمار دخولها طوعا فى الوجود المعبر عنه بقوله تعالى فيكون.

الفصل الثانى منها

فى ذكر كتاب الله و تعظيمه تنبيها على وجوب متابعتة

و هو قوله:

(و كتاب الله بين أظهركم ناطق لا- يعيا لسانه) المراد بكتاب الله إما معناه الحقيقى أعنى القرآن فيكون ناطق استعاره تبعيه لأنّ من شأن الكتاب الدلالة لا النطق إلاّ أنّه شبه به فى إيضاح المعنى و إيصاله إلى الذّهن فاستغير له لفظ النّطق، و يجوز أن يكون مجازا مرسلا باعتبار أنّ الدلالة لازم للنطق فذكر الملزوم و اريد اللّازم، و على هذا فيكون قوله: لا يعيا لسانه، ترشيفا للاستعاره.

و المقصود أنّ كتاب الله الكريم بينكم لم يرتفع عنكم، و هو كلام ربّكم ناطق بالسّداد، كاشف عن المراد، هاد إلى الرّشاد، لا يعجز لسانه، و لا يقصر بيانه يؤدى مطوى الكلمات إلى مقتبسيه على مرور الأوقات، كيف لا و هو معجز التّبوّه، و مستند الامّه، و قد أخرس الفصحاء عن مجازاته، و قيّد البلغاء بالعمى عن مباراته، و عاد سبحانه بيانهم باقلا، و تناصروا فلم يجدوا إلاّ خاذلا، و تعاهدوا و تقاعدوا فعدموا معينا و نصيرا، و عادوا بالخيبه و الخذلان فلا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا، و مع ذلك كلّه كيف تجهلون برتبته و مقامه، و ترغبون عن حدوده و أحكامه و تخالفونه فى حلاله و حرامه.

و يجوز أن يكون استعاره لنفسه الشريف، فيكون من باب الاستعاره المجرّده حيث قرن بما يلائم المستعار له و هو ناطق لا يعيا لسانه، و على هذا فالنطق و اللسان مستعملان فى معنهما الحقيقى.

و يحتمل أن يكون لا- يعيا لسانه كناية عن عدم قصوره فى البيان و تبليغ الأحكام قوله (و بيت لا تهدم أركانه) تشبيه كتاب الله بالبيت الوثيق غير الهادم أركانه سواء اريد به معناه الحقيقى أو المجازى باعتبار أنّ البيت كما أنّه يحفظ أهله

فكذلك الكتاب الكريم يحفظ العامل بما فيه، و هكذا أمير المؤمنين عليه السّلام يحفظ من يأوى إليه و يدعن بولايته في الدّنيا و الآخرة من العذاب الأليم و السخط العظيم و قوله: لا تهدم أركانها، ترشيح للتّشبيه إن جعلنا كلامه من باب التشبيه البليغ كما عليه المحقّقون، و إن جعلناه استعاره فيكون ذلك ترشيحا للاستعاره و في وصف البيت بذلك إشاره إلى استحكام قواعد كتاب الله و براهينه النّاطقه.

و أمّا قوله (و عزّ لا تهزم أعوانه) فهو ليس على حدّ و ما سبق و إنّما اطلق عليه العزّ لكونه سببا للعزّ الأبدى الدائم، و المراد بأعوانه هو الله سبحانه الحافظ له كما قال تعالى: إنّنا نحن نزلنا الذكر و إنّنا له لحافظون، و كذلك الملائكة و الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم، فهم أيضا حافظون له ذابّين عنه.

و الفصل الثالث منها

في وصف رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و هو قوله (أرسله على حين فتره من الرّسل) أي في زمان فتور منهم و انقطاع الوحي عنهم و اندراس معالم دينهم على ما تقدّم تفصيلا في شرح الفصل السادس عشر من فصول الخطبه الاولى، و في شرح الخطبه الثامنه و الثمانين أيضا (و تنازع من الألسن) أي تشبّت الآراء و الأهواء الموجب لاختلاف الكلمات، فإنّ النّاس في الجاهليه كان قوم منهم يعبدون الأصنام، و قوم يعبدون الشيطان، و طائفه تعبد الشّمس، و طائفه تعبد المسيح عليه السّلام على ما عرفت تفصيلا في شرح الفصل السّادس عشر من فصول الخطبه الاولى، فكانت كلّ طائفه تحتجّ على مخالفيها و تجادلهم و تنازعهم بألستهم لتصرفهم إلى مذهبهم.

(فقفي به الرّسل) و اتبعهم به (و ختم به الوحي) و الرساله (فجاهد في الله) سبحانه بالقول و العمل (المدبرين عنه و العادلين به) أي الجاعلين له سبحانه عديلا و نظيرا.

الترجمه

از جمله خطبهای آن امام زمان و سرور عالمیان است که فرموده:

و گردن نهاد او را دنیا و آخرت بأفسارهای خود، و انداخت بسوی او آسمانها و زمینها کلیدها یا خزینهای خود را، و سجده نمود مر او را در هنگام صبح و عصر

درختهای با طراوت و نضارت، و بیرون آورد بجهه حکم او از شاخهای خود آتشیهای روشن، و بیخشید خوردنی خود را بحکم کلمات تاّمه او میوههای رسیده.

از جمله آن خطبه اینست که فرموده:

و کتاب خداوند تبارک و تعالی در میان شما است، گوینده ایست که عاجز نمی شود زبان او، و خانه ایست که خراب نمی شود ارکان او، و عزّتیست که مغلوب نمی شود یاری کنندگان او.

و بعض دیگر از آن خطبه اینست که فرمود: فرستاد پیغمبر را در زمان سستی از پیغمبران، و هنگام اختلاف زبانها، پس آورد او را از عقب پیغمبران و ختم کرد با او وحی را، پس جهاد نمود خاتم انبیاء در راه خدا با کسانی که رو گردان بودند از پروردگار، و مثل و شبیه قرار داده بودند خدای را.

الفصل الثانی منها:

اشاره

و إنّما الدّنيا منتهی بصر الأعمی لا يبصر ممّا ورائها شیئا، و البصیر ینفذها بصره، و یعلم أنّ الدّار ورائها، فالبصیر منها شاخص، و الأعمی إليها شاخص، و البصیر منها متزوّد، و الأعمی لها متزوّد. منها:

و اعلموا أنّه لیس من شیء إلاّ یکاد صاحبه أن یشبع منه أو یملّه إلاّ الحیاة فإنّه لا یجد له فی الموت راحه، و إنّما ذلک بمنزله الحکمه الّتی هی حیاة للقلب المیت، و بصر للعین العمیاء، و سماع للاذن الصّماء، و ریّ للظّمان، و فیها الغنی کله، و السّیلامه، کتاب الله تبصرون به، و تنطقون به، و تسمعون به، و ینطق بعضه ببعض، و یشهد بعضه

على بعض، و لا يختلف فى الله، و لا يخالف لصاحبه عن الله، قد اصطلحتم على الغلّ فيما بينكم، و نبت المرعى على دمنكم، و تصافيتم على حبّ الآمال، و تعاديتم فى كسب الأموال، لقد استهام بكم الخبيث، و تاه بكم الغرور، و الله المستعان على نفسى و أنفسكم.

اللغة

(شخص) يشخص من باب منع شخصاً خرج من موضع إلى غيره، و يتعدى بالهمزة فيقول أشخصته و شخص شخصاً أيضاً ارتفع، و شخص البصر إذا ارتفع و يتعدى بنفسه فيقال: شخص الرجل بصره إذا فتح عينيه لا يطرف، و ربّما يعدى بالباء فيقال: شخص الرجل ببصره فهو شاخص و أبصار شاخصه و شواخص و (مللت) من الشيء مللاً من باب تعب و ملاله سئمت و ضجرت و هو ملول و (الدمن) بالكسر ما يتلبّد من السّرجين، و الدّمنه موضعه و الدّمنه آثار الدّار و النّاس و ما سوّده، و الحقد القديم و جمع الكلّ دمن كسدر و دمن كعدد (الغرور) بالفتح الشيطان

الاعراب

اللام فى قوله: الدّار، للجنس و ستعرف وجهه، و قوله: و يكاد صاحبه أن تشبع، الغالب فى خبر كاد أن لا يقترن بأن كما فى قوله تعالى: و ما كادوا يفعلون، و هكذا فى غير واحد من نسخ المتن، و اقترانه بها قليل و منه قول الشاعر يرثى ميتاً:

كادت النّفس أن تفيض عليه إذ غدا بين ريطه(١) و برود

و مثل كاد فى هذا الحكم كرب فيقلّ اقتران خبره بأن و علّله علماء الأدبّيه بأنّهما يدلّان على شدّه مقارنة الفعل و مداومته و ذلك يقرب من الشّروع فى الفعل و الأخذ فيه فلم يناسب خبرهما أن يقترن غالباً بأن المشعره بالاستقبال، و لذلك لا تقول كاد زيد يحجّ إلاّ و قد أشرف عليه و لا تقول ذلك و هو فى بلده، و قوله: استهام بكم

ص: ٣١١

١- (١) بفتح الراء و سكون الياء المشناه و الطاء المهملة الملاء إذا كانت شقه واحده و البرود بضمّ الباء جمع برد نوع من الثياب و المراد بهما الكفن أى قرب النفس أن تقضى إذ صار ذلك الميت بين أثواب الكفن.

الخيث، الباء للتعدية أى جعلكم هائمين كما تقول فى استنفرت القوم إلى الحرب استنفرت لهم أى جعلتهم نافرين، و يحتمل أن تكون بمعنى من، أى طلب منكم أن تهيموا.

المعنى

اعلم أنّ الغرض بهذا الفصل التنفير عن الدّنيا و توييح من قصر نظره إليها، و ذيله بالموعظه الحسنه و النصيحة.

فقوله: (و إنّما الدّنيا منتهى بصر الأعمى) استعار لفظ الأعمى للجاهل و الجامع قصور الجاهل عن إدراك الحقّ كقصور عادم البصر عن إدراك المبصرات و مثله قوله سبحانه: و من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى و أضلّ سبيلا، و رشح الاستعاره بقوله (لا- يبصر ممّا ورائها شيئا) لأنّ ذلك وصف المستعار له أعنى الجاهل، و أمّا المستعار منه أعنى عادم البصر فهو لا يبصر أصلا و هو تذييل و توضيح و تفسير لكون الدّنيا منتهى بصره، و المقصود أنّ الجاهل لكون همّته مصروفه معطوفه إلى الدّنيا مقصور نظره إليها غافل عما عداها غير ملتفت إلى أنّ ورائها الآخرة و هى أولى بأنّ تصرف إليه الهمم بما فيها مما تشتيه الأنفس و تلذّ الأعين من مزيد العوائد و الفوائد و النّعم.

(و البصير ينفذها بصره) أى العارف العالم ينفذ بصره من الدّنيا (و يعلم أنّ الدّار ورائها) يعنى يعرف أنّ الدّار الحقيقى أى دار القرار ورائها فيبلغ جهده فى الوصول إليها (فالبصير) النافذ البصر (منها شاخص) راحل لأنّه بعد ما عرف أنّ الدّار ورائها لا يقف دونها بل يجعلها بمنزله طريق سالك به إلى وطنه و مكانه (و الأعمى إليها شاخص) ناظر لأنّه بعد ما لم يعرف ورائها شيئا يزعم أنّ هذه هى الدّار، و أنّ له فيها القرار، فيقصر نظره إليها.

و لا- يخفى ما فى هذه القرينه مع سابقتهما من الجناس التّام و المطابقه بين الأعمى و البصير، و مثلهما فى المطابقه قوله (و البصير منها متزوّد و الأعمى لها متزوّد)

يعنى أنّ البصير يتزوّد منها من الأعمال الصّالحه و التّقوى ما يوصله إلى مقرّه و مقامه، و الأعمى لتوهّمه أنّ وطنه و مسكنه هي الدّنيا و أنّ مقرّه تلك الدّار و ليس له ورائها دار فيتزوّد لها و يتّخذ من زبرجها و زخارفها و قيناتها ما يلتذّ و يتعيّش به فيها.

و لهذا المعنى أى لأجل اختلاف النّاس بالمعرفه و الجهاله و افتراقهم بالعمى و البصيره اختلفت الآراء و الأهواء، فبعضهم و هم أهل الدّنيا و الزّاكنون إليها يحبّ الحياه و يغتمها و ينهمك في الشّهوات، و ينتهز الفرصه في طلب العيش و اللذات، فيرجّح الحياه على الممات و يمدحها كما قال الشّاعر:

أو في يصفّق بالجنّاح مغلّسا و يصيح من طرب إلى ندمان

يا طيب لذّه هذه دنياكم لو أنّها بقيت على الانسان

و البعض الآخروهم أهل الآخره العارفون بأنّ الدّنيا دار الفناء و أنّ الدّار ورائها يرجّح الموت على الحياه و يتشوّق إليه كما قال:

جزى الله عنّا الموت خيرا فأنّه أبرّ بنا من كلّ برّ و أرف

يعجّل تخلص النفوس من الأذى و يدنى من الدّار التي هي أشرف

و قال آخر:

من كان يرجو أن يعيش فأنّي أصبحت أرجو أن أموت لاعتقا

في الموت ألف فضيله لو أنّها عرفت لكان سبيله أن يعشقا

فان قلت: إذا كان هوى أهل الآخره و رغبتهم على ما ذكرت في الموت، فكيف التّوفيق بينه و بين قوله عليه السّلام: (و اعلموا أنّه ليس من شيء إلاّ و يكاد صاحبه أن يشبع منه و يملّه إلاّ الحياه فأنّه لا يجد له في الموت راحه) فانّ ظاهر هذا الكلام يفيد أنّ اللذات كلّها لعموم النّاس مملول منها إلاّ الحياه معلّلا بأنّه لا استراحه في الممات؟ قلت: ظاهر هذا الكلام و ان كان يعطى العموم و كراهيّة الموت لكلّ إلاّ أنّه يحمل على الخصوص أعني كراهيّة لأهل الشقاوه جمعا بينه و بين الأخبار الدّاله

على محبوبيته لأولياء الله سبحانه كقوله صَلَّى اللهُ عليه وآله: ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله.

و ربّما يوجّه بعد إبقائه على العموم تاره بأنّ الموت يفوت متجر الآخرة و ينقطع به الاستعداد لكمال أشرف مما حصل عليه الميّت و إن كان وليّاً، فلا جرم لا يجد الرّاحة التي يلحقه بما يفوته من ذلك الكمال، و اخرى بأنّ النفوس البشريّة لما لم يكن معارفها ضروريّة و لم يتمكّن ما دامت في هذه الأبدان من الاطلاع على ما بعد الموت من سعادته أو شقاوه، فبالحرى أن لا تجد لها راحة يتصوّرها في الموت.

أقول: و أنت خبير بما فيه، فإنّ عدم التمكن من الاطلاع على ما بعد الموت إنّما هو للمحجوبين دون العارفين من الأنبياء و المرسلين، و أولياء الله المتّقين، فانهم من سعادتهم على ثقته و يقين، ألا ترى إلى قول عليّ المرتضى سلام الله عليه تترى: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا.

و الأوجه ما قاله الشّارح البحراني (ره) حيث قال: إن كان مراده عليه السّلام بقوله: لا يجد في الموت راحة، أي في نفس الموت مع قطع النّظر عن غيره من أحوال الآخرة، فالحقّ مع قول من عمّم فقدان الرّاحة في حقّ الجميع، إذ الموت من حيث هو موت لا راحة فيه لأحد من النّاس كافّه، و إن كان مراده فقدان الرّاحة في الموت و ما بعده، فالحقّ التخصيص بأهل الشّقاوه الدّائمة، فإنّ شدّه محبّه الحياه و نقصانها متفاوتة بحسب تصوّر زياده الرّاحة في الآخرة و نقصانها، و ذلك ظاهر عند اعتبار أهل الدّنيا المقبلين عليها بالكليّه.

ثمّ قال عليه السّلام (و إنّما ذلك بمنزله الحكمة) اختلف الشّارحان المعتزلي و البحراني في المشار إليه بذلك.

فقال الأوّل: إنّ هذا الكلام له عليه السّلام إلى قوله و السّلامه فصل آخر غير ملتئم بما قبله، و أنّ الاشارة بذلك إلى كلام من كلام الرسول صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلّم رواه لهم و حضّهم على التمسك به و الانتفاع بمواعظه، ثمّ قال: و الحكمة المشبهه كلام الرسول بها هي المذكوره في قوله تعالى: و من يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا.

و قال الثّاني: قوله عليه السّلام: و إنّما ذلك، أى الأمر الذى هو أحقّ بأن لا يملّ و لا يشيع منه، بمنزله الحكمة أى ما كان بمنزله الحكمة.

أقول: أمّا قول الأول فهو رجم بالغيب و تأويل من غير دليل، لعدم ثبوت التّقطيع و الالتقاط بعد فى هذه الفقره و فى الفقرات الآتية كما زعمه، و على تقدير ثبوته فلا يتعيّن أن تكون الاشاره به إلى كلام رواه من الرّسول بل يحتمل أن يكون اشاره إلى ما وعظهم به و نصّحهم من كلام نفسه.

و أمّا قول الثّانى ففيه من التّعسف و الخبط ما لا يخفى، لعدم ارتباط هذا الكلام على ما ذكره بما تقدّمه من الكلام من حيث المعنى، مضافا إلى منافرتة بل منافاته للقواعد الأدبیه و الاصول العربيّه كما هو غير خفىّ على ذوى الأذهان المستقيمه، و كيف كان فما قيل أو يمكن أن يقال فى هذا المقام فإنّما هو تخمين و حساب لا يمكن أن يوجّه به كلام الامام حتّى يقوم عليه دليل يّين.

ثمّ الحكمة عباره عن معرفه الصّانع سبحانه و العلم النّافع فى الآخره و يأتى مزيد بيانها فى شرح الفصل الثّالث من المختار المأه و الأحد و الثّمانين إنشاء الله تعالى.

و للاشاره إلى التّفخيم و التعظيم أتبعه بقوله (ألّتى هى حياه للقلب الميّت) القلب الميّت هو القلب الجاهل الفاصر عن إدراك وجوه المصالح و حياته عباره عن اهتدائه إلى ما فيه صلاحه و رشده، و جعل الحكمة حياه له لكونها سببا للاهتداء، فأطلق عليها لفظ الحياه مبالغه.

(و) قوله (بصر للعين العمياء) من باب التشبيه البليغ يعنى أنها بمنزله حسّ البصر لها، و ذلك لأنّ العين المتّصفه بالعمى كما أنّها عاجزه عن إدراك الألوان و الأضواء، فاذا كان لها الابصار و ارتفع عنها العمى تمكّنت من إدراكها، فكذلك الحكمة للجاهل تحصل له بها البصيره، فتمكّن بها و تقدر على إدراك المآرب الحقه.

و كذلك قوله (و سمع للاذن الصّماء) فإنّ الصّمم مانع عن إدراك الاذن

و بارتفاعه عنها و حصول حسّ السّمع لها تقدر على إدراك الأصوات و الأقوال، و كذلك بارتفاع الجهالة عن الجاهل و حصول الحكمة و البصيره له يقدر على الاطلاع على ما هو خير في المآل.

و أمّا قوله (و رى للظّمآن) فيحتمل أن يكون من باب التّشبيه البليغ كسابقه، بأن يراد بالظّمآن معناه الحقيقي و وجه الشبه أنّ العطشان كما يؤلمه داء العطش و بارتوائه بالماء يرتفع عنه تلك الداء، فكذلك الجاهل يؤذيه داء الجهالة و بحصول الحكمة له يرتفع عنه هذا الداء و يحتمل أن يكون من باب الاستعارة بأن يستعار لفظ الظّمآن للجاهل و الجامع ما سبق من أنّ كلّاً منهما له داء يتأذى به و يحتاج إلى علاجه إلا أنّ ما للأول وجدانيّ، و ما للثاني عقلائيّ، و على هذا الوجه فيكون ذكر الرّى ترشيحا و قوله (و فيها الغنى كلّه و السّلامه) أمّا أنّ فيها الغنى فلاّن من اوتى الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا، و بها يوصل إلى الحقّ المتعال، و يسبح في بحار معرفه ذى الجلال، و فى ذلك غنى العارفين عمّا سواه سبحانه من العالمين، و هو تعالى غايه مراد المريرين، و منتهى رغبه الرّاغبين، و كنز المساكين.

و أمّا أنّ فيها السّلامه فلاّن بها يسلم من داء الجهل فى الدّنيا، و ينجى من سخط الجبار و عذاب النّار فى الاخرى.

و أمّا قوله (كتاب الله) فيحتمل أن يكون كلاما منفصلا عمّا قبله أسقط السّيد (ره) ما بينهما فارتفع الارتباط بالتّقطيع و الالتقاط، أو أنّه خبر لمبتدأ محذوف أى هذا كتاب الله و يظهر من الشّارح البحرانى الاتّصال حيث قال: كتاب الله خبر مبتدأ إمّا خبر ثان لذلك (1) و ما كان بمنزله الحكمة خبر أوّل، أو لمبتدأ محذوف تقديره: و هو كتاب الله و يحتمل أن يكون عطف بيان لما كان بمنزله الحكمة.

ص: ٣١٤

أقول: لم يتقدّم في كلامه عليه السّلام لفظ ما كان بمنزله الحكمة حتّى يجعل خيرا أوّلا أو معطوفا عليه للكتاب، و إنّما قال عليه السلام: و إنّما ذلك بمنزله الحكمة.

فان قلت: لعله مقدّر في ضمن الكلام.

قلت: لا دليل على تقديره، مع أنّا لم نر بيانا حذف مبيّنه.

و كيف كان فقد وصف الكتاب بأوصاف:

الأول انكم (تبصرون به) لكونه سببا لابصار طريق الحقّ بما فيه من الآيات البيّنات و أدله الصّدق.

(و) الثّاني انكم (تنطقون به) في مقام الاحتجاج و ترفعون من المعاندين الشّبه و اللّجاج كما قال الله سبحانه و تعالى: فأنّما يسرناه بلسانك لتبشّر به المتّقين و تنذر به قوما لدا.

(و) الثّالث انكم (تسمعون به) الخطابات الالهيه و التّكاليف الشّرعيّه تطيعونها و تؤمنون بها و تصلون إلى المراتب العاليه العليه تنزيل من الرّحمن الرّحيم كتاب فصّلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون، بشيرا و نذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يؤمنون.

(و) الرّابع أنّه (ينطق بعضه ببعض و يشهد بعضه على بعض) أى يفسّر بعضه بعضا و يكشف بعضه عن بعض و يستشهد ببعضه على بعض فإنّ فيه مطلقا و مقيدا و مجملا و مبيّنا و عامّا و خاصّا و محكما و متشابهها، بعضها يكشف القناع عن بعض و يستشهد ببعضها على المراد ببعض آخر.

(و) الخامس أنّه (لا يختلف في الله) قال الشّارح البحراني: لما كان مدار الكتاب على بيان القواعد الكليه التي بها يكون صلاح نوع الانسان في معاشه و معاده، و كانت غايه ذلك الجذب إلى الله سبحانه و الوصول إلى جواره، لم يكن فيه لفظ يختلف في الدّلاله على هذه المقاصد، بل كلّه متطابق الألفاظ على مقصود واحد، و هو الوصول إلى الحقّ سبحانه بصفه الطهاره عن نجاسات هذه الدّار

و إن تعددت الأسباب الموصلة إلى ذلك المقصود انتهى.

و محصّيه أنّه لا يختلف في الدلالة على المقاصد الموصلة إلى الله سبحانه و الأظهر أنّ المراد به أنّه لا يختلف في الجذب إلى الله، لأنه معجز النبوه المقصود بها الايصال إلى الله سبحانه كما قال تعالى: أفلا- يتدبرون القرآن و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا، أى لكان الكثير منه مختلفًا متناقضًا قد تفاوت نظمه و بلاغته و معانيه كما في الكشّاف، فكان بعضه بالغًا حدّ الإعجاز، و بعضه قاصراً عنه يمكن معارضته، و بعضه إخباراً بغيب قد وافق المخبر عنه، و بعضه إخباراً مخالفاً للمخبر عنه، و بعضه دالّاً- على معنى صحيح عند علماء المعاني، و بعضه دالّاً على معنى فاسد غير ملتئم، فلمّا تجارب كلّه بلاغه معجزه فائته «فائقه ظ» لقوى البلغاء و تناصر صحّحه معان و صدق إخبار علم أنّه ليس إلّا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره، و عالم بما لا يعلمه أحد سواه.

السّادس أنّه (و لا يخالف بصاحبه عن الله) أى لا يسدّه عنه سبحانه و لا يضلّه عن سبيله فإنّه يهدى للّتى هى أقوم، و من اعتصم به فقد هدى إلى صراط مستقيم.

قال الشارح المعتزلى إنّ هذا الكلام فصل آخر مقطوع عما قبله و متّصل بما لم يذكره جامع نهج البلاغه، و كذلك قال في قوله (قد اصطلحتم على الغلّ فيما بينكم) أنّه إلى آخر الفصل كلام مقطوع أيضاً.

أقول: إن ثبت التقطيع فهو و إلّا- فجهه ارتباط هذا الكلام بما قبله هو أنّه لما وصف كتاب الله سبحانه بأوصاف الكمال تبيينها على وجوب اتباعه و الاعتصام به للاشاره إلى الحقّ و هدايته إلى مكارم الأخلاق، أردفه بتوبيخ السيّامعين و تقرّيعهم على ارتكاب رذائل الأخلاق و اتباع الشيطان، و المراد أنّكم اتّفقتم على الحقد و الحسد بحيث لم ينكره منكم أحد.

(و نبت المرعى على دمنكم) يحتمل أن يكون المراد بالدّمن الحسد فيكون قوله: نبت المرعى جارياً مجرى المثل اشاره إلى طول الزّمان أى طال حقدكم

و حسدکم و دام حتّی صار بمنزله الأرض الجامده التي ينبت عليها الثّبات، و يجوز أن يكون المراد بها المزابل و مواضع البعره فاستعير للقلوب باكتنافها بالخباثه الباطنيه و تضمّنها الضغائن و الأحقاد كما يكتنف المزابل بالكثافات و الخباثات الظاهره فيكون قوله: نبت المرعى، أيضا مثلا- لأنّ المقصود به الاشاره إلى عدم الانتفاع بذلك المرعى لأنّه لا وقع له و لا يرغب إليه كما قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم:

إيّاكم و خضراء الدّمن.

و قال الشّارح البحراني: قوله: نبت المرعى آه، يضرب مثلا- للمتصالحين في الظاهر مع غلّ القلوب فيما بينهم، و وجه مطابقه الممثل أنّ ذلك الصّلاح سريع الزّوال لا أصل له كما يسرع جفاف الثّبات في الدّمن، و الأظهر ما قلناه.

(و تصافيتم على حبّ الآمال) أي كنتم في مقام الصّيف فظاهرا على محبّه ما يأمل و يرجو كلّ منكم من صاحبه من جلب نفع أو دفع ضررّ (و تعاديتم في كسب الأموال) لأنّ عمدته الخصومات و العداوات إنّما تكون في مال الدّنيا و متاعها فكلّ من أهلها يجذبّه إلى نفسه و يرضنّ به على غيره.

(لقد استهّام بكم الخبيث) أي طلب منكم أن تهيموا و تتحيروا أو جعلكم هائمين متحيرين أو اشتدّ عشقه و محبّته لكم (و تاه بكم الغرور) أي أضلّكم الشّيطان اللّعين و جعلكم تائهين ضالّين (و الله المستعان) في كلّ حال (على نفسي و أنفسكم) من سوء الأعمال.

الترجمه

بعضی دیگر از آن خطبه است که فرمود:

و بدرستی دنیا منتهای نظر جاهل است، نمی بیند چیزی را که از پس دنیا است و شخص با بصیرت می گذرد از دنیا نظر او، و میدانند که سرای حقیقی در پس این دار فنا است، پس صاحب بصیرت رحلت کننده است از دنیا، و بی بصیرت نظرش مصروف بدنیاست و عاقل توشه گیرنده است از دنیا، و جاهل توشه گیرنده است

ص: ۳۱۹

از برای دنیا.

و بدانید که نیست هیچ چیزی مگر این که صاحب آن نزدیک است که سیر شود از آن و ملال آورد از او مگر زندگانی دنیا بجهه آنکه نمی یابد از برای خود در مرگ آسایشی، و جز این نیست که آن بمنزله حکمت است چنان حکمتی که آن زندگی قلب مرده است، و بینائی چشم کور، و شنوائی گوش کر، و سیرابی تشنگانست، و در اوست بی نیازی تمام، و سلامتی از أسقام.

او کتاب پروردگار است که می بینید بأو، و گویا می شوید و می شنوید بأو و ناطق و مصدق است بعضی از او بعضی، و اختلاف ندارد در جذب نمودن خلق بسوی خدا، و خلاف نمی کند با صاحب خود از خدا، و بضلالت نمی اندازد او را بتحقیق که متفق شده اید بر حقد و حسد که در ما بین شما است، و رسته است گیاه بر روی حسد شما، و با صفا مییابد در محبت امیدهایی که از یکدیگر دارید، و با عداوت می باشید در کسب نمودن مالها، بتحقیق که شما را متحیر کرده است إبلیس خبیث، و بضلالت افکنده است شما را شیطان لعین، و خداوند تعالی یاری خواسته شده است از او بر نفس من و بر نفسهای شما در جمیع کارها.

و من کلام له علیه السلام و قد شاوره عمر بن الخطاب فی

اشاره

الخروج الی غزو الروم بنفسه و هو المأه و الرابع

و الثلاثون من المختار فی باب الخطب

و قد توکل الله لأهل هذا الدین باعزاز الحوزه، و ستر العوره و الذی نصرهم و هم قلیل لا ینتصرون، و منعهم و هم قلیل لا

ص: ۳۲۰

يتمنعون، حتى لا يموت إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك، فتلقهم بشخصك فتتكب لا تكن للمسلمين كانفه دون أقصى بلادهم و ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلا محربا، و أحفز معه أهل البلاء و النصيحة، فان أظهر الله فذاك ما تحب، و إن تكن الاخرى كنت رداء للناس و مثابه للمسلمين.

اللغة

قوله (و قد توكل الله) و عن بعض النسخ بدله كفل الله أى صار كفيلا و (الحوزة) التاحيه و حوزة الاسلام حدوده و نواحيه و (كانفه) أى عاصمه حافظه من كنفه أى حفظه و آواه، و يروى كهفه بدل كانفه و هى ما يلجأ إليه و (المحرب) بكسر الأوّل و سكون الثانى و فتح الثالـث صاحب الحرب و فى بعض النسخ مجزبا بضم الأوّل و الجيم المعجمه و فتح الراء المشدده و (الرداء) العون قال الله تعالى:

فأرسله معى رداء.

الاعراب

الذى نصرهم مبتدأ و خبره حى، و جملة و هم قليل آه حالیه معترضه بين المبتدأ و الخبر، و تنكب بالجزم معطوف على تسر، و الفاء فى قوله: فابعث، فصيحه، و الباقي واضح.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام قاله عليه السلام لعمر بن الخطاب كما أشار إليه السيد (ره) ارشادا له إلى وجه المصلحه و تعليما له ما فيه صلاح الامه، و كان ذلك فى غزاه

ص: ٣٢١

فلسطين التي فتح فيها بيت المقدس فأراد عمر أن يشخص بنفسه لما طال الحرب على المسلمين و ضاق الأمر عليهم و كتبوا إليه: إن لم تحضر بنفسك لم يفتح علينا فاستشار أمير المؤمنين عليه السلام في الشّخوص إلى العدو فلم يره صلاحا لما فيه من الخوف على بيضه الاسلام بالنّكتة التي أشار إليها في ضمن هذا الكلام بعد تقديم مقدّمه مهّدها بقوله عليه السلام:

(وقد توكل الله لأهل هذا الدّين) أى صار وكيلا لهم قائما عليهم (باعزاز الحوزة) و البيضة و الجمعيّة (و ستر العوره) و ممّا لا ينبغى اطلاع العدو عليه من الفضائح و القبائح (و الذى نصرهم و هم قليل لا ينتصرون و منعهم و هم قليل لا يمتنعون حتى لا يموت) لا- يخفى ما هذه الجملة من حسن الخطابه حيث أورد المسند إليه موصولا لزياده التّقرير أعنى تقرير الغرض المسوق له الكلام، و هو الحثّ على التوكّل على الله و الاعتماد عليه و مزيد الثقة به ثمّ أكّد ذلك المعنى بالجملة الحاثيه و باتيان المسند بما يجرى مجرى المثل السّائر و المراد أنّ من نصرهم فى حال قلّتهم و عدم تمكّنهم من انتقام الأعداء و منعهم فى حال ضعفهم و عدم قدرتهم على الامتناع من سيف المعاندين حتى لا يموت فهو أولى فى حال كثرتهم بالحفظ و الحمايه و الاعزاز و النصره.

ثمّ أشار إلى وجه المصلحه و النّكتة فى المنع عن الخروج فقال (انك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك فتلقهم فتتكب لا تكن للمسلمين كانه دون أقصى بلادهم) يعنى أنّ الجهاد على وجهين فيمكن إداله الكفّار من المسلمين و يمكن إداله المسلمين من الكفّار فلو خرجت بنفسك و لا قيت العدو و أصابتك النكبه لم تبق للمسلمين جهه عاصمه يعتصمون بها و لا ملجأ يستندون إليه (و ليس بعدك مرجع يرجعون إليه) و فى ذلك خوف على بيضه الاسلام.

ثمّ أشار إلى ما هو الأصلح و أقرب إلى الحزم بقوله (فابعث إليهم) أى إلى الأعداء (رجلا محربا) أى ذا خبره و بصيره بالحروب أو رجلا- جرّب بكثرة الوقايح و الحروب و حصل الوثوق و الاعتماد عليه (و احفز) أى ادفع معه (أهل) النّجده و (البلاء و النّصيحه) أى المختبرين المجرّبين بالنّصح (فان أظهر) ك (الله) و نصر ك

(فذاک ما تحبّ و إن تكن الاخری) ای النّکبه و الانکسار (کنت رداء للناس) و عوناً لهم (و مثابه) ای مرجعاً (للمسلمین) و ما منّا یاوون إليه.

الترجمه

از جمله کلام آن امام اُمام است در آن حال که مشورت نمود باو عمر بن خطاب در باب بیرون رفتن بسوی غزوه روم بنفس خود پس فرمود آن بزرگوار:

بتحقیق که وکیل شده است خدای تبارک و تعالی از برای اهل این دین با عزیز نمودن و غالب گردانیدن ناحیه مسلمین و پوشانیدن عورت مؤمنین، و آن پروردگاری که یاری کرد مسلمانان را در آن حال که اندک بودند و قدرت نداشتند بر انتقام و حفظ نمود ایشان را در حالتی که اندک بودند و تمکن نداشتند از دفع دشمنان از خودشان زنده ایست که هرگز نمی میرد، بدرستی که هرگاه روانه شوی تو بسوی این دشمن بنفس خود پس برسی بایشان و مصیبتی بتو وارد بیاید و مغلوب شوی نمی باشد از برای مسلمانان پناهی نزد منتهای ولایتهای ایشان، و نباشد بعد از تو مرجعی که بازگشت نمایند بسوی او، پس برانگیزان بسوی دشمنان مردی جنگ دیده کاردان، و دفع کن باو اهل آزمایش و نصیحت را، پس اگر غالب گرداند تو را خداوند تعالی پس اینست آن چیزی که می خواهی، و اگر باشد امر بطور دیگر باشی تو یاور و مدد مردمان و مرجع و پناه برای مسلمانان و پناه گاه ایشان.

و من کلام له علیه السلام و هو المأه و الخامس و الثلاثون

اشاره

من المختار فی باب الخطب

و رواه الشّارح المعتزلی باختلاف ینسیر تطلع علیه.

قال السید (ره) و قد وقعت مشاجره بینه و بین عثمان، فقال المغیره بن الأحنس

ص: ۳۲۳

أنا أكفيك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام للمغيره:

يا بن اللعين الأبتري والشجره التي لا أصل لها ولا فرع أنت تكفيني فوالله ما أعز الله من أنت ناصره، ولا قام من أنت منهضه، اخرج عنا أبعد الله نواك، ثم ابلغ جهدك فلا أبقى الله عليك إن أبقيت.

اللغة

(الأبتري) المنقطع عن الخير وقيل الأبتري الذي لا عقب له ومنه الحمار الأبتري الذي لا ذنب له، قوله: (ولا قام) في بعض النسخ و لا أقام بالهمزة و (التوى) القصد الذي ينويه المسافر من قرب أو بعد هكذا في شرح البحراني، وقال الطريحي: التوى بالفتح البعد و منه حديث علي للمغيره بن الأخنس أبعد الله نواك من قولهم بعدت نواهم إذا بعدوا بعدا شديدا، و في بعض النسخ أبعد الله نواك بفتح التون و سكون الواو و بعدها همزه و هو النجم و جمعه أنواء و هي النجوم التي كانت العرب تنسب إليها و كانوا إذا دعوا على إنسان قالوا أبعد الله نواك، أي خيرك.

قال أبو عبيده في محكي كلامه: هي أي الأنواء ثمانية و عشرون نجما معروفه المطالع في أزمته السدنه يسقط منها في كل ثلاث عشره ليله نجم في المغرب مع طلوع الفجر و يطلع الآخر مقابله من ساعته، و انقضاء هذه الثمانية و العشرين مع انقضاء السدنه و كانت العرب في الجاهليه إذا سقط منها نجم و طلع الآخر قالوا لا بد أن يكون عند ذلك مطر فينسبون كل غيث يكون عند ذلك إلى النجم و يقولون و مطرنا بنوء كذا قال: و يسمى نوء لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب نأى الطالع بالمشرق، و ذلك النهوض هو النوء فسّمى النجم به.

و قوله: (ثم ابلغ جهدك) أمر من افعل أو فعل و كلاهما مروى، و الجهد بالضم الطاقه و بالفتح المشقه و هما مرويان أيضا و (أبقيت) على فلان أي راعيته و رحمته

قوله أنت تكفيني، جمله استفهاميه محذوفه الأداة، و جمله ما أعزّ الله آه تحتمل الخبر و الدعاء، و قوله إن أبقيت متعلقه محذوف بقرينه سابقه أى إن أبقيت على.

المعنى

إشارة

قال الشّارح المعتزلى: اعلم أنّ هذا الكلام لم يكن بحضرة عثمان و لكن أعوانه روى عن إسماعيل بن خالد عن الشّعبى أنّ عثمان لما كثرت شكايته من علىّ عليه السّلام أقبل لا يدخل إليه من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله إلاّ شكّا إليه عليّ، فقال زيد بن ثابت الانصارى و كان من شيعة و خاصته، أفلا أمشى إليه فاخبره بموجدتك فيما يأتى إليك؟ قال: بلى، فأتاه زيد و معه المغيرة بن الأحنس بن شريق الثقفى و عداة فى بنى زهره و امه عمّه عثمان بن عفّان فى جماعه، فدخلوا فحمد زيد الله و أثنى عليه ثمّ قال:

أما بعد فإنّ الله قدّم لك سلفا صالحا فى الاسلام و جعلك من الرّسول بالمكار الذى أنت به فأنت للخير كلّ الخير أهل، و أمير المؤمنين عثمان ابن عمّك و ولّى هذه الامّه فله عليك حقّان: حقّ الولاية، و حقّ القرابه، و قد شكّاك إلينا أنّ عليا يعرض و يردّ أمرى علىّ، و قد مشينا إليك نصيحة لك و كراهية أن يقع بينك و بين ابن عمّك أمر نكرهه لكما، قال: فحمد علىّ عليه السّلام و أثنى عليه و صلّى على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم ثمّ قال:

أما بعد فو الله ما أحبّ الاعتراض و لا الرّد عليه إلاّ أن يأبى حقّا لله لا يسعنى أن أقول فيه إلاّ بالحقّ، و والله لأكفّن فيه ما وسعنى الكفّ.

فقال المغيرة بن الأحنس و كان رجلا و قاصا و كان من شيعة عثمان و خلصائه إنك و الله لتكفّن عنه أو لتكفّن عنه فإنّه أقدر عليك منك عليه و إنّما أرسل هؤلاء القوم من المسلمين إعدارا ليكون الحجّج عندهم عليك.

فقال له علىّ عليه السّلام يا بن اللّعين الأبتّر و الشجره التى لا أصل لها و لا فرع

أنت تكفنى فوالله ما أعز الله امرأ من أنت ناصره، اخرج أبعده الله نواك ثم اجهد جهدك فلا- أبقى الله عليك و لا- على أصحابك إن ابقيتهم.

فقال له زيد: إنا والله ما جئناك لتكون عليك شهودا ولا ليكون مشينا إليك حججه، ولكن مشينا فيما بينكما التماس الأجر و أن يصلح الله ذات بينكما و يجمع كلمتكما، ثم دعا له و لعثمان و قام فقاموا معه، إذا عرفت هذا فلنرجع إلى شرح ما أورده السيد (ره) فأقول: قوله عليه السلام للمغيره: (يا بن اللعين الأبتري) لأجل أن أباه و هو الأخنس بن شريق كان من أكابر المنافقين ذكره أصحاب الحديث كلهم فى المؤلفه قلوبهم الذين أسلموا يوم الفتح بألستهم دون قلوبهم و أعطاه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مائة من الابل من غنائم حنين يتألف بها قلبه، و ابنه أبو الحكم بن الأخنس قتله أمير المؤمنين عليه السلام يوم احد كافرا فى الحرب، و هو أخو المغيره و الحقد الذى كان فى قلب المغيره إنما كان من هذه الجهه.

و أما وصفه بالأبتري كوصف العاص بن وائل به فى قوله سبحانه: ان شائتك هو الأبتري، فلانقطاعه عن الخير كله فىكون إطلاقه عليه حقيقه، أو لأن من كان عقبه ضالاً خبيثاً فهو كمن لا عقب له بل من لا عقب له خير منه فىكون إطلاقه عليه على سبيل الاستعاره.

و كذلك قوله (و الشجره التى لا- أصل لها و لا فرع) استعار له لفظ الشجره الموصوفه بما ذكر إشاره إلى حقارته و دنائته، لأن الشجره التى ليس لها فرع و لا- قرار ساقطه عن درجه الاعتبار حقيره فى الأنظار، و لذلك ضربت مثلا للكلمه الخبيثه فى الآيه الشريفة: و مثل كلمه خبيثه كشجره خبيثه اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار.

و يحتمل أن يكون المراد بالوصفين نفى صفه الكمال، بمعنى أنها ليس لها أصل ثابت و لا- فرع مثمر فيلا- حظ ذلك فى المستعار له و يكون عدم ثبوت أصله إشاره إلى الطعن فى نسبه، فقد قال جمع من النسايبين إن فى نسب ثقيف طعنا،

و قد فضّله الشّارح المعتزلي في الشّرح و يكون عدم ثبوت فرعه إشارة إلى أنّ عقبه ضالّ حيث عادم الخير و النّفع.

ثمّ استفهم على سبيل الإنكار و الاستحقاق فقال (أنت تكفيني) قال الشارح المعتزلي بعد ما أورد الرواية المتقدّمة: و هذا الخبر يدلّ على أنّ اللفظه أنت تكفّني و ليست كما ذكره الرّضى أنت تكفيني، لكن الرّضى طبق هذه اللفظه على ما قبلها و هو قوله: أنا أكفيك، و لا شبهه أنّها روايه اخرى (فو الله ما أعزّ الله من أنت ناصره و لا قام من أنت منهضه) أي مقيمه و ذلك لأنّ العزّه و القوّه لله سبحانه و النّصره و الخذلان بيد الله، فمن أعزّه الله فهو المنصور. و من أدّله فهو المقهور، و إن ينصركم الله فلا غالب لكم و إن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده.

ثمّ طرده و أبعده و دعا عليه بقوله:(اخرج عنّا أبعده الله نواك) أي مقصدك أو خيرك أو طالعك (ثمّ ابلغ جهدك) أي غايتك و طاقتك في الأذى (فلا أبقى الله عليك إن أبقيت) على أي لا رعاك و لا رحمك إن أشفقت علىّ.

تنبيه

ينبغي أن نذكر ههنا طرفا من مشاجره أمير المؤمنين عليه السّلام مع عثمان اللّعين ممّا أوردته المخالف و المؤلف:

فأقول: روى المحدث العلّامة المجلسي (ره) في البحار من الامالي باسناده عن عبد الله بن أسعد بن زراره عن عبد الله بن أبي عمره الأنصاري قال: لما قدم أبو ذر على عثمان قال: أخبرني أيّ البلاد أحبّ إليك؟ قال: مهاجري، قال: لست بمجاوري، قال: فالحق بحرم الله فأكون فيه، قال: لا، قال: فالكوفة أرض بها أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، قال: لا، قال: فلست بمختار غيرهنّ، فأمره بالمسير إلى الرّبذه فقال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قال لي اسمع و أطع و انفذ حيث قادوك و لو لعبد حبشي

مجدع، فخرج إلى الرّبذه فأقام هنا مدّه. ثمّ دخل المدينة فدخل على عثمان و الناس عنده سمّاطين فقال: إنك أخرجتني من أرض إلى أرض ليس بها زرع ولا - ضرع إلا - شويهاً و ليس لى خادم إلا - هممره و لا - ظلّ إلا ظلّ شجره، فأعطني خادماً و غنيمات أعيش فيها، فتحوّل وجهه عنه إلى السيّامط الآخر فقال مثل ذلك فقال له حبيب بن سلمه: لك عندي يا أبا ذر ألف درهم و خادم و خمسمائه شاه، قال أبو ذر: أعط خادمك و ألفك و شويهاً من هو أحوج إلى ذلك مني، فاني إنما أسأل حقّي في كتاب الله، فجاء عليّ عليه السّيّام فقال له عثمان: ألا تغني عنها سفيهك هذا قال: أيّ سفيه؟ قال: أبو ذر، قال عليّ عليه السّيّام: ليس بسفيه سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول ما أظلت الخضراء و لا أقلت الغبراء على أصدق لهجه من أبي ذر، أنزله بمنزله مؤمن آل فرعون إن يك كاذباً فعليه كذبه و إن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم قال عثمان: التراب في فيك، قال عليّ: عليه السّيّام بل التراب في فيك، انشد بالله من سمع رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول ذلك لأبي ذر، فقام أبو هريره و عشره فشهدوا بذلك قول عليّ عليه السّيّام قال ابن عباس: كنت عند أبي على العشاء بعد المغرب إذ جاء الخادم فقال:

هذا أمير المؤمنين بالباب، فدخل عثمان فجلس فقال له العباس تعشّ، قال: تعشيت فوضع يده فلما فرغنا من العشاء قام من كان عنده و جلست و تكلم عثمان فقال:

يا خال أشكو اليك ابن أخيك يعني علياً فإنه أكثر في شتمى و نطق في عرضى و أنا أعوذ بالله في ظلمكم بنى عبد المطلب إن يكن هذا الأمر لكم فقد سلّمتموه إلى من هو أبعد منى و إن لا يكن لكم فحقى أخذت، فتكلّم العباس فحمد الله و أثنى عليه و صلّى على النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم و ذكر ما خصّ الله به قريشا منه و ما خصّ به بنى عبد المطلب خاصّه ثمّ قال: أما بعد فما حمدتك لابن أخى و لا حمدت ابن أخى فيك، و ما هو وحده فقد نطق غيره فلو أنّك هبطت ممّا صعدت و صعدتوا ممّا هبطوا لكان ذلك أقرب، فقال: أنت ذلك يا خال، فقال: أتكلّم بذلك عنك؟ قال: نعم أعطهم عنى ما شئت، و قام عثمان فخرج، فلم يلبث أن رجع فسلمّ و هو قائم ثمّ قال:

يا خال لا تعجل بشيء حتى أعود إليك، فرفع العباس يديه و استقبل القبلة فقال:

اللهم اسبق لي ما لا خير لي في إدراكه، فما مضت الجمعة حتى مات.

و روى الشَّارح المعتزلي نحوه عن الزبير بن بكار في الموفقيات و زاد فيه بعد قوله لا- تعجل يا خال حتى اودنك، فنظرنا فاذا مروان بن الحكم جالسا بالباب ينتظره حتى خرج فهو الذي فشا عن رأيه الأول فأقبل على أبي فقال يا بني ما إلى هذه من أمره شيء ثم قال يا بني أمسك عليك لسانك حتى نرى ما لا بد منه.

و روى الشَّارح أيضا عن الموفقيات عن رجال أسند بعضهم عن بعض عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: أرسل إلي عثمان في الهاجرة فتقنعت بثوبي و أتيت فدخلته و هو على سريره و في يده قضيب و بين يديه مال دثر صبرتان من ورق و ذهب، فقال:

دونك خذ من هذا حتى تملأ بطنك فقد أحرقتني، فقلت وصلتك رحم إن كان هذا المال ورثته، أو أعطاكه معط، أو اكتسبته من تجاره كنت أحد رجلين: إما أخذ و شكر، أو أوفر و أجهد، و إن كان من مال الله و فيه حق المسلمين و اليتيم و ابن السبيل فوالله ما لك أن تعطيه و لا لي أن آخذه، فقال: أبيت و الله، إلا ما أبيت ثم قال: إلي بالقضيب، فضربني فوالله ما اردد يده حتى قضى حاجته، فتقنعت بثوبي و رجعت إلى منزلي و قلت: الله بيني و بينك إن كنت أمرتك بمعروف و نهيتك عن منكر.

أقول: و الأخبار في هذا المعنى كثيرة و دلالتها على معاداة عثمان لأمر المؤمنين عليه السلام و إنزاله له منزله العدو صريحه جليته، و كفى بذلك له أليم العقاب و سوء المآب.

الترجمه

از جمله کلام آن امام اناست و بتحقیق که واقع شده بود منازعه میان او و میان عثمان پس گفت مغیره بن احنس عثمان را من کفایه میکنم از تو او را یعنی نمی گذارم از امیر المؤمنین صدمه و آسیبی بتو برسد پس فرمود امیر المؤمنین بمغیره:

ای پسر ملعون بی منفعت و درختی که نه ریشه دارد مر او را و نه شاخ تو،

كفايت ميكنى مرا، پس قسم بخدا كه عزيز و غالب نگردانيد خدا كسى را كه تو يارى دهندۀ اوئى، و بر نخواست كسى كه تو برخيزاننده اوئى، بيرون برو از خانه ما دور گرداند خداوند تعالى مقصد تو را، پس از آن برس بنهايت سعى خود، پس رحمت نكند و رعايت نكند تو را خدا اگر مهربانى كنى تو با من.

و من كلام له عليه السلام و هو الماء و السادس و الثلاثون من

اشاره

المختار فى باب الخطب.

قاله (عليه السلام) لما تخلف عن بيعته عبد الله بن عمر و سعد بن أبى وقاص و جماعه اخرى و رواه فى الارشاد باختلاف تطلع عليه.

لم تكن بيعتكم إِيَّاي فلتة، و ليس أمرى و أمركم واحدا، إِيَّيْ أريدكم لله و أنتم تريدوننى لأنفسكم، أَيْهَا النَّاسُ أَعِينونى على أنفسكم و أيم الله لانصفنَّ المظلوم من ظالمه، و لأقودنَّ الظَّالِمَ بخزامتة حتَّى أوردته منهل الحقِّ و إن كان كارها.

اللغة

(الفلته) الأمر يقع من غير تدبّر و لا- رويّه و (خزمت) البعير بالخزامة و هى حلقه من شعر تجعل فى وتره انف البعير ليشدّ فيها الزّمام و يسهل قياده و (الورد) حضور الماء للشّرب و الايراد الاحضار و (المنهل) المشرب من نهل الماء كفرح شربه.

الاعراب

قوله: و أيم الله لفظه أيم من كلمات القسم، و قد مضى بعض الكلام فيها فى شرح

الخطبه الخامسه و شرح الفصل الثانى من الخطبه الثانيه و التسعين.

و أقول هنا: إنّ فيها اثنتين و عشرين لغه قال فى القاموس: و اليمين القسم مؤنث لأنّهم كانوا يتماسحون بأيمانهم فيتحالفون، الجمع ايمن و ايمان و أيمن الله و أيم الله و يكسر أولهما و أيمن الله بفتح الميم و الهمزه و يكسر و أيم الله بكسر الهمزه و الميم، و قيل ألفه ألف وصل و هيم الله بفتح الهاء و ضمّ الميم و أم الله مثلثه الميم و إم الله بكسر الهمزه و ضمّ الميم و فتحها و من الله بضمّ الميم و كسر التّون و من الله مثلثه الميم و التّون و م الله مثلثه و ليم الله و ليمن الله اسم وضع للقسم و التقدير ايمن الله قسمى.

و قال ابن هشام فى المغنى: أيمن المختصّ بالقسم اسم لا حرف خلافا للزجاج و الزّمانى مفرد مشتقّ من اليمين و همزته وصل لا جمع يمين و همزته قطع خلافا للكوفيين و يرده جواز كسر همزته و فتح ميمه، و لا يجوز مثل ذلك فى الجمع من نحو أفلس و اكلب و قول نصيب:

فقال فريق القوم لما نشدتهم نعم و فريق ليمن الله ما ندري

فحذف ألفها فى الدّرج و يلزمه الرّفْع بالابتداء و حذف الخبر و اضافته إلى اسم الله سبحانه خلافا لابن درستويه فى إجازة جزّه بحرف القسم و لابن مالك فى إجازته إضافته إلى الكعبه و كاف الضّمير، و جوز ابن عصفور كونه خبرا و المحذوف مبتدأ أى قسمى ايمن الله.

المعنى

إشاره

اعلم أنّ هذا الكلام له عليه السّلام لجمهور أصحابه الذين كان غرضهم فى بيعته و اتّباعه عليه السّلام حطام الدّنيا لا إحياء شرائع الدّين و إقامه معالم الشرع المبين كما يرشد إليه ما سيأتى من قوله: أنتم تريدوننى لأنفسكم، إذا عرفت ذلك فأقول:

قوله (لم تكن بيعتكم إياى فلتة) فيه تعريض ببيعه أبى بكر و إشاره إلى قول عمر فيها، فقد روت العامه و الخاصه عن عمر أنّه قال: إنّ بيعه أبى بكر كانت فلتة و قى الله شرّها و من عاد إلى مثلها فاقتلوه، و فى بعض الرّوايات فمن دعاكم

ص: ٣٣١

إلى مثلها فاقتلوه، و قد رواه الشارح المعتزلى فى شرح الخطبه السادسة والعشرين بعدة طرق و أطنب الكلام فى بيان معنى الفلته و لا حاجة بنا إلى إيراد ما أورده.

و مقصود أمير المؤمنين عليه السلام أن بيعتكم إياى لم تكن بغته و من غير تدبّر و رويّه و إنّما كانت عن تدبّر و اجتماع رأى منكم فليس لأحدكم بعدها أن ينكث و يندم (و ليس أمرى و أمركم واحدا) إشاره إلى اختلاف مقاصده و مقاصدهم و تفريق بينهما، و جهه التفريق ما أشار إليها بقوله: (إنى اريدكم لله و أنتم تريدوننى لأنفسكم) يعنى إنّما اريدكم لأقامه أمر الله و إعلاء كلمه الله و تأسيس أساس الدين و انتظام قوانين الشرع المبين و أنتم تريدوننى لحظوظ أنفسكم من العطاء و التقريب و ساير المنافع الدنيويه.

(أيها الناس أعينونى على أنفسكم) لما كان وظيفته الدعوه إلى الله و الدلاله إلى سبيل الله و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر جعل طاعتهم له و امتثالهم لأوامره و انتهاهم عن المنكرات إعانه منهم له لحصول غرضه و فراغه عن تعب الطلب.

ثم أشار إلى قيامه بوظائف العدل فقال (و أيم الله لأنصفنّ المظلوم) أى أحكم فى ظلامته بالعدل و الانصاف و آخذ حقه (من ظالمه) لأقودنّ الظالم بخزامة حتى أورده منهل الحقّ و إن كان كارها) جعل الظالم بمنزله الابل الصّعب التى لا تنقاد إلاّ بالخزامة على سبيل الاستعاره بالكنايه و ذكر الخزامة تخييل و القود ترشيح. أى لأذللنّ الظالم و أقودنّه بالمقود حتى يخرج من حقّ المظلوم و يردّ عليه مظلّمته ان كان كارها له

تكملة

هذا الكلام رواه المفيد فى الارشاد قال: و من كلامه عليه السلام حين تخلف عن بيعته عبد الله بن عمر بن الخطّاب و سعد بن أبى وقاص و محمّد بن مسلمه و حسان بن ثابت و اسامه بن زيد ما رواه الشعبى قال: لما اعتزل سعد و من سمّيناه أمير المؤمنين عليه السلام و توقّفوا عن بيعته حمد الله و أثنى عليه ثم قال:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ بَايَعْتُمُونِي عَلَى مَا بُويعَ عَلَيْهِ مِنْ كَانَ قَبْلِي وَإِنَّمَا الْخِيَارُ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَبَايَعُوا فَإِذَا بَايَعُوا فَلَا خِيَارَ لَهُمْ، وَإِنَّ عَلَى الْإِمَامِ الْإِسْتِقَامَةَ وَعَلَى الرُّعْيَةِ التَّسْلِيمَ، وَهَذِهِ بَيْعُهُ عَامَّةً مِنْ رَغْبٍ عَنْهَا رَغْبٌ عَنِ دِينِ الْإِسْلَامِ وَاتَّبَعِ غَيْرَ سَبِيلِ أَهْلِهِ، وَلَمْ تَكُنْ بَيْعَتِكُمْ إِتْيَايَ فَلْتَهُ وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِدًا، وَأَنْتِي أَرِيدُكُمْ لَكُمْ وَأَنْتُمْ تَرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ وَأَيُّمَ اللَّهِ لِأَنْصَحَنَّ لِلْخَصْمِ وَ لِأَنْصَفَنَّ لِلْمَظْلُومِ، وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ سَعْدٍ وَابْنِ مَسْلَمَةَ وَاسَامَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ وَحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ أُمُورَ كَرِهْتَهَا وَالْحَقُّ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ.

الترجمه

از جمله کلام آن امام انام است که فرموده: نبود بیعت شما با من چیزی که بدون تروی و تدبّر واقع شده باشد، و نیست کار من و کار شما یکی، بدرستی من می خواهم شما را از برای خدا، و شما می خواهید مرا از برای حظهای نفوس خودتان ای مردمان اِعانت نمائید مرا بر قهر و غلبه نفسهای خود، و قسم بذات پاک خداوند هر آینه البته حکم انصاف میکنم در حقّ مظلوم از ظالم او، و هر آینه البته می کشم ظالم را بحلقه بینی او تا این که وارد نمایم او را بآبش خور حق و اگر چه باشد آن ظالم کراحت دارنده.

و من کلام له علیه السلام فی معنی طلحه و الزبیر و هو المأه

اشاره

و السابع و الثلاثون من المختار فی باب الخطب

و الأشبه أنه ملتقط من خطبه طويله قدّمنا روايتها فی شرح الخطبه الثانيه و العشرين بطرق عديده فليتذكّر و الله ما أنكروا عليّ منكرًا، و لا جعلوا بيني و بينهم نصفًا، و إنهم ليطلبون حقًا هم تركوه، و دما هم سفكوه، فإن كنت شريكهم

فيه فإنّ لهم نصيبهم منه، وإن كانوا ولّوه دوني فما الطّلبه إلّا قبلهم وإنّ أوّل عدلهم للحكم على أنفسهم، وإنّ معي لبصيرتي ما لبست ولا لبس عليّ وإنّها للفئه الباغيه فيها الحمأ و الحمه و الشّيهه المغدفه، وإنّ الأمر لو واضح، وقد راح الباطل عن نصابه، و انقطع لسانه عن شغبه، و أيم الله لا فرطنّ لهم حوضاً أنا ماتحه، لا يصدرون عنه برىّ، و لا يعيّن بعده في حسي. منها:

فأقبلتم إليّ إقبال العوذ المطافيل على أولادها تقولون البيعه البيعه، قبضت كفى فبسطتموها، و نازعتكم يدي فجازبتموها، أللهمّ إنهما قطعاني، و ظلماني، و نكثا بيعتي، و ألّبا الناس عليّ فاحلل ما عقدا، و لا تحكم لهما ما أبرما، و أرهما المسائه فيما أملا و عملا، و لقد استبتتهما قبل القتال، و استأنيت بهما قبل الوقاع، فغمطا النعمه، و ردّا العافيه.

اللغه

(النّصف) محرّكه اسم من الانصاف و هو العدل و (الطّلبه) بكسر اللام المطلوب و (لبست) بالبناء للفاعل و (لبس) بالبناء للمفعول، قال الشّارح المعتزلي، و لبست على فلان الأمر و لبس عليه الأمر كلاهما بالتخفيف و لكنّ

الموجود فى ما رأيت من النسخ بالتشديد قال الفيروزآبادى: لبس عليه الأمر يلبسه خلطه و ألبسه غطاه، و أمر ملبس و ملتبس بالأمر مشتبه التلبس و التخليط و التدليس، و قال بعض الشارحين: التشديد للتكثير.

و (الحماء) بالتحريك كالحماه بالتاء الأسود المتن، قال سبحانه: من صلصال من حماء مسنون، و يروى حما مقصوره، و (الحمه) بضم الحاء و فتح الميم و تخفيفها العقرب و كلشىء يلسع أو يلدغ و (المغدفة) بفتح الدال الخفيفه من اغدفت المرأه قناعها أرسلته على وجهها، و عن بعض النسخ بكسر الدال من أغدفت الليل إذا أظلم و (النصاب) الأصل و المرجع.

(و الشغب) بسكون الغين المعجمه تهيج الشر من شغب الحقد شغبا من باب منع و فى لغه ضعيفه بالتحريك و ماضيها شغب بالكسر كفرح و (افرطن) بضم الهمزه من باب الافعال من أفرطت المزاده أى ملاتها، و يروى بفتح الهمزه و ضم الزاء من فرط زيد القوم أى سبقهم فهو فرط بالتحريك و (الماتح) المستقى من فوق و (العب) شرب الماء من غير مصّ أو تتابع الجرع.

(الحسى) فى النسخ بكسر الحاء و سكون السين قال الشارح المعتزلى:

ماء كامن فى رمل يحفر عنه فليستخرج و جمعه أحساء و فى القاموس الحسى كالى سهل من الأرض يستنقع فيه الماء أو غلظ فوقه رمل يجمع ماء المطر و كلما نزلت دلوا جمت اخرى جمعه احساء و حساء و (العوذ) بالضم الحديثات النتاج من النوق و الطباء و كل انثى كالعوذ ان جمعا عائذ كحائل و حول و راع و رعيان و (المطافيل) كالمطافل جمع المطفل و زان محسن ذات الطفل من الانس و الوحش و (التأليب) النحريض و الافساد و (أحكم) الشىء أتقنه و (أبرم) الجبل جعله طاقين ثم فتله و أبرم الأمر أحكمه.

و (استتبهما) فى بعض النسخ بالثاء المثلثة من تاب يثوب أى رجع و منه المثابه للمنزل، لأنّ الناس يرجعون إليه فى أسفارهم و فى بعضها استتبتهما بالثاء المثناه من تاب يثوب أى طلبت منهما أن يتوبا و (استأنيت) من الاناه و استأنى

بفلان انتظر به و (غمط) فلان بالنعمه إذا لم يشكرها و حقرها من باب ضرب و سمع

الاعراب

قال الشارح المعتزلي: نصفاً على حذف المضاف أى ذا نصف أى حكماً منصفاً عادلاً يحكم بينى و بينهم.

أقول: و الأولى أن يقدر المضاف المحذوف لفظ الحكم أى حكم نصف و عدل إذ على ما ذكره الشارح يحتاج إلى حذف موصوف ذا و هو تكلف مستغنى عنه فتأمل و عن فى قوله: عن نصابه، إمّا بمعناها الأصلي أو بمعنى بعد كما فى قوله تعالى: عمّا قليل لتصبحن نادمين، و قوله: و لأفرطنّ لهم حوضاً، قد مضى اعرابه فى شرح الخطبه العاشره، و جمله أنا ماتحه، فى محلّ النصب صفه لحوضاً، و جمله لا يصدرّون عنه حال من الضمير فى ماتحه، و البيعه البيعه، منصوبان على الاغراء

المعنى

إشارة

اعلم أنّ هذا الكلام له عليه السلام كما تبه عليه السيد (ره) و ارد فيمعنى طلحه و الزبير أى القصد فيه متوجه إليهما و الغرض منه تقيعهما و توبيخهما و توبيخ سائر أصحاب الجمل و ابطال ما نغموه عليه و ردّ ما تشبثوا به فى خروجهم عن ريقه طاعته.

و أشار عليه السلام إلى وجه البطلان بقوله (و الله ما أنكروا على منكرا) قبيحا يعنى أنّ ما زعموه منكرا من قتل عثمان و التسويه فى العطاء فليس هو بمنكر فى الواقع حتّى يرد على إنكارهم، و إنّما حملهم على الانكار الحسد و حبّ الاستيثار بالدنيا و التفضيل فى العطاء (و لا- جعلوا بينى و بينهم نصفاً) أى حكماً عادلاً (و انهم ليطلبون حقاً هم تركوه) قال الشارح المعتزلي: أى يظهرون أنّهم يطلبون حقاً بخروجهم إلى البصره و قد تركوا الحقّ بالمدينه، و قيل: المراد بالحقّ نصره عثمان و إعانتة

أقول: و الظاهر أنه أراد بالحقّ حقّ القصاص، يعنى أنّهم يطلبون حقّ القود من قاتلى عثمان و لكنّهم هم الذين تركوه حيث أمسكوا النكير على قاتليه، فتقديم المسند إليه للتخصيص ردّاً عليهم إلى زعمهم انفراد أمير المؤمنين عليه السّلام و أصحابه بترك الحقّ.

و مثله قوله (و دما هم سفكوه) أى لا غيرهم و أراد به دم عثمان، و يدلّ على سفكهم دمه و كونهم أشدّ الناس تحريضا عليه ما قدّمناه فى شرح الخطبه الثانيه و العشرين و الكلام الثلاثين.

و يدلّ عليه أيضا ما رواه فى شرح المعتزلى و غيره أنّ عثمان قال: وىلى على ابن الخضرميّه، يعنى طلحه أعطينه كذا و كذا ذهبا و هو يروم دمي يحرض على نفسى اللّهم لا تمّتع به.

قال الشّارح و روى النّاس الذين صنفوا فى واقعه الدّار أنّ طلحه كان يوم قتل عثمان مقنعا بثوب قد استتر به عن أعين النّاس يرمى الدّار (١) السّيهام، و أنّه لما امتنع على الذين حصروه الدّخول من باب الدّار حملهم طلحه إلى دار لبعض الأنصار فأصعدهم إلى سطحها و تسوّروا منها على عثمان داره فقتلوه.

و روى أيضا أنّ الزّبير كان يقول: اقتلوه فقد بدّل دينكم، فقالوا: إنّ ابنك يحامى عنه بالباب، فقال: ما أكره أن يقتل عثمان و لو بدء بابنى إنّ عثمان لجيفه على الصّيراط غدا، و قال مروان بن الحكم يوم الجمل: و الله لا أترك ثارى و أنا أراه و لأقتلنّ طلحه بعثمان فإنّه قتله ثمّ رماه بسهم فأصاب مأبضه (٢) فنزف الدّم (٣) حتّى مات.

فقد ظهر من ذلك أنّه لا ريب فى إغرائهم و تحريضهم و دخولهم فى دم عثمان فلا يجوز لهم المطالبه بدمه منه، لأنّ دخولهم فيه إمّا أن يكون بالاشتراك، أو

ص: ٣٣٧

١- (١) أى دار عثمان التى حصروه فيه، منه.

٢- (٢) المأبض كمجلس باطن الركبه و من البعير باطن المرفق، ق

٣- (٣) نزف فلان دمه اذا سال حتى يفرط، لغه

يكون بالاستقلال، و على التقديرين فيبطل المطالبه.

أمّا على التقدير الأول فلما أشار إليه بقوله (فان كنت شريكهم فيه فانّ لهم نصيبهم منه) و ليس لأحد الشريكين أن يطالب الشريك الآخر بل اللّازم له أن يبدء بنفسه و يسلمها إلى أولياء المقتول ثم بالشريك الآخر.

و أمّا على التقدير الثّانى فلما أشار إليه بقوله (و إن كانوا و لوّه) و باشروه (دونى فما الطّلبه) أى المطلوب (إلا قبلهم) فاللّازم عليهم أن يخصّوا أنفسهم بالمطالبه و حدهم (و إنّ أوّل عدلهم) الّذى جعلوه عذرا فى نقض البيعه و الخروج إلى البصره حيث قالوا إنّما خرجنا للأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و إقامة العدل و إمامته الباطل و إحياء الحقّ (للحكم على أنفسهم) و الانكار للمنكر الّذى أتوا به و اقتصاص الدّم الّذى هجموا عليه قبل الانكار، و الحكم على غيرهم لأنّ النهى عن المنكر إنّما هو بعد التّناهى (و أنّ معى لبصيرتى) و عقلى (ما لبست و لا لبس علىّ) و قد مضى معنى هذه الفقره فى شرح الخطبه العاشره.

و يحتمل احتمالا قويا أن يكون المراد أنّه ما لبست على نفسى و لا على النّاس أمرى و أمورهم و لم يلبس أيضا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم الأمر علىّ بل ما أقدم عليه فى أمرى و أمر النّاس و ما أخبرنى به النّبىّ صلّى الله عليه و آله هو الحقّ و بالاتباع أحقّ، و فى هذا الكلام تعريض عليهم بأنّهم غابت عنهم عقولهم و تاهت حلومهم، و أنّ ما أقدموا عليه أمر ملتبس، و أنّ خروجهم إنّما هو بهوى النّفس و النّاس مدلسون ملتسون قال: (و إنّها للفئه الباغيه) يعنى أنّ هذه الفئه للفئه الّتى أخبرنى رسول الله ببيغياها و خروجها علىّ حيث قال صلّى الله عليه و آله و سلّم لا تذهب اللّيالى و الأيام حتّى تتباح كلاب ماء بالعراق يقال له الحوآب امرأه من نسائى فى فئه باغيه، على ما تقدّم فى روايه الاحتجاج فى التّنبيه الثّانى من شرح الكلام الثّالث عشر، و قد قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: له عليه السّلام غير مرّه أنّك ستقاتل النّاكثين و القاسطين و المارقين، أو ما هذا معناه.

و تقدّم فى شرح الفصل الخامس من الخطبه الثّالثه فى روايه غايه المرام

أَنَّ امَّ سلمة قالت لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَا رَسُولَ اللهِ مِنَ النَّاكِثُونَ؟ قَالَ: الَّذِينَ يَبَايَعُونَهُ بِالْمَدِينَةِ وَيَنْكُثُونَ بِالْبَصْرَةِ، وَ لَسَبِقَ عَهْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ أَتَى بِهَا مَعْرِفَهُ بِلَامِ الْعَهْدِ.

و قوله:(فيها الحماء و الحمه)قال الشارح البحرانى: استعاره للغلّ و الفساد الذى كان فى صدور هذه الفئه، و وجه الاستعاره استلزامه لتكدير الاسلام و إثارة الفتنة بين المسلمين كما تكدر الحماء الماء و تخبثه و استلزامه للأذى و القتل كما يستلزم ذلك سَمَّ العقرب.

و قال الشَّارِحُ المَعْتَزَلِيُّ: أَى فِى هَذِهِ الْفِتْنَةِ الْفَسَادُ وَ الضَّلَالَةُ وَ الضَّرَرُ، وَ إِذَا أَرَادَتِ الْعَرَبُ أَنْ تَعْبِرَ عَنِ الضَّلَالَةِ وَ الْفَسَادِ قَالَتْ الْحَمَاءُ مِثْلَ الْحَمَاهِ بِالتَّاءِ وَ يَرُودُ فِيهَا الْحَمَاهُ بِأَلْفٍ مَقْصُورَةً وَ هُوَ كُنْيَاةٌ عَنِ الزَّبِيرِ لِأَنَّ كُلَّ مَا كَانَ بِسَبَبِ الرَّجُلِ فَهَمُّ الْأَحْمَاءِ وَاحِدُهُمْ حَمَاهُ مِثْلَ قَفَا وَ أَقْفَاءٍ، وَ مَا كَانَ بِسَبَبِ الْمَرْأَةِ فَهَمُّ الْأَحْمَاتِ، وَ قَدْ كَانَ الزَّبِيرُ مِنْ عَمَّةِ رَسُولِ اللهِ وَ قَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَعْلَمَ عَلَيًّا بِأَنَّ فِتْنَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ تَبْغَى عَلَيْهِ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ فِيهَا بَعْضُ زَوْجَاتِهِ وَ بَعْضُ أَحْمَائِهِ فَكُنِيَ عَلَيْهِ السَّيِّئَاتُ عَنِ الزَّوْجَةِ بِالْحَمَةِ، وَ هِيَ سَمُّ الْعَقْرِبِ وَ ظَهَرَ أَنَّ الْحَمَاءَ الَّذِى أَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِخُرُوجِهِ مَعَ هَؤُلَاءِ الْبِغَاةِ هُوَ الزَّبِيرُ ابْنُ عَمَّتِهِ.

أقول: و هذا أَلطَفٌ مِمَّا ذَكَرَهُ الْبَحْرَانِيُّ، وَ يُؤَيِّدُ مَا قَالَهُ مِنْ أَنَّهُ كُنِيَ عَنِ الزَّوْجَةِ بِالْحَمَةِ مَا يَرُودُ عَلَى السَّيِّدِ (رَه) عَنْهُ فِي أَوَاخِرِ الْكِتَابِ مِنْ قَوْلِهِ: الْمَرْأَةُ عَقْرِبٌ حَلَوُهُ اللَّبْسَةُ، أَى حَلَوُهُ اللَّسْعَةُ.

و قوله:(و الشبهه المغدفه) أَى الشَّيْءُ الْخَفِيهِ الْمُسْتَوْرَهُ الَّتِى لُبِسُوا بِهَا عَلَى أَكْثَرِ النَّاسِ مِنْ طَلَبِ دَمِ عَثْمَانَ وَ مِنْ رُودِ بَكْسَرِ الدَّالِ فَالْمُرَادُ الشَّيْءُ الْمُظْلَمُ أَى الْمَوْقِعُ فِي ظُلْمِهِ الْجَهَالَةُ الَّتِى لَمْ يَهْتَدِ فِيهَا أَكْثَرُ الْخَلْقِ حَتَّى قَتَلُوا بِسَبَبِهَا كَمَا لَا يَهْتَدِ فِي ظُلْمِهِ اللَّيْلِ.

ثُمَّ قَالَ (وَ إِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ) أَى عِنْدَ ذَوَى الْعُقُولِ لَعَلِمَهُمْ بِأَنِّى عَلَى الْحَقِّ وَ أَنَّ الْبَاغِينَ عَلَى الْبَاطِلِ وَ أَنَّ خُرُوجَهُمْ بَعْدَ بَيْعَتِهِمْ إِنَّمَا هُوَ لِمَحْضِ الْغَلِّ

و الحسد و الاستيثار بالدنيا عن اتباع الهوى (و قد راح) أى تنحى و بعد (الباطل) أى باطلهم (عن نصابه) و أصله يعنى ما أتوا به من الباطل لا أصل له (و انقطع لسانه عن شغبه) استعاره بالكنايه حيث شبه الباطل بحيوان ذى لسان فأثبت له اللسان تخيلا و ذكر الشغب ترشيح.

و محصل المراد أنه بعد وضوح الأمر فى و فى أتى على الحق لم يبق للباطل أصل و قد خرس و اعتقل لسانه عن تهيج شره، و يحتمل أن يكون المراد بالباطل الباطل الذى كان له رواج فى زمن المتخلفين الثلاثة، أى قد زال الباطل بعد موتهم و بيعه الناس إلى عن أصله و تزعزت أركانه و انهدم بنيانه و انقطع لسانه بعد ما هيج شره فلا اعتداد بنكث هؤلاء القوم و بغى هذه الباغيه.

ثم هددهم بقوله (و أيم الله لأفرطن لهم حوضا أنا ماتحه) و قد سبق شرح هذه الفقرة فى شرح الخطبه العاشره و قوله (لا يصدرون عنه برى) يعنى أن هذا الحوض ليس كسائر الحياض الحقيقيه التى يردّها الظمان فيصدر عنها برى و يروى غلته، بل الواردون إليه أن لا يعود (و لا يعبون بعده فى حسى) أى لا يشربون بعده بارد الماء ابدا لهلاكهم و غرقهم فى ذلك الحوض.

و قال السيد (ره) (منها) هكذا فى أكثر ما عندنا من النسخ، و الأولى منه بدله كما فى بعضها و لعل الأول من تحريف النسخ لأن العنوان بقوله:

و من كلام، فلا- وجه لتأنيث الضمير الرجوع إليه و الغرض بهذا الفصل تأكيد الاحتجاج على الفئه الباغيه بنحو آخر و هو قوله: (فأقبلتم إلى) للبيعه مزدحمين مثالين (إقبال العوذ المطافيل) أى الوالدات الحديثات التناج و ذات الطفل على أولادها و تشبيهه إقبالهم باقبالها لأنها أكثر إقبالا و أشد عطفًا و حنه على أولادها.

(تقولون البيعه البيعه) أى هلم البيعه أقبل إليها و فائده التكرار شدّه حرصهم إليها و فرط رغبتهم فيها (قبضت كفى) و امتنعت (فبسطتموها و نازعتكم يدي) من التوسع فى الاسناد أى نازعتكم بيدي و تمنعت (فجاذبتموها) فبايعتم عن جدّ و طوع منكم و كره و زهد منى

ثم شكّا إلى الله سبحانه من طلحه و الزبير بقوله (اللهم إنهما قطعاني) أى قطعاً رحمى لأنهما كانت لهما رحم ماسه به عليه السلام لكونهم جميعاً من قريش مضافاً إلى ما للزبير من القرابه القريبه فإنه كان ابن عمّه أمير المؤمنين و امه صفيه بنت عبد المطلب عليه السلام (و ظلماني) فى خروجهما إلى و مطالبه ما ليس لهما بحق (و نكثا بيعتى) و نقضاها (و ألثا الناس) و أفسداهم (على).

ثم دعا عليهما بقوله (فاحلل ما عقدا) من العزوم الفاسده التى أضمرها فى نفوسهم (و لا تحكم لهما ما أبرما) أى لا تجعل ما أبرما و أحكماه فى أمر الحرب محكماً مبرماً (و أرهما المسائه فيما أملا و عملا) أى أرهما المسائه فى الدنيا و الآخرة و لا تنلها آمالهما و اجزها الشؤى بأعمالهما و أفعالهما.

ثم اعتذر من قتاله معهما بأنه إنما قام بالقتال بعد اكمال النصح و الموعظه و اتمام الحجّه قاصراً على البغى فيكون اللائمه فى ذلك راجعه اليهما لا- إليه و الذنب عليهما لا عليه و هو معنى قوله (و لقد استتبتهما قبل القتال) أى طلبت منهما أن يرجعا عن البغى أو يتوبا عن ذنبهما استعطافاً لهما (و استأنيت بهما قبل الوقاع) أى تأنيت و تثبتت بهما قبل وقاع الحرب لعلهما يرجعا إلى الحق (ف) لم يقبلنا نصحى و لم يسمعا قولى بل أصراً على البغى و المخالفه و (غمطنا النعمه) أى استحققنا ما أنعم الله عليهما و هو قسمتهما من بيت المال و طلبا الزيادة و التوفير (و ردّا العافيه) أى السّلامه فى الدنيا و الدّين فكان عاقبتهما أنّهما فى النار خالدين.

تنبيه

قال الشّارح المعتزلى فى شرح قوله عليه السلام: اللهم إنهما قطعاني إلى قوله و عملا- أمّا و صفهما بما وصف به من القطع و الظلم و النكث و التآليب فقد صدق عليه السلام فيه، و أمّا دعاؤه فاستجيب له و المسائه التى دعا بهما مسائه الدنيا لا مسائه الآخرة، فإنّ الله قد وعدهما على لسان رسوله صلى الله عليه و آله و سلّم بالجنّه و إنّما استوجبا بالتوبه التى ينقلها أصحابنا عنهما فى كتبهم و لولاها لكانا من الهالكين.

أقول: ظاهر قول الامام عليه السّلام و أرهما المسائه هو الاطلاق و تقييدها بمسائه الدنيا لا دليل عليه، و أمّا وعد الله لهما بالجنّه فغير ثابت و مدّعيه كاذب لأنّ المدّعى إنّما استند فيه إلى حديث العشره الذي قدّمنا في التذييل الثّاني من شرح الكلام الثالث و الأربعين ضعفه و بطلانه و أنّه ممّا تفرّد المخالفون بروايته.

و نزيد على ما قدّمنا ما قاله الشّيخ (ره) في محكّي كلامه من تلخيص الشافي عند الكلام على بطلان هذا الخبر إنّّه لا يجوز أن يعلم الله مكلفا ليس بمعصوم من الذّنوب بأنّ عاقبته الجنّه، لأنّ ذلك يغريه بالقبيح و ليس يمكن أحدا ادّعاء عصمه التّسعه و لو لم يكن إلّا ما وقع من طلحه و الزبير من الكبيره لكفى، و قد ذكرنا أنّ هذا الخبر لو كان صحيحا لاحتجّ به أبو بكر لنفسه و احتجّ به له في السقيفه و غيرها، و كذلك عمر و عثمان.

و ممّا يبيّن أيضا بطلانه إمساك طلحه و الزبير عن الاحتجاج به لما دعوا النّاس إلى نصرتهما و استنفارهم إلى الحرب معهما، و أيّ فضيله أعظم و أفخم من الشّهاده لهما بالجنّه، و كيف يعدلان مع العلم و الحاجه عن ذكره إلّا لأنّه باطل، و يمكن أن يسلم مسلّم هذا الخبر و يحمله على الاستحقاق في الحال لا العاقبه فكأنّه صلّى الله عليه و آله و سلّم أراد أنّهم يدخلون الجنّه إن وافوا بما هم عليه، و يكون الفائده في الخبر إعلامنا بأنّهم يستحقّون الثواب في هذا الحال، هذا.

و أمّا قول الشّارح إنّهما استوجبا الجنّه بالتوبه التي ينقلها أصحابنا عنهما ففيه إنّنا قدّمنا في شرح الكلام الثامن بطلان توبه الزبير، و في شرح الكلام الثّاني عشر بطلان توبه طلحه، و أقول هنا: قال الشّيخ (ره) في محكّي كلامه من تلخيص الشافي بعد كلام طويل له على بطلان توبتهما تركناه حذرا من الاطاله و الاطناب ما لفظه:

و روى الشّعبي عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال: ألا إنّ أئمة الكفر في الاسلام خمسّه: طلحه، و الزبير، و معاويه، و عمرو بن العاص، و أبو موسى الأشعري، و قد روى مثل ذلك عن عبد الله بن مسعود.

و روى نوح بن درّاج عن محمّد بن مسلم عن حبه العرنى قال: سمعت عليّا عليه السّلام حين برز أهل الجمل يقول: والله لقد علمت صاحبه اليهودج أنّ أهل الجمل ملعونون على لسان النّبى الامّى و قد خاب من افترى، و قد روى هذا المعنى بهذا اللفظه أو بقريب منه من طرق مختلفه.

و روى البلادرى فى تاريخه باسناده عن جويريه بن أسماء أنّه قال: بلغنى أنّ الزبير حين ولى و لم يكن بسط يده بسيفه اعترضه عمّار بن ياسر بالزّمح و قال أين يا أبا عبد الله و أنت ما كنت بجبان و لكنى احسبك شككت؟ قال: و هو ذاك و مضى حتّى نزل بوادى السّباع فقتله ابن جرموز، و اعترافه بالشكّ يدلّ على خلاف التوبه لأنّه لو كان تائبًا لقال له فى الجواب ما شككت بل تحقّقت أنّك و صاحبك إلى الحقّ و أنا على الباطل و قد ندمت على ما كان منّى و أىّ توبه لشاكّ غير متحقّق.

فهذه الأخبار و ما شاكلها تعارض أخبارهم لو كان لها ظاهر يشهد بالتوبه، و إذا تعارضت الأخبار فى التوبه و الاصرار سقط الجميع و تمسكنا بما كتبنا عليه من أحكام فسقهم و عظيم ذنبهم، و ليس لهم أن يقولوا إنّ كلّ ما رويتموه من طريق الآحاد و ذلك إنّ جميع أخبارهم بهذه المثابه، و كثير ممّا روينا أظهر ممّا رووه و أفشى و إن كان من طريق الآحاد فالأمر ان سيّان.

و أمّا توبه طلحه فالأمر فيها أضيق على المخالف من توبه الزّبير، لأنّ طلحه قتل بين الصّفين مباشرة للحرب مجتهدا فيها و لم يرجع عنها حتّى أصابه السهم فأتى على نفسه، و ادّعاء توبه مثل هذا مكابره، و ليس لأحد أن يقول إنّّه قال بعد ما أصابه السهم:

ندمت ندامه الكسعى لمّا رأّت عيناه ما صنعت يداه

لأنّ هذا بعيد عن الصّواب و البيت المروى بأن يدلّ على خلاف التّوبه أولى لأنّه جعل ندامته ندامه الكسعى و خبر الكسعى معروف لأنّه ندم بحيث لا ينفعه النّدم و حيث فاته الأمر و خرج عن يده، و لو كان ندم طلحه واقعا على وجه التوبه

الصحيحه لم يكن مثل ندامه الكسعي، بل كان شبيها لندامه من تلافى ما فرط فيه على وجه ينتفع به.

و روى حسين الأشرف عن يوسف البزاز عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام لطلحه و هو صريع فقال: اقعدوه، فأقعد، فقال عليه السلام: قد كان لك سابقه لكن دخل الشيطان في منخريك فأدخلك النار، انتهى كلامه رفع مقامه و قد ظهر بذلك بطلان توبتهما كما توهمه الشارح المعتزلي وفاقا لأصحابه المعتزله و تبين أنّهما في النار خالدین ببغیهم على الامام المبين، هذا.

و ندامه الكسعي يضرب بها المثل فيقال: أندم من الكسعي، و هو محارب بن قيس من بنى كسح حتى من اليمن كان يرعى إبلا بواد معشب فرأى نبقه على صخره فأعجبته فقطعها و اتخذ منها قوسا، فمّرت به قطعان من حمر الوحش ليلا فرمى عشرا فأنفذها و أخرج النبيهم فأصاب الجبل فارى نارا فظنّ أنّه أخطأ، ثمّ مرّ قطع آخر فرماه كالأول و فعل ذلك مرارا فعمد إلى قوسه فكسره من حنقه، فلما أصبح و أى الحمر قتلن مضرّجه بالدم فندم و عضّ إبهامه فقطعها

الترجمه

از جمله کلام آن امام است علیه الصلاه و السلام در معنی و مقصودی که متعلق است بطلحه و زبیر و وارد است در مذمت و توییح ایشان و ابطال دعویشان در مطالبه خون عثمان می فرماید:

قسم بخدا انکار نکردند بر من فعل منکر قبیح را، و قرار ندادند در میان من و میان خودشان حکم عدلی را، و بدرستی که ایشان طلب میکنند حقّی را که خود آنها ترک کرده اند، و خونی را که خود آنها ریخته اند آنرا، پس اگر باشم من شریک ایشان در آن خون پس بدرستی که مر ایشان راست نصیبشان از آن خون، و اگر مباشر شدند آنرا بدون من پس نیست مطلوب ایشان مگر پیش خودشان، و بدرستی که اول عدالت ایشان حکم کردن است بر خودشان، و بدرستی که با من است بصیرت

من تلبیس نکرده ام و تلبیس کرده نشده بر من، و بدرستی که این جماعت همان جماعت طاغیه باغیه است که پیغمبر خدا صلی الله علیه و آله خبر داده بود، در این جماعت است گل سیاه متغیر و زهر عقرب و شبهه صاحب ظلمت، و بدرستی که امر در این شبهه واضح است، و بتحقیق که کنار شده است باطل از اصل خود، و بریده شده زبان آن از برانگیختن شر و فساد خود، و سوگند بخدا هر آینه پر می سازم بجهت ایشان حوض جنگیرا که منم کشنده آب آن در حالتی که بر نگردند از آن حوض سیراب و نیاشامند بعد از آن آب خوشگوار.

بعضی از این کلام در رد ایشانست بطرز آخر که می فرماید:

پس اقبال کردید بطرف من مثل اقبال شتران نوزاینندگان صاحبان طفل بر اولاد خود در حالتی که می گفتید بیا بیعت اقبال کن بیعت، بهم گرفتیم و قبض نمودم کف خود را پس بسط کردید شما آنرا، و منازعه کرد با شما دست من پس کشیدید دست مرا، پروردگارا بدرستی که طلحه و زبیر قطع رحم کردند از من و ظلم کردند بر من و شکستند بیعت مرا و تحریص و تحریک کردند خلق را بر محاربه من، پس بگشای آنچه که بسته اند آن را از عزمهای فاسده، و محکم نسا از برای ایشان آنچه که استوار کرده اند آن را از رأیهای باطله، و بنمای بایشان پریشانی را در آنچه که امید دارند و در آنچه که عمل می آرند، و بتحقیق که طلب کردم از ایشان باز گشتن ایشان را از بغی و ظلم پیش از مقاتله، و منتظر شدم و توقف نمودن بایشان پیش از محاربه، پس حقیر شمردند نعمت را و کفران نمودند و رد کردند سلامتی را و خود را بورطه هلاکت افکندند.

و من خطبه له عليه السلام في ذكر الملاحم و هي المأه و الثامنه

اشاره

و الثلاثون من المختار في باب الخطب

و شرحها في فصلين: الفصل الاول

اشاره

يعطف الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى، و يعطف الرأى على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأى. منها:

حتّى تقوم الحرب بكم على ساق باديا نواجذها، مملوّه أخلافها، حلوا رضاعها، علقما عاقبتها، ألا و فى غد و سيأتى غد بما لا تعرفون، يأخذ الوالى من غيرها عمّالها على مساوى أعمالها، و تخرج له الأرض أفاليد كبدها، و تلقى إليه سلما مقاليدها، فيريكم كيف عدل السيره، و يحيى ميّت الكتاب و السنّه.

اللغه

(الساق) ما بين الركبه و القدم و الجمع سوق قال سبحانه: فطفق مسحاً بالسوق و الأعناق، و الساق أيضا الشده و منه قوله تعالى: و يوم يكشف عن ساق، أى عن شده، قال الفيروزآبادى: و التفت الساق بالساق آخر شده الدنيا بأول شده الآخره و (التواجذ) أقصى الأضرار و (الأخلاف) جمع الخلف بالكسر

ص: ٣٤٦

كحمل و أحمال و هو من ذوات الخف و الظلف كالثدى للانسان و (العلقم) الحفظل و قيل قثاء الحمار و يقال لكل شىء مَرَّ.

و (الأفاليذ) جمع أفلاذ و أفلاذ جمع فلذ و هى القطعه من الكبد، هكذا فى شرح المعتزلى، و فى المصباح للفيومى: الفلذه القطعه من الشىء و الجمع فلذ كسدره و سدر، و قال الفيروزآبادى: الفلذ بالكسر كبد البعير و بهاء القطعه من الكبد و من الذهب و الفضة و اللحم و الأفلاذ جمعها كالفلذ كعنب و من الأرض كنوزها و (الكبد) بفتح الكاف و كسرهما و ككتف معروف و (المقاليد) المفاتيح

الاعراب

إذا ظرف للزّمان المستقبل و التّياصب فيها شرطها على مذهب المحقّقين فتكون بمنزله متى و حيثما و ايتان و جزائها على قول الأكثرين كما عزاه إليهم ابن هشام و الأظهر هنا أن يكون ناصبها يعطف لحقّ التّقدم و لما حقّقه نجم الأئمه حيث قال: العامل فى متى و كلّ ظرف فيه معنى الشّروط شرطه على ما قال الأكثرون و لا يجوز أن يكون جزاؤه على ما قال بعضهم كما لا يجوز فى غير الظّروف أ لا- ترى انك لا- تقول أيهم جاءك فاضرب، بنصب أيهم، و أمّا العامل فى اذا فالأكثرون على أنه جزاءه، و قال بعضهم: هو الشّروط كما فى متى و اخواتها، و الأولى أن نفصّل و نقول: إن تضمّن إذا معنى الشّروط فحكمه حكم اخواته فى متى و نحوها و إن لم يتضمّن نحو إذا غربت الشمس جئتك بمعنى أجيئك وقت غروب الشمس فالعامل هو الفعل الذى فى محلّ الجزاء و ان لم يكن جزاء فى الحقيقة دون الذى فى محلّ الشّروط و هو مخصّص للظّروف انتهى.

و من المعلوم أنّ إذا فى هذا المقام من قبيل إذا فى قوله: إذا غربت الشمس جئتك، و ليس فيها معنى الشّروط، و الباء فى قوله: حتّى تقوم الحرب بكم بمعنى فى بدليل قوله تعالى لا- تقم فيه أبدا لمسجد ايس على التقوى من أوّل يوم أحقّ أن تقوم فيه، فتكون للظرفيّة المجازيّة.

و باديا و مملوّه و حلوا و علقما منصوبات على الحال و العامل تقوم، و المرفوعات بعدها فواعل و رفع علقما لما بعده مع كونه اسما جامدا لأنه بمعنى المشتق، أى مريره عاقبتها.

و قوله: فى غد متعلق بقوله يأخذ، و تقدّمه للتوسّع، و جمله و سيأتى غد بما لا تعرفون معترضه بين الظروف و المظروف، و سلما منصوب على الحال من فاعل تلقى و لا بأس بجموده لعدم شرطية الاشتقاق فى الحال أو لتأويله بالمشتق أى تلقى مستسلما منقادا كما فى قوله اجتهد و حدك أى متوجّدا، و قوله فيريكم كيف عدل السّيره، الفاء فصيححة و كيف خبر مقدّم و هو ظرف عند سيويه و موضعها نصب و ما بعدها مبتدأ و الجملة فى محلّ التّصّب مفعول ثان ليريكم، و علق عنها العامل لأجل الاستفهام، و المعنى يريكم عدل السّيره على أى نحو.

المعنى

إشارة

اعلم أنّ هذه الخطبة حسبما ذكره السيّد (ره) وارده فى ذكر الملاحم أى الوقائع العظيمة المتضمّنه للقتل و الاستيصال، و اتفق الشراح على أنّ هذا الفصل منها اشاره إلى ظهور القائم المنتظر عجل الله فرجه و سهل الله مخرجه و جعلنا الله فداه و منحنا أتباع آثاره و هداه.

فقوله (يعطف الهوى على الهدى) يريد به أنه عليه السلام إذا ظهر يردّ النفوس الهائره عن سبيل الله التابعه لظلمات أهوائها عن طرقها الفاسده و مذاهبها المختلفه إلى سلوك النهج القويم و الصّراط المستقيم، فتهدى الامم بظهوره و تسفر الظلم بنوره و ذلك (إذا عطفوا الهدى على الهوى) أى إذا ارتدّت تلك النفوس عن أتباع أنوار هدى الله تعالى فى سبيله الواضح إلى أتباع أهوائها فيجدّد الشريعة المحمّديّه بعد اندحاضها، و يبرم عقدها بعد انتفاضها، و يعيدها بعد ذهابها و انقراضها.

(و يعطف الرأى على القرآن) أى يردّ الآراء الفاسده المخالفه للقرآن

عليه و يأمر بالرجوع إليه، و يأخذ ما وافق الكتاب و طرح ما خالفه في كل باب و ذلك (إذا عطفوا القرآن على الزأى) و تأولوه على ما يطابق مذاهبهم المختلفه و آرائهم المتشثته فأن فرق الاسلام من المرجيه و المشببه و الكراميه و القدرية و المعتزله و غيرها قد تمسك كل على مذهبه الفاسد و استشهد على رأيه الكاسد بآيات الكتاب و زعم أن ما رآه و دان به إنما هو الحقّ و الصّواب مع أن كلاً منهم قد حاد عن سوى الصّراط، و اعتسف في طرفي التّفريط و الافراط، لعدو لهم عن قيم القرآن، و استغنائهم عن خليفه الرّحمن، و تركهم السّؤال عن أهل الذّكر و الرجوع إلى وليّ الأمر، و إنما يعرف القرآن من خوطب به و من نزل بيته، و هم أهل بيت النبوه و معدن الوحي و الرّساله، فمن رجع في تفسيره إليهم كالشيعة الاماميه فقد اهتدى، و من استغنى برأيه عنهم فقد ضلّ و غوى، و من فسره برأيه فليتّبوء مقعده النار، و ليتها غضب الجبار.

و الفصل الثّاني منها اشاره إلى الفتن التي تظهر عند ظهور القائم عليه السّلام و هو قوله عليه السّلام (حتّى تقوم الحرب بكم على ساق) أراد به اشتدادها و التحامها، قال الشّارح البحراني و العلامه المجلسي: و قيامها على ساق كناية عن بلوغها غايتها في الشّدّه.

و أقول: و التّحقيق أنّه اريد بالسّاق الشّدّه فيكون تقوم بمعنى تثبت فيكون مجازاً في المفرد و يكون المجموع كناية عن اشتدادها، و ان اريد بالسّاق ما بين القدم و الرّكبه فيكون الكلام من باب الاستعاره التّمثليه حيث شبّه حال الحرب بحال من يقوم و لا يقعد، على حدّ قولهم للمتردّد: أراك تقدّم رجلاً و تؤخّر اخرى، و لا تجوّز على ذلك في شيء من مفرداته.

و كذا لو قلنا إنّ المجموع مرّكّب من تلك المفردات موضوع للافاده المرّكّب من معانيها، و لم يستعمل فيه و استعمل في مشابهه على طريق التّمثيل بأن شبّه ثبات الحرب و استقرارها بصوره موهومه و هي قيامها على ساق، فعبر عن المعنى

الأول بالمركب الموضوع للمعنى الثاني، كما ذهب عليه جماعه من الاصوليين من أنّ المركبات موضوعه بازاء معانيها التركيبية كما أنّ المفردات موضوعه بازاء معانيها الافرادية.

ويمكن أن يقال: إنّ الحرب نزلت منزله انسان ذى ساق على سبيل الاستعارة بالكناية، و يكون ذكر السياق تخيلا- و القيام ترشيحا و كيف كان فالمراد الاشاره إلى شدتها.

و هو المراد أيضا بقوله(باديا نواجذها)لأنّ بدو التواجذ و ظهورها من أوصاف الأسد عند غضبه و افتراسه، فأثبتته للحرب على سبيل التخييل بعد تنزيلها منزله الأسد المغضب باعتبار الشده و الأذى على الاستعارة بالكناية.

و قال الشارح المعتزلى: و الكلام كناية عن بلوغ الحرب غايتها كما أنّ غايه الضحك أن تبدو التواجذ، و اعترض عليه البحراني بأنّ هذا و إن كان محتملا إلا أنّ الحرب مظنه إقبال الغضب لا إقبال الضحك فكان الأول أنسب، أقول:

و يستظهر الثاني بجعله من باب التهكم.

و قوله(مملوه أخلافها)تأكيد ثالث لشدتها نزلها منزله الناقه ذات اللبن فى استعدادها و استكمالها عدتها و رحالها كما تستكمل الناقه باللبن و تهيئوه لولدها، و ذكر الأخلاف تخييل و المملوه ترشيح.

و أراد بقوله:(حلوا رضاعها و علقما عاقبتها) أنّها عند اقبالها تستلذّ و تستحلى بطمع الظفر على الأقران و الغلبه على الشجعان، و يكون آخرها مرّا لأنه القتل و الهلاك، و مصير الاكثر إلى النار، و بسّ القرار و فى هذا المعنى قال الشاعر:

الحرب أول ما تكون فتيه تسعى بزيتها لكلّ جهول

حتى إذا اشتعلت و شبّ ضرامها عادت عجوزا غير ذات خليل

شمطاء جزّت رأسها و تنكرت مكروهه للشّم و التقبيل

ثمّ أشار إلى بعض سيره القائم فقال (ألا و فى غد و سيأتى غد بما لا تعرفون)

تنبيه على عظم شأن الغد الموعود بمجيئه و على معرفته بما لا يعرفون (ياخذ) أى يؤاخذ (الوالى من غيرها عمالها على مساوى أعمالها) قال الشارح المعتزلى هذا الكلام منقطع عما قبله، وقد كان تقدم ذكر طائفه من الناس ذات ملك و امره فذكر عليه السلام أن الوالى من غير تلك الطائفه يعنى الامام الذى يخلفه فى آخر الزمان ياخذ عمال هذه الطائفه بسوء أعمالهم أى يؤاخذهم بذنوبهم.

أقول: و من هذه المؤاخذة ما ورد فى روايه أبى بصير و من غيره من أنه عليه السلام إذا ظهر أخذ مفتاح الكعبه من بنى شيبه و قطع أيديهم و علقها بالكعبه و كتب عليها هؤلاء سراق الكعبه.

و ورد الأخبار أيضا بملك الجابره و الولاه السوء عند ظهوره عليه السلام فى النبوى الذى رواه كاشف الغمّه من كتاب كفايه الطالب عن الحافظ أبى نعيم فى فوائده و الطبرانى فى معجمه الأكبر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال: سيكون بعدى خلفاء و من بعد الخلفاء أمراء و من بعد الامراء ملوك جابره، ثم يخرج المهدي من أهل بيتى يملأها عدلا كما ملئت جورا.

(و تخرج له الأرض أقاليد كبتها) استعار لفظ الكبد لكنوز الأرض و خزائنها و الجامع مشابه الكنوز للكبد فى الخفاء و بذلك الاخراج فسّر قوله تعالى:

و أخرجت الأرض أثقالها، فى بعض التفاسير (و تلقى إليه سلما) أى منقادا (مقاليدها) و مفاتيحها قال الشارح البحرانى: أسند لفظ الالتقاء إلى الأرض مجازا لأن الملقى للمقاليد مسالما هو أهل الأرض و كنى بذلك عن طاعتهم و انقيادهم أجمعين لأوامره و تحت حكمه.

أقول: و الأقرب أن يراد بالقاء المقاليد فتح المداين و الأمصار.

و قد اشير إليهما أعنى إخراج الكنوز و إلقاء المقاليد فى روايه نبويه عاميه و هى ما رواه فى كشف الغمّه عن الحافظ أبى نعيم أحمد بن أبى عبد الله باسناده عن أبى أمامه الباهلى قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: بينكم و بين الروم أربع هدن يوم

الرّابعه على يد رجل من آل هرقل يدوم سبع سنين فقال له رجل من عبد القيس يقال له للمستورد بن غيلان: يا رسول الله من إمام النَّاس يومئذ؟ قال: المهدي من ولدى ابن أربعين سنه كان وجهه كوكب درّى فى خدّه الأيمن خال أسود عليه عبائتان قطوا نيتان كأنه رجال من بنى إسرائيل يستخرج الكنوز و يفتح مدائن الشّرك.

(فيريكم كيف عدل السيره) أى العدل فى السيره أو السيره العادله (و يحيى ميّت الكتاب و السنه) أى يعمل بهما و يحمل النَّاس على أحكامهما بعد اندراس أثرهما و هو إشاره إلى بعض سيرته عليه السّلام عند قيامه و طريقه أحكامه.

و قد اشير إلى نبذ منها و من علامات ظهورها فيما رواه كاشف الغمّه عن الشّيخ المفيد (ره) فى كتاب الارشاد قال: قال: فأما سيرته عليه السّلام عند قيامه و طريقه أحكامه و ما بيّنه الله تعالى من آياته فقد جاءت الآثار به حسب ما قدّمناه.

فروى المفضّل بن عمر الجعفى قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمّد عليهما السّلام يقول: إذا أذن الله تعالى للقائم فى الخروج صعد المنبر فدعى النَّاس إلى نفسه و ناشدهم الله و دعاهم إلى حقّه و أن يسير فيهم بسنّه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و يعمل فيهم بعمله، فيبعث الله تعالى جبرئيل حتّى يأتيه فنزل على الحطيم و يقول له: إلى أى شىء تدعو؟ فيخبره القائم عليه السّلام، فيقول جبرئيل أنا أوّل من يبائعك و ابسط يدك فيمسح على يده و قد وافاه ثلاثمائه و سبعة عشر رجلا فيبائعونه و يقيم بمكّه حتّى يتم أصحابه عشره آلاف و روى محمّد بن عجلان عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: إذا قام القائم عليه السّلام دعى النَّاس إلى الاسلام جديدا، و هديهم إلى أمر قد دثر فضلّ عنه الجمهور، و إنّما سمّى القائم مهديا لأنّه هدى إلى أمر مظلوم عنه، و سمّى بالقائم لقيامه بالحقّ.

و روى أبو بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: إذا قام القائم هدم المسجد الحرام

حتى يردّه إلى أساسه، وحوّل المقام إلى الموضوع الذي كان فيه، و قطع أيدي بني شيبه و علّقها بالكعبه، و كتب عليها هؤلاء سراق الكعبه.

و روى أبو الجارود عن أبي جعفر عليه السّلام في حديث طويل أنّه إذا قام القائم فيخرج منها بضعة عشر ألف أنفس يدعون التبريه، عليهم السّلاح، فيقولون له:

ارجع من حيث جئت فلا حاجة بنا إلى بني فاطمه، فيضع عليهم السّيف حتى يأتي إلى آخرهم ثم يدخل الكوفه فيقتل فيها كلّ منافق مرتاب، و يهدم قصورها و يقتل مقتاتلها حتى يرضى الله عزّ و جلّ.

و روى أبو خديجه عن أبي عبد الله عليه السّلام أنّه قال: إذا قام القائم جاء بأمر جديد كما دعى رسول الله في بدو الاسلام إلى أمر جديد.

و روى عليّ بن عقبه عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: إذا قام القائم حكم بالعدل و ارتفع في أيامه الجور و امنت به السبل و اخرجت الأرض بركاتها و ردّ كلّ حقّ إلى أهله و لم يبق أهل دين حتى يظهروا الاسلام و يعترفوا بالايمان أما سمعت الله عزّ و جلّ يقول:

و له أسلم من في السّموات و الأرض طوعا و كرها و إليه يرجعون، و حكم في النّاس بحكم داود و حكم محمّد صلّى الله عليهما فحينئذ يظهر الأرض كنوزها و تبدى بركاتها فلا يجد الرّجل منكم يومئذ موضعا لصدقته و لا لبرّه، لشمول الغنى جميع المؤمنين ثم قال عليه السّلام إنّ دولتنا آخر الدّول و لم يبق أهل بيت لهم دوله إلاّ ملكوا قبلنا لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا إذا ملكنا سرنا مثل سيره هؤلاء، و هو قول الله عزّ و جلّ:

و العاقبه للمتقين.

و روى كاشف الغمّه أيضا عن الشّيخ الطبرسي عن أبي جعفر عليه السّلام قال: المنصور القائم منّا منصور بالرّعب، مؤيد بالتّصر، تطوى له الأرض، و تظهر له الكنوز و يبلغ سلطانه المشرق و المغرب و يظهر الله دينه على الدّين كلّه و لو كره المشركون فلا يبقى على وجه الأرض خراب إلاّ عمّر، و ينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلّى خلفه.

قال الرّواي: فقلت يا بن رسول الله و متى يخرج قائمكم؟ قال: إذا تشبّه

الرّجال بالنّساء والنّساء بالرجال و اكتفى الرّجال بالرجال و النّساء بالنّساء، و ركب ذوات الفروج السّروج، و قبلت شهادة الرّور و ردّت شهادات العدل، و استخفّ الناس بالرّياء و ارتكاب الرّناء و أكل الرّبا، و اتقى الأشرار مخافه ألسنتهم، و خرج السّفياني من الشّام، و اليماني من اليمن، و خسف بالبيداء، و قتل غلام من آل محمّد بين الرّكن و المقام و اسمه محمّد بن الحسن النّفس الزكيه، و جاءت صيحه من السّماء بأنّ الحقّ معه و مع شيعته، فعند ذلك خرج قائمنا، فاذا خرج أسند ظهره إلى الكعبه و اجتمع عليه ثلاثمأه و ثلاثه عشر رجلا، فأول ما ينطق به هذه الآيه:

بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين، ثم يقول: أنا بقية الله و خليفته و حجّته عليكم فلا يسلم عليه مسلم إلا قال: السّلام عليك يا بقية الله في الأرض، فاذا اجتمع له العده عشره آلاف رجل فلا يبقى في الأرض معبود من دون الله من صنم إلا وقعت فيه نار فاحترق، و ذلك بعد غيبه طويله ليعلم الله من يطيعه بالغيب و يؤمن به.

تنبيه

قال الشّارح المعتزلي في شرح هذا الفصل من الخطبه: هذا اشاره إلى إمام يخلقه الله تعالى في آخر الزّمان و هو الموعود به في الأخبار و الآثار انتهى.

أقول: لا-خلاف بين العامه و الخاصه في أنّ الله يبعث في آخر الزّمان حجّه يملاء الأرض قسطا و عدلا بعد ما ملئت ظلما و جورا، و أنّه المهدي من أولاد فاطمه سلام الله عليها، و إنّما وقع الخلاف في وقت ولادته و تعيين أمّه و أبيه.

فذهب العامه إلى أنّه يخلقه الله في مستقبل الزّمان و أنّه غير موجود الآن استنادا إلى حجج ضعيفه و وجوه سخيغه المذكوره في محالّها، و عمدته أدلّتهم استبعاد طول عمره الشّريف، فإنّ بنيه الانسان على ما هو المشاهد بالعيان يأخذها السن و يهدمها طول العمر و العناصر لا يبقى تركيبها أزيد من العمر المتعارف.

و ذهبت الخاصه إلى أنّه الامام الثاني عشر صاحب الزّمان محمّد بن الامام حسن العسكري ابن الامام علي الهادي ابن الامام محمّد الجواد ابن علي الرضا ابن

الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر ابن الامام عليّ زين العابدين ابن الامام الحسين الشهيد ابن الامام عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، و امّه نرجس امّ ولد و أنّه حيّ موجود الآن غائب عن أعين الناس لمصالح اقتضت غيبته.

فإمامته و غيبته من ضروريّات مذهب الاماميّه و عليه دلّت الأخبار المتواتره من طرقهم و من طرق العامّه، و قد دونوا فيها أى فى الغيبه الكتب، و صنّفوا فيها التصانيف مثل كتاب محمّد بن إبراهيم النعمانى الشهير بالغيبه، و كتاب الغيبه للشيخ أبى جعفر الطوسى و كتاب إكمال الدّين و إتمام النعمه للشيخ الصدوق، و المجلّد الثالث عشر من بحار الأنوار للمحدّث العلامة المجلسى و غيرها.

بل من العامه من صرّح بتواتر الأخبار عندهم بذلك و استدللّ على إمامته بروايات كثيره و براهين محكمه: مثل الشّرخ أبى عبد الله محمّد بن يوسف بن محمّد الكنجى الشّافعى فى كتاب البيان فى أخبار صاحب الزّمان فى الجواب عن الاعتراض فى الغيبه، و كمال الدّين أبو عبد الله محمّد بن طلحه بن محمّد بن الحسن النصيبى الشّافعى فى كتاب مطالب السّؤل فى مناقب الرّسول، و إبراهيم بن محمّد الحموينى فى كتاب فرايد السّمطين فى فضل المرتضى و البتول و السّبطين.

و قد أورد المحدّث العلامة السيّد هاشم البحرانى أكثر ما أورده فى كتاب غايه المرام و كذلك عليّ بن عيسى الإربلى فى كشف الغمّه، و قد كفانا سلفنا الصّالحون و مشايخنا الماضون مؤنه الاستدلال فى هذا المقال، و قد أوردوا فى كتبهم شبه العامّه و أجابوا عنها بوجه شافيه و افيه، و لا حاجه بنا إلى ايرادها إلاّ الجواب عن قولم:

إنّه لا يمكن أن يكون فى العالم بشر له من السّنّ ما تصفونه لامامكم و هو مع ذلك كامل العقل صحيح الحسّ.

و محضّيل الجواب أنّ من لزم طريق النّظر و فرّق بين المقدور و المحال لم ينكر ذلك إلاّ أن يعدل عن الانصاف إلى العناد و الخلاف، لأنّ تناول الزّمان للدّنيا فى وجود الحياه و مرور الأوقات لا تأثير له فى القدره، و من قرء الأخبار و نظر فى كتاب المعمرين علم أنّ ذلك ممّا جرت العاده به، و قد نطق الكتاب

الكريم بذكر نوح و أنه لبث في قومه ألف سنه إلا- خمسين عاما، و قد تضافرت الأخبار بأن أطول بني آدم عمرا الخضر عليه السلام، و أجمعت الشيعة و أصحاب الحديث بل الامه بأسرها ما خلا المعتزله و الخوارج على أنه موجود في هذا الزمان كامل العقل صحيح الحس معتدل المزاج، و وافقهم على ذلك أكثر أهل الكتاب.

و في حديث الصدوق باسناده عن الصادق عليه السلام و أما العبد الصالح أعنى الخضر عليه السلام فإن الله ما طوّل عمره لنبوّه قدرها له، و لا- كتاب نزل عليه، و لا- لشريعته ينسخ بها شريعته من كان قبله من الأنبياء و لا امامه يلزم عباده الاقتداء بها، و لا لطاعه يفرضها له، بل إنّ الله تبارك و تعالى لما كان في سابق علمه أن يقدر من عمر القائم ما يقدر من عمر الخضر، و ما قدر في أيام غيبته ما قدر و علم ما يكون من انكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول، قدر عمر العبد الصالح في غير سبب يوجب ذلك إلا لعله الاستدلال به على عمر القائم، و ليقطع بذلك حجّه المعاندين، لئلا يكون للناس على الله حجّه.

و لا خلاف أيضا أنّ سلمان الفارسي أدرك رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و قد قارب أربعمائه سنه، فهب أنّ المعتزله و الخوارج يحملون أنفسهم على دفع الأخبار فكيف يمكنهم دفع القرآن في عمر نوح و في دوام أهل الجنّة و النار، و لو كان ذلك منكرا من جهه العقول لما جاء به القرآن، فمن اعترف بالخضر عليه السلام لم يصحّ منه هذا الاستبعاد، و من أنكره فحجّته الأخبار و الآثار المنبثه عن طول عمر المعمرين زائدا على قدر المعتاد المتعارف.

و قال محمّد بن يوسف بن محمّد الكنجي الشافعي: و أما بقاء المهديّ عليه السلام فقد جاء في الكتاب و السنه، أما الكتاب فقد قال سعيد بن جبير في تفسير قوله عزّ و جل:

ليظهره على الدين كلّه و لو كره المشركون، قال: هو المهديّ عليه السلام من عتره فاطمه، و قد قال مقاتل بن سليمان في تفسير قوله عزّ و جل: و إنّه لعلم للسّاعه، قال هو المهديّ يكون في آخر الزمان و يكون بعد خروجه قيام السّاعه و اماراتها و أما السّينّه فقد تقدّم في كتابنا هذا من الأحاديث الصحيحه الصّريحه انتهى.

و لا حاجة بنا إلى اطالة الكلام في هذا المقام و ذكر وجوه النقض و الابرام، لأن في كتب علمائنا الصالحين هداية للمسترشدين، و غنيه للطالب، و إبطالا لقول المنكر المجاهد، و لنعم ما قيل فيه عليه السلام:

بهم عرف الناس الهدى فهداهم يضل الذي يقلى و يهدى الذي يهوى

موالاتهم فرض و حبهم هدى و طاعتهم قربي و ودهم تقوى

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن امام عالی مقام است در ذکر واقعات عظیمه و فتن کثیره که واقع می شود در زمان آینده در وقت ظهور امام زمان و ولی حضرت سبحان عجل الله فرجه می فرماید که:

بر می گرداند صاحب الزمان علیه السلام هوای نفس مردمان را بر هدایت در زمانی که بر گردانند هدایت را بر هوی، و بر می گرداند رأی خلق را بر طبق قرآن در وقتی که بر گردانند قرآن را بر طبق رأی.

بعضی از این خطبه اشارتست بشده آیام ظهور آن بزرگوار می فرماید:

تا این که قائم شود محاربه بشما بر ساق خود در حالتی که ظاهر شده باشد دندانهای آن حرب چون شیر غضبناک، و در حالتی که پر شده باشد پستانهای آن و شیرین باشد شیردادن آن و تلخ باشد عاقبت آن، آگاه باشید در فردا و زود باشد بیاید فردا بحیثیتی که نمی شناسید شما مؤاخذه میکند والی که از غیر آن طائفه است که در روی زمین سلطنت می نمایند عمال و امراء ایشان را بر بدیهای عملهای ایشان، و خارج میکنند از برای آن بزرگوار زمین جگرپارها یعنی خزائن و دفائن خود را، و بیندازد بسوی او در حالتی که اطاعت کننده است کلیدهای خود را، پس بنماید بشما که چگونه است عدالت در روش مملکت داری و رعیت پروری، و زنده کند مرده کتاب خدا و سنت خاتم الانبیاء را، یعنی احکام متروکه قرآن و سنت نبوی را احیا می نماید، و رواج می دهد و بر پا می دارد.

اشاره

كأنتى قد نعق بالشّام، و فحّص براياته فى ضواحى كوفان، فعطف عليها عطف الضّروس، و فرش الأرض بالزّؤوس قد فغرت فاغرتة، و ثقلت فى الأرض وطأته، بعيد الجوله، عظيم الصّوله، و الله ليشردنكم فى أطراف الأرض حتّى لا يبقى منكم إلا قليل كالكلحل فى العين، فلا تزالون كذلك حتّى تؤب إلى العرب عواذب أحلامها، فالزموا السيّن القائمه، و الآثار البيّنه، و العهد القريب الذى عليه باقى التّبوه، و اعلموا أنّ الشّيطان إنّما يسنى لكم طرقه لتتبعوا عقبه.

اللغه

(نعق) الزّاعى ينعق من باب ضرب نعيقا صاح بغنمه و زجرها و (فحصت) عن الشّىء و تفحصت استقصيت فى البحث عنه، و فحص المطر التّراب قلبه و فحص فلان أسرع و (ضواحى) البلد نواحيه البارزه لأنّها تضحى و قيل ما قرب منه من القرى و (الضّروس) النّاقه السيّئه الخلق و (فغر) الفم فغرا من باب نفع انفتح و فغرتة فتحته يتعدّى و لا يتعدّى و (شرد) البعير شرودا من باب قعد ندّ و نفر و شرّدته تشريدا و (عزب) الشّىء عزوبا من باب قعد أيضا بعد و عزب من بابى قتل و ضرب غاب و خفى فهو عازب و الجمع عواذب و (سنّاه) تسنيه سهّله و فتحه و (العقب) مؤخر القدم.

الاعراب

الباء فى قوله: بالشّام، بمعنى فى، و فى قوله: و فحص براياته، للمصاحبه

أو زائده و قال الشّارح المعتزلى: ههنا مفعول محذوف تقديره و فحص النَّاس براياته أى نحاهم و قلبهم يمينا و شمالا.

أقول: إن كان فحص بمعنى أسرع فلا حاجة إلى حذف المفعول و على جعله بمعنى قلب فيمكن جعل براياته مفعولا و الباء فيها زائده، و قوله: بعيد الجوله منصوب على الحال و كذلك عظيم الصّوله و يرويان بالرفع فيكونان خبرين لمبتدأ محذوف، و إضافتها لفظية لأنها من إضافه الصّفه إلى فاعلها.

قال نجم الأئمه الرّضى: و أمّا الصّفه المشبّهه فهى أبدا جائزه العمل، فإضافتها أبدا لفظية، و الفاء فى قوله: فالزموا فصيحته.

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السّلام الظاهر أنّه اشاره إلى السّيفيانى كما استظهره المحدث العلامه المجلسى طاب ثراه، و قال أكثر الشّراح أنّه إخبار عن عبد الملك بن مروان، و ذلك لأنّه ظهر بالشّام حين جعله أبوه الخليفه من بعده و سار لقتال مصعب بن الزبير إلى الكوفه بعد قتل مصعب مختار بن أبى عبيده الثقفى فالتقوا بأرض مسكن بكسر الكاف من نواحي الكوفه، ثمّ قتل مصعبا و دخل الكوفه فبايعه أهلها، و بعث الحجاج بن يوسف إلى عبد الله بن الزبير بمكّه فقتله و هدم الكعبه و ذلك سنه ثلاث و سبعين من الهجره، و قتل خلقا عظيما من العرب فى وقايح عبد الرّحمن بن الأشعث.

إذا عرفت ذلك فلنعد إلى شرح كلامه عليه السّلام فنقول قوله (كأنّى به) أى كأنّى ابصر بالشخص الذى يظهر و أراه رأى العين (قد نعق) و صاح بجيشه للشخوص (بالشّام و فحص) أى أسرع (براياته فى صواحي كوفان) أى أطراف الكوفه و نواحيها البارزه (فعطف عليها عطف الصّروس) شبّه عطفه أى حمله بعطف النّياقه السّبيئه الخلق التى تعضّ حالبها لشده الغضب و الأذى الحاصل منه كما فيه.

(و فرش الأرض بالزّؤوس) استعاره تبعيّة أى غطاها بها كما يغطى المكان

بالفراش، أو استعاره بالكناية حيث شبه الرؤوس بالفراش في كون كل منهما ساترا لوجه الأرض و مغطيا لها فيكون ذكر فرش تخيلا و الأظهر جعله كناية عن كثره القتلى فيها (قد فغرت فاغرتة) استعاره بالكناية حيث شبه بالسبع الضارى يصول و يفتح فمه عند الصيال و الغضب فاثبت الفغر تخيلا.

(و ثقلت في الأرض وطأته) كناية عن استيلائه و تمكنه في الأرض لا- عن ظلمه و جوره كما توهمه الشارح المعتزلى إذ لا ملازمه بين ثقل الوطى و الجور عرفا كما هو ظاهر (بعيد الجوله) أى جولان خيوله و جيوشه في البلاد و اتساع ملكه أو جولان رجاله في الحروب بحيث لا يتعقبه السكون (عظيم الصولة) أى صياله في القتال.

و لما فرغ من صفاته العامة أشار إلى ما يفعله بهم مفتتحا بالقسم البارّ تحقيقا لوقوع المخبر به و تحقّقه لا محاله فقال(و الله ليشردنكم) أى يطردنكم و يذهبنّ بكم(في أطراف الأرض حتى لا يبقى منكم إلا قليل كالكل في العين)شبه الناجى من شرهم بالكل بالاشتراك في القله (فلا تزالون كذلك) مشردين مطرودين منقضين محتقرين (حتى تؤب) و ترجع (إلى العرب عواذب أحلامها) أى ما كان ذهب من عقولهم العمليه في نظام أحوالهم و انتظام امورهم.

قال الشارح المعتزلى: و العرب ههنا بنو العباس و من اتبعهم من العرب أيام ظهور الدّوله كقحطبه بن شبيب الطائي و ابنه حميد و الحسن و كبنى رزيق بتقديم الراء المهمله منهم طاهر بن الحسين و إسحاق بن إبراهيم المصعبى و عدادهم فى خزاعه و غيرهم من العرب من شيعه بنى العباس و قد قيل إنّ أبا مسلم أيضا عربى أصله، و كل هؤلاء و آباؤهم كانوا مستضعفين مقهورين مغمورين فى دوله بنى اميه لم ينهض منهم ناهض و لا وثب إلى الملك واثب إلى أن أفاء الله تعالى هؤلاء ما كان ذهب و عزب عنهم من إباثهم و حميتهم فغاروا للدين و المسلمین من جور بنى مروان و ظلمهم و قاموا بالأمر و أزالوا تلك الدّوله التى كرهها الله تعالى و أذن فى انتقالها.

ثم أمرهم باتباع السَّيِّئَةِ النَّبَوِيَّةِ و سلوك جادَّة الشَّرِيعَةِ بقوله (فألزموا السَّيِّئِينَ الْقَائِمَةَ و الآثار البَيِّنَةَ) أى الواضحة الرَّشِدَ (و العهد القريب الذى عليه باقى النَّبَوِيَّةِ) يعنى عهده و أيامه عليه السَّلَام.

قال الشَّارِحُ المَعْتَزَلِيُّ: و كأنه عليه السَّلَامُ خاف من أن يكونوا باخباره لهم بأنَّ دوله هذا الجَبَّار تنقضى إذا آبت إلى العرب عوازب أحلامها يتوهَّمون و جوب آتباع و لاه الدَّولَه الجديده فى كلِّ ما تفعله، فوصَّيهم بهذه الوصِيَّة، أنَّه إذا تبدَّلت تلك الدَّولَه فالزموا الكتاب و السنَّه و العهد الذى فارقتكم عليه.

ثمَّ نبه على خدع الشَّيْطَانِ و تسهيله طرق المعاصى ليتبَّهوا عليها و يحذروا منها فقال (و اعلموا أن الشَّيْطَانَ يسنى) و يسهل (لكم طريقه لتتبعوا عقبه) حتَّى يوقعكم فى العذاب الأليم و الخزى العظيم.

الترجمه

این فصل از خطبه اشارتست بفتنه سفیانی که قبل از ظهور امام زمان علیه السَّلَام خروج خواهد کرد، یا بفتنه عبد الملک بن مروان علیه اللعنه و التیران می فرماید که:

گویا می نگرم باو در حالتی که فریاد کند در شام و بر گرداند علمهای خود را یا سرعت می کند با علمهای خود در اطراف شهر کوفه، پس حمله می کند بر آن اطراف مثل حمله کردن ناقهٔ بد خلق گزنده بدنندان بر دوشندگان خود، و فرش میکند زمین را با سرهای مردمان در حالتی که گشاده شود دهان او بجهت استیصال قبائل مثل سبع صائل، و سنگین باشد در زمین قدم نهادن او در حالتی که دور و دراز باشد جولان او در شهرها، و بزرگ باشد حملهٔ او، قسم بذات پاک خدا که که البته پراکنده گرداند شما را در اطراف زمین بظلم و جفاء تا این که باقی نماند از شما مگر اندکی مانند سرمه در چشم، پس ثابت می باشید تا این که باز گردد

بسوی جماعت عرب عقلهای غایب شدهٔ ایشان، و چون که حال بر این منوال باشد پس لازم شوید بر سنتهای ثابت، و نشانهای واضح و بر عهد و پیمان نزدیک که بر او است باقی پیغمبری، و بدانید که بدرستی شیطان ملعون جز این نیست که آسان می گرداند از برای شما راههای خود را تا تبعیت نمائید در عقب او.

و من کلام له علیه السلام فی وقت الشوری و هو المأه

اشاره

و التاسع و الثلاثون من المختار فی باب الخطب

لن یسرع أحد قبلی إلى دعوہ حقّ، و صلہ رحم، و عائده کرم، فاسمعوا قولی، و عوا منطقی، عسی أن تروا هذا الأمر من بعد هذا الیوم تنتضی فیہ السیوف، و تخان فیہ العهود، حتّی یکون بعضکم أئمّه لأهل الضّلاله، و شیعه لأهل الجهاله.

اللغه

(العائده) المعروف و الصّله و العطف و المنفعه و منه یقال: فلان کثیر العائده و هذا أعود أى أنفع و (عوا) جمع ع أمر من وعیت الحدیث و عیا من باب وعد حفظته و تدبّرت فیہ و (نضوت) السیف من غمده و انتضیته أخرجه.

الاعراب

قوله: إلى دعوہ حقّ فی بعض النسخ دعوہ بالتّوین فیکون حقّ صفه له

ص: ۳۶۲

و فى بعضها بالاضافه و الاضافه محضه و كذلك الاضافه فى صله رحم و عائده كرم، و عسى فى قوله: عسى أن تروا للاشفاق فى المكروه.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام كما أشار إليه السيّد (ره) و نبه عليه الشارح المعتزلى من جملة كلام قاله لأهل الشورى بعد وفات عمر، و قد مضى أخبار الشورى و مناشداته عليه السّلام مع أهل الشورى فى التّذييل الثّانى و الثّالث من شرح الفصل الثّالث من الخطبه الثّالثه المعروفه بالشّقشقيّه و فيها كفايه لمن أراد الاطلاع.

و أقول: ههنا: إنّ غرضه عليه السّلام بهذا الفصل من كلامه تنبيه المخاطبين و تحذيرهم من الاقدام على أمر بغير تدبّر و تثبت و رويّه، و نهيهم عن التّسرع و العجله كيلا- يكون بيعتهم فلته فيتورّطوا فى الهلكات و يلقوا بأيديهم إلى التّهلكه و قدّم جملة من فضائله تحريصا لهم على استماع قوله و ترغيبا على حفظ منطقه فقال (لن يسرع أحد قبلى إلى دعوه حقّ) أى لن يبادر أحد قبلى إلى اجابه الدّعاء الحقّ فما لم أجب إليه لا يكون حقا أو لن يسبقنى أحد إلى أن يدعو إلى حقّ فما لم ادع إليه لا يكون حقا، و فى بعض النّسخ لم يسرع بدل لن يسرع فيكون الغرض أن نظرى كان فيما مضى إلى الحقّ فكذلك يكون فيما يستقبل، و كيف كان فالمقصود به الاشاره إلى كونه مع الحقّ و كون الحقّ معه كما هو منطوق الحديث النبوى المعروف بين الفريقين.

(و صله رحم و عائده كرم) أى معروف و إحسان و انعام (فاسمعوا قولى) فإنّ الرّشد فى سماعه (و عوا منطقى) فإنّ النّفع و الصّلاح فى حفظه، و إنّما أمرهم بالحفظ و السّماع ليتتّبها على عاقبه امورهم و ما يترتّب عليها من الهرج و المرح فكأنّه يقول إذا كان بناء الأمر أى بناء أمر الخلافه على الخبط و الاختلاط و التّقلب فيه على أهله و مجاذبه من لا يستحقّه:

ف (- عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا اليوم) بحال (تنتضى) و تشتهر

(فيه السيوف و تخان فيه العهود) قال الشارح البحراني: و هو اشاره إلى ما علمه من حال البغاه عليه و الخوارج و الناكثين لبيعتة، فقله: (حتى يكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة و شيعه لأهل الجهاله) غايه للتغلب على هذا الأمر و أشار بالأئمة إلى طلحه و الزبير و بأهل الضلالة إلى أتباعهم و بأهل الجهاله إلى معاويه و رؤساء الخوارج و سائر بنى اميه، و بشيعه أهل الجهاله إلى أتباعهم انتهى.

أقول: و فيه ما لا يخفى، لأن هذا الكلام إنما قاله في وقت الشورى حيث ما أرادوا عقد البيعه لعثمان، و كان مقصوده به الايقاف عن بيعته و التحذير عنه بما كان يترتب عليها من المفسد و يتعقبها من المضار، فلا ارتباط لخروج الخوارج و نكث الناكثه و بغى القاسطه بهذا المقام حتى يكون كلامه عليه السلام إشاره إليها، لعدم ترتب تلك الامور على بيعه عثمان، و إنما ترتبت على بيعته عليه السلام كما هو واضح.

نعم لو كان يقوله لما اريد على البيعه بعد قتل عثمان مثل ما تقدم في الخطبه الاحدى و التسعين لم يتأمل في كونه إشاره إلى ما قاله الشارح، و بعد ذلك كله فالأولى أن يجرى كلامه مجرى العموم من دون أن يكون إشاره إلى خصوص حال طائفه مخصوصه.

و إن كان و لا- بدّ فالأنسب أن يشاربه إلى ما ترتب من بيعه عثمان من المفسد فيكون المراد بالسيوف المنتضاه ما سلّت يوم الدار لقتل عثمان، و بالعهود التي خينت فيها ما عهدده عثمان لأهل مصر أو خيانتته في عهود الله عزّ و جلّ و أحكامه، و خيانه طلحه و الزبير و أمثالهما في ما عقدوا و عهدوا من بيعه عثمان، و يكون قوله: أئمة لأهل الضلالة، اشاره إلى طلحه و الزبير حيث كانا أشدّ الناس إغراء على قتل عثمان و تبعهما أكثر الناس، و وصفهم بالضلالة باعتبار عدم كون قتلهم له على وجه مشروع ظاهراً و قوله: شيعه لأهل الجهاله، اشاره إلى مروان و أضرابه من شيعه عثمان و تبعه الحامين له و الدّابيين عنه.

و يمكن ما قاله الشارح بأنّ فساد الناكثين و القاسطين و المارقين ممّا تولّد

من بیعه عثمان و نشأ من خلافته، و ذلك لأنه فضل فی العطاء و راعی جانب بنی امیه و بنی أبی معیط علی سائر الناس، فلما قام أمير المؤمنین علیه السلام بالأمر تمنى طلحه و الزبیر منه أن یعامل معهما معاملة عثمان لأقربائه من التفضیل فی العطاء و التقرب، فلما لم یحصل ما أملا نکثا، و تبعهما من كان غرضه حطام الدنیا، و كذلك أقرّ معاویه علی عمل الشام حتّى قویت شوکته، فلما نهض أمير المؤمنین بالخلافه أبی و استکبر من البيعه له و بغی و أجابه القاسطون فکانت وقعه صفین و منها كان خروج الخوارج، فهذه المفسد کُلها من ثمرات الشجرة الملعونه و معایب الشوری، و الله العالم

الترجمه

از جمله کلام هدایت نظام آن امام انام است در وقت شوری می فرماید که:

هرگز مبادرت نمی کند احدی پیش از من بسوی دعوت حق و برعایت صله رحم و بر احسان و کرم، پس گوش کنید گفتار مرا، و حفظ نمائید سخنان مرا، مبادا که بینید این امر خلافت را که کشیده می شود در او شمشیرها، و خیانت کرده شود در او عهدها، تا آنکه باشد بعضی از شما پیشوایان اهل ضلالت و گمراهی و شیعیان اهل جهالت و نادانی.

و من کلام له علیه السلام فی النهی عن غیبه الناس و هو المأه

اشاره

و الاربعون من المختار فی باب الخطب

و إنما ینبغی لأهل العصمه و المصنوع إلیهم فی السلامه أن یرحموا أهل الذنوب و المعصیه، و یكون الشکر هو الغالب علیهم، و الحاجز لهم عنهم، فکیف بالعائب المذی عاب أخاه، و عیره ببلواه، أما ذکر موضع ستر الله علیه من ذنوبه ممّا هو أعظم من الذنب الذی عابه به،

ص: ۳۶۵

و كيف يذمه بذنب قد ركب مثله، فإن لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه مما هو أعظم منه، و أيم الله لئن لم يكن عصاه في الكبير و عصاه في الصّغير لجرأته على عيب النَّاس أكبر، يا عبد الله لا تعجل في عيب أحد بذنبه، فلعله مغفور له، و لا تأمن على نفسك صغير معصيه فلعلك معذب عليه، فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه، و ليكن الشكر شاغلا له على معافاته مما ابتلى به غيره.

اللغة

(صنع) إليه معروفا من باب منع صنعا بالضم فعله و الاسم الصنيع و الصنيعه و (عافاه) الله من المكروه معافاه و عافيه و هب له العافيه من العلل و البلاء كأعفاه

الاعراب

قوله: و يكون الشكر هو الغالب، بنصب الغالب خبر يكون و على ذلك فلفظ هو قبله فصل أتى به للدلالة على أنّ ما بعده خبر لا تابع له، و له فائده معنويّة نشير إليه في بيان المعنى، و على مذهب البصريين لا محلّ له من الاعراب، لأنّه عندهم حرف، و قال الكوفيون: له محلّ فقال الكسائي: محلّه باعتبار ما بعده، و قال الفراء: باعتبار ما قبله، فمحلّه بين المبتدأ و الخبر رفع، و بين معمولي ظنّ نصب، و بين معمولي كان كما في هذا المقام رفع عند الفراء، و نصب عند الكسائي، و بين معمولي انّ بالعكس هذا و في بعض النسخ الغالب بالرفع فيكون هو مبتدأ و الغالب خبره و الجملة خبر يكون.

وقوله: فكيف بالغائب، الباء زائده في المبتدأ و كيف خير له قدّم عليه، و هو ظرف على مذهب الأخفش و اسم على مذهب سيويه، فمحله نصب على الأول، و على الثاني رفع و يتفرّع على ذلك أنك إذا قلت كيف زيد فمعناه على الأول على أى حال زيد، و على الثاني أ صحيح زيد مثلا أم مريض.

و أما فى قوله و كيف يذمه فهو حال كما تبه عليه ابن هشام حيث قال:

و يقع أى كيف خبرا قبل ما لا- يستغنى عنه نحو كيف أنت و كيف كنت. و منه كيف ظننت زيدا و كيف أعلمته فرسك لأنّ ثانى مفعولى ظنّ و ثالث مفعولات اعلم خبران فى الأصل، و حالا قبل ما يستغنى عنه نحو كيف جاء زيد أى على أى حاله جاء زيد، انتهى.

و الاستفهام هنا خارج مخرج التعجب كأنه عليه السلام يتعجب من غيبه الغائب لأخيه و من مذمه المذنب لمثله، و من هذا القبيل قوله سبحانه: كيف تكفرون بالله، فأنه اخرج أيضا مخرج التعجب.

و أما فى قوله: أ ما ذكر موضع ستر الله عليه، حرف عرض بمنزله لو لا فيختصّ بالفعل قال ابن هشام و قد يدعى فى ذلك أنّ الهمزة للاستفهام التقريرى مثلها فى ألم و ألا و أنّ مانا فته، انتهى، و أراد بالتقرير التقرير بما بعد النفى.

و قد يقال إنّها همزة الانكار، أى لانكار النفى و قال التفتازانى: و أما العرض فمولد من الاستفهام، أى ليس بابا على حدّه، فالهمزة فيه همزة الاستفهام دخلت على النفى و امتنع حملها على حقيقه الاستفهام لأنّه يعرف عدم النزول مثلا فالاستفهام عنه يكون طلبا للحاصل فتولد منه بقرينه الحال عرض النزول على المخاطب و طلبه، و هى فى التحقيق همزة الانكار، أى لا ينبغى لك أن لا تنزل، و انكار النفى اثبات، انتهى.

و قال بعض المحققين: إنّ حروف التّحضيض تختصّ بالجمل الفعلية الخبرية فاذا كان فعلها مضارعا فكونها لطلب الفعل و الحضّ عليه ظاهرا، و أما إذا كان ماضيا فمعناها اللوم على ترك الفعل إلا أنّها تستعمل كثيرا فى لوم المخاطب على

أنه ترك شيئاً يمكن تداركه في المستقبل، فكأنها من حيث المعنى للتخصيص على فعل مثل ما فات، وليكن هذا على ذكر منك ينفَعك في معرفه المعنى.

و من في قوله: من ذنوبه، إِمَّا للابتداء كما في قوله: إنّه من سليمان، أو لبيان الجنس أعنى موضع أو للتبعيض أو زائده في المنصوب كما في قوله: ما اتّخذ الله من ولد، إلاّ أنّه على قول من يجوز زيادتها في الاثبات أى ستر الله عليه ذنوبه، وقوله: ممّا هو أعظم، إِمَّا بدل من ذنوبه أو من زائده، ويؤيّده ما في بعض النسخ من حذف من فيكون ما هو أعظم مفعول ستر فافهم و تدبّر.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام له عليه السلام كما نبّه عليه السيّد (ره) وارد في مقام النهى عن غيبه الناس، و هى من أعظم الموبقات الموقع في الهلكات و الموجب لانحطاط الدّرجات لأنّ المفاسد الّتى تترتّب على ارتكابها أكثر من المفاسد الّتى تترتّب على سائر المنهيات، و ضرره ضرر نوعى، و ضرر سائر المعاصى شخصى غالبا.

بيان ذلك كما قاله الشّارح البحرانى أنّه لما كان من المقاصد المهمّة للشّارع اجتماع النفوس على همّ واحد و طريقه واحده، و هى سلوك سبيل الله بسائر وجوه الأوامر و التّواهى و لن يتمّ ذلك إلاّ بتعاون هممهم و تصافى بواطنهم و اجتماعهم على الالفه و المحبّه حتّى يكونوا بمنزله عبد واحد فى طاعه مولاه، و لن يتمّ ذلك إلاّ بنفى الضّغائن و الأحقاد و الحسد و نحوه، و كانت الغيبه من كلّ منهم لأخيه مثيره لضغنه، و مستدعيه منه مثلها فى حقّه، لاجرم كانت ضدّ المقصود الكلى للشّارع فكانت مفسده كليّه، انتهى.

أقول: هذا هو محضّ قوله سبحانه: تعاونوا على البرّ و التقوى و لا تعاونوا على الاثم و العدوان، و ستعرف إن شاء الله معنى الغيبه و الأدلّه الوارده فى ذمّها

و مفسدها بعد الفراغ من شرح ما رواه السيد (ره).

و هو قوله: (و أما ينبغي لأهل العصمه) و هم الذين عصمهم الله من المعاصي و وقىهم من الجرائر بجعل نفوسهم الأماره مقهوره لقوتهم العقلانيه بما عرفهم من معائب المعاصي و منافع الطاعات فحصل لهم بذلك ملكه الارتداع عن الذنوب و الامتناع عن اقتحام المحارم و هم (المصنوع إليهم في الإسلام) أي الذين اصطنع الله سبحانه إليهم و أنعم عليهم بالسلامه من الانحراف عن صراطه المستقيم و الاعتساف عن نهجه القويم، و من الخروج من النور إلى الظلمات و الوقوع في مهاوى الهلكات (أن يرحموا أهل الذنوب و المعصيه) لَمَّا رأوا منهم الخطيئه و العصيان و الغرق في بحر الذل و الهوان و آتته في وادي الضلال و الخذلان، و الرُحمه منهم إنما يحصل بانقاذهم الغريق من البحر العميق و إرشاد الثائه إلى الرشد بالتبته على السداد في العمل و الاعتقاد.

(و يكون الشكر) منهم على ما اصطنع الله إليهم (هو الغالب عليهم) و الاتيان بضمير الفصل لقصد تخصيص المسند إليه بالمسند أي قصر المسند على المسند إليه على حد قوله سبحانه: اولئك هم المفلحون، قال صاحب الكشاف في هذه الآيه:

فائده الفصل الدلاله على أن الوارد بعده خبر لا صفه، و التوكيد أي توكيد الحكم بما فيه من زياده الربط لا التوكيد الاصطلاحى إذ الضمير لا يؤكد الظاهر، و ايجاب أن فائده المسند ثابتة في المسند إليه دون غيره يعنى أن اللازم على أهل العصمه أن يكون شكرهم على نعم الله سبحانه و من أعظمها عصمته له من الاقتحام في المعاصي هو الغالب عليهم دون غيره، و الشاغل لهم عن حصائد الألسنه و عن التعريض بعيوب الناس (و الحاجز لهم عنهم) و عن كشف سؤاتهم و عوراتهم.

و إذا كان اللازم على أهل العصمه مع ما هم عليه من العصمه و ترك المعاصي ذلك (فكيف ب) من هو دونهم من اسراء عالم الحواس و الآخذين بهوى الأنفس و المتورطين في الجرائم و موبقات العظائم أعنى (العائب الذى عاب) و اغتاب (أخاه) بما يكرهه (و غيره) و قرّعه (ببلواه) يعنى أن اللائق بحال أهل العصمه إذا كان

ترك التعرض بعيوب الناس فغيرهم مع ما عليهم من العيب أولى بترك التعرض و أخرى.

وقوله (أما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه) توييح و لوم لهم على ترك الذكّر و تحضيض على تداركه في المستقبل يعنى أنّه ينبغي له أن يذكر مكان ستر الله عليه ذنوبه مع علمه و إحاطته سبحانه بها صغائرها و كبائرها و بواطنها و ظواهرها و سوافها و حوادثها، و قد ستر عليه من ذنوبه (مما هو أعظم من الذنب الذى عابه به) فاذا ذكر معاملته الله سبحانه مع عبده هذه المعامله و ستره عليه جرائمه و جرائمه و عدم تفضيحه له مع علمه بجميع ما صدر عنه من الخطايا و الذنوب فكيف به (و كيف يذمه بذنوبه قد ركب مثله) و لا يذم نفسه (فان لم يكن ركب) مثل (ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله سبحانه فيما سواه ما هو أعظم منه و أيم الله) قسما حقا (لئن لم يكن عصاه فى الكبير و عصاه فى الصغير لجرأته على عيب الناس) و غيبتهم (أكبر) و محصل المراد أنّه لا يجوز لأحد أن يغيب أخاه لأنّه إنّما أن يكون بذنوبه و قد ارتكب الغائب مثله أو أكبر منه أو أصغر، فان كان بذنوبه قد ارتكب مثله أو أكبر كان له فى عيب نفسه شغل عن عيب غيره.

و فيه قال الشاعر:

و إذا جريت مع السفيفه كما جرى فكلا كما فى جريه مذموم

و اذا عتبت على السفيفه و لمته فى مثل ما تأتى فأنت ظلوم

لاتنه عن خلق و تأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

إلى آخر الأبيات التى مرّت فى شرح الفصل الثانى من الخطبه المأه و الرابعه و إن كان بذنوبه ارتكب أصغر منه فهو ممنوع أيضا، لأنّ جرئته على الغيبه و إقدامه عليها أكبر المعاصى باعتبار ما يترتب عليها من المفساد و المضارّ الدنيويّه و الاخرويّه.

ثمّ نادى عليه السلام نداء استعطاف فقال (يا عبد الله لا تعجل فى عيب أحد بذبّه

فلعله مغفور له) و لعله تائب عنه (و لا تأمن على نفسك صغير معصيه فلعلك معذب عليه) و معاتب به.

ثم أكد لهم الوصيه بقوله (فليكيف من علم منكم عيب غيره) عن غيبته و توبيخه و تفضيحه (ل) مكان (ما يعلم من عيب نفسه و ليكن الشكر شاغلا له على) ما أنعم الله سبحانه به عليه من (معافاته) و عصمته له (مما ابتلى به غيره)

تنبيه

اشاره

فى تحقيق معنى الغيبه و الأدله الوارده فى حرمتها و ما يترتب عليها من العقوبات و دواعيها و مستثنياتها و علاجها و كفارتها.

و قد حقق الكلام فيها علمائنا البارعون قدس الله ارواحهم فى كتب الأخلاق و الفقه فى مقدمات أبواب المعاش بما لا مزيد عليه، بل قد أفرد بعضهم لتحقيقها رساله مستقله فأحببنا أن نورد بعض ما فيها حسب ما اقتضته الحال و المجال لكونها من أعظم عثرات الانسان و أوبق آفات اللسان، فأقول و بالله التوفيق:

الكلام

فى المقام فى امور:

الامر الاول

فى تحقيق معناها، فأقول: قال الفيومى اغتابه اغتابا إذا ذكره بما يكره من العيوب و هو حق و الاسم الغيبه فان كان باطلا فهو الغيبه فى بهت، و فى القاموس غابه عابه و ذكره بما فيه من السوء، كاغتابه و الغيبه بالكسر فعله منه، و عن الصيحاغ الغيبه أن يتكلم خلف انسان مستور بما يغمه لو سمعه، فان كان صدقا سمي غيبه فان كان كذبا سمي بهتانا.

و عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم و قد سأله أبو ذر عن الغيبه: أنها ذكرك أخاك بما يكرهه.

و فى روايه اخرى عنه صلى الله عليه و آله و سلم أ تدرين ما الغيبه؟ فقالوا: الله و رسوله أعلم، قال:

ذكرك أخاك بما يكره، قيل رأيت إن كان فى أخى ما أقول، قال صلى الله عليه و آله و سلم: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته و إن لم يكن فيه فقد بهتته.

ص: ٣٧١

و الظاهر أن يكون المراد بالذكر في كلامه و كلام غيره كما فهمه الأصحاب الأعم من الذكر القولى و إن كان عبارته الصّيحاح تفيد الاختصاص، فكلّ ما يوجب التذكر للشخص من القول و الفعل و الاشارة و غيرها فهو ذكر له، و ممّن صرّح بالعموم ثانى الشهداء و صاحب الجواهر و شيخنا العلامة الأنصارى فى المكاسب.

قال الغزالي: إنّ الذكر باللسان إنّما حرم لأنّ فيه تفهيم الغير نقصان أخيك و تعريفه بما يكرهه، فالتعريض به كالتصريح، و الفعل فيه كالقول، و الاشارة و الايماء و الغمز و الهمز و الكتابة و الحركة و كلّ ما يفهم المقصود فهو داخل فى الغيبه، فمن ذلك قول عايشه دخلت علينا امرأه فلما ولّت أو مأت بيدي أنّها قصيره فقال عليه السّلام اغتبتها، و من ذلك المحاكاه كأن يمشى متعارجا أو كما يمشى لأنّه أعظم فى التصوير و التفهيم و لما رأى صلى الله عليه و آله عايشه حاكت امرأه قال صلى الله عليه و آله و سلّم ما يسرّنى أنّى حاكيت انسانا ولى كذا و كذا، و كذلك الغيبه بالكتابة فإنّ القلم أحد اللسانين.

قال شيخنا العلامة الأنصارى: و من ذلك تهجين المطلب الذى ذكره بعض المصنّفين بحيث يفهم منه الاضرار بحال ذلك المصنّف فإنّ قولك: إنّ هذا المطلب بديهيّ البطلان تعريض لصاحبه بأنّه لا يعرف البديهيّات، بخلاف ما إذا قيل إنّّه مستلزم لما هو بديهيّ البطلان، لأنّ فيه تعريضا بأنّ صاحبه لم ينتقل إلى الملازمه بين المطلب و بين ما هو بديهيّ البطلان، و لعلّ الملازمه نظريّه، هذا.

و المراد من الأخ فى النبويين كما صرّح به غير واحد من الأعلام هو المسلم فإنّ غيبه الكافر و إن تسمى غيبه فى اللغه إلا أنّها لا يترتب عليها حكم الحرمه إذ لا اخوّه بينه و بين المسلم، بل لا خلاف فى جواز غيبتهم و هجوهم و سبهم و لعنهم و شتمهم ما لم يكن قذفا و قد أمر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم حسّانا بهجوهم، و قال: أنّه أشدّ عليهم من رشق النّبال.

و بذلك يظهر اشتراك المخالفين للمشرّكين فى جواز غيبتهم كما يجوز لعنهم لانتفاء الاخوّه بينهم و بين المؤمنين، و لذلك قال ثانى الشهداء فى حدّها: و هو

القول و ما فى حكمه فى المؤمن بما يسوءه لو سمعه مع اتصافه به، و فى جامع المقاصد و حدّها على ما فى الأخبار أن يقول المرء فى أخيه ما يكرهه لو سمعه ممّا فيه، و من المعلوم أنّ الله تعالى عقد الاخوّه بين المؤمنين بقوله: إنّما المؤمنون اخوه، دون غيرهم و كيف يتصوّر الاخوّه بين المؤمن و المخالف بعد تواتر الروايات و تظافر الآيات فى وجوب معاداتهم و البراءه منهم.

فانقدح بذلك فساد ما عن الأردبيلى و الخراسانى (ره) من المنع عن غيبه المخالف نظرا إلى عموم أدلّه تحريمها من الكتاب و السنّه لأنّ قوله تعالى: و لا يغتب، خطاب للمكلفين أو لخصوص المسلمين، و على التقديرين فيعمّ المخالف و السنّه أكثرها بلفظ الثّاس و المسلم و هما معا شاملان للجميع و لا استبعاد فى ذلك اذ كما لا يجوز أخذ مال المخالف و قتله لا يجوز تناول عرضه.

و وجه ظهور الفساد أنّ ذيل الآيه مفيد لاختصاص الخطاب بالمؤمنين، لأنّ تعليل النهى عنها بأنّها بمنزله أكل لحم الأخ يدلّ على اختصاص الحرمة بمن كان بينه و بين المغتاب اخوّه كما أشرنا.

قال شيخنا العلامة و توهم عموم الآيه كبعض الروايات لمطلق المسلم مدفوع بما علم بضروره المذهب من عدم احترامهم و عدم جريان أحكام الاسلام عليهم إلا قليلا مما يتوقّف استقامه نظام معاش المؤمنين عليه، مثل عدم انفعال ما يلاقيهم بالرّطوبه، و حلّ ذبايحهم و مناكحهم و حرمة دمائهم، لحكمه دفع الفتنة و فسادهم لأنّ لكلّ قوم نكاح أو نحو ذلك.

و قال صاحب الجواهر بعد نقل كلام الأردبيلى: و لعلّ صدور ذلك منه لشدّه تقدّسه و ورعه، لكن لا يخفى على الخبير الماهر الواقف على ما تظافرت به النصوص بل تواترت من لعنهم و سبّهم و شتمهم و كفرهم و أنّهم مجوس هذه الامّه و أشرّ من النّصارى و أنجس من الكلاب أنّ مقتضى التّفدّس و الورع خلاف ذلك، و صدر الآيه: الذين آمنوا، و آخرها التشبيه بأكل لحم الأخ «إلى أن قال» و على كلّ

حال فقد ظهر اختصاص الحرمه بالمؤمنين القائلين بامامه الأئمه الاثنى عشر دون غيرهم من الكافرين و المخالفين و لو بانكار واحد منهم.

ثم الظاهر من المؤمن المغتاب بالفتح أعم من أن يكون حيا أو ميتا ذكرا أو انثى بالغا أو غير بالغ مميزا أو غير مميز، و قد صرح بالعموم شيخنا السيد العلامة طاب رسمه فى مجلس الدرس، و مثله كاشف الزيبه حيث صرح بعدم الفرق بين الصغير و الكبير و ظاهره الشمول لغير المميز أيضا.

و قال شيخنا العلامة الأنصارى (قد): الظاهر دخول الصبى المميز المتأثر بالغيبه لو سمعها، لعموم بعض الروايات المتقدمه و غيرها الداله على حرمه اغتياى الناس و أكل لحومهم مع صدق الأخ عليه كما يشهد به قوله تعالى: و إن تخالطوهم فآخوانكم فى الدين، مضافا إلى إمكان الاستدلال بالآيه و إن كان الخطاب للمكلفين بناء على عد أطفالهم منهم تغليا و امكان دعوى صدق المؤمن عليه مطلقا أو فى الجملة.

و على ما ذكرناه من التعميم فلا بد أن يراد من السماع فى تعريفهم لها بأنها ذكر المؤمن بما يسوءه لو سمعه الأعم من السماع الفعلى، و المراد بالوصول فيما يسوءه ما يكره ظهوره سواء كره وجوده كالجذام و البرص و نحوهما أم لا كالميل إلى القبائح.

و المستفاد من بعض الروايات كغير واحد من الأصحاب عدم الفرق فى ما يكره بين أن يكون نقصا فى الدين أو الدنيا أو البدن أو النسب أو الخلق أو الفعل أو القول أو ما يتعلق به من ثوبه أو داره أو دابته أو غير ذلك.

أما فى الدين فكقولك هو سارق أو كذاب أو شارب الخمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصيلاه أو الزكاه أو لا يحسن الركوع أو السجود أو لا يحترز من النجاسات أو ليس بارًا بالديه.

و أما فى الدنيا فكقوله إنه قليل الأدب متهاون بالناس أو لا يرى لأحد

على نفسه حقا أو يرى لنفسه الحق على الناس أو أنه كثير الكلام أو كثير الأكل أو كثير النوم ينام في غير وقته.

و أما البدن فكما تقول إنه طويل أو قصير أو أعمش أو أحوال أو أقرع أو لونه أصفر أو أسود و نحو ذلك مما يسوئه.

و أما النسب فكقولك: أبوه فاسق أو خسيس أو حجام أو زبال أو ليس بنجيب.

و أما الخلق فبأن تقول إنه سيء الخلق بخيل متكبر مختال مرء شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور و ما يجرى مجرى ذلك.

و أما الفعل فإما أن يكون متعلقا بالدين أو الدنيا و قد مرّ مثالهما.

و أما القول فكقولك إنه كذاب أو سباب أو أنه متمام أو أعجم أو أكن أو ألثغ أو أليغ و نحو ذلك.

و أما في ثوبه فكقولك إنه واسع الكم طويل الذيل و سخ الثياب و نحوها.

و أما في داره فكما تقول أنه مفحص قطاه أى فى الصغر أو كدير النصارى أو نحوهما.

و أمّا فى دابته فكقولك لحصانه إنه برزون أو لبغلته إنها بغله أبى دلامه أى كثيره العيوب و لأبى دلامه ذلك قصيده فى ذكر معايبها منها قوله:

أرى الشهباء تعجن اذ غدونا برجليها و تخبزنا بيدين

الثانى فى الأدله الداله على حرمه الغيبه

و ما ترتب عليها من الذم و العقوبه فأقول: إنها محرّمه بالأدله الأربعة أعنى الكتاب و السنّه و الاجماع و العقل، فأما الاجماع فواضح، و أمّا العقل فلأنها موجه لفساد النظام و انفصام عروه الانتظام، و عليها تبنى القبائح و منها يظهر العدو المكاشح على ما مرّ توضيحه فى شرح كلام الامام عليه السلام

و أما الكتاب

فمنه قوله تعالى: و لا يغتب بعضكم بعضا أبحبّ أحدكم أن

يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه و اتقوا الله إن الله تواب رحيم، فجعل سبحانه المؤمن أخا و عرضه كلحمه و التفكّه به أكلا و عذم شعوره بذلك بمنزله حاله موته.

قال الفخر الرّازى: الحكمه فى هذا التشبيه الاشاره إلى أنّ عرض الانسان كدمه و لحمه و هذا من باب القياس الظاهر، و ذلك لأنّ عرض المرء أشرف من لحمه، فاذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى، لأنّ ذلك ألم. و قوله: لحم أخيه آكدا فى المنع لأنّ العدو يحمله الغضب على مضع لحم العدو فقال تعالى أصدق الأصدقاء من ولدته أمك فأكل لحمه أقبح ما يكون، و قوله تعالى: ميتا، إشاره إلى دفع و هم و هو أن يقال:

القول فى الوجه يولم فيحرم و أما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتتاب فلا يؤلم، فقال:

أكل لحم الأ-خ و هو ميّت أيضا لا- يؤلم، و مع هذا هو فى غايه القبح لما أنّه لو اطلع عليه لتألّم كما أنّ الميّت لو أحسّ بأكل لحمه لآلمه ذلك هذا.

و الضّمير فى قوله: فكرهتموه، إمّا راجع إلى الأكل المستفاد من أن يأكل، أو إلى اللحم، أى فكما كرهتم لحمه ميتا فاكرهوا غيبته حيّا، أو الميت فى قوله ميّتا، و التقدير أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميّتا متغيّرا فكرهتموه فكأنّه صفة لقوله ميتا و يكون فيه زياده مبالغه فى التحذير يعنى الميتة إن اكلت لسبب كان نادرا و لكن إذا أنتن و أروح و تغيّر لا يؤكل أصلا فكذلك ينبغى أن تكون الغيبه.

و الفاء فيه يفيد التعلّق و ترتّب ما بعدها على ما قبلها، و هو من تعلّق المسبّب بالسبب و ترتّب عليه كما تقول جاء فلان ماشيا فتعب، لأنّ المشى يورث التعب فكذا الموت يورث النفرة و الكراهه إلى حدّ لا يشتهى الانسان أن يبيت فى بيت فيه ميّت فكيف يقربه بحيث يأكل منه، ففيه إذا كراهه شديده فكذلك ينبغى أن تكون حال الغيبه.

و من الكتاب أيضا قوله سبحانه: ويل لكلّ همزه لمزه، قال اللّيث: الهمزه هو الهمز يعيبك بوجهك، و الهمزه الهمز يعيبك بالغيب، و قيل: الهمز ما يكون

باللسان والعين والاشارة، واللّمز لا يكون إلا باللسان، وقيل: هما بمعنى واحد.

و منه أيضا قوله: لا يحبّ الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم، وقوله:

إنّ العذّين يحبّون أن تشيع الفاحشه في العذّين آمنوا لهم عذاب أليم روى في الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قال في مؤمن ما رأته عيناه و سمعته أذناه فهو من العذّين قال الله عزّ وجلّ إنّ العذّين يحبّون أن تشيع الفاحشه.

و أما السنه

فيدلّ عليها منها أخبار لا تحصى.

مثل ما رواه في الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن التّوفلي عن السّكوني عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم الغيبه أسرع في دين الرّجل المسلم من الاكله في جوفه.

قال: وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: الجلوس في المسجد انتظار الصّلاه عباده ما لم يحدث، قيل يا رسول الله و ما يحدث؟ قال: الاغتيا ب.

و فيه مسندا عن مفضّل بن عمر قال: قال لى أبو عبد الله عليه السّلام من روى على مؤمن روايه يريد بها شينه و هدم مروّته ليسقط من أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلى ولايه الشيطان فلا يقبله الشيطان.

و في الوسائل من المجالس باسناده عن أبي بصير عن النّبي صلّى الله عليه وآله في وصيته له قال:

يا أبا ذر إيّاك و الغيبه فانّ الغيبه أشدّ من الرّنا، قلت: و لم ذاك يا رسول الله؟ قال لأنّ الرّجل يزني فيتوب إلى الله فيتوب الله عليه، و الغيبه لا تغفر حتّى يغفرها صاحبها يا أبا ذر سباب المسلم فسوق و قتاله كفر و أكل لحمه من معاصي الله و حرمة ماله كحرمة دمه، قلت: يا رسول الله و ما الغيبه؟ قال: ذكرك أخاك بما يكرهه، قلت يا رسول الله فان كان فيه الذي يذكر به؟ قال: اعلم أنّك إذا ذكرته بما هو فيه فقد اغتبتّه، و إذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهتّه.

و في الوسائل عن الحسين بن سعيد في كتاب الزهد مسندا عن زيد بن عليّ عن آباءه عليهم السّلام عن النّبي صلّى الله عليه وآله و آله قال: تحرم الجنّه على ثلاثه: على المّنان، و على

المغتتاب، و على مدمن الخمر.

و فيه أيضا عن أبي عبد الله الشّامى عن نوف البكالى أنه قال: أتيت أمير المؤمنين و هو فى رحبه مسجد الكوفه فقلت: السّلام عليك يا أمير المؤمنين و رحمه الله و بركاته فقال: و عليك السّلام و رحمه الله و بركاته، فقلت: يا أمير المؤمنين عظمى، فقال:

يا نوف أحسن يحسن إليك «إلى أن قال» قلت زدنى قال: اجتنب الغيبه فإنها ادم كلاب النّار، ثمّ قال: يا نوف كذب من زعم أنّه ولد من حلال و هو يأكل لحوم النّاس بالغيبه.

و فى المكاسب لشيخنا العلامه الأنصارى طاب رسمه عن النّبىّ صلّى الله عليه و آله أنه خطب يوما فذكر الرّبا و عظم شأنه فقال: إنّ الدرهم يصيبه الرّجل أعظم من ستّه و ثلاثين زنيه، و إنّ أربى الرّبا عرض الرّجل المسلم.

و عنه صلّى الله عليه و آله و سلّم من اغتاب مسلما أو مسلمه لم يقبل الله صلّاته و لا صيامه أربعين صباحا إلاّ أن يغفر له صاحبه.

و عنه صلّى الله عليه و آله و سلّم من اغتاب مؤمنا بما فيه لم يجمع الله بينهما فى الجنّه، و من اغتاب مؤمنا بما ليس فيه انقطعت العصمه بينهما، و كان المغتاب خالدا فى النّار و بئس المصير.

و عنه صلّى الله عليه و آله و سلّم كذب من زعم أنّه ولد من حلال و هو يأكل لحوم النّاس بالغيبه، فاجتنب الغيبه فانها ادم كلاب النّار.

و عنه صلّى الله عليه و آله و سلّم من مشى فى غيبه أخيه و كشف عورته كانت أوّل خطوه خطاها وضعها فى جهنّم.

و روى أنّ المغتاب إذا تاب فهو آخر من يدخل الجنّه و إن لم يتب فهو أوّل من يدخل النّار.

و عنه صلّى الله عليه و آله و سلّم و إنّ الغيبه حرام على كلّ مسلم و إنّ الغيبه ليأكل الحسنات كما تأكل النّار الحطب.

قال شيخنا (قد): و أكل الحسنات إمّا أن يكون على وجه الاحباط لاضمحلال ثوابها

فى جنب عقابه، أو لأنها تنقل الحسنات إلى المغتاب كما فى غير واحد من الأخبار و من جملتها النبوى يؤتى بأحد يوم القيامه فىوقف بين يدى الرّب عزّ و جلّ و يدفع إليه كتابه فلا يرى حسناته فيه، فىقول إلهى لىس هذا كتابى لا أرى فىه حسناتى، فىقال له: إنّ ربّك لا- يضلّ و لا- ينسى ذهب عملك باغتياب النّاس، ثمّ يؤتى بأخر و يدفع إليه كتابه فىرى فىه طاعات كثيره فىقول إلهى ما هذا كتابى فأنّى ما عملت هذه الطاعات، فىقال له: إنّ فلانا اغتابك فدفع حسناته إليك.

و فى عقاب الأعمال باسناده عن أبى برده قال: صلّى بنا رسول الله صلّى الله عليه و آله ثمّ انصرف مسرعاً حتّى وضع يده على باب المسجد ثمّ نادى بأعلى صوته: يا معشر النّاس لا يدخل الجنّة من آمن بلسانه و لم يخلص الايمان إلى قلبه، لا تتبعوا عورات المؤمنين فإنّه من تتبع عورات المؤمنين تتبع الله عورته و من تتبع الله عورته فىفضحه و لو فى جوف بيته.

و فىه أيضاً باسناده عن حفص بن غياث عن جعفر بن محمّد عليهما السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله أربعة تؤذون أهل النّار على ما بهم من الأذى يسقون من الحميم و الجحيم ينادون بالويل و الثبور فىقول أهل النّار بعضهم لبعض: ما لهؤلاء الأربعة قد آذونا على ما بنا من الأذى: فرجل معلق عليه تابوت من جمر، و رجل تجرى أمعاؤه صديداً و دماً أسودنتنا، و رجل يسيل فوه قيحا و دماً، و رجل يأكل لحمه، فىقال لصاحب التابوت: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فىقول: إنّ الأبعد مات و فى عنقه أموال النّاس لم يجد لها فى نفسه أداء و لا وفاء، ثمّ يقال للأذى يجرى امعاؤه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فىقول: إنّ الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول من جسده، ثمّ يقال للأذى يسيل فوه قيحا و دماً: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فىقول: إنّ الأبعد كان يحاكى فىنظر إلى كلّ كلمه خبيثه و يحاكى بها ثمّ يغتاب النّاس، ثمّ يقال للأذى يأكل لحمه:

ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فىقول: إنّ الأبعد كان يأكل لحوم النّاس بالغيبه و يمشى بالنّميمه.

و فى الأنوار النعمانية للمحدث الجزائرى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: مررت ليله اسرى بى إلى السماء على قوم يمشون وجوههم بأظفيرهم، فقلت: يا جبرائيل من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الذين يغتابون الناس و يقعون فى أعراضهم.

و فيه أيضا و روى أنه أمر بصوم يوم و قال: لا يفطرن أحد حتى آذن له، فصام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول: يا رسول الله ظللت صائما فأذن لى لأفطر فيأذن له، و الرجل و الرجل حتى جاء رجل فقال: يا رسول الله فتانان من أهلى ظللتا صائمتين فانهما تستحيان أن يأتياك فأذن لهما أن تظرا فأعرض عنه، ثم عادوه فأعرض عنه، ثم عادوه فقال صلى الله عليه وآله إنهما لم تصوما و كيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن تستقيا فرجع إليهما فأخبرهما فاستقائتا ففقت كل واحدة منهما علقه من دم، فرجع إلى النبى فأخبره، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: و الذى نفس محمد بيده لو بقيتا فى بطونهما لأكلتهما النار.

و فى روايه أنه لما أعرض عنه جاءه بعد ذلك و قال: يا رسول الله إنهما و الله لقد قاتتا و كادتا أن تموتا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اثنوني بهما فجاءتا فدعى بقدر فقال لإحدهما قيى ففقت من قيح و دم صديد حتى ملأت القدر، و قال للاخرى قيى، ففقت كذلك، فقال صلى الله عليه وآله وسلم إن هاتين صامتا عما أحل الله و أفطرتا على ما حرم الله عليهما، جلست إحدهما على الاخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس، و رواهما الغزالي فى إحياء العلوم عن أنس مثلهما.

قال شيخنا العلامة طاب رسمه: ثم إنه قد يتضاعف عقاب المغتاب إذا كان ممن يمدح المغتاب فى حضوره، و هذا و إن كان فى نفسه مباحا إلا أنه إذا انضم مع ذمه فى غيبته سمي صاحبه ذا اللسانين يوم القيامة و تؤكد حرمة و لذا ورد فى المستفيضه أنه يجيء ذو اللسانين يوم القيامة و له لسانان من نار، فإن لسان المدح فى الحضور و إن لم يكن لسانا من نار إلا أنه إذا انضم إلى لسان الذم فى الغياب صار كذلك.

و عن المجالس بسنده عن حفص بن غياث عن الصادق عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من مدح أخاه المؤمن في وجهه و اغتابه من ورائه فقد انقطعت العصمه بينهما.

و عن الباقر عليه السلام بسئس العبد عبد يكون ذا وجهين و ذا لسانين يطرى أخاه شاهدا و يأكله غائبا إن اعطى حسده و إن ابتلى غضبه.

الثالث فى دواعى الغيبه

و هى كثيره و قد أشار إليها الصادق عليه السلام اجمالا بقوله: الغيبه تنوّع عشره أنواع شفاء غيظ، و مساعدته قوم، و تصديق خبر بلا كشف، و تهمه، و سوء ظنّ، و حسد و سخرية، و تعجّب، و تبرّم، و تزيّن، رواه فى المكاسب و الأنوار النعمانيه و أمّا تفصيلها فقد نبّه عليه أبو حامد الغزالي فى احياء العلوم و قال:

فالأول تشفى الغيظ

و ذلك إذا جرى سبب غضب به عليه فأنّه إذا هاج غضبه يشتمى بذلك مساويه فيسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن ثمّ دين رادع، و قد يمتنع تشفى الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب بالباطن فيصير حقدا ثابتا، فيكون سببا دائما لذكر المساوى فالحقد و الحسد من البواعث العظيمه على الغيبه.

الثانى موافقه الأقران و مجامله الرفقاء و مساعدتهم على الكلام

، فإنهم إذا كانوا يتفكّهون بذكر الأعراض فيرى أنّه لو أنكر عليهم أو قطع المجلس استثقلوه و نفروا عنه، فيساعدهم و يرى ذلك من حسن المعاشره و يظنّ أنّه مجامله فى الصّحبه، و قد يغضب رفقائه فيحتاج إلى أن يغضب بغضبهم إظهارا للمساهمه فى الشراء و الضراء، فيخوض معهم فى ذكر العيوب و المساوى.

الثالث أن يستشعر من انسان أنّه سيقصده و يطول لسانه عليه

أو يقبح حاله عند محتشم أو يشهد عليه بشهاده فيبادره قبل أن يقبح هو حاله، و يطعن فيه ليسقط أثر شهادته أو يبتدى بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده، فيروج كذبه بالصدق الأوّل و يستشهد به و يقول ما من عادتي الكذب فأنّى أخبرتكم بكذا و كذا عن أحواله فكان كما قلت.

الرابع أن ينسب إلى شيء فيريد أن يتبرّء منه فيذكر الذي فعله

و كان من حقّه أن يبّرّي نفسه و لا يذكر الذي فعل فلا ينسب غيره إليه أو يذكر غيره بأنه كان مشاركا له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله.

الخامس إرادته التصنّع و المباهات

و هو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول:

فلان جاهل و فهمه ركيك، و غرضه في ضمن ذلك فضل نفسه و يوهّم أنّه أفضل منه أو يحذّر أن يعظّم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك.

السادس الحسد و هو أنّه ربما يحسد من يثنى الناس عليه

و يحبّونه و يكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه، فلا يجد سبيلا إليه إلا بالقدح فيه، فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتّى يكفّوا عن إكرامه و الثناء عليه.

السابع اللّعب و الهزل و المطايبه

و ترجيه الوقت بالذكر و تزيين الوقت بالذّكر فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاه و منشاؤه التّعجب و التعجيب.

الثامن السخريه و الاستهزاء استحقارا له

فإنّ ذلك قد يجرى في الحضور و يجرى أيضا في الغيبه و منشاؤه التكبر و استصغار المستهزاء به.

التاسع الزحمه

و هو مأخذ دقيق ربما يقع فيه الخواص، و هو أن يعتّم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمّنى أمره و ما ابتلى به فيكون صادقا في دعوى الاغتمام و يلهيه الغمّ عن الحذر من ذكر اسمه، فيصير بذكره مغتابا فيكون غمّه و رحمته خيرا لكنّه ساقه الشيطان إلى شرّ من حيث لا يدرى و الترحّم و الاغتمام ممكن من دون ذكر اسمه فهيجّه الشيطان على ذكر اسمه ليبتل به ثواب اغتمامه و ترحمه.

و هو كسابقه فى غموض ادراكه و خفائه على الخواص فضلا عن العوام فانه قد يغضب على منكر قارفه انسان إذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه و يذكر اسمه و كان الواجب أن يذكر غضبه عليه بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و لا يظهر على غيره أو يستره و لا يذكر اسمه بالسوء.

قال شيخنا فى المكاسب: يحرم استماع الغيبه بلا خلاف، فقد ورد أنّ السّامع للغيبه أحد المغتائبين، والأخبار فى حرمة كثيره إلا أنّ ما يدلّ على كونه من الكبائر كالزّوايه المذكوره و نحوها ضعيفه السّند.

أقول: و من جمله الأخبار الدّالّه على حرمة ما رواه الصّدوق فى عقاب الأعمال باسناده عن أبى الورد عن أبى جعفر عليه السّلام: قال من اغتیب عنده أخوه المؤمن فنصره و أعانه نصره الله و أعانه فى الدّنيا و الآخره، و من لم ينصره و لم يدفع عنه و هو يقدر على نصرته حقّره الله عزّ و جلّ فى الدّنيا و الآخره.

و فيه أيضا فى حديث طويل عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: و من ردّ عن أخيه غيبه سمعها فى مجلس ردّ الله عزّ و جلّ عنه ألف باب من الشّرّ فى الدّنيا و الآخره و إن لم يرد عنه كان عليه كوزر من اغتاب.

و فى الوسائل عن الصّدوق باسناده عن شعيب بن واقد عن الحسين بن زيد عن الصادق عن آبائه عليهم السّلام فى حديث المناهى إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم نهى عن الغيبه و الاستماع إليها، و نهى عن التّميمه و الاستماع إليها، و قال لا يدخل الجنّه قتات، يعنى نّماما، و نهى عن المحادثه التى يدعو إلى غير الله، و نهى عن الغيبه و قال:

من اغتاب امرء مسلما بطل صومه و نقض وضوئه و جاء يوم القيامة يفوح من فيه رائحه أنتن من الجيفه يتأذى به أهل الموقف، و إن مات قبل أن يتوب مات مستحلاّ لما حرّم الله عزّ و جلّ، ألا و من تطوّل على أخيه فى غيبه سمعها فيه فى مجلس فردّها عنه ردّ الله عنه ألف باب من الشّرّ فى الدّنيا و الآخره، فان لم يردّها و هو قادر على ردّها كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرّه.

قال شيخنا: و لعلّ وجه زياده عقابه أنّه إذا لم يردّه تجزى المغتاب على الغيبه فيصير على هذه الغيبه و غيرها، ثمّ قال: و الظاهر أنّ الرّد غير النّهى عن الغيبه و المراد به الانتصار للغائب بما يناسب تلك الغيبه، فان كان عيبا دنيويّا انتصر له بأنّ العيب ليس إلاّ

ما عاب الله به من المعاصي التي من أكبرها ذكرك أخاك بما لم يعبه الله به، وإن كان عيبا دينيا وجهه بمحامل تخرجه عن المعصية فإن لم يقبل التوجيه انتصر له بأن المؤمن قد يتلى بالمعصية فينبغي أن يستغفر له ويهتم له، لا- أن يعير عليه، لأن تعييرك إياه لعله أعظم عند الله من معصيته ونحوه.

ثم اعلم أنّ المحرم إنّما هو سماع الغيبة المحرّمه دون ما علم حليتها و لو كان متجاهرا عند المغتاب مستورا عند المستمع و قلنا بجواز الغيبة حينئذ للمتكلّم فالأقوى جواز الاستماع لأنّه قول غير منكر، فلا يحرم الاصغاء إليه للأصل و الزوايه الداله على كون السامع أحد المغتابين تدلّ على أنّ السامع لغيبه كقائل تلك الغيبة، فان كان القائل عاصيا كان المستمع كذلك، فيكون دليلا على الجواز فيما نحن فيه.

الخامس في مستثنيات الغيبة

أى الموارد التي يجوز فيها الغيبة جوازا بالمعنى الأعمّ، فإنّ الاستفادة من الأخبار أنّ حرمتها إنّما هو لأجل ما فيها من هتك عرض المؤمن و انتقاصه و تأذيه فلو لم توجب هتكا لكونه مهتوكا بدونها ككونه متجاهرا بالفسق أو لم يقصد بها الانتقاص بالذات فلا. قال فى جامع المقاصد: و ضابط الغيبة كلّ فعل يقصد به هتك عرض المؤمن و التفكّه به أو إضحاك النّاس منه، و أمّا ما كان لغرض صحيح فلا يحرم كنصيحه المستشار و التظلم آه.

قال شيخنا العلامة: حرمة الغيبة لأجل انتقاص المؤمن و تأذيه منه، فاذا فرض هناك مصلحة راجعه إلى المغتاب بالكسر أو الفتح أو ثالث دلّ العقل أو الشّرع على كونها أعظم من مصلحة احترام المؤمن بترك ذلك القول فيه و جب كون الحكم على طبق أقوى المصلحتين كما هو الحال فى كلّ معصية من حقوق

اللّٰه و حقوق الناس.

إذا عرفت ذلك فنقول: إنّ مسوّغاتها امور.

الاول التظلم

، أى تظلم المظلوم بذكر ظلم الظالم عند من يرجو رفعه الظلم منه قال سبحانه: لا يحبّ الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم، فعن تفسير القمى أى لا يحبّ أن يجهر الرجل بالظلم و السوءه و يظلم إلا من ظلم، فاطلق أن يعارض بالظلم.

قال شيخنا العلامة: و يؤيد الحكم فيه إنّ فى منع المظلوم من هذا الذى هو نوع من التشفى حرجا عظيما، و لأنّ فى تشريع الجواز مظنه ردع للظالم و هى مصلحه خاليه عن مفسده فيثبت الجواز، لأنّ الأحكام تابعه للمصالح، و يدلّ عليه ما روى عن النبى صلى الله عليه و آله و سلّم مطل الواجد يحلّ عقوبته و عرضه.

الثانى نصح المستشار

، فإنّ النصيحة واجبه للمستشير فإنّ خيانتة قد تكون أقوى مفسده من مفسده الغيبه فقد قال النبى صلى الله عليه و آله و سلّم لفاطمه بنت قيس المشاوره فى خطابها: معاويه صعلوك لا مال له و ابو الجهم لا يضع العصا على عاتقه، قال شيخنا: و كذلك النصح من غير استشاره، فإنّ من أراد تزويج امرأه و أنت تعلم بقبائحتها التى يوجب وقوع الرجل فى الغيبه و الفساد لأجلها فلا ريب أنّ التنبيه على بعضها و إن أوجب الوقيعه فيها أولى من ترك نصح المؤمن، مع ظهور عدّه من الأخبار فى وجوبه.

الثالث الاستفتاء

بأن يقول للمفتى: ظلمنى فلان حقّى فكيف طريقى فى الخلاص، قال أبو حامد الغزالي و المحدث الجزائري: و الأسلم التعريض، بأن يقول ما قولك فى رجل ظلمه أبوه أو أخوه أو زوجته، و لكنّ التعيين مباح بهذا القدر، و قيده شيخنا العلامة بما إذا كان الاستفتاء موقوفا على ذكر الظالم بالخصوص، و إلا فلا يجوز، و ظاهر الأخبار كظاهر كثير الأصحاب هو الاطلاق.

و استدّلوا عليه بما روى عن هند زوجه أبى سفيان أنّها قالت للنبى صلى الله عليه و آله و سلّم: إنّ أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى ما يكفينى أنا و ولدى فأخذ من غير علمه؟

فقال صَلَّى اللهُ عليه وآله: خذى ما يكفيك و ولدك بالمعروف، فذكرت الظلم و الشَّح لها و لولدها و لم يزجرها إذ كان قصدها الاستفتاء.

و بصحيحه عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله فقال: إنَّ أُمِّي لا يدفع يد لا مس، فقال صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم: احبسها، قال: قد فعلت، فقال:

فامنع من يدخل عليها، قال: قد فعلت، قال: فقيدها فإنك لا تبيِّرها بشيء أفضل من أن تمنعها عن محارم الله، و احتمال كونها متجاهره مدفوع بالأصل.

الرابع تحذير المسلم

من الشرّ و عن الوقوع فى الضّرر لدنيا أو دين، لأنّ مصلحه دفع فتنه الشرّ و الضّرر أولى من هتك شرّ المغتاب مثل من يريد أن يشتري مملوكا و أنت تعلم بكونه موصوفا بالسّرقه أو بعيب آخر، فسكوتك عن ذكر عيبه إضرار بالمشتري، و كذلك المبتدع الذى يخاف من إضلاله النَّاس، فاذا رأيت من يتردّد إلى مبتدع أو فاسق و خفت أن يتعدّى إليه بدعته أو فسقه فلك أن تكشف مساويه.

و يدلّ عليه ما عن الكافى بسنده الصّحيح عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله: إذا رأيتم أهل الزّيب و البدع من بعدى فأظهروا البراءه منهم و أكثروا من سبّهم و القول فيهم و الوقيعه و باهتوهم كيلا يطمعوا فى الفساد فى الاسلام، و تحذروهم النَّاس و لا تتعلّموا من بدعهم يكتب الله لكم بذلك الحسنات و رفع لكم به الدّرجات، هذا.

و ربّما يجعل هذا المورد من باب نصح المستشير بعد تعميمه بالنّسبه إلى النصح المسبوق بالاستشاره و غيره.

الخامس قصد ردع المغتاب عن المنكر الذى يفعله

إذا لم يمكن الردع إلّا- به فأنّه أولى من ستر المنكر عليه فهو فى الحقيقه إحسان فى حقّه، مضافا إلى عموم أدلّه النهى عن المنكر.

السادس باب الترجيح و التّعديل فى الزّوايه

لأجل معرفه قبول الخبر و عدمه و معرفه صلاحيتّه للمعارضه و عدمها، و إلّا لانسدّ باب التّعادل و التّراجيح الذى

هو أعظم أبواب الاجتهاد و جرت السيرة عليه من قديم الزمان كجريانها على الجرح في باب الشهادة و على ترجيح ما دلّ على وجوب اقامتها على ما دلّ على حرمه الغيبه على وجه الاشكال فيه، و إلاّ لضاعت الحقوق في الدماء و الأموال و غيرها و لغلّب الباطل، و يلحق بذلك الشّهاده بالزّنا و غيره لاقامه الحدود.

السابع دفع الضرر عن المغتاب

في دم أو عرض أو مال و عليه يحمل ما ورد في ذمّ زواره من عدّه أحاديث و قد ورد التعليل بذلك في بعض الأحاديث و يلحق بذلك الغيبه للتقيه على نفس المتكلم أو ماله أو عرضه، فإنّ الضرورات تبيح المحظورات.

الثامن ذكر الشخص بعينه الذي صار بمنزله الصفه المميّزه

التي لا يعرف إلاّ به كالأعمش و الأعرج و الأشر و الأحول و نحوها، فلا بأس به إذا صارت الصّيفه في اشتهاار يوصف بها الشّخص إلى حيث لا يكره ذلك صاحبها، و عليه يحمل ما صدر عن العلماء الأعلام.

التاسع إظهار العيوب الخفيّه

للمريض عند الطيب للمعالجه.

العاشر ردّ من ادعى نسبا ليس له

فإنّ مصلحه حفظ الانساب أولى من مراعات حرمه المغتاب.

الحادى عشر إذا علم اثنان عن رجل معصيه

و شاهداها فأجرى أحدهما ذكره في غيبه ذلك العاصى جاز، لأنّه لا يؤثر عند السّامع شيئا و إن كان الأولى تنزيه اللسان عن ذلك لغير غرض من الأغراض الصّحيحه خصوصا مع احتمال نسيان المخاطب لذلك أو خوف اشتهااره

الثانى عشر غيبه المتجاهر بالفسق

في ما تجاهر به، فإنّ من لا يبالي بظهور فسقه بين الناس لا يكره ذكره بالفسق و قد قال الامام عليه السلام إذا جاهر الفاسق بفسقه فلا حرمه له و لا غيبه، و في روايه اخرى من ألقى جلباب الحياء فلا غيبه له، و أمّا جواز غيبته في غير ما تجاهر به فقد منع منه

الشهيد الثاني و حكى عن الشهيد الأول أيضا و استظهر الفاضل النراقي الجواز.

ص: ٣٨٧

قال شيخنا العلامة الأنصارى (قد): ظاهر الروايات النَّافيه لاحترام المتجاهر و غير السَّاتر هو الجواز، و استظهره في الحدائق من كلام جملة من الأعلام، و صرَّح به بعض الأساطين، قال شيخنا العلامة: و ينبغي الحاق ما يتسَّر به بما يتجاهر فيه إذا كان دونه في القبح، فمن تجاهر و العياذ باللَّه باللَّواط جاز اغتياؤه بالتَّعريض للنَّساء الأجنبي، و من تجاهر بقطع الطرق جاز اغتياؤه بالسَّرقة، و من تجاهر بكونه جلاد السَّيِّطان يقتل النَّاس و ينكلهم جاز اغتياؤه بشرب الخمر، و من تجاهر بالقبايح المعروفة جاز اغتياؤه بكلِّ قبيح، و لعلَّ هذا هو المراد بمن ألقى جلباب الحياء لا من تجاهر بمعصيه خاصَّه و عدَّ مستورا بالنَّسبه إلى غيرها كبعض عمال الظَّلمه، هذا.

و هذه الموارد المذكوره هو المعروف استثناءؤها بين جمع من الأصحاب، و بعضهم قد زادوا عليها، و بعضهم قد نقصوا و لا حاجه إلى الاطناب بعد ما عرفت أنَّ مدار الحرمة على قصد الانتقاص و الأذى بالذات، و اللّهُ العالم.

السادس في معالجه الغيبه

و علاجها إنّما هو بالعلم بما يترتّب عليها من المفسد الدنيويه و الآخرويّه و بالتدبّر في المضار المترتّبه عليها عاجلا و آجلا.

اما المضار الدنيويه فهو أنّها تورث العداوه و الشَّحناء و توجب غضب المغتاب فيكون في مقام المكافاه و المجازاه لشنيع قولك فيغضبك و يؤذيك و يهينك و من ذلك تنبعث الفساد و ربّما يؤل الأمر إلى ما لا يمكن علاجه، بل قد يؤل إلى القتل و الجرح و الاستيصال و إتلاف الأموال و غيرها.

و اما المضار الآخرويّه فيحصل التَّنبّه عليها بالتفكّر و التدبّر في الآيات و الأخبار الوارده في ذمّها و عقوبتها، و بالعلم بأنّها توجب دخول النَّار و غضب الجبار و مقتته تعالى و تحبط الحسنات و تنقلها إلى ميزان حسنات المغتاب، فان لم تكن له حسنه نقل اللّهُ من سيئات خصمه بقدر ما استباحه من عرضه قال صلّى اللّهُ عليه و آله: ما النَّار

فى اليبس أسرع من الغيبه فى حسنات العبد و إن كانت الغيبه فى العيب بالخلق فليعلم أنه عيب على الخالق فإن من ذم الصنعه فقد ذم الصانع، قيل لحكيم:

يا قبيح الوجه، قال: ما كان خلق وجهى إلى فأحسنه.

و روى إن نوحا عليه السلام مرّ على كلب أجرب فقال: ما هذا الكلب؟ فنطق الكلب و قال: يا نبى الله هكذا خلقتى ربى فان قدرت أن تغير صورتى بأحسن من هذه الصورة فافعل، فندم نوح على ما قال و بكى أربعين سنه فسماه الله نوحا و كان اسمه عبد الملك أو عبد الجبار.

و روى أيضا أنه مرّ عيسى عليه السلام و معه الحواريون بجيفه كلب فقال الحواريون ما أنتن ربح هذا الكلب، فقال عليه السلام: ما أشدّ بياض أسنانه كأنه نهاهم عن غيبه الكلب و تعيبه، فانظر إلى عظم الخطر فى تعيب الناس فاذا لم يرض أولياء الدين بعيب ميتة حيوان فكيف بعيب النفوس المحترمه قال رسول الله صلى الله عليه و آله: طوبى لمن شغله عيب نفسه عن عيوب الناس، فاذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك قال الشاعر:

و أجرء من رأيت بظهر غيب على عيب الرجال و ذو العيوب

فلربما تبصر فى عين أخيك القذى و لا تبصر الجذع فى عينك

و مطروفه عيناه عن عيب نفسهما للاح عيب من أخيه تبصرا

و قد قيل للربيع بن خثيم: ما نراك تعيب أحدا قال: لست راضيا عن نفسى فأتفرغ لذكر عيوب الناس ثم قال:

لنفسى أبكى لست أبكى لغيرها لنفسى فى نفسى عن الناس شاغل

نعوذ بالله من زلات البيان و هفوات اللسان و سقطات الألفاظ و رمزات الألفاظ.

السابع فى كفاره الغيبه

قال المحدّث الجزائرى (ره) اعلم أنّ الواجب على المغتاب أن يندم و يتوب و يأسف على ما فعل ليخرج من حقّ الله تعالى ثمّ يستحلّ المغتاب فيحله ليخرج

عن مظلّمته و ينبغي أن يستحلّه و هو نادم حزين و إلّا- فالمرأى قد يطلب المحالّه فيكون عليه ذنب آخر، و قد ورد في كفارته حديثان:

أحدهما قوله عليه السّلام: كفّاره من اعتبته أن تستغفر له، و في حديث آخر كلّما ذكرته، و معنى قوله: كلّما ذكرته على طريقه الغيبه أو كلّما عنّ في خاطرك أو جرى ذكره على لسانك بعد المحالّه الاولى.

الثاني قوله صلّى الله عليه و آله: من كانت لأخيه عنده مظلّمه في عرض أو مال فيتحلّلها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار و لا درهم يؤخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فيزيد على سيئاته.

و جمع بين الحديثين شيخنا الشهيد الثاني قدّس الله روحه بحمل الاستغفار له على من يبلغ غيبه المغتاب فينبغي الاقتصار على الدّعاء له و الاستغفار لأنّ في محالته إثارة للفتنه و جلبا للضّغائن، و في حكم من لم يبلغه من لم يقدر على الوصول إليه لموت أو غيبه، و حمل المحالّه على من يمكن الوصول إليه مع بلوغه الغيبه قال الجزائري و يمكن الجمع بينهما بوجهين:

أحدهما أنّ الاستغفار له كفّاره معجله تكون مقارنه للغيبه و المحالّه متأخّره عنه غالبا فيجب عليه المبادرة بذلك لعدم توقّفه على التمكن و عدمه، و المحالّه إذا تمكّن بعد هذا فيكون الواجب اثنين لا واحد كما هو مذكور في القول الأوّل.

الثاني حمل الاستغفار له على الاستحباب و الواجب إنّما هو المحالّه لا غير، و إذا جاء إلى المغتاب فينبغي أن لا يظهر له الكلام الذي اغتاب خوفا من إثارة الشّحناء و تجديد العداوه، بل يقول له: يا أخى لك حقوق عرضيّه و اريد أن تحالني منها، و نحو ذلك من العبارات المجمله، و يستحبّ للمعتذر إليه قبول العذر و المحالّه استحبابا مؤكّدا، انتهى.

أقول: و الأظهر في وجه الجمع ما حكاه عن الشّهيد بل و هو الأقرب.

و التّحقيق ما حقّقه شيخنا العلّامة الأنصاري (قد) في المكاسب حيث قال:

مقتضى كون الغيبه من حقوق الناس توقّف رفعها على إسقاط صاحبها أمّا كونها من حقوق الناس فلاّنه ظلم على المغتاب، و للأخبار فى أنّ من حقّ المؤمن على المؤمن أن لا- يغتابه و أنّ حرمة عرض المسلم كحرمة دمه و ماله و أمّا توقّف رفعها على إبراء ذى الحقّ فللمستفيضة المعتضده بالأصل، ثمّ ذكر جملة من المستفيضة.

ثمّ قال: و لا فرق فى مقتضى الأصل و الأخبار بين التمكن من الوصول إلى صاحبه و تعذّره، لأنّ تعذّر البراءه لا يوجب سقوط الحقّ كما فى غير هذا المقام، لكن روى السيّكونى عن أبى عبد الله عن النبىّ صلّى الله عليه و آله إنّ كفاره الاغتياى أن تستغفر لمن اغتبتّه كلّما ذكرته، و لو صحّ سنده أمكن تخصيص الاطلاقات المتقدّمه به، فيكون الاستغفار طريقا أيضا إلى البراءه مع احتمال العدم أيضا لأنّ كون الاستغفار كفاره لا يدلّ على البراءه، فلعلّه كفاره للذنب من حيث كونه حقّا لله تعالى نظير كفاره قتل الخطاء التى لا توجب براءه القاتل إلاّ أن يدعى ظهور السّياق فى البراءه.

ثمّ ذكر كلام الشّهيد الثّانى (ره) و جمعه بين الخبرين المتقدّمين المتعارضين على ما تقدّم ذكره فى كلام المحدث الجزائرى (ره) ثمّ أورد عليه بأنّه إن صحّ النبوى أى ما رواه السيّكونى عن أبى عبد الله عليه السّلام عن النبىّ صلّى الله عليه و آله مسندا، فلا- مانع عن العمل به بجعله طريقا إلى البراءه مطلقا فى مقابل الاستبراء، و إلاّ تعيّن طرحه و الرجوع إلى الأصل و اطلاق الأخبار المتقدّمه و تعذّر الاستبراء أو وجود المفسده فيه لا يوجب وجود مبرء آخر.

نعم أرسل بعض من قارب عصرنا عن الصادق عليه السّلام أنّك إن اغتبت فبلغ المغتاب فاستحلّ منه و إن لم يبلغه فاستغفر الله له.

و فى روايه السيّكونى المرويّه فى الكافى فى باب الظلم عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و من ظلم أحدا ففاته فليستغفر الله له فإنّه كفاره له.

و الانصاف أنّ الأخبار فى هذا الباب كلّها غير نقيّه السّند و أصاله البراءه تقتضى عدم وجوب الاستحلال و لا الاستغفار، و أصاله بقاء الحقّ الثّابت للمغتاب

بافتح على المغتاب بالكسر تقتضى عدم الخروج منه إلا بالاستحلال خاصه، لكن المثبت لكون الغيبه حقاً بمعنى وجوب البراءه منه ليس إلا- الأخبار الغير التقيه السّند، مع أنّ السند لو كان نقياً كانت الدّلاله ضعيفه لذكر حقوق اخر فى الروايات لا قائل بوجود البراءه منها، فالقول بعدم كونه حقاً للناس بمعنى وجوب البراءه نظير الحقوق المائيه لا يخلو عن قوه، و امکان الاحتياط فى خلافه بل لا يخلو عن قرب من جهه كثره الأخبار الدّاله على وجوب الاستبراء منها بل اعتبار سند بعضها و الأحوط الاستحلال إن تيسّر و إلا- فالاستغفار، غفر الله لنا و لمن اغتناه و لمن اغتابنا بحقّ محمّد و آله الطّاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

الترجمه

از جمله کلام آن امام اناّم علیه السّلام است در نهی از غیبت مردمان می فرماید:

و جز این نیست که سزاوار است اهل عصمت و طهارت و کسانى که انعام شده است ایشان را در سلامتی دین این که رحم نمایند گناهکاران و اهل معصیت را، و این که شود شکر خدا غالب بر ایشان و مانع ایشان از مذمت گناه کاران، پس چگونه است غیبت کننده که غیبت برادر خود را کند و سرزنش نماید او را ببلایى که گرفتار شده است، آیا بیادش نمی آرد مقام پوشانیدن خداوند تعالی بر او از گناهان او گناهی را که بزرگتر است از گناهی که عیب سرزنش نمود برادرش را، و چگونه مذمت میکند او را بر گناهی که مرتکب شده است مثل او را پس اگر نبوده باشد مرتکب آن گناه پس بتحقیق معصیت نموده خدای را در غیر آن از گناهی که بزرگتر است از آن.

و قسم بخدا هر آینه اگر نبوده باشد معصیت نموده خدا را در گناه کبیر و عصیان نموده او را در گناه صغیر هر آینه جرئت و جسارت او بر عیب و غیبت مردمان بزرگتر است ای بنده خدا سرعت مکن در عیب بنده بجهه گناه او پس شاید که آن گناه آمرزیده شده او را، و ایمن مباش بر نفس خود گناه کوچک را پس شاید تو معذب

باشی بر آن، پس باید که خود داری نماید آن کسی که داند از شما عیب دیگری را از جهت آنکه میدانند از عیب خود، و باید که باشد شکر کردن او مشغول کننده او بر سلامتی خود از گناهی که مبتلا شده است بأو غیر او.

و من کلام له علیه السلام و هو المأه و الحادی و الاربعون من

اشاره

المختار فی باب الخطب.

أیها الناس من عرف من أخیه وثيقه دین و سداد طریق فلا یسمعنّ فیہ أقاویل الرّجال، أما أنّه قد یرمی الرّامی، و تخطیء السّیّهام و یحیل الکلام و باطل ذلك یبور، و الله سمیع و شهید، أما أنّه لیس بین الباطل و الحقّ إلاّ أربع أصابع، فسئل عن معنی قوله علیه السلام هذا، فجمع أصابعه و وضعها بین اذنه و عینه ثمّ قال: الباطل أن تقول سمعت، و الحقّ أن تقول رأیت.

اللغه

(وثق) الشیء بالضمّ وثاقه قوی و ثبت فهو وثیق ثابت محکم و (السّداد) بالفتح الصّواب من القول و الفعل و (الأقاویل) جمع أقوال و هو جمع قول و (أخطأ السّیهم) الغرض تجاوزه و لم یصبه و (یحیل الکلام) فی أكثر النّسخ باللام مضارع حال بمعنی یستحیل أی یكون محالا قال فی القاموس: و کلّ ما تغيّر أو تحرّک من الاستواء إلى العوج فقد حال و استحال، و قال أيضا: و المحال بالضم من الکلام ما عدل عن وجهه کالمستحیل، أحوال أتى به، و فی المصباح المحال

الباطل الغير الممكن الوقوع، و فى بعض النسخ بالكاف مضارع حاك أو أحاك قال فى القاموس: حاك القول فى القلب يحيك حيكاً أخذ، و السيف اثر و الشفره قطعت كأحاك فيهما و (بار) الشىء يبور بوراً بالضم هلك.

الاعراب

إضافه وثيقه دين و سداد طريق من إضافه الصّيفه إلى موصوفه و التاء فى الوثيقه للنقل من الوصفية إلى الاسميه كما قيل أو للمبالغه، و جمله فلا يسمعنّ، فى محلّ الرفع خبر من و لتضمّن المبتدأ معنى الشرط اتى بالفاء فى خبره، و الضمير فى قوله: إنّه، للشأن، و الواو فى قوله: و باطل ذلك، للحال.

المعنى

اعلم أنّ المقصود بهذا الكلام النهى عن التسرع إلى التصديق بما يقال فى حقّ الانسان الموصوف بحسن الظاهر المشهور بالوثوق و الصّلاح و التدين ممّا يعيبه و يقدحه، و يدلّ عليه الأدله الداله على حرمة الاصغاء إلى الغيبه على ما تقدّم فى شرح الكلام السابق، و إليه اشير فى قوله سبحانه: يا أيّها الذين آمنوا إن جئكم فاسق بنا فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهاله فتصبخوا على ما فعلتم نادمين إذا عرفت ذلك فأقول قوله: (أيّها الناس من عرف من أخيه وثيقه دين و سداد طريق) أى ديناً محكماً و طريقاً صواباً، قيل المراد بوثيقه الدين اللزوم للأحكام الشرعيه و التقييد لا كمن يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأنّ به و إن أصابته فتنه انقلب على وجهه.

و لعلّ المراد بوثيقه الدين العقيدته و بسداد الطريق حسن العمل كما يشعر به ما رواه الحافظ أبو نعيم بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لابنه الحسن عليه السلام:

يا بنى ما السداد؟ فقال: يا أبتي السداد دفع المنكر بالمعروف، أى من عرف من أخيه المؤمن حسن الاعتقاد و العمل (فلا يسمعنّ فيه أقاويل الرجال) أى أقاويلهم التى توجب شينه و تهدم مروّته و تسقطه عن أعين الناس.

روى الصِّيدوق في عقاب الأعمال باسناده عن محمّد بن الفضيل عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السّلام قال: قلت له: جعلت فداك الرّجل من اخواني بلغنى عنه الشىء الذى أكرهه فأسأله عنه فينكر ذلك وقد أخبرنى عنه قوم ثقات، فقال عليه السّلام لى:

يا محمّد كذب سمعك و بصرك عن أخيك و إن شهد عندك خمسون قسامه و قال لك قولاً فصّدقه و كذبهم، و لا تديعنّ عليه شيئاً تشينه به و تهدم به مروّته فتكون من الذين قال الله: إنّ الذين يحبّون أن تشيع الفاحشه فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدّنيا و الآخرة.

و فى الوسائل عن العياشى فى تفسيره عن الفيض بن المختار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: لما نزلت المائدة على عيسى قال للحواريين: لا تأكلوا منها حتّى آذن لكم، فأكل منها رجل فقال بعض الحواريين: يا روح الله أكل منها فلان، فقال له عيسى عليه السّلام: أكلت منها؟ فقال: لا، فقال الحواريون: بلى و الله يا روح الله لقد أكل منها، فقال عيسى عليه السّلام: صدّق أخاك و كذب بصرك.

ثم علّل عليه السّلام عدم جواز استماع أقاويل الرّجال و تصديقها بالمثل الذى ضربه بقوله (أما أنّه قد يرمى الرّامى و تخطىء السهام) يعنى أنّه ربما يرمى الرّامى سهمه فلا يصيب الغرض بل يخطيه (و) كذلك قد يتكلّم إنسان بكلام يعيب به على غيره أو يغتابه ف (يحيل الكلام) و يستحيل و يعدل عن وجه الصّواب و يخالف الواقع و لا يعيبه إما لغرض شخصيّ فاسد للقائل فى المقول عليه من العداوه و الشحناء و الحسد و نحوها فيرميه بالعيب و يطعنه بالغيب لذلك، و إمّا لشبهه منه فيه بأن يشتهب الأمر عليه فيظنّ المعروف منكراً مثل ما لو رأى فى يد أحد قاروره مملوّه يشرب منها فظنّها خمراً و هو خلّ فيتّهمه بشرب الخمر.

و لذلك ورد فى الأخبار المستفيضه حمل فعل المسلم على الصّحه مثل ما رواه فى الكافى عن الحسين بن المختار عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى كلام له: ضع أمر أخيك على أحسنه حتّى يأتيك ما يغلبك منه، و لا تظنن بكلمه خرجت من أخيك سوءاً و أنت تجد لها فى الخير محملاً.

و عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا اتهم المؤمن أخاه انماث الايمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء.

هذا كله على روايه يحيل باللام و أما على الروايه الاخرى فالمراد به التنبيه على أنّ ضرر الكلام أقوى من ضرر السهام، و تأثيره أشد من تأثيرها، و ذلك لأنّ الزامى قد يرمى فتخطى سهامه و لا تصيب الغرض، و أما الكلام فيؤثر لا محاله و إن كان باطلا لأنه يلوث الغرض في نظر من لا يعرفه و يسقط محلّ المقول فيه و منزلته من القلوب.

ثمّ قال تهديدا أو تحذيرا و تنبيها على ضرر ذلك الكلام الفاسد و القول الباطل على سبيل إرسال المثل (و باطل ذلك يبور و الله سميع و شهيد) يعنى أنّ الغرض و الغايه من ذلك القول اللذى يعاب به باطل نشأ من الحقد و الحسد أو التصادم فى مال أو جاه أو نحو ذلك من الأغراض الباطله، و الباطل أنّما يبور أى يهلك و يفنى كما قال تعالى: إنّ الباطل كان زهوقا، و وزره يدوم و يبقى لأنّه بعين الله السميع البصير الشاهد الخبير بمحاسن الأفعال و الأقوال و مقابحها المجازى بالحسنات عظيم الثواب و بالسيئات أليم العقاب.

ثمّ تبه على الفرق بين الحقّ و الباطل بقوله (أما أنّه ليس بين الحقّ و الباطل إلا أربع أصابع فسئل عليه السلام عن معنى قوله هذا) لاجماله و إبهامه (فجمع أصابعه) الأربع (و وضعها بين أذنه و عينه ثمّ قال: الباطل أن تقول سمعت، و الحقّ أن تقول رأيت) يعنى أنّ الباطل هو المسموع و الحقّ هو المرئى، فتسامح عليه السلام فى التفرقه بما ذكر تعويلا على الظهور، ضروره أنّ الباطل ليس قولك سمعت، و لا الحقّ قولك رأيت، لأنّ قولك إخبار عن نفسك بالسّماع أو الرّؤية، و الحقّ و الباطل و صفان للمخبر عنه لا الخبر كما هو ظاهر.

فان قلت: كيف يقول الباطل ما يسمع و الحقّ ما يرى مع أنّ كثيرا من المسموعات حقّ لا ريب فيه، فإنّ جلّ الأحكام الشرعيّه قد ثبت علينا بطريق النقل

و السماع، و كذلك كثير من العقائد الاصوليه كنبوءه نبينا و معجزاته و كذا نبوءه سائر الانبياء و امامه الأئمه و معجزاتهم عليهم السلام و أخبار المعاد من الحشر و النّشر و البعث و الحساب و الجنّه و النار و غيرها.

قلت: قد أجاب عنه الشّارح المعتزلى بأنه ليس كلامه فى المتواتر من الأخبار و إنّما كلامه فى الأقوال الشّاذّه الوارده من طريق الآحاد التى تتضمّن القدح فيمن قد علمت «غلبت خ» نراهته، فلا يجوز العدول عن المعلوم بالمشكوك.

و أجاب الشّارح البحرانى بأنّ قوله: الباطل أن تقول سمعت، لا- يستلزم الكليّه حتّى يكون كلّ ما سمعه باطلا، فإنّ الباطل و المسموع مهملان يعنى انه ليس بقضيه كليّه بل كلام خطابى مهمل يصدق بجزئى.

أقول: و لعلّ مرادهما أنّ اللّام فى قوله: الباطل و الحقّ، للعهد و مراده عليه السّلام ليس تعريف مطلق الباطل و الحقّ بل التفرقه فى افراد ما يعاب به الغير و يتضمّن قدحه بأنّه على قسمين: أحدهما ما سمعته من غيرك، فهو باطل لأنّ من جاءك به فاسق لا يمكن الرّكون إليه فلا- بدّ من الحكم ببطلان خبره و إن كان ما خاله صدقا فى نفس الأمر و الواقع، و ثانيهما ما أبصرته بعينك فهو الحقّ.

فان قلت: كيف التوفيق بين قوله عليه السّلام ذلك المفيد لحقيقه المرئى و بين روايتى عقاب الأعمال و الوسائل المتقدّمتين فى شرح قوله عليه السّلام: فلا يسمعنّ فيه أقاويل الرّجال، حيث أمر فيهما بتكذيب البصر فيما شاهدته.

قلت: لا منافاه بينهما، لأنّ المراد بتكذيب البصر فيهما عدم ترتيب الآثار على العيب الذى رآه و النّهى عن إذاعته و إفشائه للغير، لا أنّ ما رآه ليس بحقّ و محصلهما وجوب ستر ما رآه من أخيه و عدم هتك عرضه عند الغير، مثلا إذا رأى أنّه يشرب الخمر فان وجد لفعله محملا صحيحا كأنّ يحتمل أنّه خلّ أو أنّ شربه للدواء و العلاج، فلا بدّ من حمل فعله على الصّحه، و إن لم يجد له محملا فيحكم فى نفسه بفسق الشّارب، و لا يأتّمه فى امور يشترط فيها العداله، و مع

ذلك فلا يجوز إظهار ما فعله لغيره تنقيصاً له على ما تقدّم في شرح الكلام السابق و الله العالم.

الترجمه

از جمله کلام آن قدوه اُنام است که فرموده:

ای مردمان هر کس که شناخت از برادر مؤمن خودش دین محکم و راه راستی را پس باید البتّه نشنود در حق او گفتارهای مردمان را، آگاه شوید که گاهست می اندازد اندازنده و خطا می کند تیرها و محال میباشد سخن و حال این که باطل کلام فاسد و تباه می شود و خدای تعالی شنونده است کلام بدگو را و شاهد است بر آن و جزا دهنده است بآن، آگاه باشید بدرستی که نیست میان حق و باطل مگر چهار انگشت پس سؤال کرده شد از آن حضرت از معنی این فرمایش او، پس جمع فرمود انگشتان مبارک خود را و نهاد آنها را میان گوش و چشم خود بعد از آن فرمود باطل آنست که گوئی شنیدم، و حق آنست که گوئی دیدم، یعنی مادامی که عیب احدیرا با چشم خود ندیده و یقین نکرده بمجرّد شنیدن از دیگران باور مکن

و من کلام له علیه السلام و هو الماء و الثانی و الاربعون من

اشاره

المختار فی باب الخطب

و الظاهر أنّه ملتقط من کلام طویل له علیه السّلام قدّمنا روايته فی شرح الکلام الماء و السّادس و العشرین من البحار من کتاب الغارات لابراهیم بن محمّد الثقفی من کتاب الکافی لمحمّد بن یعقوب الكلینی علی اختلاف عرفته.

و لیس لواضع المعروف فی غیر حقّه و عند غیر أهله من الحظّ فیما أتى إلاّ محمّده اللّثام، و ثناء الأشرار، و مقاله الجهّال ما دام منعما علیهم

ص: ۳۹۸

ما أجود يده و هو عن ذات الله بخيل، فمن آتاه الله مالا فليصل به القرابه، و ليحسن منه الضيافه، و ليفكك به الأسير و العانى، و يعط منه الفقير و الغارم، و ليصبر نفسه على الحقوق و التوائب ابتغاء الثواب فإن فوزا بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا، و درك فضائل الآخره إنشاء الله.

اللغه

قال الفيومى (المحمده) بفتح الميم نقيض المذمه، و نقل ابن السراج و جماعه بالكسر و (الغارم) من عليه الدين و (صبرت) صبرا من باب ضرب حبست النفس عن الجزع قال تعالى: و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم، و يستعمل تاره بعن كما فى المعاصى، و تاره بعلى كما فى الطاعات، و (التوائب) جمع النائبه و هى النازله التى تنوب على الانسان و تنزل عليه.

الاعراب

قوله و مقاله الجهال ما دام منعا عليهم، ما ظرفيه مصدرية، و دام فعل ناقص و اسمه ضمير مستتر عايد إلى واضع المعروف، و منعا خبره، و إنما جعلت ما مصدرية لأنها تول بمصدر مضاف إليه الزمان أى مدّه دوامه منعا، و سميت ظرفيه لنيابتها عن الظرف، و هو المدّه، فأصل ما دام منعا مدّه ما دام منعا، فحذف المضاف أعنى المدّه و ناب المضاف إليه و هو ما وصلتها عنها فى الانتصاب على الظرفيه كما ناب المصدر الصيريح عن ظرف الزمان فى نحو جئتكَ صلاه العصر أى وقت صلاه العصر، فعلى هذا يكون قوله: ما دام منعا، ظرفا للمقاله و منصوبا بها و قيذا لها و جمله ما أجود يده، فى محلّ النصب مقول القول أى مقالتهم ذلك، و الواو

فى قوله، و هو حاله، و الفاء فى قوله: فمن آتاه، فصيحته، و عطف العانى على الأسير للتفسير، و الفاء فى قوله: فان فوزا، للسبب.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الكلام له عليه السلام وارد فى معرض الذم على صرف المال فى غير أهله و الحث على صرفه فى وجوه البرّ و مصارف الخير.

أمّا الأول أعنى صرف المال لغير مستحقّه فقد نبّه على حساسه ثمرته و زهاده منفعتة بقوله (و ليس لواضع المعروف) أى البرّ و الاحسان (فى غير حقّه) أى غير المحلّ الذى هو حقيق به و حقّ له (و عند غير أهله) و مستحقّه من الحظّ و النصيب فيما أتى و جاء به (إلا محمده اللّثام) الموصوفين بدنائه النفس و رزاله الطبع (و ثناء الأشرار) و الفجار (و مقاله الجهال ما دام منعمًا عليهم ما أجود يده) يعنى أنّ الجهله و السفهه يصفونه بالكرم و الجود و يقولون إنّه جواد ما دام إنعامه عليهم حتّى إذا انقطع انعامه عنهم يبدلون الشكر بالكفران، و الثناء بالمذمّه، بل ربّما يجعلون الشّر عوض الشكر استجلابا لذلك الانعام المنقطع، و استعاده له فهذا الرّجل و إن كان السفله و السّفهاء يصفونه بالجود لجهلهم بوضع الأشياء فى مواضعها التى هى مقتضى العقل و الشّرع، و لكنّه ليس بجواد فى نفس الأمر و عند اولى الألباب العارفين بمواضع الأشياء و مواضعها التى يحسن وضعها فيها، بل يصفونه العقلاء بالبخل كما قال عليه السلام (و هو عن ذات الله بخيل) يعنى أنّه بخيل عما يرجع إلى ذات الله سبحانه و يحصل رضاه كوجوه البرّ الواجبه و المندوبه من الصدقات و صله الرّحم و الضيافه و الحقّ المعلوم للسائل و المحروم و نحوها.

و توضيح المرام موقوف على تحقيق الكلام فى معنى الجود و البخل.

فنعول: المال خلق لحكمه و مقصود و هو صلاحه لحاجات الخلق، و يمكن إمساكه عن الصّيرف إلى ما خلق للصّيرف إليه و يمكن بذله بالصّرف إلى ما لا يحسن

الصِّرف إليه، و يمكن التصرف فيه بالعدل و هو أن يحفظ حيث يجب الحفظ، و يبذل حيث يجب البذل فالامساک حيث يجب البذل بخل، و البذل حيث يجب الامساک تبذير و إسراف، و الوسط بينهما و هو الجود و السِّخاء محمود قال سبحانه: و الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا و كان بين ذلك قواما، فالوسط بين الاسراف و الاقتار هو الجود، و هو أن يقدر بذله و امساکه بقدر الواجب.

و الواجب قسمان: واجب بالشرع و واجب بالمرؤه و العاده، فمن منع واحدا منهما فهو بخيل، و لكن المانع من واجب الشرع أبخل كالمانع من أداء الزكاه و نفقه عياله الواجبي النفقه، و أما واجب المرؤه فهو ترك المضايقه و الاستقصاء في المحقرات، فإن ذلك مستقبح و يختلف استقباحه باختلاف الأحوال و الأشخاص فيستقبح من الغنى ما لا يستقبح من الفقير من المضايقه، و كذلك من الرجل مع أهله و أقاربه ما لا يستقبح مع الأجانب، و كذلك يستقبح المضايقه من الجار في حق الجار دون البعيد، و في الضيافه دون المعامله، و بالنسبه إلى العالم دون الجاهل و هكذا.

فمن أذى واجب الشرع و واجب المرؤه اللأئقه فقد تبرء من البخل، نعم لا يتصف بصفه الجود و السِّخاء ما لم يبذل زياده على ذلك لطلب الفضيله و نيل الدرجات، فإذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجهه الشرع و لا يتوجه إليه الملامه في العاده فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير، و درجات ذلك متفاوتة غير محصوره، فاصطناع المعروف وراء ما توجهه العاده و المرؤه هو الجود، و لكن يشترط فيه أمران:

أحدهما أن يكون عن طيب نفس و الثاني أن لا يكون عن طمع عوض و لو ثناء و محمده و شكرا، فإن من طمع في الشكر و الثناء ممن يحسن إليه أو من غيره فإنه يبيع ليس بجواد، فإنه يشتري المدح بماله، و المدح لذيذ و هو مقصود في نفسه و كذلك لو كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلا أو من ملامه الخلق أو دفع شرّ، فكل ذلك ليس من

الجود لأنه مضطرّ إليه بهذه البواعث نعم لو لم يكن غرضه إلا الثواب في الآخرة و تحصيل رضاء الله سبحانه و اكتساب فضيله الجود و تطهير النفس من رذاله الشّح فهو الجواد و الموصوف بالسّخاء.

إذا عرفت ذلك فقد ظهر لك أنّ وضع المعروف في غير حقّه و عند غير أهله أو لرجاء العوض و المنفعه فليس جوادا في الحقيقه و عند أهل المعرفة و البصيره، كما تبّه به الامام عليه السّلام و نهى عنه.

ثمّ أرشد عليه السّلام إلى ما ينبغي القيام به لمن آتاه الله المال و الثّروه بقوله (فمن آتاه الله مالا فليصل به) الرّحم و (القرابه) فقد روى في الوسائل من الكافي باسناده عن السيّد كوني عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: سئل رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أيّ الصّدقه أفضل، فقال: على ذى الرّحم الكاشح.

و بهذا الاسناد عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: الصّدقه بعشره و القرض بثمانيه عشر و صله الاخوان بعشرين و صله الرّحم بأربعة و عشرين.

و في الوسائل أيضا عن الصّدوق قال: قال عليه السّلام لا صدقه و ذو رحم محتاج و باسناده عن شعيب بن واقد عن الحسين بن زيد عن الصادق عن آبائه عليهم السّلام عن الثّبّي صلّى الله عليه و آله و سلّم في حديث المناهى قال: و من مشى إلى ذى قرابه بنفسه و ماله ليصل رحمه أعطاه الله عزّ و جلّ أجر مائه شهيد و له بكلّ خطوه أربعون ألف حسنه و محى عنه أربعون ألف سيئه، و رفع له من الدّرجات مثل ذلك، و كان كأنما عبد الله عزّ و جلّ مائه سنه صابرا محتسبا، هذا.

و قد مضى جملة من منافع صله الرّحم و مضارّ القطيعه و الأخبار المتضمّنه لهذا المعنى في شرح الفصل الثّانى من الخطبه الثّالثه و العشرين فليراجع.

(و ليحسن منه الضّيافه) قال الصّيادق عليه السّلام لحسين بن نعيم الصّحّاف في حديث رواه في الكافي: أ تحبّ إخوانك يا حسين؟ قلت: نعم، إلى أن قال أ تدعوهم إلى منزلك؟ قلت: نعم ما آكل إلاّ و معى منهم الرّجلان و الثلاثه و الأقلّ و الأكثر، فقال أبو عبد الله عليه السّلام: أما إنّ فضلهم عليك أعظم من فضلك عليهم، فقلت: جعلت

فداك أطعمهم طعامي و أوطئهم رحلي و يكون فضلهم عليّ أعظم قال: نعم إنهم إذا دخلوا منزلك دخلوا بمغفرتك و مغفره عيالك، و إذا خرجوا من منزلك خرجوا بذنوبك و ذنوب عيالك.

(و ليفكّ به الأسير و العاني و ليعط منه الفقير و الغارم) أى المديون (و ليصبر نفسه على الحقوق) الواجبه و المندوبه كالأزكاه و الصدقات، أى ليجس نفسه على أدائها، و إنما سمى حسبا لأنه خلاف ما يميل إليه الطبع و النفس الاماره (و التوائب) التى تنزل به من الحوادث و المهمّات الموجبه لغرمه.

كما فى حديث الجهاد عن أبى الحسن عليه السّلام فى قسمه الغنائم ثمّ قال: و يأخذ يعنى الامام الباقي فيكون بعد ذلك أرزاق أعوانه على دين الله و فى مصلحه ما ينويه من تقويه الاسلام و تقويه الدّين فى وجوه الجهاد و غير ذلك ممّا فيه مصلحه العامه قال الشّارح البحرانى: و أشار بالتوائب إلى ما يلحق الانسان من المصادرات التى يفكّ بها الانسان من أيدي الظالمين و ألسنتهم، و الانفاق فى ذلك من الحقوق الواجبه على الانسان، انتهى.

و الأظهر التعميم حسب ما ذكرنا و لما أشار إلى المواضع التى يحسن وضع المال فيها و صرفه إليها أردفه بقوله (ابتغاء الثواب) تنبيها على أنّ حسنه إنّما يكون إذا قصد به وجه الله سبحانه و طلب جزائه لا عن قصد رياء و سمعه.

ثمّ تبه على ما يترتب على هذه الخصال الحسنه من الأجر الجميل و الجزاء الجزيل بقوله (فانّ فوزا بهذه الخصال) الخمس (شرف مكارم الدّنيا و درك فضائل الآخره إنشاء الله) لأنها توجب الذكر الجميل و الجاه العريض فى الاولى و الثواب الجزيل الموعود لاولى الفضل و التّقى فى العقبى، هذا.

و أنّما أتى فوزا بالتنكير و لم يقل فانّ الفوز بهذه الخصال قصدا إلى التّقليل يعنى أنّ قليل فوز بهذه يوجب شرف الدّنيا و الآخره كما فى قوله تعالى، و رضوان من الله أكبر، أى رضوان قليل منه سبحانه أكبر من ذلك كلّه على ما ذهب إليه صاحب التّليخيص.

و هذا أقرب و أولى بل أظهر ممّا قاله الشّارح المعتزلى فى وجه تعليل التنكير حيث قال: قوله: فإنّ فوزا أفصح من أن يقول فإنّ الفوز أو فإنّ فى الفوز كما قال الشّاعر:

إنّ شواء و نشوه و خبب البازل الأمون من لذّه العيش للفتى فى الدّهر و الدّهر ذو فنون

و لم يقل إنّ الشّواء و النشوه، و السرّ فى هذا أنّه كأنّه يجعل هذا المصدر و هذا الشّواء شخصا من جملة اشخاص داخله تحت نوع واحد و يقول: إنّ واحدا منها أيّها كان فهو من لذّه العيش و إن لم يحصل له كلّ أشخاص و ذلك النوع و مراده عليه السّلام تقرير فضيله هذه الخصال فى النفوس أى متى حصل للانسان فوز بأيّها فقد حصل له الشّرف، و هذا المعنى و إن أعطاه لفظه الفوز بالألف و اللّام إذا قصد بها الجنسيه إلّا أنّه قد يسبق إلى الدّهن منها الاستغراق لا الجنسيه فأتى بلفظه لا توهم الاستغراق و هى اللفظه المنكره، و هذا دقيق و هو من لباب علم البيان، انتهى.

و فيه أوّلا أنّ الذّوق السّليم يحكم بأنّ القصد فى التنكير هنا إلى التقليل لا إلى الافراد كما فى جاء رجل من أقصى المدينه و فى قوله: و الله خلق كلّ دابّه من ماء، أى كلّ فرد من أفراد الدّواب من فرد من أفراد الماء أى النطفه المختصّه به فتأمل تعرف.

و ثانيا أنّ قوله: و هذا المعنى و إن أعطاه لفظه الفوز ممنوع، لظهور أنّ النكره هو الفرد المنتشر، و البعض الغير المعين المعرف بلام الجنس موضوع لماهيته من حيث هى و بينهما بون بعيد.

و ثالثا أنّ قوله: قد يسبق إلى الدّهن منها الاستغراق لا الجنسيه، يدفعه أنّ المتبادر من المعرف باللام المفرد هى الماهيه لا بشرط، و بعبارة اخرى المتبادر السّابق إلى الدّهن من المفرد المحلّى باللام هى نفس الحقيقه، من دون نظر إلى الافراد كلّا أو جزء، فمن أين يسبق إلى الدّهن الاستغراق إن هو إلّا توهم فاسد و به يظهر فساد ما زعمه الشّارح البحرانى أيضا حيث قال: و إنّما نكر الفوز

لأنّ تكثيره يفيد نوع الفوز فقط الذي يحصل بأيّ شخص كان من أشخاصه و هذا و إن كان حاصلًا مع الألف و اللام لتعريف تلك الطبيعة إلاّ أنّ ذلك التعريف مشترك بين تعريف الطبيعة و المعهود الشخصي فكان موهما لفوز شخصي، و ذلك كان الاتيان به منكرا أفصح و أبلغ انتهى.

وجه ظهور الفساد منع اشتراك المعرف بلام الحقيقه بين تعريف الطبيعة و المعهود الشخصي ذهنيًا كان أو خارجيًا، بل هو حقيقه في الأول فقط، و مجاز في غيره، و انفهامه منه محتاج إلى القرينه، و ليست فليس، مضافًا إلى ما استظهرناه من افاده التنكير للتقليل لا النوع في ضمن أيّ شخص فافهم و تبصّر.

تذنيب في الاخبار الوارده في ذم وضع المعروف في غير موضعه و مع

غير أهله

ففي الوسائل من الكافي باسناده عن سيف بن عميره قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لمفضل بن عمر: يا مفضل إذا أردت أن تعلم أشقى الرجل أم سعيد فانظر سيبه و معروفه إلى من يصنعه فان كان يصنعه إلى من هو أهله فاعلم أنّه إلى خير و إن كان يصنعه إلى غير أهله فاعلم أنّه ليس له عند الله خير.

و من الكافي عن العده عن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن سنان عن مفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا أردت أن تعرف إلى خير يصير الرجل أم إلى شرّ فانظر أين يضع معروفه فان كان يضع معروفه عند أهله فاعلم أنّه يصير إلى خير، و إن كان يضع معروفه مع غير أهله فاعلم أنّه ليس له في الآخرة من خلاق.

و في الوسائل عن الصّيدوق باسناده عن قتاده بن عمرو و أنس بن مالك عن أبيه جميعًا في وصيّة النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم لعليّ عليه السلام قال: يا عليّ أربعه تذهب ضياعًا:

الأكل على الشّبع، و السّراج في القمر، و الزّرع في السبخه، و الصّنيعه عند غير أهلها.

و فيه من مجالس ابن الشّيبان عن أبيه عن أبي محمد الفحام عن المنصوري عن

عمّ أبيه عن الامام عليّ بن محمّد عن أبيه عن آبائه واحدا واحدا عليهم السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: خمس تذهب ضياعا: سراج تفسده في شمس، الدّهن يذهب و الضّوء لا ينتفع به، و مطر جود على أرض سبخه المطر يضيع و الأرض لا ينتفع بها، و طعام يحكمه طاهيه يقدم إلى شبعان فلا- ينتفع به، و امرأه تزف إلى عنين فلا- ينتفع بها، و معروف يصطنع إلى من لا يشكره.

الترجمه

از جمله کلام بلاغت نظام آن امام علیه الصّلاه و السّلام در ارشاد مردمان بر مواقع و مصارف احسان می فرماید:

و نیست مر نهنده احسان را در غیر محلی که لایق است باو در نزد غیر اهل و مستحق آن از حظ و نصیب در آنچه آورده مگر ستایش لثیمان و ثناء شیرینان و گفتار جاهلان مادامی که احسان کننده است بر ایشان: چه سخی نموده دست او را و حال آنکه آن شخص بخیل است از ذات باری تعالی، پس هر که عطا کند او را خداوند سبحانه مالی را پس باید وصل نماید آن را باقربا و اقوام خود و باید که نیک سازد از آن مهمانی را، و باید که برهاند بآن اسیر و دست گیر را، و باید که بدهد از آن فقیر قرض دار را، و باید که حبس نماید نفس خود را بر أداء حقوق واجبه و مندوبه و حوادث روزگار، بجهت طلب ثواب از حضرت پروردگار، پس بدرستی که فائز شدن باین خصلتها بزرگواری مکرمتهای دنیا است، و رسیدن بفضیلتهای عقبی انشاء الله تعالی.

هنا انتهى الجزء الثامن من هذه الطبعه الجديده القيمه و تمّ تصحيحه و تهذيبه بيد العبد «السيد ابراهيم الميانجي» عفى عنه و عن و الديه و ذلك في اليوم الرابع و العشرين من المحرم سنة «١٣٨١» و يليه انشاء الله الجزء التاسع و اوله اول المختار الماء و الثالث و الاربعين، و الحمد لله كما هو أهله

بسمه تعالی

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند؟

سوره زمر / ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ. ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفاً علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب «مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱. بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السلام)
۲. تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی
۳. جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه، تبلت ها، رایانه ها و ...
۴. سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو
۵. گسترش فرهنگ عمومی مطالعه
۶. زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱. عمل بر مبنای مجوز های قانونی
۲. ارتباط با مراکز هم سو
۳. پرهیز از موازی کاری

۴. صرفا ارائه محتوای علمی

۵. ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱. چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲. برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳. تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴. تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵. ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶. تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷. راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸. طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹. برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰. برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

JAVA.۱

ANDROID.۲

EPUB.۳

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.۷

GHB.۸

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

ANDROID.۱

IOS.۲

WINDOWS PHONE.۳

WINDOWS.۴

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

در پایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتا های خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می
نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان - خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آواده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی - پلاک ۱۲۹/۳۴ - طبقه
اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۰۲۱ - ۸۸۳۱۸۷۲۲

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹



مرکز تحقیقات رایانگی

اصفهان

گامی

WWW



برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.

۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹

